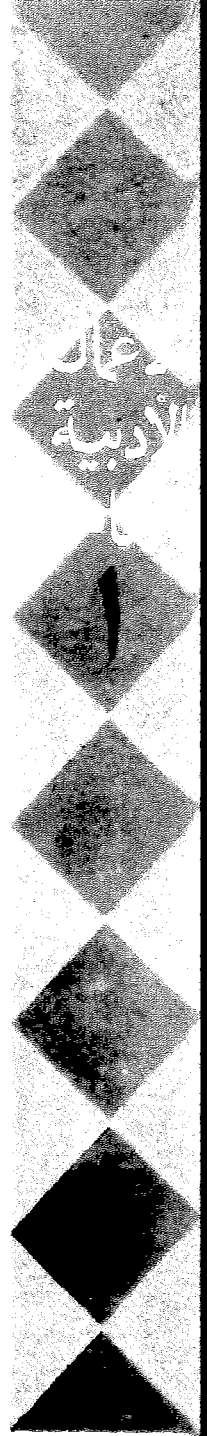


دوستو نيقسكى

الفقراء. المثل  
قلب ضعيف

ترجمة: الدكتور سامى السيدى







اهداءات ٢٠٠٣

اسرة المرحوم الأستاذ/محمد سعيد المصونى

الإسكندرية





# أعمال دوشونوفسكى الأدبية ١

ترجمة  
الدكتور سامى الدروبي

- الفقراء
- المثل
- قلب ضعيف





دوستو یفسکی



# مقدمة الطبعة العربية

## لأعمال دوستوفسكى الأدبية الكاملة

بنشر اعمال دوستوفسكى الأدبية الكاملة ، تفتتح دار الكاتب العربى عهدا جديدا فى تاريخ النشر باللغة العربية . ان بين خالقي التراث الانسانى قمما يجب ان تنقل آثارها الى اللغة العربية كاملة ، وأن تنقل نقلا يتصف بالأمانة والدقة مثلما يتصف بنصاعة البيان وتقاء الأداء ، لتجىء الترجمة صورة تمثل الأصل تمثيلا صادقا ، ولتكون بذلك ترجمة أخيرة اليها يرجع وعليها يعتمد ، فلا حاجة بعد ذلك الى اعادة ترجمتها ، كلها أو بعضها ، مرة بعد مرة ، فى هذا القطر أو ذاك من اقطار الأمة العربية . واذا كانت الترجمة المتلى هي التى تنقل عن لغة الكاتب رأسا بغير وسيط من لغة أخرى ، فليس بين أصحاب الاقلام فى الوطن العربى الآن من يملك ناصية اللغة الروسية الى الحد الذى يكفل نقل عيون آثار الفكر الروسى عن اللغة الروسية بلسان عربى مبين ، فكان لابد من لغة أخرى يتم النقل عنها وسيطا بيننا وبين تلك اللغة . وكانت اللغة الفرنسية هي ذلك الوسيط الذى اعتمده المترجم فى نقل اعمال دوستوفسكى الأدبية التى نقدمها الآن . ونحن نحسب مع ذلك أن الترجمة العربية تملك من مزيتى كمال الأمانة وجمال البيان ما يجعلها خليقة بان تعد نهائية ، ونحسب ان الكاتب العربى الذى سيجىء فى المستقبل مؤهلا باتقان اللغتين الروسية والعربية لنقل امهات كتب الأدب الروسى سيشعر حين بضاهى بين هذه الترجمة وبين الأصل الروسى ، أنه ليس عليه أن يعيد الترجمة ، وأنه لا يحتاج الى أكثر من تنقيحات يسيرة يجرى بها قلمه على كلمة هنا أو جملة هناك . ذلك أن الترجمة التى نقدمها الآن قد كان الوسيط بين صاحبها وبين الأصل الروسى ترجمات فرنسية اختارها الكسندروف سولوفييف ، وتمت مراجعتها على الأصل الروسى فى الطبعة الروسية التى ظهرت سنة ١٨٨٩ فى اننى عشر مجلدا ، وفى الطبعة

السوفياتية التي ظهرت بين ١٩٥٦ و ١٩٥٨ في عشر مجلدات ، وتم تنقيحها وتصحيحها على ماتقتضيه الأمانة والدقة والمقدرة التي يتصف بها استاذ من كبار أساتذة الأدب الروسى في العالم ، مثل سولوفييف ، الاستاذ بجامعة جنيف ، متعاوناً في هذا العمل مع عالم من أبرز علماء الأدب والنقد هو جورج هالداس . ولقد ظهرت الترجمة الفرنسية في ستة عشر مجلداً عن دار النشر السويسرية (Rencontres) ، مصدره نبذة عن حياة دوستويفسكى اعتمدها المترجم ولكنه لم يقتصر عليها ولا تقيد بها كاملة ، وكذلك فيما يتصل بالمقدمات التي تمهد لكل عمل من الأعمال في صدر كل مجلد . وقد رأى سولوفييف ان يتقيد بالطبعة السوفياتية التي صدرت في عامى ١٩٥٦ - ١٩٥٨ ، فاقترنت طبعته الفرنسية على « الأعمال الأدبية » ، لذلك لم ينشر من « يوميات كاتب » ، وهى مجموعة شتى من المقالات والكتابات ، الا ما هو أدب ، الا ما هو حكايات وأقاصيص ، مثل «بوبوك» و «الفلاح ماري» وغيرهما ، وكذلك لم ينشر « الدفاتر » التي تتضمن ما كان يخطه قلم دوستويفسكى اعداداً لكتابة أعماله المختلفة ، ولا نشر رسائل دوستويفسكى . ولكن المجلد التاسع عشر من الطبعة العربية التي ستنشرها دار « الكاتب العربى » تباعاً ، سيشتمل على مختارات من رسائل دوستويفسكى ، وانما جاء الحرص على نشر مختارات من هذه الرسائل ، لما لها من قيمة أدبية أولاً ، ولانها تلقى أضواء على مؤلفات دوستويفسكى ثانياً ، ولانها بعد هذا وذاك تسجل أطرافاً من حياة دوستويفسكى الحافلة وترسم صورة لشخصيته الغنية ، وترتبط بأعماله أنواعاً من الارتباط على كل حال .

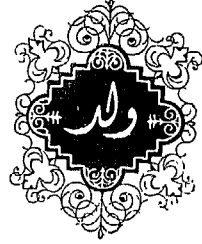
وتتسلسل أعمال دوستويفسكى الأدبية في مجلدات هذه الطبعة العربية تسلسل ظهورها في الزمان ، الا في مواضع قليلة من المجلدات الأولى ، وذلك تغيير طفيف في التسلسل الزمنى أملت ضرورة اخراج المجلدات في حجوم متساوية ما أمكن التساوى . غير أن تاريخ ظهور كل عمل من أعمال دوستويفسكى مذكور تحت كل عنوان . فبذلك يتاح يتاح للقارئ أن يتتبع مراحل النمو والنضج في شخصية دوستويفسكى ابتداء من أولى مبدعات شبابه « الفقراء » ( ١٨٤٦ ) وانتهاء بروايته الكبرى الأخيرة التي هى قمة انتاجه عمقا وقوة وكمالاً : « الأخوة كارامازوف » .

دار الكاتب العربى

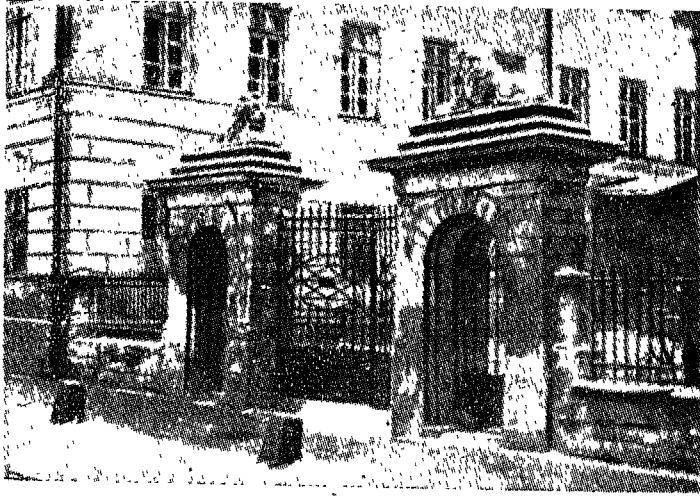
# حياة دوستوفسكى

١٨٨١ ~ ١٨٢١





فيدور ميخائيلوفتش دوستويفسكى بموسكو في  
٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٢١ ، ومات  
بسان بطرسبرج في ٢٨ كانون الثاني (يناير)  
سنة ١٨٨١ . ولعل الظروف التي رأى فيها النور  
جديرة بأن تعد رمزا . فلقد جاء الى هذا العالم في  
مسكن صغير بمستشفى مريم الذي كان أبوه يعمل فيه طبيبا ، فكان القدر قد  
أراد له منذ خطأ في الحياة أولى خطواته أن يكون مكانه بين الفقراء والمرضى



المستشفى الذي ولد فيه دوستويفسكى بموسكو

والمعذبين . لقد فتح عينيه على عالم لا فرح فيه ولا بهجة ، في جو تملؤه رائحة  
الأدوية ، بين أرجاء يسير فيها البشر عرجا أو كتعا أو عورا . . أو يرقدون  
على أسرة حجراتها البائسة مهزولين مصدوربن . . وكانت أمه امرأة حزينة  
قلقة متطيرة تضنيها الهواجس وترهقها فئول الشؤم . وكان أبوه امرءا

مستبدا طاغية جهم المزاج ، شرس الطبع ، قاسيا خاشنا ، بخيلا شحيحا ، يفرض سلطانه على من فى المنزل باللسان السليط والقول الهاجر والسباب الجارح والصياح الحائق ، ولا ينى يتذمر من كثرة النفقات ، مرددا على مسامع أفراد الأسرة أنهم أناس فقراء فعليهم أن يقتصدوا ما أمكن الاقتصاد.



#### أبوه

وكان على الصبى دوستويفسكى أن يخطو خطواته الأولى فى التعنم والدرس خاضعا لهذا الأب ، قارئا عليه متعلما منه ، فكان يكرهه فى سره ، وكانت صرخات الأب الغاضب تلاحقه حتى فى أحلامه ، ولعل الصبى كان بتسمى لأبيه الموت فى قرارة نفسه على غير شعور . ولكن الأب كان فى مقابل ذلك على جانب من ثقافة ، فكان يحلو له أن يقرأ لأولاده صفحات من عيون الأدب ، وكان يحب أن يقرأ لهم آثار بوشكين خاصة . واستطاع الأب بالتوفير والاقتصاد أن يحقق حلما من أحلامه فاشترى أرضا بمقاطعة تولا ، مساحتها خمسمائة هكتار وأقنانها ثمانون . فكانت أيام الاجازات التى تقضيها الأسرة بالريف سعادة كبرى للأولاد . هنالك انما تعلم فيديا ( فيدور ) حب الفلاحين والارض ، وبقيت له من ذلك ذكرى مضيئة أودعها قصته القصيرة « الفلاح ماراي » . وفى عام ١٨٣٣ عهد الأب بفيدور وأخيه ميشيل ( وهما أكبر أولاد الطبيب ) الى معلم فرنسى اسمه سوشار ، ثم



عهد بهما بعد سنة من ذلك الى مدرسة داخلية يديرها رجل تشيكي اسمه نشرمان ، وهي مدرسة يسودها جو عائلي ، وتدرس فيها اللغات والآداب ، فكان شيلر ووالتر سكوت وديكنز هم الكتّاب الأثريين على قلب فيديا خلال سنين ، حتى لقد أخذ ينظم أبياتا من الشعر سرا في أثناء ذلك •



أمه

فلما جاء الصيف من عام ١٨٣٦ ، مرضت أم دوستويفسكى مرضا خطيرا فماتت بالسل في السابع والعشرين من شهر شباط ( فبراير ) سنة ١٨٣٧ بعد مقتل الشاعر الكبير بوشكين بشهر واحد ، فكان للحادثين أثر عميق في نفس الفتى دوستويفسكى الذي كان يحب أمه حبا رقيقا حنونا ، وكان يعبد الشاعر العظيم عبادة •

كذلك تحطم العرش العائلي بوفاة الأم ، فانحدر الأب الى هوة اليأس وأدمن على الشراب وأخذ يفكر في ترك عمله ، والاعتكاف بعيدا في أرضه • وما هي الا فترة قصيرة حتى أرسل ابنه الى سان بطرسبرج ليلتحق بمدرسة الهندسة الحربية ، فأما فيدور فقد نجح في امتحان القبول بعد الاستعداد له ستة أشهر ، وأما ميشيل فلم يفلح ، بسبب سوء صحته ، فمضى الى ريفيل ينتسب هنالك الى ملحق يتبع « مدرسة الهندسة » • هذا هو الفتى دوستويفسكى الذي لما يتجاوز السادسة عشرة من

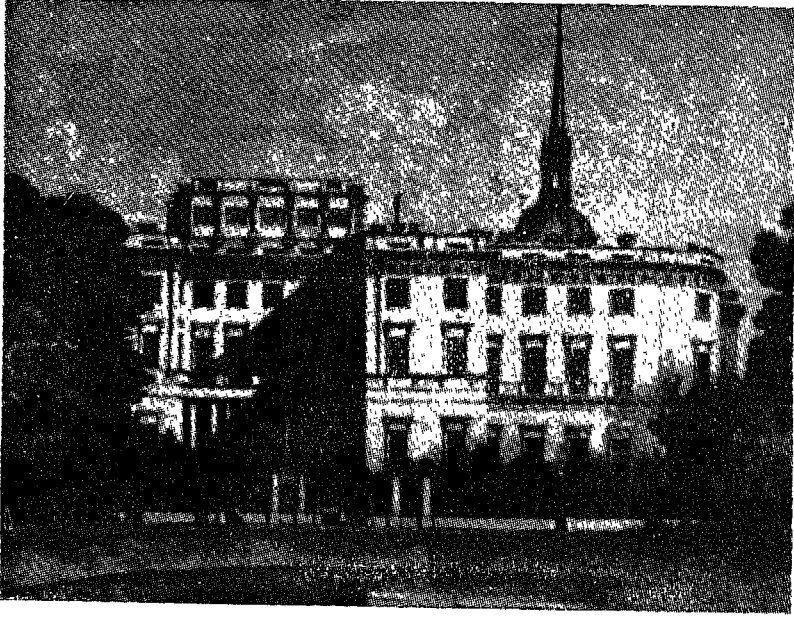
عمره يعيش اذن وحده فى مدرسة عسكرية داخلية تفرض عليه حياة قاسية لا يطيقها مزاجه الفنى ، وتلزمه بدراسة صعبة لا تتفق وأذواقه الادبية .

ويجد الفنى فى دراسته ويكد ، ولكن عالم الفنون يظل هو العالم الذى يخلو اليه سرا ، وها هو ذا يكتب الى أخيه قائلا « الحياة هنا كريهة مقيتة . لا جمال عندى الا فيما هو مبرأ من اسفاف المادة وسعادة الارض » وهو يقبل على القراءة شرها نهما ، ويؤلف حلقة من الرفاق تعنى بالشعر والأدب تقرأ شيلر وهوفمان وبالزرك وجورج صاند وفكتور هوجو ، وتعتقد أواصر صداقة بينه وبين جريجوريوفتش الذى سيصبح كاتباً شهيراً بعد قليل ، وتنشأ صداقة أخرى بينه وبين موظف شاب اسمه ايفان شيدلوفسكى ، وهو شاعر مثالى كان عاكفا على كتابة تاريخ للكنيسة . لقد كتب دوستوفسكى بعد ذلك يقول « ان معرفتى بشيدلوفسكى هيأت لى ساعات اعدھا من اجمل ساعات عمرى » .

وفى أثناء ذلك أحال الدكتور دوستوفسكى نفسه على التقاعد ، ومضى يعتكف فى أرضه مع بنتيه الصغيرتين ، ( احدهما فى الثامنة من عمرها والاخرى فى الثانية ) ، واستمر الارمل المعتزل يدمن هنالك على الشراب الى ان غدا من ذلك صاحب هواجس وهذيان ، وكان يسىء معاملة أقنانه ، فيثير حفاتظهم ويخرجهم عن أطوارهم ، فما انقضت سنتان حتى وجد قتيلا فى الحقول عام ١٨٣٩ ، قد أجهز عليه نفر من الفلاحين كان يهددهم بجلدهم بالسياط ، وكتمت الفضيحة ، فلم يعاقب الجناة .

فهذه اذن مأساة أخرى هزت نفس الفنى هذا قويا ، صحيح أنه كان لا يطيق اسراف أبيه فى الشراب ، وامعانه فى الفجور ، وكان يأخذ عليه خشونته وقسوته وجبروته ، وكان يمقت فيه بخله وشحه خاصة ، فما أكثر ما كان الفتى يحتاج الى قليل من المال يضمن به عليه أبوه ويمنعه عنه . صحيح أن الفتى كان يحقد على أبيه لهذه الأسباب كلها ، وأن الرسائل التى كانا يتبادلانها كانت تفيض مرارة وعنفا ، وأنه كان فى قرارة نفسه يكرهه حقا ، ولكن هذا بعينه هو ما هز نفس الشاب هذا قويا فلقد أحس حين قتل أبوه أنه كان مجرما فى حق أبيه : ألم يحمل له بغضا وسخيمة ؟ ألم يتمن له الموت ؟ انه يتحمل اذن تبعة مقتلته . . . انه هو الذى قتله ، ولكن لا بيديه بل بأيدى الفلاحين .

قضى دوستويفسكى أربع سنين ونصفا في « مدرسة الهندسة »  
تخرج بعدها مهندسا برتبة ملازم ثان في صيف عام ١٨٤٢ ، فألحق بمكتب  
المهندسين في دائرة الهندسة بالعاصمة .



مدرسة الهندسة

وأصاب المهندس الشاب حظا من ثروة ، وكان صهره ، زوج  
اخته الكبرى ، الوصى على الأسرة ، يمدّه بشيء من المال من حين الى حين ،  
ولكن الضابط الشاب مبهتر متلاف ، وهو الى هذا يتعاطى القمار فيخسر  
مبالغ طائلة ، وهو يستدين تارة ، ويسرق تارة أخرى . فما يشارف  
الشهر على نهايته الا ويكون خالي الوفاض لا يجد ما يتبلغ به من جوع ،  
وهو يختلف الى المسارح وحفلات الموسيقى ، بل هو يتردد على منسارل  
مشبهوه قدرة يعقد فيها صلوات مع سكارى ضائعين ، ولكن شغفه بالأدب  
وانصرافه اليه يزدادان أثناء ذلك يوما بعد يوم . حتى لقد كتب مسرحيتين  
لم تصلا اليها ، منذ كان طالبا في مدرسة الهندسة : « ماري ستيوارت »  
و « بوريس جودونوف » ، تقليدا ومحاكاة للكاتبين اللذين بوثرهما على  
سائر الكتاب : شيلر وبوشكين .

فلما هبط بالزاک سان بطرسبرج ، وكان دوستوفسكى يقدره كثيراً ، أسرع يترجم كتابه « أوجينه جرانديه » ترجمة عجلية ، اختصر الناشر ثلثها عدا ذلك ، وكان دوستوفسكى يتمنى فى الوقت نفسه أن ينشر ترجمة كاملة لآثار شيللر .

ويضيق دوستوفسكى ذرعاً بعمله ضابطاً مهندساً ، فيقرر عام ١٨٤٤ أن يستقيل رغم أنه منقل بالديون . وفى ذلك الأوان انما التقى برفيقه القديم جريجوريفتش الذى كان قد بدأ حياته الأدبية كاتباً واقعياً ناجحاً . فاستأجر الصديقان منزلاً أقاماً فيه معاً ، وفى ذلك المنزل انما بدأ دوستوفسكى يكتب روايته الأولى « الفقراء » ، على غير علم من صديقه ، يعمل ليل نهار بحماسة شديدة واندفاع عظيم ، الى أن فرغ منها فى ذات مساء من شهر أيار (مايو) ١٨٤٥ ، فنادى صديقه وأطلعه على سره ، وأخذ يقرأ له روايته . ظل دوستوفسكى يقرأ فى نشوة تازجها خشية ، وظل جريجوريفتش يصغى فى إعجاب يبلغ حد الدهول ، وفى حمياً لا تدانيها حمياً ، الى أن فرغاً من القراءة فى ساعة متأخرة من الليل ، فاستولى جريجوريفتش على المخطوطة ، وحملها فى الغد الى نكراسوف ، الشاعر الوطنى ، الذى يتمتع بفكر عملي والذى كان قد أصبح مدير مجلة . لبث جريجوريفتش الليل كله يقرأ الرواية على نكراسوف فلما انتهى الكاتبان من قراءتها فى نحو الساعة الرابعة من الفجر ، كانا قد بلغا ذروة الحماسة ، فقاما يقرعان باب دوستوفسكى فى تلك الساعة ويوقظانه من نومه ليهنتاه . كانت تلك اللحظة أجمل لحظة فى حياة دوستوفسكى ، لم تبارح ذكراها خياله . وبعد ثلاثة أيام ذهب دوستوفسكى الى الناقد الشهير بيلنسكى الذى كان قد تلقى المخطوطة من نكراسوف ، فما رأى بيلنسكى المؤلف الشاب حتى هتف يقول له متحمساً : « أنت تفهم أيها الشاب ماذا كتبت » ؟ كان بيلنسكى يرى فى هذه الرواية أول محاولة فى كتابة رواية اجتماعية ، محاولة لا يقدر عليها ولا ينجح فيها الا فنان ، أى انسان لا يشعر بما سينشأ عنها ، ويترتب عليها .

ومنذ تلك اللحظة ، وحتى قبل أن تنشر الرواية ، طار صيت

دوستوفسكى وذاعت شهرته ، فالأوساط الأدبية تبحث عنه وتسعى اليه ، فيسكر دوستوفسكى من المديح يكال له بغير حساب ، ومن النجاح

يحققها هذه السرعة ، ومن آيات الصداقة يغمره بها كبار الكتاب ، ويظهرها له الارستقراطيون من حماة الادباء ورعاة الفنانين في ذلك الزمان . وتظهر الرواية أخيرا . ويكون دوستوفسكى عندئذ قد فرغ من كتابة روايتا الثانية « المنل » ، فلا تصيب هذه الرواية الثانية ما أصابته الرواية الاولى بنجاح . فيسارع يكتب أعمالا أخرى ، ولكنه يسرف في التعجل ، فيتشم « الجارة » وأقاصيص أخرى تخيب ظن بيلنسكى وتخيب ظن أنصار ظهور دب « اجتماعى » يتجه الى الشعب ويفيد المجتمع . وأخذ الأدباء الذين احتفوا بدوستوفسكى أشد الاحتفاء فى « الصالونات » الأدبية ، أخذوا يتندرون عليه ، ويسخرون من زهوه بنفسه ، ويضحكون على خراقتة ، ويشمتون بسقوط موهبته بل ويهزءون بدمامة خلفه ، لم يبرأ من ها حتى نكراسوف ونورجينف ، فها هما ينظمان قصيدة يهجون فيها دوستوفسكى متفكهن هازئين . ويستبد الضجر والسأم والملل بدوستوفسكى ، وتتكاثر ديونه وتتراكم ، ويتشرد متنقلا من مسكن الى مسكن . ويبدل أصدقاءه واحدا بعد آخر ، وتنتابه « أهوال غيبية » ومخاوف غريبة ، ويخشى أن يفقد صوابه وأن ينتهى الى الجنون ، وتأخذ نوبات الصرعة توافيه منذ ذلك الحين ، وكان قد صار الى الاحلاد بتأثير صديقه بيلنسكى ، فها هو ذا يحاول أن يسرى عن نفسه بالاختلاف الى اجتماعات « الجمعة » التى كان ينظمها بتراشفسكى ، الموظف الشاب بوزارة الخارجية ، وهو رجل مثقف كان يجمع اصداقاه ليتحدثوا فى السياسة والاشتراكية وهم يحتسون الشاي ويدخنون الغليون ، ويقرأون الى ذلك كتباً منعت الرقابة تداولها .

على هذا انقضت من حياة دوستوفسكى سنة ١٨٤٨ كلها . وفى تلك الاثناء تشب ثورة شباط ( فبراير ) فتقلب عرش الأورليثان ، ويترجع صداها قويا فى ألمانيا والنمسا والمجر ، ويلقى باكونين خطبا نارية نى المؤتمر السلافى بمدينة براغ ، وتهب المجر فتنادى بالجمهورية فيقرر نيقولا الاول أن يتدخل فى المجر دعما لعرش فرانسوا جوزيف ، الذى أخذ يترنج وأوشك أن يتداعى .

وهذا جاسوس يقال له أنتونيللى بنى بحلقة بتراشفسكى ، واصفا أعضاءها بأنهم شيوعيون يحملون باقامة مجتمع اشتراكى كالذى نادى به فوريه ، وبأنهم أناس مهووسون يهيتون لاضطرابات ومجازر ومذابح سياسية ، وبأنهم أقاموا حفلة عشاء تكريما للاشتراكى فوريه قال فيها

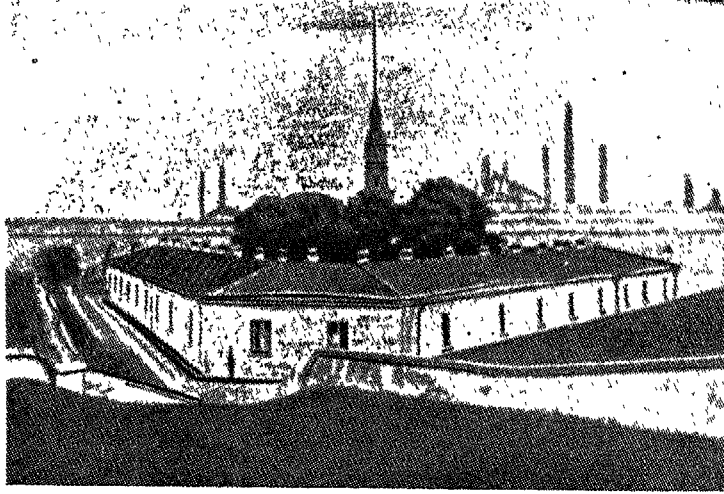
بتراشفسكى : « لقد حكمنا بالموت على المجتمع الحالى ، فيجب عد  
 تنفيذ الحكم » • فيقرر نيقولا الاول أن القضية خطيرة ويقول : «  
 كله لا يعدو أن يكون كلاما وثرثرة ، فانه يظل جريمة لا تغتفر  
 أن تظل الامبراطورية الروسية صخرة لا تتزعزع ، تتكسر ع  
 الثورة التى تهدر فى الغرب ، ولا بد اذن من انزال العقوبة  
 المجانين الذين يتحدثون عن ثورة تقوم فى روسيا •



دوستوفسكى فى السادسة والعشرين من عمره

فلما جاء فجر ليلة الثانى والعشرين من نيسان ( أبريل )  
 قرع باب منزل دوستوفسكى من جديد ، ولكن الفارع اليوم ليس

يحمل اليه نبوءة المجد والشهرة ، بل نفر من رجال الدرك يقودونه مكبلا بالاغلال الى قلعة بتروبافلوفسكايا ( القديس بطرس وبولس ) • لقد اقتيد الى هذه القلعة ثلاثة وأربعون شخصا وضعوا في زنايات منفردة • وانقضت على سجنهم هناك ثمانية أشهر قاسية ، لم يسمح للسجناء خلالها بالقراءة والكتابة الا فى شهر تموز ( يوليو ) ، وعندئذ انما كتب دوستوفسكى قصته المشرقة الوضاعة ( البطل الصغير ) • ولم يمثل دوستوفسكى أمام المحكمة الا فى تشرين الاول ( أكتوبر ) وكانت التهمة الموجهة اليه أنه قرأ على جمهور من الناس الرسالة الحادة العنيفة التى وجهها بيلنسكى الى جوجول وفيها « يشتم الكنيسة الارثوذكسية ، والسلطة العليا » ، وانه حضر قراءة « قصة جندي » ، وهى قصة تدعو الى الثورة وتحض على العصيان والتمرد •



القلعة

رئى ١٦ تشرين الثانى ( نوفمبر ) أصدر « المجلس العام » حكمه بالاعدام على اثنين وعشرين شخصا ، على رأسهم بتراشفسكى ، وقرر الافراج عن الآخرين ، ولكن الحكم يقترح تخفيف هذه العقوبة وابدالها بعقوبة الاشغال الشاقة ، وقد وافق نيقولا الاول على هذا الاقتراح وعرض على الامبراطور أن تكون عقوبة دوستوفسكى ثمانية أعوام ، فعدل

الامبراطور الحتم يجعله «أربع سنين سجننا وأربع سنين جندياً في الجبهة» ولكن القرار ظل سرا مكتوما لم يذع في الناس ولم يطلع عليه أحد . وفد شاء أولو الامر أن يتسلوا بتمثيل مسرحية هزلية أبطالها بل قل ضحاياها هؤلاء الاشقياء الذين صدر الحكم باعدامهم .

السجناء لا يعرفون عن مصيرهم شيئاً . وهامهم اولاء يوقظون من نومهم في صبح الثاني والعشرين من شهر كانون الأول ( ديسمبر ) ، فيقادون بعربات الى ميدان سيمينوفسكايا ، ويتلى عليهم هناك قرار المحكمة بانزال عقوبة الموت فيهم . صعق دوستويفسكى ورفاقه لهذه العقوبة التي ليس لها ما يسوغها . وقام الجلادون فشدوا ثلاثة من المحكوم عليهم الى عمد أحكموا ربطهم بها ، واصطفت أمامهم مفرزة من الجنود سدنت بنادقها الى صدورهم وتأهبت لاطلاق النار . وهنا يصل أحد الضباط مسرعا يتلو القرار الجديد : يبدل حكم الاعدام بحكم بالاشغال الشاقة « رحمة ورافة من صاحب الجلالة الامبراطور » . لقد أراد نيقولا الأول أن يلقن الشبان الطائشين درساً لن ينسوه . ولقد ظل دوستويفسكى يذكر تلك اللحظات الرهيبة فعلا طوال حياته ، وقد استحضر صورتها وأفاض في الكلام عليها في كتابه « الاهبل » .

في ليلة عيد الميلاد من سنة ١٨٤٨ أرسل السجناء مكبل الأرجل بالأغلال الى سيبيريا على زلاقات ، فوصلوا الى توبولسك بعد ثمانية عشر يوماً من السفر في جو بارد لا يطاق ، وهناك قابلتهم نسوة «ديسمبريات» هن منفيات متطوعات بطلات ، فأعطين كل واحد منهم انجيلا وقلبيلا من المال .

ورحل دوستويفسكى الى أومسك يقضى في معتقلها أربع سنين في صحبة مئات من المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة ، وجلهم من القتلة ( كان الحكم بالاعدام على جناة الحق العام قد ألغى في روسيا منذ سنة ١٧٤١ ) وكانت الاشغال شاقة حقاً ، فعلى المعتقلين أن ينقلوا حجارة ، وان يسحقوا صخورا ، وان يكنسوا ثلوجا ، بينما كعوبهم ترسف في الأغلال .

ودوستويفسكى يعمل مع العاملين لا يخلو الى نفسه ولا ينفرد ساعة فلا يستطيع أن يقرأ أو أن يكتب الا اذا أصابه مرض فأدخل المستشفى ، وهو اذا قرأ أو كتب فعلى خفية وفي غفلة من الرقيب . وقد أثرت فيه هذه السنون الأربع الرهيبة تأثيراً قويا بل بدلته تبديلاً عميقاً ، قال في ذلك :



« المعتقل قتل في نفسى أشياء كثيرة ، ولكنه فتح أشياء أخرى » ، فبعد أن كان اشتراكيا وبعد أن كان ملحدًا ، عاد مسيحيًا مؤمنًا ، وفيلسوفًا أخلاقيًا ، ينصرف باهتمامه إلى مشكلة الجريمة ، وإلى الصراع بين الخير والشر في كل نفس انسانية .

وأطلق سراح دوستوفسكي في اليوم الخامس عشر من شهر شباط ( فبراير ) سنة ١٨٥٤ ، وأرسل على مراحل مع آخرين من قدماء المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة إلى سيمييا لاتفسك التي تبعد عن أومسك مسافة سبعمئة كيلو متر ، ليصبح هنالك جنديًا في لواء على الجبهة . الرحلة شاقة مرهقة ، ولكن الاعلال قد سقطت ، فدوستوفسكي يتنسم هواء الحرية بعض الشيء ويشعر بالسعادة . وبعد سفر دام قرابة شهر ، يصل دوستوفسكي إلى تلك المدينة الشرقية التي يدين أهلها بالإسلام ويتأثر فيها موظفون وجند من الروس هنا وهناك . الخدمة العسكرية قاسية ، ولكن دوستوفسكي لا يتذمر ولا يشكو ، حتى لقد كتب إلى أخيه يقول : « ذلك صليبي وقد استحقته » . وأمكن بفضل بعض الشفاعات في أومسك أن يسمح له بالسكنى بالمدينة خارج الثكنة . فها هوذا يتمتع أخيرًا بغرفة له ، له وحده ، في كوخ بأئس تقيم فيه أرملة أحد الجنود ، ولكنه يستطيع فيه أن يخلو إلى نفسه وأن يقرأ ويكتب على ما يشاء له هواء . ان نفسه تفيض بالمشاعر ، وان رأسه يمتلئ بالمشاريع ، وان به لظماً محرقة إلى القراءة .

هوذا يكتب إلى أخيه قائلاً : « أرسل إلى مجلات ، أرسل إلى كتب المؤرخين الكلاسيكيين ( في ترجمة فرنسية ) ، والاقتصادين الجدد ، وآباء الكنيسة وتاريخ الكنيسة » . أرسل إلى القرآن ، وكتاب كنت ( نقد العقل المحض ) وأرسل إلى كتب هيجل حتماً ، ولا سيما كتابه - تاريخ الفلسفة - ان مستقبلي كله رهن بهذا » . ان دوستوفسكي يريد أن يتدارك الزمن الذي ضاع في المعتقل ، وان يملأ نغرات ثقافته ، ويريد أن يكتب أشياء جادة ذات شأن .

ولكنه يقول في كثير من المرات « أمل أن يسمح لي بالنشر بعد ست سنين » . ولقد صدقت نبوءته : فما كان أصعب طريق العودة إلى الأدب على الجندي المسكين .

غير أن رسولا من السماء هبط على هذه المقاطعة النائية بعد ثمانية

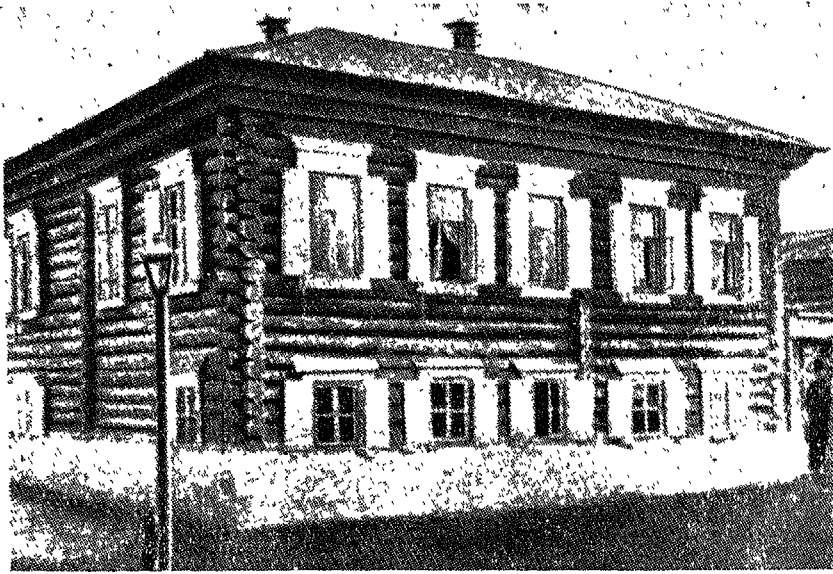
الى البقي



أشهر : انه البارون الشاب الكسندر فرانجل الذى وصل من العاصمة نائبا عاما بحكمه سيمييا لانسك ، وقد زاره ميشيل دوستوفسكى قبيل مغادرته العاصمة وحمله لآخيه رسائل وكتباً .

وكان البارون قد شهد ، بمصادفة غريبة ، المهزلة التى مثلت وى ميدان سيمينوقسكايا ، أعنى مهزلة تنفيذ الحكم بالاعدام ، وكان قد قرأ مؤلفات دوستوفسكى ، فكان لذلك يهتم بمصير الكاتب ، فما ان وصل الى سيمييا لانسك حتى أرسل يستدعيه . فلما قرأ دوستوفسكى رسائل أخيه انفجر باكيا ، فاذا بالبارون يتشاركه البكاء ، وتعانق الرجلان وأصبح النائب العام والجانى المحكوم عليه بالاشغال الشاقة صديقين حميمين .

وفعل فرانجل كل ما استطاع أن يفعله من أجل أن يحصل للكاتب على العفو كاملا ، فقدمه الى الحاكم العسكرى بالمنطقة ، وأدخله صالونات أخرى ، فسرعان ما تلقى الجندى البسيط رتبة صف ضابط ، وأصبح يقضى وقته كله حرا طليقا عند فرانجل . وفى الصيف من عام ١٨٥٥ استأجر فرانجل منزلا ريفيا ذا حديقة على شاطئ ارلتش ، قضى فيه الصديقان الصيف كله معا .



منزل فى سيمييالانسك اقام فيه دوستوفسكى سنة ١٨٥٤

فى تلك الفترة اهتز قلب دوستوفسكى بحبه الأول الكبير ، وهو حب مرضى مفرج من نوع الحب الذى تحدثنا عنه رواياته . لقد تعرف بماريا ايساييفا ، وهى امرأة مثقفة أبوها ديمترى كونستان ، مدير الجمارك فى استراخان . كانت ماريا قد تزوجت معلما شابا اسمه ايساييف ، شاء سوء حظه أن يدمن على الشراب ، فما زال ينقل من مكان الى مكان حتى هبط تلك المدينة النائية التى فقد فيها وظيفته آخر الامر .

وانعقدت أواصر الصداقة بين دوستوفسكى وبين السكير المسكين وامراته الشقية التى شعر نحوها دوستوفسكى بشفقة كبيرة . وهاهو ذا يكتب اليها قائلا : « لقد سلخت خمس سنين من حياتى خارج المجتمع ، وحيدا ، ليس لى انسان أفتح له قلبى ، الى أن استقبلتنى كأننى واحد من أهلك . انك امرأة رائعة . ان لك نفسا فذة بين النفوس . انك طيبة كطفل . لقد كنت لى أختا . » ودام هذا الحب الذى يشبه أن يكون حبا أخويا سنة بكاملها ، ثم لم تلبث الشفقة أن استحالت الى هوى عارم جامح مستमित . واستطاع بعض أصدقاء ايساييف أن يحصلوا له على وظيفة صغيرة بمحكمة مدينة كوزنتسك التى تبعد عن سيميپالاتسك مسافة سبعمائة كيلو متر . فتمزق قلب دوستوفسكى للفراق تمزقا .

ومات ايساييف بعد قليل ، تاركا لأرملته طفلا فى السنة السابعة من عمره . فأخذ دوستوفسكى وفرانجل يمدان الأرملة البائسة ببعض المال يرسلانه اليها من حين الى حين . ثم عرض عليها دوستوفسكى أن يتزوجها ، فوافقت ماريا رغم انها لا تشعر بالحب حقا نحو هذا الضابط الصغير ذى الوجه البائس الحزين .

ويترك البارون فرانجل سيبيريا الى العاصمة ، ويبقى دوستوفسكى وحيدا مع حبه المرضى ، ويظل عشرة أشهر يكتب الى ماريا التى بقيت فى كوزنتسك رسائل تفيض حبا محموما . وها هى ذى تحدثه فى ذات يوم عن معلم شاب اسمه فرجونوف قائلة انها هائمة بحبه . فيضطرب دوستوفسكى أشد الاضطراب ، ويسافر الى كوزنتسك ، ويلقى ماريا وغريمه الشاب فيجهش الثلاثة باكين . ولا يسع دوستوفسكى الا أن يذعن ، ولكنه يريد أن يظل صديقا وفيا ( كبطل قصة «الليالى البيضاء» ) ، ويقوم بمساع من أجل أن يحصل على مساعدة لماريا ، ومن أجل أن يدخل ابنها فى مدرسة داخلية ، بل ومن أجل أن يمد يد العون لغريمه . . .

وفى أثناء ذلك يرفع دوستوفسكى الى رتبة ملازم ثان فى ٢٠ تشرين الأول ( أكتوبر ) من سنة ١٨٥٦ ، ويسترد حقوق النبالة ، فيتغير بذلك وضعه ويتحسن مركزه ، فيسافر مرة أخرى الى كوزنتسك يعرض الزواج على ماريا من جديد ، فتوافق ماريا ، ويتم الزواج فعلا فى اليوم السادس من شباط ١٨٥٧ بتلك المدينة .  
ويصاب دوستوفسكى بنوبة صرعة فى طريق عودته مع زوجته ، فيكون هذا خيبة له ولها معا .



ماريا ديمترينا الزوجة الأولى

• هو ذا يعود الى سيميبيالاتنسك ضابطا ، وامتزوجا • وتهييء له زوجته شيئا من رخاء العيش ، فيأخذ يكتب فى ساعات فراغه ، ولكنه لما يحصل على الاذن بنشر أعماله • ويقوم أخوه ميشيل بطبع قصته « البطل

الصغير « بسان بطرسبرج ( كان دوستوفسكى قد كتب هذه القصة وهو فى السجن عام ١٨٤٩ ) ، فاذا بالقصة المليحة العذبة ، رغم أنها نشرت دون ذكر اسم مؤلفها، ترد الناس فى العاصمة الى التحادث عن دوستوفسكى . وأظهرت مجلتان استعدادهما لنشر روايات من تأليفه ، فيشرع دوستوفسكى قلمه ويسرع يكتب روايتين هما « حلم العم » و «ستيباناشيكوفو وسكانها» . ويتلقى أثناء ذلك اذن الامبراطور باحاليته على التقاعد والعودة الى روسيا ، ولكن دون أن يكون له حق دخول



دوستوفسكى ١٨٦٠

العاصمتين . فيترك دوستوفسكى فى شهر تموز ( يوليو ) ١٨٥٩ سيبيريا مع زوجته وابن زوجته ، ويعود الى روسيا ، الى أوربا ، بعد عشر

سنين قضاها في السجن فالمعتقل فالجندي بلنفي . ويقال ان فرجونوف عشيق زوجته ، قد تبعها في عربة أخرى . ويختار دوستوفسكى لاقامته مدينة تغير الوافعة على الخط الحديدي بين بطرسبرج وموسكو ، فلا يشعر بالارتياح ، رغم أن حاكم المقاطعة نفسه الكونت بارانوف ، قد أحسن استقباله واحتفى به ودعا الى صالونه . وينصح الكونت بارانوف والبارون فرانجل الذي زار تغير بأن يرسل الى الامبراطور الكسندر الثاني التماس عفو ، فيفعل دوستوفسكى ذلك ، ويتلقى في شهر تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٨٥٩ الاذن له بدخول العاصمة وينشر مؤلفاته ، فيخف الى بطرسبرج حيث يستقبله في محطة القطار أخواه . وهنا تبدأ مرحلة جديدة من مراحل حياته .

ان روسيا الآن في حالة فوران وغلbian . الحكومة تعد قانون الغاء القناة منذ تسنم الكسندر الثاني العرش . وهي تهيء كذلك اصلاحات أخرى كثيرة . والناس يتناقشون في أمر هذه الاصلاحات فيهاجمونها : الثوريون ، وهم لا يزالون قلة ، يريدون محسو الماضي بأسره ، والطبقة النبيلة تستاء وتستنكر أن يتم أى تنازل في طريق اللبرالية . والرقابة قد ألفت أو كادت ، وعدد كبير من الصحف والمجلات يصدر ويناقش شئون السياسة . فيقرر دوستوفسكى الذي يحس انه مؤهل للكتابة الصحفية أن ينشئ مع أخيه ميشيل مجلة جديدة يتولى أخوه ادارتها . ويظهر العدد الأول من المجلة « الزمان » في كانون الثاني ( يناير ) ١٨٦١ ، أى قبل اعلان تحرير الاقنان بشهر واحد تماما . ان دوستوفسكى هو المدير الأدبي والسياسى للمجلة . انه يعتنق مذهبا لبراليا وسطا بين أنصار الغرب ودعاة السلافية . وها هو ذا يحدد هذا الموقف بقوله : « ان واجبنا أن نخلق لأنفسنا صورة جديدة للحياة ، صورة خاصة بنا ، صورة هي لنا نحن ، مستمدة من أرضنا ، نابعة من روحنا ، ممتوحة من تقاليدنا الشعبية . » واستطاع دوستوفسكى أن يحظى بمعاونة تورجنيف ونكراسوف ونيقولا ستراخوف والناقد أبولون جريجورييف . وفي هذه المجلة انما نشر دوستوفسكى كتابه « مذلون مهانون » ، الذى كتبه متعجلا ، ولم يكده ينهيه تماما والحق يقال . وقد أقبل الناس على قراءة الكتاب بنهم شديد ، ولكن بعض النقاد وجهوا اليه نقدا قاسيا . وفي النصف الثانى من سنة ١٨٦١ ، نشرت المجلة نفسها كتاب « ذكريات من منزل الموتى » . فنال الكتاب نجاحا كبيرا . ان اللوحة الصادقة التي

يرسمها الكتاب للمعتقل قد هزت ضمائر جميع القراء ، حتى الذين ينتمون منهم الى الطبقات العليا ، فكان له صدى كبير ، وكان لهذا الصدى فضل فى سن قانون الاصلاح القضائى الذى صدر سنة ١٨٦٤ .

ويصبح دوستوفسكى الذى كان سجيناً سياسياً ، أكثر أدباء زمانه حظوة بتأييد النقاد من أقصى اليمين الى أقصى اليسار ، وأكثرهم حظوة حتى بين الشبيبة الثورية التى تزداد حماسها يوماً بعد يوم . وتسرى فى الناس منشورات سرية تمجد قيام « جمهورية اجتماعية ديمقراطية روسية » ، وتدعو الى « اغراق الشوارع بدماء الأوغاد » ولكن دوستوفسكى يستاء من هذا « التطرف » ولا يشارك هؤلاء « المحمومين » آراءهم ، حتى ليتصور انهم قد طاف برعوسهم مس من « الجن » . ويرهقه العمل الضخم الذى يقوم به كاتباً ومحرفاً ، فتزداد نوبات الصرعة التى تنتابه من حين الى حين . فيقرر أن يترك روسيا زمناً ليرتاح ويستجم فى الخارج . فيغادر سان بطرسبرج فى حزيران ( يونية ) ١٨٦٢ . ولكن أوروبا الغربية التى يراها عندئذ لأول مرة تخيب ظنه وتبدد أحلامه ، فلا يقيم فى باريس ولندن الا فترة قصيرة ، يسرع بعدها عائداً الى ألمانيا ، ثم يصل الى جنيف حيث يجد صديقه ستراخوف ، فيذهب الصديقان معا الى ايطاليا ، فيمكنان فيها وقتاً قصيراً يعود بعده دوستوفسكى الى روسيا .

هذه الرحلة التى قام بها دوستوفسكى الى أوروبا ودامت شهرين قد أمدت الكاتب بمادة كتابه « مذكرات شتاء عن مشاعر صيف » الذى نشره فى مجلته . ان الكتاب نقد حاد لعيوب الحضارة ، حتى لقد أصبح دوستوفسكى لا يحب سان بطرسبرج ، وها هو ذا يصف باريس بأنها « مدينة تعيسة تعاسة رهيبة » لا يفكر سكانها البورجوازيون الا بالمال ، وهو يحمل من لندن شعور الاشمئزاز فيقول عن « فوضاها انها النظام البورجوازى فى ذروته » ، ولا يرى فيها الا مئآت من البغايا فى حى بيكاديللى ، والا السكان الذين يشبهون أن يكونوا عراة فى هوايتشابيل ، انه يتصور أن أوروبا الغربية قد وصلت بماديتها الى حافة المنحدر ، وأنها بنسيانها الله ماضية الى الأفول . فليس على روسيا المسيحية أن تتوقع من أوروبا الغربية أى خير وعليها أن تتبع طريقها الخاص بها . ويشتد إيمان دوستوفسكى بالأرض وتقوى الآمال التى يعقدوها على الفلاح ، فيستحيل هذا كله الى مزيد من الحرارة فى الدعوة الى السلافية . ويمضى دوستوفسكى يعبر عن آرائه هذه فى مجلته بحماسة قوية وعنيفة شديد .



ولكن ما تلبث أن تنزل بالمجلة مصيبة ، فان الثورة البولونية التي شبت سنة ١٨٦٣ قد حضت ستراخوف على أن ينشر فى المجلة مقالا بعنوان « القضية المحتومة » يعرض فيه المطالب البولونية عرضا محايدا ، مع تظاهره برفضها والرد عليها ، فيصدر وزير الداخلية قرارا بوقف المجلة عن الصدور « لقيامها بحملات تناقض أهداف الحكومة » . فكان هذا القرار ضربة خطيرة للأخوين دوستوفسكى ، ضربة أدبية ومالية فى آن واحد .



بادلين

وكانت حياة دوستوفسكى العاطفية تمر فى ذلك الوقت نفسه بمنعطف جديد . ان زوجته تمعن فى المرض يوما بعد يوم ، وان عصبيتها الهستيرية تتفاقم مزيدا من التفاقم ، وتظهر فى حياة الكاتب أثناء ذلك طالبة شابة اسمها باولين سوسلوفا ، فتاة تنتمى الى الجيل الجديد وتشبه

أن تكون بشخصيتها بطله رواية من الروايات . هي ابنة رجل غنى صاحب مصنع (وكان فى الماضى قنا من أقنان أسرة تحمل لقب الكونت شيريميتييف) صبية بارعة الجمال ، متسلطة الطبع ، شديدة الحماسة ، قوية الاندفاع ، ملحدة تعتنق المذهب الفوضوى ، والعقيدة العلمية ، وتدعو الى الحب الحر الذى لا تقيده قيود ، تتوله بدوستوفسكى كاتبا شهيرا وثوريا قديما ، وتصارحه بحبها فى رسالة مشبوبة ، وتصبح من أعوانه فى المجلة لأنها تكتب قصصا . ولكن كان من الطبيعى ألا يعمر حب كهذا الحب بين رجل فى الاربعين أهرمته المحن وأضناه المرض ، وبين فتاة فى غضارة الصبا تفيض نشاطا وحركة وتتقد اقبالا على الحياة . ان الطبعين مختلفان اختلافا شديدا . ومع ذلك يقرر دوستوفسكى وباولين أن يسافرا معا الى الخارج فى صيف عام ١٨٦٣ . ولكن تصفية شئون المجلة تمنع دوستوفسكى من السفر فورا ، فينفذ صبر الفتاة ، فتسافر وحدها الى باريس ، فتمكث فيها خمسة أسابيع . ويغادر دوستوفسكى روسيا أخيرا ، ولكنه لحلو جيبه من المال يفكر فى أن يجنى نروة من القمار ، فيتلبث فى فسيادن ، فيكسب مبلغا ضخما بالمقامرة على الروليت ، ثم يخسر نصف المبلغ فى الغداة ، ويصل بعد ذلك باريس ، ولكن « بعد فوات الأوان » كما صرحت له بذلك باولين فور التقائه بها ، فان الفتاة الجميلة كانت قد أصبحت خلية طالب اسباني غنى ، ويعجز دوستوفسكى عن قطع صلته بها ، ويعرض عليها أن يمحصها « حبا أخويا » ( وذلك دور سبق أن قام به ، وكثيرا ما وصفه فى كتبه ) . ولكن الاسباني ما يلبث أن يهجر باولين ، فترضى باولين عندئذ، وقد صعقها الحزن والالام ، أن تسافر مع دوستوفسكى الى ايطاليا . وتقودهما هذه الرحلة الى بادن بادن ( حيث يندفع دوستوفسكى الى المقامرة بالروليت من جديد ) ثم الى جنيف ، فروما ، فنابولى ، وتدوم هذه الرحلة ستة أسابيع ، تمثل باولين أثناءها دور « المرأة الجهنية » ، فهى تعذب صديقها بجعله دائما على مسافة منها ، وفى غضون هذه الرحلة انما تصور دوستوفسكى خطة قصته « المقامر » التى تحتل فيها باولين الدور الاول .

واستحال حب الخليلين الى كره شيئا بعد شيء ، فليس يطيق أحدهما صاحبه ، فيعود دوستوفسكى الى بطرسبرج فيجد امرأته قد تفاقم مرضها ، واشتدت غيرتها ، واحتد هيجانها ، فیرسلها الى موسكو حيث المناخ أصبح وأسلم ، ويبقى هو وحيدا فى بطرسبرج . ويحصل

أخوه ميشيل أثناء ذلك على الاذن باصدار مجلة جديدة يسميها «العصر» ،  
تبدأ بالظهور منذ مطلع سنة ١٨٦٤ ، فينشر فيها دوستوفسكى أثرها



الاخوان ميشيل وفيدور دوستوفسكى مديرا مجلتى «الزمان» و «العصر»

رائعا بعنوان « فى قبوى » ، يتجاهله النقاد فلا يتحدثون عنه ولا يشيرون اليه . وتتكاثر عليه المصائب فترهقه من أمره عسرا ، فالمجلة تسير متعثرة ، وأخوه ميشيل مريض ماينفك يدمن على الشراب مزيدا من الادمان ، وماريا ديمتريفنا تحتضر بموسكو فى ١٥ نيسان ( ابريل ) من سنة ١٨٦٤ ، فيسهر دوستوفسكى على سريرها وقد طفحت نفسه ندامة وحسرة وعباب ضمير ، وتموت زوجته ماريا ، فما هى الا أشهر ثلاثة حتى يصاب أخوه الحبيب بمرض فى الكبد يودى بحياته هو أيضا ، فيقبع الكاتب وحيدا « فى الصقيع والفراغ » على حد تعبيره .

وقد أورثه أخوه تركة شاقة : فالمجلة التى كان على دوستوفسكى أن يحررها لاتملك قرشا واحدا ، وهى الى ذلك مدينة بخمسة وعشرين ألف روبل ، والمال الذى جبي اشتراكات فى المجلة قد أنفق ، ولا بد من ثمانية عشر ألف روبل لطبع الأعداد الستة الأخرى الموعودة الى ختام العام .

وباندفاعة نبيلة كريمة هوجاء يتعهد دوستوفسكى بسداد ديون أخيه كلها ، عدا كفالاته امرأته وأولاده ، فكان لاينى يركض هنا وهناك من أجل أن يقترض مايستطيع اقتراضه من المال ، من أجل أن يواصل اصدار المجلة التى كان يصحح تجارب طبعا بنفسه ويكتب لها المقالات ويؤلف لها القصص ، عاملا طول الليل على عادته .

ولكن عدد المشتركين فى المجلة ماينفك فى تناقص ، فيضطر دوستوفسكى الى وقف صدورها فى شهر حزيران ( يونيه ) من عام ١٨٦٥ ، وفى تلك اللحظة ظهر له ناشر محتمل شره الى الربح يعرف اصطياذ القرص ، ويعرف من أين تؤكل الكتف ( هو سجيلوفسكى ) فيعرض على الكاتب أن يشتري منه بمبلغ تافه هو ثلاثة آلاف روبل حق طبع جميع مؤلفاته السابقة ، فى ثلاثة مجلدات ، بالاضافة الى رواية جديدة لم يسبق نشرها ، فاذا لم يقدم الكاتب مخطوطة الرواية الجديدة فى أول تشرين الثانى ( نوفمبر ) من سنة ١٨٦٦ فقد دوستوفسكى جميع حقوقه عن كتيبه جميعها ، ما صدر منها وما لم يصدر ، فتصبح ملكا للناشر وحده لا شريك له فيها .

لقد وقع دوستوفسكى هذا العقد فى شهر تموز ( يوليو ) سنة ١٨٦٥ ، ومن أجل أن تقدر الغبن الذى أوقعه هذا الناشر المحتمل فى

دوستوفسكى يجب أن نتذكر أن تورجنيف كان يتقاضى في ذلك الوقت خمسمائة روبل عن الملزمة الواحدة أى سبعة آلاف وخمسمائة روبل عن رواية واحدة مؤلفة من ٢٤٠ صفحة . قبض دوستوفسكى الآلاف الثلاثة ، فسدد ما استطاع أن يسدده من ديون ملحة ، ثم سافر الى فسبادن يجرب حظه مرة أخرى في القمار ، ولكنه لا يفوز بغير الحسار ، واضطر أن يقترض بعض المال من تورجنيف . وتصل باولين من باريس ، ولكن مواردها كانت قد نفذت هي أيضا . ويرفض صاحب الفندق الألماني أن يقدم الى دوستوفسكى أى طعام ، فيظل دوستوفسكى أياما يتبلغ بالشئ وحده . ففي هذه الفترة من الجؤس والجوع انما تصور دوستوفسكى فكرة روايته « الجريمة والعقاب » ، وتخيل شخصية الطالب الفقير الذي يقرر أن يقتل مرايية عجوزا في سبيل أن يسعد أسرته . ويعرض دوستوفسكى على ميشيل كاتكوف ، وهو محرر من دعاة السلافية ، أن يبئعه روايته هذه متى فرغ من كتابتها ، ويسأله أن يعطيه سلفة على ثمنها . ويتاح له أخيرا أن يعود الى سان بطرسبرج في تشرين الأول ( أكتوبر ) ١٨٦٥ ، بفضل معونة يسعفه بها صديقه القديم فرانجل . فما ان يصل الى سان بطرسبرج حتى تلاحقه الأعمال ويطارده الدائنون وتلازمه نوبات الصرعة من جديد . ومع ذلك يتقدم في كتابة روايته ، وتظهر الرواية تباعاً في مجلة « الرسول الروسى » بموسكو ، من شهر كانون الثاني ( يناير ) الى شهر كانون الأول ( ديسمبر ) ١٨٦٦ ، فتحظى هذه الرواية الكبيرة الأولى من « الروايات المآسى » بنجاح كبير جدا ، وينال عليها أجرا مقداره أربعة آلاف روبل سبق انفاقها لأنه تقاضاها سلفا .

وكان عليه في أثناء ذلك أن يسلم ستيلوفسكى الرواية الجديدة الموعودة . ولكن أول تشرين الأول ( أكتوبر ) يوافق ولما يكتب منها دوستوفسكى سطرا واحدا . ويحدثه صديقه ميلوكوف عن مختزلين بدعوا يظهران في روسيا ، ثم يعثر له في مدرسة أولخين على فتاة تجيد الاختزال اسمها آنا سنيتكينا ، فيرسلها اليه في الرابع من تشرين الأول . انها فتاة متواضعة في العشرين من عمرها ، أبوها تاجر روسى وأمها امرأة سويدية ، تمتاز بالتعقل والروية والاجتهاد والروح العملية ، وتختلف عن باولين الطائشة اختلاف النقيض عن نقيضه . أخذ دوستوفسكى يملئ عليها روايته « المقامر » . فما انقضت خمسة وعشرون يوما الا وكانت الرواية قد تمت ، فيمضى دوستوفسكى في أول تشرين الثاني ( نوفمبر )

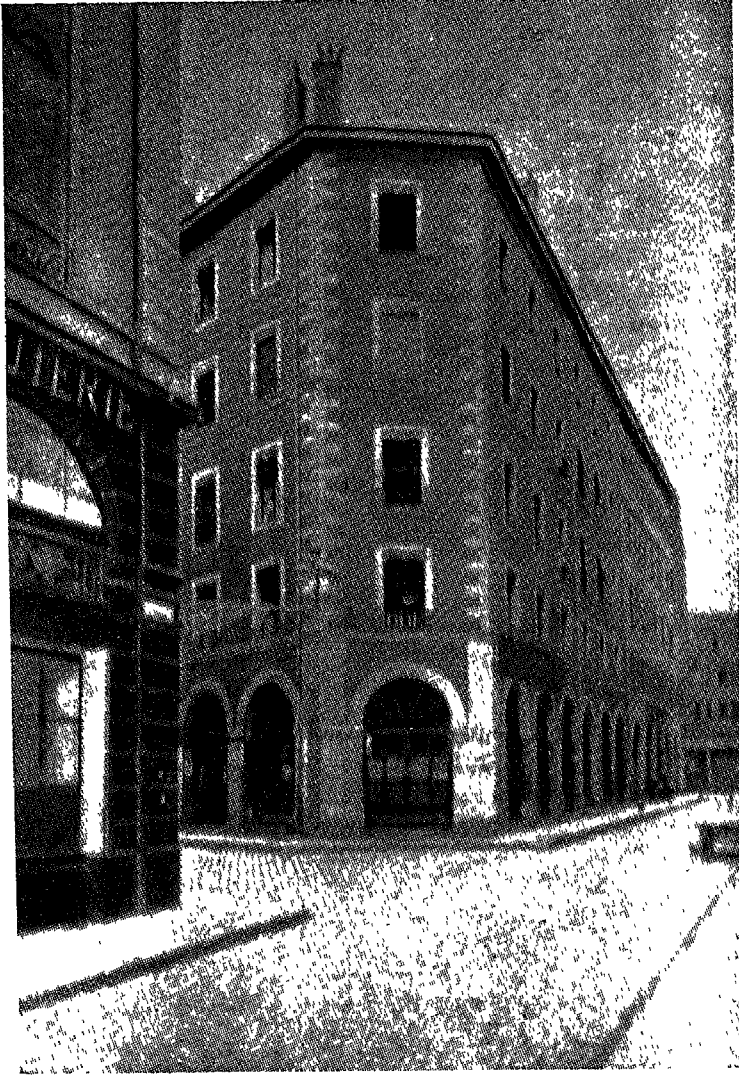
يحمل الى ستيلوفسكى الكتاب الموعود ، ولكن الناشر الماكر كان قد سافر ، ورفض مدير مكتبه أن يستلم المخطوطة . فأوحت آنا الى دوستوفسكى عندئذ بفكرة موفقة ، هي أن يذهب الى دائرة الشرطة فيودعها المخطوطة لقاء إيصال وفقا للأصول . وبذلك أحبطت حيلة الناشر المحتال ، وتنفس دوستوفسكى الصعداء .



آنا ، الزوجة الثانية

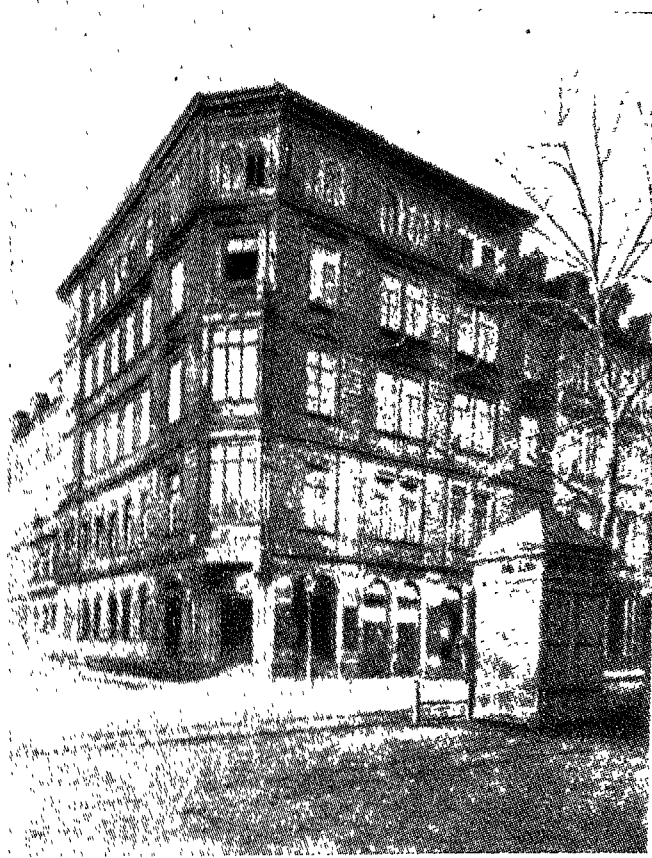
ورجا دوستوفسكى الفتاة أن تعود اليه للعمل في الفصل الأخير من روايته « الجريمة والعقاب » . فلما وصلت اليه أخذ يقص عليها قصة رسام في مثل سنه ، يعيش وحيدا مبدد الأحلام مشرد العواطف ، ثم يلتقى عرضا بفتاة ذكية حساسة يخفق لها قلبه ، وتنتعش بصحبتها روحه . وأضاف دوستوفسكى يقول لآنا : « تصورى أن هذا الرسام هو آنا ،

وضعى نفسك فى موضع الفتاة ، وتخيلى أننى صارحتك بحبى ، ورجبت  
اليك أن تقبلىنى زوجا فماذا تقولين ؟ » •



فى جنيف : هنا أقام دوستويفسكى سنة ١٨٦٨

فأجابت الفتاة بقولها : « أقول اننى أحبك واننى سأظل أحبك مدى الحياة » • ويتم الزواج بعد ثلاثة أشهر فعلا ، فيكون لدوستويفسكى فاتحة عهد جديد تترفف عليه السعادة الزوجية ، بعد الانواء العاصفة والتقلبات المروعة التى تعرض لها •



فى درسدن : هنا عكف على كتابة روايته « الجن » سنة ١٨٧٠  
ولا يبقى عليه الا أن يتغلب على مصاعب الحياة ، وعلى عداوة أسرته  
الكبيرة العدد ، ولا سيما عداوة ابن زوجته الأولى بول يسماييد ، العنى  
التسافه الذى كان يعيش عالة عليه • ولئن حاولت زوجته الثانية ،  
المقتصدة ، المجتهدة ، الفاضلة ، أن تسوى المصاعب وأن نذلها ، فلقد



كانت تلك المصاعب أشد من أن يمكن تذليلها . وهامهم أولاء الدائنون يهددون دوستوفسكى ، حتى ليخشى دوستوفسكى أن يودع السجن بسبب الديون ، فترهن آنا جهاز عرسها كله وأثاث منزلها كله ، ويسافر الزوجان الى الخارج فى شهر نيسان ( ابريل ) ١٨٦٧ ، فرارا من ملاحقة الدائنين .

وتدمم الرحلة أكثر من أربع سنين . لقد ذهب الزوجان أولا الى درسدن ثم الى فسادن حيث يحاول دوستوفسكى أن يربح بالقمار على الروليت مع عمله فى كتابة روايته الجديدة « الاهبل » . لقد استبدت به حمى القمار فهو يجازف بكل شىء فيربح حيناً ولكنه يخسر أكثر الأحيان ، فيعيش الزوجان من ذلك حياة مضطربة ، يبيعان معاطفهما ، ويرهنان حتى خاتمي خطبتهما ، ويلتمسان السلف بعد السلف من كاتكوف . ويقضى الزوجان بضعة أشهر من الشتاء فى جنيف . وتعاود دوستوفسكى حالات المزاج القائم والكآبة الحزينة ، ويقامر على الروليت فى ساكس ليبان ، فيبوء بمزيد من الحسار . وتولد له فى جنيف ابنته سونيا التى يخطفها الموت بعد بضعة أشهر ، فيحزن دوستوفسكى لموتها حزنا شديدا يهدم قلبه تهديما ، وبعد اقامة شهر فى فيفى يسافر الزوجان الى ايطاليا ، ويستقران فى فلورنسه ، فيقضيان فيها سنة بكاملها . فتهدأ هنالك حياتهما بعض الهدوء ، ويفرغ دوستوفسكى من كتابة روايته « الاهبل » وتنشر الرواية بموسكو سنة ١٨٦٨ . وفى خريف ١٨٦٩ يعود دوستوفسكى وزوجته الى درسدن حيث تولد لهما ابنة ثانية يسميانها ليوبا ( المحبوبة ) وهى التى ستسرد فى المستقبل قصة حياة أبيها الشهير سردا غير صحيح ولا دقيق .

ويمضى دوستوفسكى يعمل فى كتابة روايته « الزوج الابدى » ، فسرعان ما ينجزها وينشرها ، ثم سرعان ما يشرع فى كتابة رواية جديدة : « الجن » . لقد أوحى اليه بموضوع هذه الرواية أخو آنا الطالب بموسكو، الذى جاء يلحق بدوستوفسكى وزوجته فى درسدن أثناء عطلة الصيف، فقص عليهما قصة مقتل رفيق له على يد المنظمة السرية التى يتزعمها نتشاييف ، أحد دعاة النظرية العدمية . ويقضى دوستوفسكى سنة ١٨٧٠ كلها عاكفا على العمل فى كتابة روايته . ويجرب حظاً مرة أخرى فى الروليت ، لكنه وقد باء بالحسرة من جديد ، بحلف ألا يقامر بعد ذلك أبداً ، ويبر هذه المرة بعهدته ، ولا يحنث بيمينه ، ولا يقارب القمار قط .



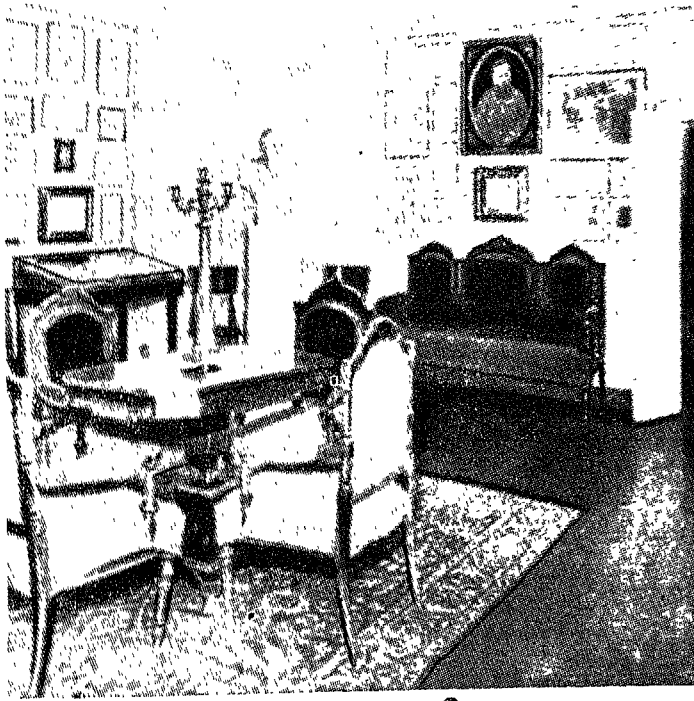
البنو الذي كتب فيه رواية «الراعي»

ولا تعود أسرة دوستويفسكى من درسدن الى بطرسبرج الا فى شهر تموز ( يوليو ) ١٨٧١ ، وهناك تمسك أنا بيديها ادارة مصالح زوجها ، فتحسن المساومة مع الدائنين ، وتهيء طبعا مستقلة لروايتى «الاهبل» و « الجن » ، وتواصل العمل مع زوجها فى تاليف رواياته الجديدة : هو



مكتب دوستويفسكى فى بطرسبرج ١٨٧١ - ١٨٨١

يملى وهى تكتب اختزالا • ويصبح دوستويفسكى محرر مجلة « المواطن » التى يصدرها الأمير مشترسكى الصحفى المحافظ وفى هذه المجلة انما فتح دوستويفسكى زاوية أسماها « يوميات كاتب » فنالت الزاوية نجاحا كبيرا ، من حيث هى حديث يقوم بين كاتب كبير وبين قرائه • وفى أثناء ذلك يعرض عليه صديقه القديم نكراسوف أن يؤلف رواية لمجلة « حوليات الوطن » فيكتب دوستويفسكى رواية « المراهق » التى تحكى قصة شاب استبدت به فكرة ثابتة وحاصره هوى قوى هو أن يغتنى نشداننا للقوة ، حتى اذا انقطع دوستويفسكى عن ادارة مجلة المواطن مضى الى مدينة صغيرة هادئة هى ستراباروسا ، يقضى فيها سنتين كاملتين ، ولا يغيب عنها الى العاصمة الا نادرا • ولكنه يعود بعد ذلك الى العاصمة ليبدأ فى كانون السناني ( يناير ) ١٨٦٧ اصدار مجلته هو « يوميات كاتب » ، وهى



غرفة دوستويفسكى سرايا روسا ( منحف دوستويفسكى بموسكو )

يوميات شخصية بأوسع معانى الكلمة ، «عرض لكل ما انصب عليه اهتمامى شخصيا ، ولكل ما عنانى أكثر مما عداه» ، على حد تعبير دوستويفسكى . لقد حظيت «اليوميات» بنجاح لم يكن فى الحسبان ، فالكاتب يتلقى سيلا من الرسائل يحاول أن يجيب عليها . وهو يعنى فى هذه المجلة ببعض قضايا الاجرام ( انه ما يزال يميل الى دراسة الجريمة ودوافعها ) ، ولكنه يكتب فى هذه اليوميات أيضا مقالات سياسية حماسية كثيرة ، ينادى فيها بضرورة تدخل روسيا من أجل تحرير سلافى البلقان من ربة الاحتلال التركى . وفى تلك المقالات انما يعبر دوستويفسكى عن آرائه الداعية الى السلافية ويعرب عن رأيه فى أن القسطنطينية يجب أن تنتمى الى روسيا عاصمة الارثوذكسية . وتشب الحرب أخيرا فى ١٧ نيسان (ابريل) ١٨٧٧ ويقوم دوستويفسكى فى شهر تموز (يوليو) برحلة الى الأراضى التى كان يملكها دوروفوبى ، فينحدث هنالك مع الفلاحين الذين



دوستويفسكى ١٨٧٩

هم فى سنه والذين يتذكرون طفولته ويتذكرون مقتل أبيه ، ويجرى مع هؤلاء الفلاحين أحاديث مدارها على الحرب ، فيسره أن يدرك أن الشعب مستعد لبذل التضحيات فى سبيل « القضية المقدسة » .

ويصاب صديقه القديم الشاعر نكراسوف بمرض خطير يودى بحياته فيلقى دوستوفسكى على قبره خطابا أليما ، يبكى فيه « القلب الجريح الى الأبد ، القلب الذى ظل جرحه ينبوع شعره كله ، ومصدر حبه لكل من يتألم من الاضطهاد والعذاب » . . . . تلك كلمات يمكن أن تصدق على دوستوفسكى نفسه .

وفى أثناء ذلك يشتري دوستوفسكى فى ستارايا روسا ، بمبلغ زهيد ، المنزل الصغير الذى سبق أن أقام فيه ، فيصبح هذا الطريد الأبدى ، هذا المتشرد الأبدى ، هذا المستأجر الأبدى ، يصبح مالكا . فهو بملك لأسرته منزلا تحيط به حديقة .

وفى عشية عيد الميلاد سنة ١٨٧٧ يسجل دوستوفسكى فى دفتره هذه الأسطر : (مفكرة ٠٠ للعمر كله ١ - كتابة « كانديد » روسى ، ٢ - كتابة كتاب عن يسوع المسيح ٣٠ - كتاب مذكرات ٤٠ - نظم قصيدة ٠ كل ذلك عدا انجاز الرواية الأخيرة ، وطبع « اليوميات » وهذا يقتضى عشر سنوات من العمل فى أقل تقدير ، وعمرى الآن ٥٦ عاما ) .

ولكن لم يكن قد بفى لدوستوفسكى من عمره الا ثلاثة أعوام . كان دوستوفسكى مصابا بمرض خطير فى الرئة ، فهو يذهب كل صيف الى مدينة امس طلبا للعلاج ، فلم يستطع أن يحقق من البرنامج الذى رسمه لنفسه الا كتابة روايته الكبيرة « الاخوة كارامازوف » التى تظل قمة انتاحه على كل حال .

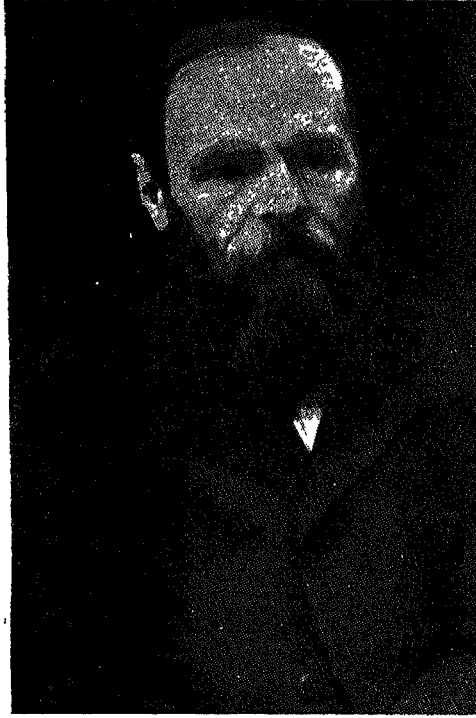
وهذه نازلة جديدة تلم به : ان ابنه الثانى ألكسى الذى لما يكذ يبلغ الثالثة من عمره يموت أثناء نوبة صرعة : من المستحيل ان يوصف حزن الأب المسكين على موت ابنه . وسوف يطلق دوستوفسكى اسم هذا الابن على بطله الحلو الرقيق فى رواية الاخوة كارامازوف . . . . أليوشا كارامازوف .

وفى تلك السنة يتعرف دوستوفسكى بالاستاذ الشاب فلاديمير سولوفيف الفيلسوف المثالى الذى يدعو الى المسيحية ويعلن أن المذهب

الوضعى الغربى فى أزمة • ويقوم الرجلان برحلة الى الدير الشهير فى أوبتينا ، قرب تولا ، فيدرس دوستويفسكى هناك حياة الرهبان ويتبادل أحاديث طويلة مع الناسك أمبرواز ، نموذج البطل زوزيما فى رواية الاخوة كارامازوف •

ويقضى السكاتب سنة ١٨٧٩ كلها فى انجاز رواية « الاخوة كارامازوف » التى تظهر فصولا فى مجلة كاتكوف « الرسول الروسى » •

ويشارك دوستويفسكى فى سهرات أدبية يقرأ أثناءها مقتطفات من أعماله ، فيعجب به الجمهور وما ينفك يصفق له • ويختلف الى الصالونات وينتخب عضوا مراسلا فى « الاكاديمية » ونائب رئيس « لجمعية اللطف



دوستويفسكى ١٨٨١

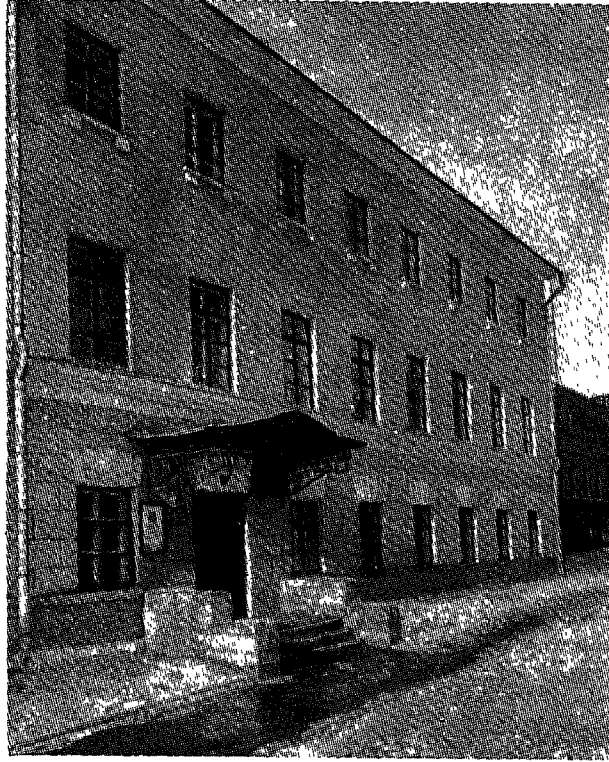
السلافية » • وتنتدبه هذه الجمعية في شهر أيار ( مايو ) ١٨٨٠ للمشاركة في تدشين النصب التذكارى الذى شيده بموسكو تخليداً لذكرى الشاعر بوشكين • فتحقق له اقامته بموسكو نصراً مبيناً : يحتفل به



ضريح دوستويفسكى ، بطرسبرج ، مقبرة دير الكسندر نسكى



رجال الأدب احتفالا كبيرا ، ويلقى فى الثامن من حزيران ( يونيه ) بعد تورجنيف ، خطابه الشهير عن شاعره الاثير . كان خطابه خطابا رائعا تحدث فيه حديث أصحاب الرؤى ناشرا فى القاعة جوا مفعما يعطر الحماسة وروعة الخشوع ، وجلال النبوة . فى ذلك الخطاب تكلم دوستويفسكى على رسالة روسيا التى يجب أن تحقق مصالحة بين الغرب والشرق ، قائلا ان بوشكين يجسد الروح القومية الروسية ، لأنه أوتى قدرة خارقة على ادراك عبقرية الشعوب الأخرى ، وعلى فهمها ، فهذا « التجاوب » ظاهرة نبوة تتفق وخصائل الشعب الروسى كل الاتفاق .



متحف منزل دوستويفسكى بموسكو

ويشيد دوستوفسكى بالاصلاح الذى حققه بطرس الاكبر ، فيرى انه يلبى التيار العميق الذى يترقرق فى أعماق الروح القومية الظمأى الى صعيد الاخوة الانسانية ، والقانون المسيحى . . « نحن نسلم بأن بلادنا والعالم ، فلاداعى الى عداوة بين دعاة الغرب وانصار السلافية ، فما هذه العداوة الا سوء تفاهم يؤسف له . ان روسيا مدعوة الى أن تنطق بالقول الفصل فى انسجام البشر انسجاما شاملا واتفاق جميع الشعوب على صعيد الاخوة الانسانية ، والقانون المسيحى . . « نحن نسلم بأن بلادنا فقيرة ، ولكن هذه البلاد هى التى زارها المسيح عبدا فباركها ، فكيف لا نستطيع أن نحقق قوله الفصل ؟ » .

لقد حاول دوستوفسكى فى هذا الخطاب الذى ينادى بالانسان الشامل والانسجام العام ، أن يوفق بين الآراء المتعارضة ، بين الصفوة المثقفة والشعوب ، بين روسيا وأوروبا ؛ وتلتهب القاعة التى يلقي فيها تورجنيف يعانق دوستوفسكى والدموع تترقرق فى عينيه ، كان معجزة أخوة تتحقق .

وهؤلاء فتيات يغمرنه بالأزهار ، ويقبلن يديه ، وهذا طالب يقس مغشيا عليه بين قدميه . أحس دوستوفسكى انه فى حلم . لقد سدد ديونه ، واشترى بيتا صغيرا يعيش فيه حياة مريحة . تحيطه رعاية . حنون حبيبة . . وآلاف المعجبين يقرءونه ويفهمونه . لقد انتصر على قدره بالصبر وحده . وهذا هو يكتب الى أحد أصدقائه قائلا له : « اسمح لى أن لا أودعك . انت تعلم اننى أريد أن أعيش وأن اكتب عشرين سنة أيضا » .

ويعود دوستوفسكى الى ستاراياروسا يعكف على انجاز روايته « الاخوة كارامازوف » متحملا عناء كبيرا ، باذلا جهودا مضمنية .

كان يحس أنه قوى معافى ، وكانت نفسه طافحة بالأمال ، وكان ذهنه فياضا بالمشاريع . انه يضع القسم الثانى من « الاخوة كارامازوف » ، القسم الذى يجب أن يظهر فيه أليوشا بعد عشرين عاما . ولكن هاهى صحته تنهار فجأة ليلة السادس والعشرين من كانون الثانى ( يناير ) ١٨٨١ : الدم يتدفق من فمه ويتجدد تدفقه من حين الى حين ، خلال

يومين • ويشعر دوستوفسكى أن منيته قد اقتربت ، فيتناول القربان المقدس ويستعد للقاء وجه الله •

وينطفىء دوستوفسكى فى ٢٨ كانون الثانى ( يناير ) ١٨٨١ ، بعد أن يبارك امرأته وأولاده •

ان روسيا كلها تحزن لموت الانسان الكبير الذى ظل مجهولا مدة طويلة ، والذى تنكرت له الاقدار ذلك التنكر • ان نعشه يسير نحو اللحد تحت غابة كثيفة من الرايات • أمراء ورهبان وعمال وضباط ومتسولون، يحيطون بالنعش المهيب عابرين به المدينة • امام القبر المفتوح يتناوب الكلام ، كتابُصالحات بينهم الفجيجة ، فاذا هم يتحدثون عن دوستوفسكى حديثهم عن شهيد • وينفض المشيعون • فتعود المفبرة التى يغطيها الثلج الى الصمت ، وتبدأ فى تلك اللحظة حياة دوستوفسكى الجديدة ، لا بجسمه على الارض بل بمؤلفاته الخالدة ، فوق الزمان وفوق المكان ، فى قلوب الذين يقرءونه فيقوص بهم الى أعماق النفس ، بل الى اعماق الوجود •

س • د



# تقديم



هذا المجلد الأول من أعمال دوستويفسكى الأدبية ثلاث قصص كتبها فى السنين الثلاث الأولى من نشاطه الأدبى . ولعلها تتفاوت نوعا وقيمة ، وقد استقبلها النقاد استقبالا مختلفا على كل حال . ولكنها تجتمع أولا على وصف شخصيات قلقة ورسم وجوه معدبة لا يرجع ما تعانيه من قلق وعذاب الى طبيعتها وحدها ، وانما يرجع كذلك الى الظروف القاسية التى تحيط بها والى الظلم الاجتماعى الذى يثقل على صدورها . واذا كانت هذه الشخصيات لا تكاد من فرط انسحاقها أن تشكو أو تنذمر ، فان القارئ يشكو ويتنذمر نيابة عنها ، بل يستحيل شكواه ويستحيل تدمره الى تمرد وثورة . وتجتمع هذه القصص ثمانية على العمق فى النفاذ الى أغوار النفس ، وسبر تناقضاتها ، والتقاط أخفى خلجاتها كسائر آثار دوستويفسكى من جهة أخرى .

## الفقرء

١٨٤٦

« المجد والشرف للشاعر الشاب الذى تحب آلهة وحيه سكان السقوف والأقبية وتقول عنهم لأصحاب القصور المذهبة : هؤلاء بشر أيضا ، هؤلاء اخوتكم » .

بهذه العبارة حيا بيلنسكى ، سنة ١٩٤٦ ، قصة «الفقرء» . والحق أن حماسة الناقد الروسى الكبير فى محلها : لقد ظهرت عبقرية دوستويفسكى الخلاقة فى أول عمل من أعماله الأدبية ، وهو لما يزل فى السادسة والعشرين من عمره ، ولئن لم تفتتح هذه العبقرية عن عامل مكنوناتها بعد ، ولئن

لم تصل الى الآماد البعيدة التي ستصل اليها ، فقد كشفت منذ أول عمل عن السمة التي ستظل تميزها : حبها وعطفها وحماسها للمغمورين المغلوبين على أمرهم ، لأولئك الذين سيسميهم دوستويفسكى فى عمل مقبل من أعماله « المذلين » و « المهانين » .

ولئن تأثر دوستويفسكى فى كتابة هذه الرواية بقصة « المعطف » التى كتبها جوجول والتي أثرت فى الأدب الروسى كله ، ولئن كان دوستويفسكى يقول هو نفسه : « لقد ولدنا جميعا من معطف جوجول » ، فما أعظم الفرق بين القصتين ! ان دوستويفسكى فى قصته هذه يتمرّد على روح الهجاء التى تنجلي فى قصة جوجول . ان آكاكى آكاكيفتش ، بطل « المعطف » انسان يبعث فى نفسك الضحك الى جانب الشفقة . لقد كان منله الأعلى كله أن يحصل على معطف . حتى اذا ضاع المعطف هوى الى اليأس فالموت . ولا كذلك المثل الأعلى الذى يحرك ماكار ديغوشكين : انه الحب والرحمة والابثار والتفانى . ان ماكار يضحى بنفسه فى سبيل الفتاة المسكينة التى لا يكاد يراها ، ولا يجرو أن يزورها مخافة النمائم ، وما ينفك يرسل اليها هداياها الصغيرة بالجرمان يتحملة تلو الجرمان . وقد أقرأ دوستويفسكى بطله « معطف » جوجول ، فأجرى لسانه بتعبير عن استيائه من هذه القصة الساخرة التى لا تراعى مشاعر الفقراء الحبيثة ، بل تعريها أمام أبصار الناس . ثم أقرأه قصة بوشكين « ناظر المحطة » ، فأجرى لسانه بتعبير عن الاعجاب بها ، والرضى عنها . ان الحب العميق الذى يحمله « ناظر المحطة » فيرين لابنته الوحيدة ، يشبهه العواطف الأبوية الرقيقة التى يحملها ديفوشكين للفتاة البائسة فارنكا . وان المصير الحزين الذى ينتهى اليه ناظر المحطة بعد أن خطف ابنته ضابط متكبر غنى فلم يرها أبوها بعد ذلك ، تشبه مصير ديفوشكين الذى سيبقى وحيدا فى هذا العالم ، بعد أن ارتضت فارنكا أن تتزوج السيد بيكوف الرجل الثرى الذى سبق أن اغواها ، ثم تزوجها ومضى بها الى أملاكه البعيدة . وتنتهى قصة دوستويفسكى بصرخة أليمة حادة تعلن أنه ستحيل أن تكون هذه الرسالة هى الأخيرة « مستحيل تكون هذه الرسالة هى الأخيرة ! » ولكن القارئ يتنبأ بأن تلك الرسالة هى آخر رسالة ، وأن ديفوشكين الذى بقى وحيدا سيندفع الى الادمان على السكر ، وسيموت حرنا وألما ، مثل « ناظر المحطة » بطل بوشكين . ولكن قصة دوستويفسكى أغنى كثيرا من قصتى صاحبيه جوجول وبوشكين . ان هذه القصة

المتواضعة التي تحدثنا عن حب بين شخصين تستحيل الى لوحة تصور  
الظلم الاجتماعي في أقى أشكاله .

البطلان كلاهما مضطهدان معذبان مذلان مهانان ، يوقع فيهما الأشرار  
أنواع الظلم ، ويتحملان من الفقر ما لا يطاق . ان الفقر الذى يعانبه  
ماكار ديفوشكين يكشف له عن كل الفقر الذى يحيط به ، وقد هم الرجل  
أن يشكو ويتذمر ، وأن يتمرد ويثور منعجبا في سذاجة من العذاب الذى  
يقاسيه الحIRON في هذا العالم . واذا كان ، لبساطته ، يتراجع عن  
النسكوى والتذمر ، ويرتد عن التمرد والثورة ، مسلما بالواقع ، مدعنا  
لمشيئة القدر ، فان فيه شيئا من « المنردين » الذين سيصفهم لنا  
دوستويفسكى فى رواياته المقبلة .

ان الوجوه التى نراها فى هذا العمل الأول من أعمال دوستويفسكى  
سنقع عليها فى أعماله الأخرى ، انها وجوه « الفقراء » نشاركهم عذابهم  
ونحيا حياتهم . ولكننا فى هذه القصة مانزال بعيدين عن الأغوار العميقة  
التي سينفذ اليها دوستويفسكى ، وما زلنا بعيدين عن الأعماق الميتافيزيقية  
التي ستنزول اليها رواياته المآسى .

### المثل

١٨٤٦

نشرت رواية « المثل » بعد صدور « الفقراء » بشهر واحد . فلم  
يستقبلها النقاد والكتاب والقراء بمثل ما استقبلوا به قصة « الفقراء » من  
حماسة . فبعضهم يشكو من اطناباتها واسهاباتها ، وبعضهم لا يرى فيها  
الا تقليدا واضحا لجوجول . ولكن الناقد الروسى الشهير بيلنسكى حرص  
على ابراز دلالتها الاجتماعية ، فعقد مقالا قال فيه عن بطلها جوليا دكين :  
« انه واحد من أولئك الناس الحساسين الذين نجد أمثالهم فى الطبقات  
المتوسطة والدنيا ، فهو سريع التأذى ، شديد الطموح ، يتراعى له دائما  
أنه مستهدف ببعض الكلمات وبعض النظرات وبعض الحركات ، وأنه يحاصر  
وتدبر له المكائد . . . » . حتى لقد قال بيلنسكى انه يرى فى هذه القصة  
« من الموهبة الخالقة ومن عمق الفكر ما لم ير مثله فى قصة الفقراء » .  
وختم بيلنسكى مقاله بنبوءات تتناول دوستويفسكى فقال : « سوف

تظهر أثناء حياته مواهب كثيرة تعارضه ، ولكن هذه المواهب كلها سيطويها النسيان ، أما موهبته فتظل في ذروة المجد » .

صدق بيلنسكى ٠٠ لسوف يطوى النسيان مواهب كثيرة . أما موهبة دوستوفسكى فستظل في ذروة المجد . ولكن بيلنسكى كان ينظر الى كل أثر من آثار الأدب من زاوية ضيقة خاصة ، هي زاوية الأدب الاجتماعى الجديد الذى ينادى به ويدعو اليه . ولم يكن مهتما اذن لأن يرى كل ما فى رواية « المثل » من عمق نفسى . فلتن كان جوليا دكين ضحية ظلم اجتماعى من بعض النواحي ، وبمعنى من المعانى ، فان هذا ليس كل جوليا دكين ٠٠ واذا كانت رواية « المثل » تفضح هذا الظلم الاجتماعى ، فان هذا ليس كل رواية « المثل » ٠٠٠ ان جوليا دكين انسان « تنفصم » شخصيته على حد تعبير علماء النفس الحديثين ٠٠٠ انه يزدوج ٠٠٠ فمن رآه من خارج سماه مجنوناً وكفى ٠٠ وقد يضحك اضافة الى هذا . وما كذلك يفعل دوستوفسكى ٠٠٠ فانه يراه من داخل ، أو قل انه يعيش معه تجربته النفسية ، وهو لذلك لا يكاد يضحك عليه ، ولا يكاد يحمل القارئ على الضحك عليه . بالعكس ، انه يبرز جانب المأساة من حياة انسان يتعذب ، لا عن ظلم اجتماعى فحسب ، بل عن مرض نفسى قد يتصل بالظلم الاجتماعى ، وقد لا يتصل به كثيراً . فمن لم يكن قادراً بحد أدنى من تجربة شخصية على أن يرى ما يراه دوستوفسكى فى بطله من داخل ، فلن يستطيع أن يعرف كل العمق النفسى فى تصوير شخصية هذا البطل بالعين البصيرة والريشة البارعة .

ولذلك رأينا بيلنسكى يعود الى الكلام عن كتاب « المثل » فى مقالة يكتبها بعد سنة ، فاذا هو فى هذه المرة ، مع اظهار اعجابه بموهبة المؤلف ، يأخذ على الكتاب « طابعه الخيالى غير الواقعى » ، ويعيب فيه غموض حيكته ، وطول اسهاباته وتكراراته ، وينصح دوستوفسكى باختصار هذا الرواية عند اعدادها للنشر فى طبعة جديدة .

وقد شعر دوستوفسكى بمرارة شديدة من سوء تقدير النقاد لكتابه ، وعبر عن هذه المرارة فى بعض رسائله . ومع ذلك رأيناه ، عند عودته من سيبيريا ، وشروعه فى اعداد طبعة جديدة لمؤلفات شبابه ، يتأثر برأ النقاد والقراء فى كتابه ، فيأخذ فعلاً فى اعادة كتابة « المثل » ، ولكن وفنه لم يتسع لهذا العمل . وفى عام ١٨٦٥ نشر طبعة جديدة للكتاب لا تختلف



عن الطبعة الأولى الا في أمور يسيرة فهو لا يزيد عن أن ينقح هنا عبارة ، ويختصر هناك فقرة ، ويحذف هنالك رسالة ، غير أن نيته كانت منصرفة ، كما تدل على ذلك مسودات يرجع عهدها الى ١٨٦١ - ١٨٦٤ ، الى احداث تغييرات كبيرة في هذه الرواية ، وتدل هذه المسودات على أنه كان يريد أن يجعل من بطله جوليا دكين الأول واحدا من أنصار النزعة الاشتراكية ينتمى الى فورييه وينضم الى حلقة بتراشفسكى ويطمح في قيادة ثورة ، وأن يجعل من «المثل» ، من جوليا دكين الثانى جاسوسا يشى بالثوريين ويفضح أمرهم .

على أن دوسنويفسكى يظل شاعرا بما تحمله قصته من نفاذ وعمق متأثرا مع ذلك برأى النقاد والقراء فيها ، فها هو ذا يكتب في « يوميات كاتب » سنة ١٨٧٧ قائلا : « اننى لم أوفق في هذه القصة كل التوفيق ولكن فكرتها كانت واضحة وضوحا كافيا ، وما أحسب أننى أضفت الى الأدب فكرة أكبر منها خطرا وأعلى شأنًا ، ولكننى لم أوفق في صياغة الشكل » .

### قلب ضعيف

١٨٤٨

وهذا بطل آخر من صغار الموظفين ، شاب يفرض مزايا وخيرا ومحبة ، راض عن مصيره ، رغم أن راتبه لا يزيد على خمسة وعشرين روبلا في الشهر . ان رئيسه ، جوليان ماستاكوفتش يستغله ، عاهدا اليه بأعمال اضافية لا يدفع له أجرها خلال أربعة أشهر . ولكن فاسيا ينهض بالعبء في جد واجتهاد وحماسة ، حتى اذا كافأه رئيسه بخمسين روبلا فاض قلب الفتى شعورا بالنسك والامتنان . والفتى سعيد ، لأن له صديقا عزيزا عليه هو أركاد ، ولأنه خطب فتاة يحبها حب العباداة ، ولأنه ينعم بالحظوة لدى رئيسه . ولكن «قلبه الضعيف» ينوء بحمل كل هذه السعادة . لقد أهمل انجاز العمل الذى عهد به اليه رئيسه ، لأنه قضى أوقات فراغه كلها عند خطيبته فها هو ذا يشعر من ذلك بأنه آثم في حق رئيسه ، وهاهو ذا الجنون يسنولى عليه شيئا بعد شيء مهريا من العمل الذى أصبح لا يطيق انجازه ، ومهريا من الحب الذى يرى أنه لا يستحقه ، ومهريا من الشعور بالآثم الذى يمضه وبرهقه أشد الارهاق . وما أروع المشهد الذى يصوره

دوستويفسكى حين يرينا الفتى المسكين وقد استولى عليه جنونه ، فهو بجري ريشته سريعة على الورق بغير حبر ، ويقلب الأوراق واحدة بعد أخرى بيضاء لم يخط عليها سطرًا ٠٠٠ ظانًا أنه يعجل قيامه بالعمل رجاء انجازه فى الموعد المضروب لتقديمه الى رئيسه . انه مشهد مؤثر يكوى النفس حزنا .

لقد ضخم الفتى المسكين خطيئة تقصيره تضخيما شديدا ، فأحس فى اطار النظام القاسى الذى كان يسود عهد نيقولا الأول ، أنه يرتكب جريمة التمرد وعدم الخضوع للرؤساء ، وتوقع أن ينزل فيه العقاب الذى ينزل فى المجرمين السياسيين ، وهو ادخال المجرم فى الجيش جنديا بسيطا لسنوات طويلة . ترى الا يمكن أن يقال ان دوستويفسكى ، حين صور هذا الفتى الحالم الذى انتهى الى الجنون ، كان يعبر عن مخاوفه من الوقوع فى هوة الجنون ، وعن احساسه بأنه سيعاقب هو أيضا بالنفى والجنديّة لسنين ؟

الفقراء

١٨٤٦

« الفقراء » (Béonie Lioudi) ،  
كتبت سنة ١٨٤٤ - ١٨٤٥ ، ونشرت  
في شهر كانون الثاني «يناير» سنة  
١٨٤٦ ، في «مجموعة سان بطرسبرج»  
التي كان يصورها نكراسوف .

يا لهؤلاء الكتاب القصاصين ! انهم بدلا  
من أن يقصوا علينا شيئا نافعا ممتعا ،  
مريعا ، يهتكون جميع أسرار الحياة على  
هذه الارض ويزيحون الحجب عن جميع  
مبائس الوجود ! ... لو كان الامر لي  
لنهيتهم عن الكتابة ! فكروا في النتائج التي  
يؤدي اليها هذا ! ان المرء يقرأ ما يكتبون ،  
فاذا هو ، على غير ارادة منه ، يأخذ  
يتأمل ..... واذا بجميع أنواع الافكار  
العجيبة المستحيلة تفزو رأسه . حقا لو  
كان الامر لي لنهيتهم عن الكتابة ، أو لمنعتهم  
من نشر ما يكتبون .

الامير ف . ف . أودويسكي

٨ نيسان ( ابريل )

عزيزتى فرارا الكسييفنا ، الصديقة الغالية !

كنت أمس سعيدا ، سعيدا سعادة كبرى ، كنت أفيض سعادة ؛  
 مرة فى حياتك على الأقل ، أيتها العنيدة الصغيرة ، رضيت أن تلبى طلبى .  
 لقد استيقظت مساء أمس فى الساعة الثامنة تقريبا ( وأنت تعلمين يا ماتوشكا ،  
 اننى أحب أن أغفوساعة أو ساعتين عند عودتى من عملى ) ، فأشعلت سمعة ،  
 وهيات ورقا ، وبريت قلما ، ثم اذا أنا أنهض رأسى مصادفة ، فيأخذ قلبى  
 يخفق فى صدرى سريعا سريعا . لقد أدركت اذن ماكنت 'أثمنا ، ما كان  
 يتمناه قلبى البائس ! لقد لاحظت 'حين أنهضت رأسى أنك شددت طرفا من  
 ستارة نافذتك فثبته بأصيص الأزهار ، تماما كما أوحيت اليك بذلك ايحاء  
 غير مباشر فى المرة الماضية . حتى لقد خيل الى أننى ألمح فى تلك اللحظة  
 وجهك الأخاذ من وراء النافذة ، وكأنك كنت نظرين الى من غرفتك ،  
 كأنك كنت تفكرين فى . وما كان أشد أسفى ، ياملاكى الصغير ، حين لم  
 أستطع أن أميز قسما وجهك الحلو العذب تميزا واضحا ! لقد كنت  
 فى زمن من الأزمان أملك بصرا قويا أنا أيضا ، ياماتوشكا . ولكنها  
 الشيخوخة يا صديقتى اللطيفة . . . انه ليحزن قلب المرء أن يدلف الى  
 الشيخوخة . اننى فى هذه اللحظة مثلا لأرى رؤية واضحة . ولكن يكفى  
 أن أعمل قليلا فى المساء ، يكفى أن أكب بضعة أسطر ، حتى تصبح عباى  
 فى صباح الغداة حمراوين ، وحتى تسيل منهما الدموع ، فأكاد أستحى  
 أن أظهر للناس . ولكننى يا ملاكى قد رأيت ابتسامتك ، ابتسامتك الصغيرة  
 الفاتنة ، رأيتها فى خيالى ، فكانت كالضوء فى نفسى ، وشعرت بذلك  
 الانفعال نفسه الذى شعرت به يوم قبلتك يافارنكا ، هل تذكرين ذلك  
 ياملاكى العزيز ؟ حتى لقد خيل الى - هل تصدقين يا عزيزتى ؟ - انك

تهددني بأصبعك من وراء النافذة • أهذا صحيح أيتها الحماة الصغيرة ؟  
يجب عليك حتما أن تقصى على هذا كله مفصلا في رسالتك القادمة •

ولكن قولى : ما رأيك فى اختراعنا هذا بشأن ستارة النافذة ، ألم تكن فكرة لطيفة فى الواقع ؟ لسوف أعرف ، حين أعمل أو حين أضطجع ، وحين أستيقظ أيضا ، لسوف أعرف فورا أنك تفكرين فىي ، وأنت لم تسينى ، وأنت أنت أيضا جيدة الصحة مشرقة المزاج . فإذا أسدلت الستارة عرفت أن هذا يعنى أنك تقولين : « وداعا يا ماكار ألكسيقتش ، فقد آن أوان النوم » • حتى اذا عدت فرفعت الستاره فهمت ' أنك تقولين : « نعمت صباحا يا ماكار ألكسيقتش ، هل نمت نوما طيبا ؟ » أو فهمت أنك تسألين : « كيف حالك اليوم يا ماكار ألكسيقتش ؟ أما أنا فانى بحمد الله فى صحه حسنة ، وكل شىء يجرى عندى على ما أحب » • هل رأيت كيف أحسنت تخيل هذا الاختراع ؟ لاحاجة بنا الى التكاثر من أجل التخاطب ، أليس كذلك ؟ وكانت تلك فكرتى ، فكرتى أنا • فاعترفى اتنى حاذق فى مثل هذه الأمور ، ألا ترين هذا الرأى يا فرارا ألكسيقتش ؟

يجب أن أقول لك يا عزيزتى فرارا ألكسيقتش أننى قضيت ليلة رائعة ، على خلاف ما كنت أتوقع ، فملأنى ذلك غبطة وبهجة • ان المرء لا ينام نوما طيبا فى الليلة الأولى من اقامته بمسكن جديد • فهو لا يشعر بالارتياح ، اذ لا بد أن يكون أمر من الأمور على غير ما يجب أن يكون ! ولكننى نهضت من فراشى فى الصباح جم النشاط شديد الفرح أشبه بصقر • انها لمتعة حقا ! وما كان أجل الصباح فى هذا اليوم ، ياماتوشكا ، لقد فتحت النافذة فى مسكننا : فكانت الشمس تسطع ، وكانت الطيور تغرد ، وكان الهواء مفعما بأشياء الربيع • الطبيعة تعود الى الحياة ، فاذا كل شىء يفعل

ما تفعله الطبيعة ، ويجرى على ما يريد الربيع • حتى لقد أخذت أحلم أحلاما جميلة لذينة ؟ وكانت أحلامي تنصرف اليك يا فارنكا ، فأشبهك بطائر صغير من طيور السماء خلق فرحة للبشر وجمالا للعالم • وحلمت عندئذ ، يا فارنكا ، أننا معشر الذين نعيش في هموم الحياة على الأرض ونضطرب في أعاصيرها ، يجب علينا أن نحسد طيور السماء • وكانت سائر أحلامي من هذا القبيل ، ومن هذا النوع ؟ أعنى اننى ظلت في أحلام اليقظة هذه ، أعقد مقارنات عجيبة وأتشيء تشبيهات خارقة • ان عندى ، يا فارنكا ، كتابا يقول هذه الأشياء نفسها ، ويستعمل ألفاظا كهذه الألفاظ • وإذا كنت أكتب اليك فى هذه اللحظة ، فلأن أحلامنا قد تبلغ هذا المدى من التنوع ياماتوشكا • نحن فى الربيع ، والحواطر التى توافينى ممتعة جدا ، وتدفق حياة وتفيض قوة ، وتحمل الى معانى رقيقة مفعمة بالحنان • كل شىء يبدو لى ورديا • لذلك أكتب اليك هذا كله • والأصح أتنى قرأت هذا كله فى كتابى الذى يعبر مؤلفه عن هذه العواطف نفسها شعرا فيهتف قائلا :

ألا ليتنى طير ألا ليتنى صقر

•••• الخ

هناك أفكار أخرى كثيرة فى هذا الكتاب • ولكن ما فائدة نقلها اليك الآن ؟ الأحرى أن تقول أنت أين ذهبت فى هذا الصباح يا فر فارا ألكسيفنا . لم أكن قد تركت منزلى الى عملى حين خرجت أنت من غرفتك كطائر صغير من طيور الربيع ، واجتزت فناء المنزل وقد بدا فى وجهك ذلك الفرح كله • ما كان أشد سعادتى حين تأملتك فى تلك اللحظة ! آه يا فارنكا ، لاتبكى ولا تتحبنى • ان الدموع عاجزة عن دفع الشقاء • أنا أعرف ذلك بالتجربة ياماتوشكا • لقد هدأت حياتك الآن كثيرا ، وتحسنت



صحتك بعض التحسين • بالمناسبة ، كيف حال صحتك فيدورا ؟ يا لها من امرأة طيبة شهمة ! •• اكتبى لى يافارنكا : كيف تعيشين معها الآن ، وهل انت راضية عن كل شيء • ان فيدورا شرسة بعض الشراسة ، أنا اعرف ذلك ، ولكن لا تعبى ولا تحظى يا فارنكا ، واغفرى لها ، لانها طيبة جدا •

سبق أن حدثتكم عن تيريز هذه التى نخدمنا هنا ، والتى تملك هى أيضا قلبا طيبا ، وتستحق الثقة • كنت شديد القلق بشأن رسالتنا ، لا أعرف كيف أوصلها اليك • فاذا بالرب يرسل الينا تيريز هذه من أجل سعادتنا • امرأة ممتازة ، رقيقة الحاشية ، دمنة الطبع ، وليست بثرارة أبدا • ولكن صاحبنا بيتنا لا يعرف قلبها الرحمة ولا الشفقة فى الواقع • فهى ترهقها بالعمل وتعاملها أسوأ مما تعامل خرقة بالية •

ليتكم تعرفين هذا المسكن المضحك الذى وفعت عليه يا فرقارا ألكسييفنا ! يا له من مسكن ! تعلمين أننى قد عشت حتى الآن حياة شديدة العزلة كثيرة الهدوء • كان كل نىء عندى صامتا صمنا يبلغ من الاطباق أن لو طارت ذبابة لسمع صوت طيرانها • أما هسا فالصخب جهنمى : صراخ لا ينتهى •• اتنى لم أصف المنزل حتى الآن • هناك ، أولا ، دهليز طويل ، شديد العتمه والظلمة ، كثير الوساخه والفذارة ؛ فعلى اليمين جدار عار كل العرى ، وعلى الشمال غرف تتابع تتابع الحجرات فى فندق • هذه هى الغرف المؤجرة ، ورب غرفه يسكنها شخصان أو ثلاثة أشخاص • أما الترتيب فما ينبغى أن يخطر على بال • نحن هنا فى سفينة نوح • ولكن يجب الاعتراف بأن الأشخاص الذين يقيمون فى هذه الغرف لطاف ظرفاء ، وهم جميعا على جانب من التقافه ومن العلم • أحدهم موظف ( مستخدم فى ادارة أدبية ) يملك ثقافة واسعة الى أقصى حدود السعة ، فهو ملا يتكلم عن هويمروس وعن برامبيوس

وعن نير من الكتاب أيضا ، لانه يعرف كل شيء • رجل ذكى جدا • وهناك ضابطان لا يزيدان على أن يعلبا بالورق طول الوقت • ثم هناك ملازم بحار ، وانجليزى يعطى دروسا • اسمعى : سأحاول ، من أجل أن أسليك وأسرى عنك ، أن أصفهم لك وصفا لازعا فى رسالتى المقبلة ، أى اننى سأصفهم لك على حقيقتهم تفصيلا • اما ربة المنزل فهى عجوز قصيرة جدا ، وسخة ، تظل تبختر طول النهار بالباج وتوب المنزل ، لا تعمل شيئا غير تفريع نيريز من الصباح الى المساء • وانا أسكن فى المطبخ ، أعنى ••• لا ••• اليك كيف يجب شرح الأمر : هناك غرفة الى جانب المطبخ ( جدير بالذكر أن عندنا مطبخا نظيفا جدا ، مضيئا ومريحا ) غرفة صغيرة ، ركن صغير متواضع •• أو قولى على وجه أدق ان المطبخ قاعة واسعة ذات ثلاث نوافذ وضعوا حاجزا على طول جدارها فأصبح هناك غرفة جديدة ، غرفة اضافية ان صح التعبير • هى غرفة واسعة جدا ، مريحة جدا ، لها نافذة ، ولها كل ما يجب ؛ كل شيء فيها جيد : ذلك هو ركنى • ما ينبغي يا ماتوشكا أن يبدو لك هذا غريبا ، ولا أن تجدى فيه شيئا غامضا أو شيئا من سر • لماذا أسكن فى المطبخ؟ صحيح اننى أسكن الآن فى هذه الحجرة ، أقصد وراء الحاجز ، ولكن لا ضير فى هذا • اننى أعيش فى هذه الحجرة منعزلا ، بعيدا عن الآخرين ، أحيا حياة هادئة • وقد وضعت فى الركن سريرا ومنضدة وخزانة وكرسين ، وعلقت أيقونة • صحيح أن من الممكن العثور على مساكن تفضل هذا المسكن ، وربما كان هنالك مساكن تفضله كثيرا • ولكن الراحة هى الأمر الهام قبل كل شيء • ومن أجل الراحة انما جئت الى هنا ، اياك أن تتخيلى اننى جئت لسبب آخر من الأسباب • ونافذتك الصغيرة تقع أمام نافذتى تماما ، وفى الجهة الأخرى فناء العمارة ، وهو فناء ضيق جدا أراك فيه حين تمرين ، فهكذا تصبح الحياة أكثر

بهجه عند هذا البائس الشقي ، انا • ثم ان الاجسر ابخس كلفة • ان  
أجر أحقر غرفة هنا يبلغ مع ثمن الطعام خمسة وثلاثين روبلا ورقا •  
وذلك مبلغ باهظ بالنسبة الى • أما ركني فأنني أدفع أجره سبعة روبلات ،  
فاذا أضفت الى ذلك خمسة روبلات فضة ثمن الطعام ، بلغ المجموع أربعة  
وعشرين روبلا ، ونصف روبل ، ولقد كنت أتفق قبل ذلك ثلاثين روبلا  
مع حرمان نفسي من أشياء كثيرة • كان يندر أن أشرب شيئا من شاي •  
أما الآن فقد أصبحت أملك ما أشتري به شايًا وسكرا • اذا لم أشرب  
الشاي هنا شعرت بحرج كبير ، يا عزيزتي • ذلك أن جميع المستأجرين  
أناس ذوو يسار ، فيخجلني أن لا أشرب الشاي وأنا بينهم • فبسيهم اذن  
انما أشرب شيئاً من الشاي يا فارتكا ، حفاظا على المظهر ، ولولا ذلك ما فعلت ،  
لأنتي لا أحرص على الشاي نفسه حرصا شديدا • لست من شاربيه المولعين  
به • هناك عدا هذا بعض النفقات النثرية ، لا بد من بعض النفقات النثرية ،  
لا بد من بعض النفقات رغم كل شيء ••••• وثمة نفقات أخرى لا مناص  
منها لحداء أتطله ومعطف أتدثر به • فماذا يبقى بعد ذلك ؟ هذا راتبى  
كله فد طار سريعا • لست أشكو ولا أتدمر • فأنا سعيد ، ورائبى كافى •  
ثم اننى أتقاضى بعض المكافآت من حين الى حين • والآن ، وداعا ياملاكي  
العزيز • لقد اشتريت لك أصيص عصفرة ، وغرنوقاً ليس باهظ الثمن •  
أتراك تحين زهرة البليحاء أيضا ؟ يوجد بليحاء فى مخزن أصص  
الأزهار • فاكتبى الى اذا أردت أن أشتري لك منها • واذكرى لى فى  
رسالتك كل شيء تفصيلا • بالمناسبة ، أحب أن أرجوك أن لاتقلقى على ،  
فتظنى الظنون ياماتوشكا ، لاتحملى سكناي فى حجرة كهذه على غير محمله  
لا •• لا •• انتى لم أفعل ذلك الا نشدانا للراحة • الراحة وحدها هى  
التي أغرتنى • ذلك أننى أدخر بعض المال ياماتوشكا : اعرفى هذا • اننى  
أملك الآن بعض المال على سبيل الاحتياط • لا تخطئى فى التقدير فتظنى

اتنى مسكين بائس يمكن أن قلبه بعوضه بلطمة من جناحها • لا ياماتوشكا ،  
لست بالرجل التافه الذى لا قيمة له ••• ان لى ارادة تليق برجل صلب  
العزيمة رابط الجأش هادىء النفس • وداعا يا ملاكى الصغير • كتبت لك  
هذه المرة صفحتين كاملتين ، وقد آن أن أمضى الى عملى • أقبل أناملك  
الرفيقة الجميلة العزيزة ، وأظل ياماتوشكا ، خادمك الذليل الأمين :

ماكار دييفوشكين

حاشية : أتوسل اليك خاصة يا ملاكى الطيب أن تردى على رسائلى  
ماضية فى سرد التفاصيل الى أبعد حد ممكن • وأبعث اليك مع هذه  
الرسالة برطل من المربب هنيئا مريئا ، لا تقلقى على ، ناشدتك الله ، ولا  
تغضبى • والآن وداعا يا ماتوشكا •

٨ نيسان ( ابريل )

عزيزى السيد ماكار الكسييفتش

هل تعلم أننا قد انتهى الى التخاصم والتشاجر ؟ أقسم لك يا عزيزى  
الطيب ماكار الكسييفتش ، انه يشق على نفسى أن أقبل هداياك • أنا  
أعرف كم تكلفك هذه الهدايا ، وأعلم مدى التضحيات التى تقدمها فى  
سبلى حارما نفسك من أشياء لا غنى عنها • سبق أن قلت لك مرارا اتنى  
فى غير حاجة الى شىء ، فى غير حاجة الى شىء البتة ، واتنى غير قادرة على  
أن أرد اليك احسانا باحسان ، وأن أقابل جميلك المنهمر على انهما انظر  
بجميل مثله • ما عسانى صانعة بجميع أصص الزهر هذه ؟ هبنى ارتضيت  
العصيفرات الصغيرة ، فلماذا الغرنوق أيضا ؟ أيكفى أن تفلت منى كلمة

واحدة ، كما حدث في أمر هذه الزهرة ، حتى تسارع الى شراء ما جاء ذكره على لساني سهواً وغفلة ؟ لا شك انها كلقتك نفقة باهظة • ولكن ما اروع هذه الازهار بشكلها المتصالب ولونها الاحمر • ومن أين حصلت على هذا الغرنوق الاخاذ الفتان ؟ لقد وضعت الايص وسط النافذة في أبرز مكان، ووضعت على أرض الغرفة مقعداً سأصاف عليه أزهاراً أخرى: انتظر أن أصبح غنية أنا أيضاً • ان فيدورا في ذروة السعادة • لكن غرفتنا أصبحت جنة حقا • • كل شيء فيها مضيء نظيف • ولكن لماذا بعثت الى بالمررب ايضا ؟ ولقد أدركت منذ مرات الاسطر الاولى من رسالتك أن هناك اشياء لا يجرى على مايرام • انك تتكلم عن الربيع والاشداء والطيور التي تغرد • لم يبق الا أن ينظم أشعاراً ، هذا ما قلته لنفسي وأنا أقرأ رسالتك • اسمع يا ماكار ألكسييفتش : اما عن العواطف الريفية والاحلام الوردية فهي متوفرة في رسالتك ، وأما عن ستارة نافذتي فانتى لم يخطر ببالي قط أن أشدها ، ولا شك أنها علفت مصادفة حين كنت أرحزح ايص الازهار • أقول هذا من باب ذكر الواقع •

آه يا ماكار ألكسييفتش ، مهما تقل من كلام ، ومهما تكن طريقتك في اجراء حسابات مواردك من أجل أن تبرهن لى زورا على انك تستعملها في فضاء حاجاتك أنت ، فلن تصل الى اخفاء الحقيقة عنى • انه لواضح كل الوضوح انك تحرم نفسك من الاشياء الضرورية فى سبيلى • لماذا تقيم فى مسكن كهذا المسكن متلا ؟ انك لا تترك فى هذا المنزل هادئا مرتاحا ، بل تزعج فى كل لحظة •

لا شك فى أنك متضايق ، ولا شك فى أنك لا تتمتع بشيء من أسباب الراحة • أنت تحب العزلة ، وها أنت ذا فى خان يعج بالناس • كان فى وسعك أن تعيش فى ظروف أفضل كثيرا من هذه الظروف ، بالقياس الى راتبك • ان فيدورا تؤكد أن مسكنك السابق أفضل من

ممكنك هذا كثيرا ، وأن الثانى لا يقارن بالاول على آية حال • هل يمكنك  
 حقا أن تكون قد قضيت حياتك كلها على هذه الصورة ، فى العزلة  
 والحرمان ، بلا فرح يشرق فى قلبك ، بلا كلمة رقيقة من صديق ،  
 دائما بين غرباء ، فى غرفه مؤتنة ؟ لشد ما أرثى لحالك يا صديقى الطيب ،  
 هلا رايت صحتك على الأقل يا ماكار ألكسييفتش ! تقول ان بصرك  
 يضعف : عليك ادن أن تتجنب الكتابة على ضوء الشموع • وفيه الكتابة  
 أصلا ؟ لا شك أن رؤساءك قد أصبحوا يعرفونك ويعرفون حماسك  
 نعملك ونشاطك فى أداء واجبك •

أضرع اليك مرة أخرى : لا تنفق فى سبيل كل هذا الذى تنفقه •  
 أنا أعرف أنك تجننى كثيرا ، ولكنك لست غنيا • • • لقد استيقظت أنا  
 أيضا مشرقة المزاج فى هذا الصباح • فكنت أشعر بأننى قوية الجسم  
 سعيدة النفس • وحين استيقظت كانت فيدورا قد بدأت تعمل منذ مدة  
 طويلة • وقد جاءت بشغل لى أنا أيضا ، فخرجت أشتري حريرا ، ثم  
 شرعت أعمل على الفور • ولبث الصباح كله أشعر بالغبطة والبهجة •  
 ولكن ها هى ذى الخواطر السود الحزينة تعود فتستبد برأسى وتهصر  
 قلبى •

ما عسى يقع لى يا رب ؟ ما عسى أن يكون مصيرى ؟ انه لأمر قاس  
 على نفسى أن أجدنى حائرة هذه الحيرة ، قلقه هذا القلق ، لا أرى أمامى  
 مستقبلا ، ولا أستطيع أن أتخيل ، ولو من بعيد ، ما قد يحدث لى بعد •  
 أما النظر الى خلف ، فلا شجاعة لى عليه • ما من نىء فى هذا الماضى الا  
 آلام مبرحة وعذاب شديد • ان قلبى ليمزق تمزقا متى تذكرت • ان  
 عينى لا تملك من الدموع ما يكفى للبكاء الى آخر أيام حياتى مما نالنى  
 به الأشرار من أذى ، وما ألحقوه بى من ضر •

المساء يهبط • يجب أن أستأنف شغلي • كنت أود لو أقول لك أشياء أخرى كثيرة • ولكن وقتي لا يتسع ، لأن علي أن أسلم الشغل في تاريخ محدد ، فلا بد من الإسراع فيه • صحيح أن الرسائل شيء رائع ، وانها تحسن الى وتسرى عني • ولكن لماذا لا تجيء الى بنفسك زائرا ؟ لماذا لا تجيء يا ماكار ألكسييفتش ؟ ان مسكنك قريب جدا الآن ، وانه ليتفق لك أن تملك لحظات من فراغ • فأرجوك أن تجيء • لقد رأيت صاحبك تيريز • أعتقد أنها مريضة جدا • أشفتت عليها ورق قلبي لها فأعطيها عشرين كويكا • ها ••• نعم ••• نسيت : يجب قطعاً أن تكتب الى واصفا لي حياتك ذاكرة كل ما تستطيع ذكره من تفاصيل • من هم الناس الذين يحيطون بك ؟ هل أنت على وفاق معهم ؟ أحب أن أعرف شيئاً عن كل هذا • سوف أرفع زاوية الستارة عائدة متعمدة في هذا اليوم • ثم اني أرجوك ألا تتأخر في النوم • أمس رأيت ضوءاً في غرفتك حتى منتصف الليل • وداعاً الآن • ان كل شيء يبدو لي اليوم حزينا عابسا داعيا الى الشجن باعنا على اليأس • وداعاً •

#### المخلص لك

فرفارا دوبروزيولوففا

٨ نيسان ( ابريل )

#### سيدتي العزيزة فرفارا ألكسييفنا

حق ما قلته يا ماتوشكا ، يا صديقتي العزيزة ، حق ما قلته وا أسفاه : لقد كان يوماً مشؤوماً أضيف الى أيام حياتي الشقية ومصيري البأس • نعم ••• لقد سخرت مني سخرًا جميلاً يا فرفارا ألكسييفنا ، سخرت مني ، أنا العجوز المسكين • هي غلظتي على كل حال ، وانني لأستحق أن

( ٦٥ ) دوستويفسكى

الأم • ما حاجتى ، وأنا فى هذه السن وليس على راسى من الشعر الا  
 خصله ، ما حاجتى الى الاندفاع فى غراميات واشكالات ••••• يجب ان  
 نعرف يا ماتوشكا أن الانسان كائن غريب عجيب فى بعض الساعات ،  
 غريب جدا ، عجيب جدا • رباه رباه ، أى شيطان يدفع الانسان الى  
 الكلام أحيانا ؟ وما جدوى هذا الكلام ؟ لا يخرج من هذا الكلام شيء ،  
 لا يخرج منه شيء البتة ، ولا يؤدى الا الى مواقف سخيفة ، حمانا الله  
 منها ووفانا شرها • لا ياماتوشكا ، لست غاضبا ، ولكننى أشعر بغضاضة  
 حين أتذكر ما كتبته لك ، وأحس بالخجل من اندفاعى فى التعبير على  
 ذلك النحو الغبى بذلك الأسلوب المصور • لقد مضيت الى عملى فى هذا  
 الصباح ممثلا بحماسة خاصة • كنت قد عنيت بزيتتى وهندامى ، وكان  
 كل شيء فى نفسى مشرقا • كانت نفسى فيما يشبه العيد بهجة وحبورا ،  
 ذون ما داعى الى ذلك • كنت فرحا • وأخرجت أظايرى بهمة ونشاط •  
 فماذا أعقب ذلك كله ؟ لا شيء • ألقيت نظرة حولى ، فرأيت كل شيء  
 فى هذا المكتب كالحا حزينا على عهدى به • بقع الحبر نفسها ، الأدراج  
 نفسها ، القراطيس نفسها • وأنا أيضا ما تغيرت ، ما زلت كما كنت ،  
 فمالى وما للشعر اذن ؟ من أين طلع لى هذا الكلام ؟ لأن الشمس كانت  
 أكثر دفئا ، ولأن السماء كانت أسطع ضياء ؟ أليكون هذا هو السبب ؟  
 وكيف أمكنتنى أن أتكلم عن الأشداء والهواء المعطر ، والله يعلم كم كان  
 فى فناء المنزل من قاذورات ، تحت نوافذ شقتنا تماما • لقد توهمت اذن  
 أتى أتشوق تلك العطور من جنون أصابنى فى تلك اللحظة • أوهام ،  
 انه ليتفق للمرء أن يخطئ تقدير ما يشعر به هو نفسه ، وأن يستمرسل  
 فى ترهات سخيفة • والذنب فى ذلك كله انما هو ذنب هذا الطيش فى  
 قلبنا المنسفع • وعدت الى منزلى ، بل قولى : جررت نفسى جرا حتى  
 بلغت منزلى • كان فى رأسى صداع شديد أصابنى فجأة من غير سبب •



هي القصة نفسها (لاشك أن هواء باردا لفتح ظهري) • كنت قد انتهجت بالربيع ، فلم أرتد ملابس دافئة • ألا ما أغباني ، ولكنك قد أخطأت تقدير حقيقة عواطفى قليلا ، يا صديقتى العزيزة ، فالحق أن اندفاع قلبى كان له اتجاه آخر غير ما تصورت انت له من اتجاه • ان عاطفة أبوية هي التى كانت تهزنى ، يا فرفارا ألكسيفنا ، عاطفة أبوية محضّة ، ولا شئ غير ذلك • انتى الآن بمنابة أب لك أيتها اليتيمة البائسة ! أكلمك هنا بصراحة كاملة ومودة خالصة ، كما يفعل انسان يمت اليك بقربى وثيقه • ثم انتى أمت اليك ببعض القربى : هي قربى بعيدة جدا ، أعلم ذلك ، قربى تشبه الغليه السابعة للشاي ، على ما يقول المثل الروسى • لكننى قريك مع ذلك ، وأنا أعد نفسى فى هذه الساعة قريك وحاميك الأقرب ، ما دمت لم تعرفى الا الخيانة والتدر لدى من كان يجب أن يقدموا لك العون والحماية فيما أنت فيه من شقاء • أما عن الأشعار فيجب أن أقول لك يا ماتوشكا انه من غير الحشمة فى مثل سننى أن ينظم المرء شعرا •• ما الشعر الا هذر ولغو • وفى أيامنا هذه يجلد الصبيان فى المدرسة اذا هم تعاطوه •• ذلك •• فيما يتعلق بهذه النقطة يا ماتوشكا •

ولماذا تحدثيننى يا فرفارا ألكسيفنا عن راحة مسكنى وهدوء حياتى وعن أشياء أخرى من هذا القبيل ؟ لست بالانسان الكثير المطالب ياماتوشكا ، ولم تكن ظروف حياتى فى ماضيات أيامى خيرا منها الآن • ففيم تكون لى مطامح ومطامح وقد بلغت هذه السن ؟ انتى أطمع اذا جمعت ، وأملك ما أشتري به كساء وحذاء • فماذا يريد أمئنا فوق ذلك ؟ اننا لم نولد أبناء كونت • لم يكن أبى من طبقة النبلاء ، ولقد عاش مع أسرته كلها حياة أفقر من حياتى ، لأنه لم يكن يكسب ما أكسب • لست بالولد الذى أفسده الدلال • ومع ذلك ، ومن أجل أن أذكر لك الحقيقة كاملة،

أعترف أن كل شيء في مسكنى القديم كان خيرا من كل شيء في مسكنى الآن ، ولا وجه للمقارنة بين الاثنين • كنت أشعر هناك بحرية لا أشعر بمثلها هنا • صحيح أن مسكنى الحالى ليس سيئا هو أيضا ، وربما كان يوجد من البهجة هنا ما لم يكن يوجد منها هناك ، ان ها هنا سيئا من التنوع فى أقل تقدير • فلست أتذمر اذن من المسكن الجديد ، ولكنى أشعر بشيء من الأسف والحسرة على القديم • انا ، معشر الشيوخ او الدين طعنوا فى السن قليلا ، تتعلق بالأشياء القديمة تعلقنا بأصدقاء قريين كل القرب • لقد كانت الشقة الأولى ضيقة ، كما تعلمين ، وكانت جدرانها - ما فائدة الكلام على هذا ؟ - شبيهة بسائر الجدران • • ليس هذا ما أعنيه • • ولكن ذكرى الماضى تملأ نفسى حيننا وتبعث فى قلبى حزنا وكآبة • • ألا ما أغرب هذا الأمر : ان قلبى منقبض ، ومع ذلك تبدو لى هذه الذكريات ممتعه • حتى ما كان يسوؤنى أيامئذ من عيوب تلك الحياة الماضية بل وما كان يحقنى ويثير غيظى من تلك العيوب فى بعض الأحيان ، يبدو فى الذكرى مبرأ من جوانبه المظلمة وينبجس فى خيالى صورة مغرية جذابة • لقد عشنا هناك حياة هادئة ساكنة يا فارنكا ، أنا وصاحبة الدار ، تلك العجوز الشهمة الطيبة التى توفيت • هأنذا أعود فأشعر بالحزن حين أتذكر تلك العجوز • كانت امرأة ذات نخوة ، ولم تكن تتقاضى منى أجرا باهظا • كانت لا تنى تحيك أغطية بابر طويلة ، وتضمها بعضها الى بعض قطعة قطعة • كان ذلك شغلها الوحيد • وقد اشتركتنا فى نفقات التدفئة ، فكان فى وسعنا أن نعمل على منضدة واحدة • وكانت حفيدتها ماشا تعيش الى جانبها : لقد عرفتها طفلة ، ويجب أن تكون الآن فى الثانية عشرة من عمرها • كانت صبية « عفريته » لا تنقطع لحظة عن المرح ، وكانت تسلينا كثيرا • هكذا كنا نعيش نحن الثلاثة • وما أكثر ما كنا نتحلق حول المائدة المدورة فى ليالى الشتاء الطويلة نشرب الشاي

ثم مستأنف العمل • وكان يتفق للعجوز أن تتوقف عن الحياكة أحيانا • فتأخذ تقص على « العفريته » بعض الحكايات لتضمن بقاءها هادئة ساكنة • ما كان أجمل الحكايات التي تعرفها ! ان رجلا ناضجا عافلا يستطيع أن يصغى اليها بلذة لا تقل عن لذة الطفل • نعم ••• كان يتفق لى أن أشعل غليونى وأن أصيخ بسمعى الى هذه الأفاصيح حتى لينسنى ذلك عملى • أما الصغيرة ، عفريتها اللطيفة ، فنصبح ساهمة شاردة اللب ، وقد أسندت حدها المتورد على ذراعها الدقيقة ، وفتحت فمها الصغير الجميل ، حتى اذا أخافتها القصة فليلا شدت جسمها الى جسم العجوز شدا فويا • ما كان أعظم متعتنا بالنظر اليها ! وكنا من فرط استغراقنا فى بعض الأحيان لا نلاحظ أن الشمعة توشك أن تضحل ، ولا نسمع هبات الريح فى فناء الدار ولا اعصار الثلوج • كانت حياتنا ممتعة هنالك ، نحن الثلاثة ، يا فارنكا • فضينا معا فرابة عشرين عاما • ولكن هأنذا أثرثر خارج الموضوع •• لعل هذه الأمور لاتهمك • ثم ان هذه الذكريات تيرأسجاني وتجعلنى حزين النفس ، لا سيما فى هذه اللحظة ، ساعة العسق •• ان تيريز تذهب وتجيء ، والصداع يحطم رأسى ، وفى ظهري آلام أيضا • يضاف الى ذلك أن الخواطر التى تغزو فكرى غريبة ساذة ، وكأنها مريضه هى أيضا • أنا اليوم حزين يا فارنكا •• فى رسالتك تقطع تدهشنى يا صديقتى العزيزة • كيف تستطيعين أن تطلبى منى أن أجيئك زائرا ؟ ما عسى يقول الناس ، يا ملاكى الصغير ؟ هل فكرت فى هذا ؟ سيكون على أن أجتاز الفناء من أجل أن آنى اليك ، فيلاحظ جيرانا ذلك ، ويأخذون يطرحون الاسئلة تلو الاسئلة ، فيؤدى هذا الى ثرثرات ثم الى نمائم واشاعات ، لأنهم سيسئون تأويل العلاقات التى بيننا • لا ، لا ياملاكى الصغيرة ، الأفضل أن أراك غدا فى الكنيسة عند الصلاة فى الغروب • ذلك أقرب الى العقل والحكمة ، وأبعد عن المخاطر لنا كلينا ••• لا

تواحدى، ياماتوشكا ، على هذه الرسالة المضطربة المشوشة • لقد أدركت حين أعدت قراءتها اننى خبطت فيها خبط عشواء • ما أنا ، يا فارتكا ، الا رجل عجوز بلا ثقافة ! لم يتح لى أن أحصل فى صغرى قسطا كافيا من العلم ، وما فى مثل سننى يستطيع المرء أن يثقف نفسه : ففى هذه السن لا تدخل الأشياء رأس الانسان بسهولة • أنا. أعلم يا ماتوشكا أنتى غير حاذق فى فن الكتابة ، ولست أجهل ، دون أن ينهينى أحد الى ذلك ساخرا . مستهزئا ، أنتى لا أزيد على أن أراكم السخافات فوق السخافات حين أتقطع لكتابة عبارات أرفع قليلا ••• رأيتك اليوم فى النافذة ، رأيت كنت أسدلت الستارة • وداعا وداعا • أسأل الله أن يكلاًك برعايته ، وداعا يا فرفارا ألكسييفنا •

### صديقك المخلص

#### ماكار ديفوشكين

حاشية : لست أهجو أحدا يا صديقتى العزيزة • أنا رجل عجوز يا ماتوشكا ، يا فرفارا ألكسييفنا ••• وهل لعجوز أن يتسلى بأن يكون شريرا بغير داع ولا سبب ! ثم اننى لو فعلت لسخر الناس منى ، على حد قول المثل الروسى القديم « من حفر حفرة لغيره وقع فيها ••• » •

### عزيزى السيد ماكار ألكسييفتش

كيف لا تستحى يا ماكار ألكسييفتش ، يا صديقى الطيب ، يا من تحسن الى وتعم على ، كيف لا تستحى أن تعضب هذا الغضب كله وأن تستاء هذا الاستياء كله دون ما سبب ؟ هل صحيح أنتى جرحت شعورك ؟ والأسفاه ، انه ليتفق لى أن أكون طائشة قصيرة النظر ، قليلة التروى ، ولكن لم يخطر ببالى أبدا أنك ستحمل أقوالى محمل الغمز والسخر •

ثقب اننى لن أسمح لنفسي يوما بان أمزح في امر سنك وطبعك • ان مرد  
 هذا كله الى خفتي وطيشي ، ولا سيما الى الضجر الرهيب الذي أشعر  
 به ، الى السامة المضميه التي تاخذ بخناقى ••••• وانت تعلم الى اين يمكن  
 ان يدفع بالمرء ضجره وسامه • وكنت قد قدرت ، من جهتي ، انك انت  
 ايضا كنت تمزح في رسالتك • ولكنني حزنت حزنا شديدا بعد ذلك •  
 حين أدركت أنك استأت منى • لا يا صديقي الطيب ، يا من تحسن الى ،  
 وتعم على ، انك تخطيء اذا ظننتني عديمه الاحساس عافه فليلة الوفاء •  
 اننى فى اعماق قلبي أعرف كيف أقدر كل ما فعلته من أجلى ، حين  
 حميتى من الانرار ، حين نجيتى من اضطهادهم ومن بغضهم وكرههم •  
 لسوف أظل أدعو لك الله ما حيت ، فاذا وصل دعائى الى السماء واستجاب  
 الله له ، عشت سعيدا •

أشعر اليوم بأننى مريضة جدا • ان بى حمى تنخللها قشعريات •  
 فيدورا قلقة على أشد القلق • تخطيء اذا تخرجت من زيارتنا • هذا أمر  
 لا شأن لأحد من الناس به • أنت صديق لنا وكفى ••••• وداعا يا ماكار  
 ألكسييفتش • ليس عندي ما أقوله الآن غير هذا ، ولا أستطيع الآن أن  
 أكتب أكثر مما كتبت ، لأننى مريضة منعبة جدا • أرجوك مرة أخرى أن  
 لا تؤاخذنى ، وأن تثق كل الثقة بالاحترام الذي ستشرف بالشعور به  
 نحوك دائما خادمتك الوفية المخلصة :

فرقارا دبروزبولوفا

١٢ نيسان ( ابريل ) .

ماذا جرى لك يا ماتوشكا ؟ انك تسيين لى قلقا لا يهدأ ولا ينقطع ،  
 اننى أضرع اليك فى كل رسالة من رسائلى أن تعتنى بنفسك ، وأن

تندبرى بملابس دافئة وآلا تخرجى فى غير أيام الصحو وأن تكونى محاذرة فى كل أمر من الأمور ، ولكنك لاتريدين أن تطيعينى يا ملاكى الطيب ، حقا انك لطفلة يا حمامتى الصغيرة • ان جسمك ضعيف واهن ، انك أتبه بعصافه قش ، أعلم ذلك ، يكفى أن تهب عليك نسمة هواء حتى تمرضى • لذلك يجب أن تدارى نفسك ، وأن تراعى صحتك ، وأن لا تعرضى للخطر ، وأن لا توقعى أصدفائك فى الحزن والشجن والالام • تقولين لى يا ماتوسكا انك ترغين فى معرفة مجرى حياتى معرفة دقيقة صحيحة ، وفى معرفة كل ما يحيط بى • انه ليسعدنى أن أسارع الى تلبيه رغبتك يا صديقتى العزيزة • وسأبدأ بالبداية ، اذ لا بد من نبيء من الترتيب • هذا مدخل المنزل أولا : انه ملائم جدا ، والسلالم لا مأخذ عليها ، ولا سيما السلم الخاص بالسادة ، فهو نير واسع عريض ، لا يقع بصرك فيه الا على معدن وخبث من شجر الاكاجو • أما سلم الخدمة فمن الخير ألا أقول عنه شيئا : انه لولبى ، وهو الى ذلك رطب قدر ، ودرجاته مهشمة نصف تهشيم • يضاف الى هذا أن جدرانها تسلم من انطلائها بالدهن أن اليد تلتصق بها اذا هى استندت عليها • وعلى كل فسحة من فسحاته بقايا أثاث قديم ، فالحقائب والكراسى والحزائن مبعثرة فوضى ، والخرق البالية مشورة هنا وهناك ، وزجاج النوافذ محطم ، وفى الأركان صناديق ملأى أوساخا ونقايات وقشور بيض وأحشاء سمك • رائحة كريهة • الخلاصة : شىء ليس بالجميل جدا •

وقد سبق أن وصفت لك وضع الغرفة • لا مأخذ على الغرفة • انها مريحة جدا والحق يقال • ولكن المرء يشعر فيها بشىء من الاختناق • كيف أصف لك ذلك ؟ ليس معنى هذا ان الرائحة كريهة • غير أن المرء يحس بشىء من عفونة ، شىء من تنن حاد • فيضيق ذرعا بهذا الاحساس فى أول الأمر • ولكن هذا الاحساس ما يلبث أن يزول بعد بضعة دقائق

من المكوث فى المنزل ، دون أن يشعر المرء بزواله • ذلك أن الرائحة التى أحدثك عنها سرعان ما تنفذ الى الشخص نفسه • فإذا رائحته كلها هى هذه الرائحة نفسها ، فملابسه ، ويداه تصبح لها هذه الرائحة ذاتها . فلا يلاحظها بعد ذلك لأنه يألفها • البلايل تموت فى منزلنا واحدا بعد آخر • استرى الضابط البحار بلبلًا خامسا منذ قليل • ولكن هذه الطيور لا تستطيع أن تعيش فى هواء منزلنا • فى الصباح تمتلئ الدار بالدخان طبعًا ، وذلك حين يقلى اللحم أو يطبخ السمك • ثم ان أرض المنزل مبللة فى مواضع كثيرة ، بالماء تارة ، وبالمرق تارة أخرى • أما فى المساء فنزلنا جنة حقا • وهناك جبل فى المطبخ يعلق عليه غسيل عتيق • ولما كانت غرفتى غير بعيدة عن المطبخ ، او مجاورة للمطبخ ، فان رائحة هذا الغسيل تضايقتنى أحيانا • ولكن ذلك كله لا قيمة له • فان المرء يعتاده بعضى الزمن شيئا فشيئا •

ومنذ الساعات الأولى من الصباح يقوم المنزل ويقعد يافارنكا . الناس ينهضون ويسرون ويحدثون ضجة كبيرة • جميع الذين يجب أن يذهبوا الى العمل يسرعون • والآخرين يسنيقظون ايضا • وهم يشربون الشاي جميعا فى هذه اللحظة • وأباريق الشاي ( السماور ) تملك صاحبة البيت أكثرها ، ولما كان عددها قليلا ، فنحن نحسى الشاي واحدا بعد آخر • فإذا تقدم أحدهم بفتجانه قبل أن يجيء دوره تلقى لطمات تلو لطمات • وهذا ما حدث لى فى اليوم الأول ، لأننى لم أراع هذا النظام فيما يظهر ••• ولكن فىم الكلام على هذا الآن ؟ لقد تعرفت على جميع جيراني ، عقدت حديثا فى أول الأمر مع الضابط البحار • انه انسان صريح جدا حكى لى قصة حياته ، حدثنى عن أبيه ، عن أمه ، عن أخته التى تزوجت قاضيا من تولا ، ووصف لى مدينة كروشتاد . وعد بمساعدتى وحمايتى فى كل أمر ، ودعانى الى تناول الشاي فى غرفته • ذهبت اليه • انها

الغرفة التي اتخذت مقرا للعب بالورق في منزلنا • قدموا الى شئنا من الشئى ، وأرادوا أن يدفعونى الى مشاركتهم في اللعب دفعا • لا أدرى هل كانوا يسخرون منى آنذاك • ولقد ظلوا يلعبون طوال الليل بغير توقف • كان اللعب فى أوج استداده حين دخلت الغرفة : فما رأيت فى أول الأمر الا الطباشير وورق اللعب ، لأن الغرفة كانت ملاءى بدخان السجائر ، حتى لقد أحسست من ذلك بألم فى عيني • وحين رفضت أن أشاركهم اللعب وصفونى بأننى أتفلسف ، ثم لم يخاطبني أحد منهم بعد ذلك بكلمة واحدة ، والحق أن ذلك لم يسوءنى • لن أذهب اليهم فى المستقبل • هؤلاء أناس مقامرون لا يخطر ببالهم شئ غير القمار ، ولا يفكرون فى شئ غير هذا اللعب الذى يقوم على المصادقة • وفى غرفة الموظف فى الادارة الأدبية تعقد اجتماعات فى المساء أيضا ، ولكن كل شئ هنالك طيب محتشم برىء يفيض رهافة وذوقا وسموا •

يجب أن أذكر مع ذلك عابرا يا فارنكا ، أن صاحبة البيت امرأة شريرة بل ساحرة شمطاء • لقد رأيت تيريز • ان منظرها يثير الرحمة ويبعث على الشفقة حقا : انها من فرط هزالها تشبه أن تكون دجاجة مصدورة تتف ريشها • وفى البيت خادمان فقط : تيريز ، وفالدونى خادم صاحبة البيت • ربما كان له اسم آخر ، لكننى لا أعرفه ، لأنه ينادى بهذا الاسم دائما • جميع من فى المنزل ينادونه بهذا الاسم • انه أحمر اللون ، عجيب الجسم ، معقوف القامة ، أفطس الأنف ، شرس الطبع ، فظ الخلق ، لا ينسى يتشائم مع تيريز ، حتى ليصل الأمر بهما الى حد التماسك بالأيدى • بوجه عام ، لا أستطيع أن أقول ان حياتي هنا ممتعة من جميع النواحي ••• أما عن الليل ، فلا يتفق لى أبدا أن أستطيع النوم فورا فى هدوء وراحة • لا يخلو المنزل لحظة من ضجة تقوم هنا أو هناك ، فتارة يأتى الصخب من غرفة المقامرين ، وتارة ينبعث من أمور



اخرى نجرى هنا ويستحى المرء ان يرويها • لقد تعودت بعض السعود-  
الان ، ولكن يدهشني حقا ان يستطيع اناس لهم اولاد ان يعيشوا في هذا  
المكان الذي يشبه مدينة سودوم • ان هناك أسرة بكاملها من اليوساء قد  
استأجرت غرفة من صاحبة الدار • غير أن غرفتهم لا تقع الى جانب  
الغرف الأخرى • فهي في آخر الدهليز ، في ركن يشبه أن يكون  
منزلا • انهم اناس هادئون كل الهدوء ، لا يسمع لهم صوت فظ •  
يعيشون جميعا في غرفة واحدة شطروها بحاجز شطرين • يبدو أن  
الآب موظف بلا عمل ، صرف من الخدمة لسبب أجهله • اسمه  
جورشكوف • انه قصير القامة ، أشيب الشعر ، يرتدى ملابس تبلغ من  
القدارة والبلي ان منظرها يؤلم النفس • ملابسه خلقة بالية أكثر من  
ملابسي ، ان هيئته الرثة تبعث على الشفقة ، وتدل على انه مريض ( يتفق  
لى أن أصادفه في الدهليز ) • ركبته تصطكان ، ويده تترتشان ،  
ورأسه يرتجف ، كأن به مرضا خاصا • الله أعلم • وهو خجول شديد  
الخجل ، يخشى لقاء الناس ، ويمشي محاذرا لا يجب أن يلمحه أحد •  
أنا أيضا خجول ، ولكن هذا الرجل أشد خجلا مني • تتألف أسرته من  
امراة وثلاثة اولاد • أكبرهم صبي هو صورة أبيه ، لا يقل عنه نحولا  
وهزالا • أما المرأة فيبدو أنها كانت في الماضي على جانب من جمال  
ما يزال يلمح الى الآن ، ولكنها رثة الياق رثاة تنير الشفقة • وقد قيل  
لى انهم اقترضوا مالا من صاحبة البيت ، وهي فاسية عليهم غير لطيفه في  
معاملتهم • وسمعت أيضا أن جورشكوف يعاني من مصاعب هي سبب  
بطالته • الأمر أمر دعوى أو ملاحقة قضائية ، بل هو أمر تحقيق ادارى  
فيما يبدو • غرفتهم هادئة دائما ، تبلغ من الهدوء أن المرء لا يخطر  
بباله أن يكون فيها سكان • حتى الأطفال لا يتحدثون صخبا ، فما يسمعونهم  
أحد يصرخون أو يركضون ، وتلك علامة سيئة • لقد اتفق أن مررت-

أمام بابهم ذات مساء • كان ذلك فى لحظة هداً فيها المنزل على غير عادته •  
 فسمعت تأوهات كأنها دشيح مخنوق ، ثم سمعت همسات ، فنشيجا من  
 جديد • كان هناك أحد يبكى ولكن بصوت خافت مزق قلبى أسى وشفقة  
 وبض صدرى شجى وحزنا ، ثم لم تفارق صورة هؤلاء اليوساء خيالى  
 لحظة طول الليل ، ولم أستطع أن أنام الا بعد لآى •

الوداع يا صديقتى الغالية • يا صغيرتى فارنكا • لقد وصفت لك  
 حياتى كما استطعت • اتى لم أزد على أن أفكر فيك طوال النهار • قلبى  
 يتحطم يا عزيزتى الغالية حين استعرض الوضع الذى انت فيه • انك  
 تققرين حتى الى معطف تندرئين به ، أنا أعرف ذلك يا حياتى • آه من  
 ربيع بطرسبرج هذا ! • • آه من هذه الرياح وهذه الأمطار التى يخالطها  
 نلج ! • • • تلك لعنه يا فارنكا • هذا جو لا يطاق • وقانا الله شر هذا المناخ  
 الردىء • لا تؤاخذينى يا روحى ، يا صغيرتى ، اذا رأيت رسالتى  
 مضطربة هذا الاضطراب • ان أسلوبى ركيك يا فارنكا ، ركيك جدا •  
 ألا لىتى أجيد الكتابة بعض الاجادة • اننى أقول ما أقول عفو الخاطر • • •  
 لا هم لى من ذلك الا أن أسليك قليلا • • • ولو كنت قد تعلمت فى  
 صغرى اذن لاختلف الحال • ولكن أين كان فى وسعى أن أتعلم ؟ • • •  
 كنت أفقر من أن أستطيع الدراسة •

صديقك المخلص الوفى ، صديقك الى الأبد

ماكار دييفوشكين

٢٥ نيسان ( ابريل )

### عزيزى السيد مكار الكسييفتش !

التقيت اليوم بابنه عمى ساشا ، يا للهول ! انها تدلف الى الذبول والهلاك هي أيضا ؛ ولقد علمت كذلك من جهات مختلفة ان أنا فيودوروفنا ما تزال تسأل عنى وتستطلع أخبارى • ترى ألن تكف هذه المرأة عن تعذيبى واضطهادى ؟ هي تدعى أنها مستعدة أن تصفح عنى وتغفر لى ، أن تسمى الماضى ، وأن تأتى تزورنى بنفسها • وهي تؤكد أنك لا تمت الى باية قرابة ، وانها أقرب الى منك ، وانك لا تملك حق التدخل فى علاقاتنا العائلية ، وان من العار على بل من المشين لى أن أعيش على برّك واحسانك بقبولى معوتك المادية ••• انها تصفنى بأننى نسيت خيراتها على ، ونسيت الحيز الذى طعمته فى بيتها ، وهول انها أنقذتنا أنا وأمى يوم كنا نوشك أن نموت جوعا ، وانها آوتنا وأطعمتنا وأرهقت نفسها فى سيلنا طوال عامين ونصف عام ، وانها فوق ذلك كله قد أعفتنا من سداد المال الذى ندين لها به • انها لا تراعى حتى حرمة أمى ! آه لو استطاعت أمى المسكينة أن تعلم بكل ما صنعوه بى ••• وتدعى أنا فيودوروفنا أيضا اننى لم أعرف كيف أحافظ على سعادتى ، وان حماقتى هي السبب فى ذلك ، وأنها أرادت أن تسعدنى ، ولكنها غير مذنبه فى ماحدث بعد ذلك ، لأننى لم أعرف وربما لم أشأ أن أحمى شرفى وأدافع عنه • من المذنب اذن يارب ؟ انها تؤكد أن يكوف على حق تماما ، وأن الرجل لا يتزوج أول امرأة تعرض له • ولكن فيم أنقل اليك هذا الكلام ؟ انه ليشق على نفس المرء أن يسمع مثل هذه الأقوال الظالمة يا مكار الكسييفتش • لا أدرى ماذا يتسابنى الآن ، ان جسمى كله يرتعش ، واننى أبكى وأتجنب • أنفقت ساعتين فى كتابة هذه الرسالة

لك • كنت أحسب ان هذه المرأة ستعترف على الأقل بما ارتكبه من  
أخطاء في حقى ، فانظر كيف تتصرف الآن ! ناشدتك الله لا تقلق ولا  
تعذب نفسك يا صديقى ، يا صديقى المخلص الوحيد • ان فيدورا تبالح  
دائما : فما أنا بمريضة • كل ما فى الأمر ان بردا أصابنى أمس فسبب لى  
زكاما فيما كنت ذاهبة الى فولكوفو لحضور صلاة الموتى التى أقيمت احتفالا  
بذكرى أبى • لماذا لم تجيء معى ؟ ألم أتوسل اليك أن تجيء ؟ أماه ،  
أماه المسكينة ، ليتك تستطيعين أن تخرجى من قبرك فتعرفنى وترى  
ما صنعه بى •••

ف.د

٢٠ أيار ( مايو )

حمامتى ، عزيزتى الصغيرة فارنكا !

أبعث اليك بقليل من العنب يا يمامتى • يقال ان أكل العنب مفيد  
أثناء النقاهة ، ثم ان الطيب ينصح به ارواء للظما ، فكليه ارواء للظما  
وحده ؛ ولقد اشتبهت منذ أيام قليلا من الحبز الصغير الأبيض • فهأنذا  
أرسل اليك منه أيضا يا ماتوشكا • هل تشتهين الطعام يا حياتى ؟ هذا  
هو الأمر الهام • على كل حال لقد انتهى المرض والحمد لله ، انقضى ،  
وستزول جميع آلامنا زوالا تاما • فلنشكر لله نعماءه ، أما عن الكتب فقد  
استحال على أن أحصل شيئا منها حتى الآن • يقال ان فى منزلنا كتابا  
رائعا كتب بأسلوب جميل • يزعمون انه كتاب شائق جدا • لم يتح لى  
أن أقرأه • ولكنهم يمدحونه كثيرا هنا • وقد وعدونى به • ولكن هل  
ستقرئينه ؟ انتى أعرفك يا ملاكى ، وأعرف انك صعبة فى هذا المجال ،  
فليس يسهل الوصول الى ارضاء ذوقك دائما • لا شك انك تششدين

شعرا وآهات وغزلا . . . فليكن لك ما تريد . . . سأحصل لك على قصائد ، سأجد ما أنت في حاجة اليه . لقد رأيت في أحد الأماكن دفترا مليئا بقصائد شعر . حياتي ممتعة جدا . لا تقلقى على يا ماتوشكا ، أرجوك . ان ما روته لك عنى فيدورا ليس الا هذرا . قولى لها انها كذبت ، قولى هذا الكلام حتما لهذه النمامة . . . لم يخطر ببالى أبدا أن أبيع ردائى الجديد ، وعلام أبيعته ؟ فكرى فى الأمر ، ما حاجتى الى بيعه ؟ اننى سأقتضى مكافأة قدرها أربعون روبلا فيما يقال . فعلام أبيع ردائى والحالة هذه ؟ لا تقلقى يا ماتوشكا . فيدورا انسانة متشائمة ، تحمل كل شيء محمل الفاجعة والمأساة . لسوف نعيش سعداء يا يمامتى . شريطة أن تبلى من مرضك . ناشدتك الله الا أبللت . . . لا تحزنى رجلا عجوزا . من ذا الذى زعم لك أننى قد هزلت ونحلت ؟ باطل هذا الكلام ، باطل ، ان صحتى جيدة جدا ، حتى لقد سممت ، وبلغت من السمنة ما يجعلنى أخجل من نفسى . اننى أطعم متى جعت ، وأنا مسرور مبتهيج ، وعندى وفرة من كل شيء . المهم أن تبلى من مرضك يا ملاكى الصغير ! الوداع . الآن ! أعمر بالقبل أناملك الصغيرة وأبقى الى الأبد :

صديقك الوفى ، صديقك المخلص

ماكار ديفوشكين

حاشية : ما هذا الذى كتبه لى يا حياتى ؟ ذلك طيش يا عزيزتى ؟ كيف تراك تفكرين فى الأمر ؟ كيف يمكننى أن أكثر زيارتى ياماتوشكا الى الحد الذى تصورينه ؟ قد أستطيع زيارتك ليلا بحيث لا يرانى أحد . ولكن أين الليل فى هذا الفصل ؟ ثم اننى لم أكد أترك سريرك ، ياملاكى الطيب ، طوال مدة مرضك ، ولا سيما أثناء النيبوبة التى كنت فيها . اننى

لا أدري كيف استطعت أن أرتب أموري بحيث وصلت الى ذلك • ولكننى. آثرت أن أقطع زياراتي بعدئذ • لقد بدأ الناس يستطلعون ويلقون الأسئلة ، حتى لقد أخذت الألسنة تلوك بعض الاشاعات هنا • اننى أعتد على تيريز ، فهى امرأة كوم لا تفشى الأسرار • ولكننى أحكم اليك أنت يا ماتوشكا ، ما عسى يحدث اذا عرفوا كل شيء عن علاقاتنا ؟ ما عساهم يظنون وما عساهم يقولون ؟ عليك بالصبر اذن يا ماتوشكا ، وتجملنى بالشجاعة ، وانتظرى حتى تبلى من مرضك ، وبعد ذلك نرتب أمورنا بحيث نلتقى فى مكان خارج المنزل •

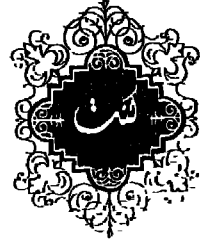
١ حزيران ( يونيه ) .

### عزيزى الغالى جدا ماكار الكسييفتش !

لرغبتى الشديدة فى أن أفعل شيئا يسرك ، جزاء ما تحملت فى سبيلى من عناء كبير ، وما عانيت من هم شديد ، وجزاء ما محضتتى من عاطفة صادقه ، فقد قررت أخيرا فى لحظة من فراغ أن أنبش دروج خزائنى لأعثر فيها على هذا الدفتر الذى أرسله اليك الآن ، والذى سجلت فيه بعض ذكرياتى • لقد بدأت كتابة هذه الذكريات فى عهد كان مايزال سعيدا من حياتى • لطالما سألتنى عن حياتى الماضيه وعن أمى وعن بوكروفسكى ، وعن اقامتى فى منزل آنا فيدوروفنا ، وعمما لقيت أخيرا من شقاء ، وقد بلغت من شدة شوقك الى قراءة هذا الدفتر الذى لايعرف الا الله كيف خطر ببالى ان أروى فيه قصة بعض ساعات حياتى ، انك

واجد في قراءته ربا لظمتك ما في ذلك ريب ؛ لذلك أبعث به إليك •  
أما أنا فقد شعرت بحزن شديد حين أعدت قراءته • يخيل إلى أن سني  
قد تضاعفت مرتين منذ كتبت آخر سطر من سطورهِ إلى الآن • إن الشاعر  
التي يتحدث عنها هذا الدفتر قد سجلت في فترات مختلفة • وداعا ياما كار  
الأكسيقتش • اتنى أشعر بسأم شديد وضجر رهيب ، وكثيرا ما أظلم  
مسعدة طوال الليل لا يعرف جفنى سيلا إلى النوم • ألا إنها لنقاة  
حزينة شجية •

ب. د



فد أتمت الرابعة عشرة من عمري حين مات ابي •  
 كانت طفولتي أسعد فترات حياتي • لقد بدأت  
 طفولتي في مكان بعيد عن هنا ، بعيد عن هذه  
 المدينة • بدأت في مقاطعة نائية من الريف • كان  
 أبي ناظرا على أملاك الأمير ب ، في حكومة ت • كنا نعيش في قرية من  
 تلك القرى التي يملكها الأمير ، وكانت حياتنا في تلك القرية تجري على  
 هون هادئة سعيدة ••• كنت عندئذ صبية جملة النشاط كبيرة الحركة ،  
 أفضى وقتي راكضة بين الحقول ، مطّوفة في الغابات والآجام ، أو متنزهه  
 في الحديقة • ولم يكن أحديهم يبي أو يلتفت اليّ •• فأبى دائم الانصراف  
 الى أعماله وأمي تستغرق عنايتها بالمنزل وقتها كله • ما كانوا يعلمونني  
 شيئا ، بل كانوا يدعونني وشأني حرة طليقة ، وكنت سعيدة بذلك كل  
 السعادة • وكان يتفق لي في بعض الأحيان أن أهرب من البيت في ساعة  
 مبكرة من الصباح فأمضي الى الغدير أو الى الغابة، أو أذهب أرى الأعلاف،  
 أو أجرى الى الحصادين أختلط بهم وأشاركهم عملهم ، غير عابثة بالشمس  
 التي تحرفني غير خائفة أن أضل طريقى اذا ابتعدت عن القرية ، أو أن



تخدشني أشواك العوسج وأن تمزق ثوبي • ولهذا كانوا يؤنبوني  
ويقرعونني حين أعود الى البيت ، فلقد كنت لا أبالي ذلك ولا أحفل به •  
يخيل الى أنني لو أتيت لي أن أبقى في الريف طول حياتي وأن  
أعيش في ذلك المكان عمري كله لكنت سعيدة كل السعادة • ولكنني  
اضطرت أن أترك تلك المراتح الجميلة العزيزة على نفسي وأنا ما أزال  
طفلة • كنت في الثانية عشرة من عمري حين سافرنا الى بطرسبرج •  
ما أشد الحزن الذي أشعر به الآن حين أتذكر استعداداتنا الشاقه الاليمة  
للسفر ! ما أكثر ما ذرفت من دموع حين ودعت كل ما كان حبيبا لي  
قلبي ! أذكر انني ارتيمت على عنق أبي أضرع اليه والدموع تترقرق  
في عيني ، أن يدعني في القرية بعض الوقت • فغضب مني أبي ، وأخذت  
أمي تبكي ، وقالت لي ان سفرنا أمر لا بد منه ، فأعمالنا توجهه وتقضيه ،  
فلا مناص من السفر • لقد مات الأمير المعجوز ب ، ففسخ وراثته العقد  
الذي كان مبرما بينه وبين أبي • وكنا نملك شيئا من مال عهد به أبي الى  
بعض الأفراد في سان بطرسبرج • ولما كان يأمل أن يحسن وضعه ،  
فقد رأى أن من اللازم أن يسافر الى تلك المدينة بنفسه • ذلك كله فد  
علمته من أمي • واستقر بنا المقام على الشاطئ الأيمن ، ولبنا مقيمين  
هنالك الى أن مات أبي •

لشد ما لقيت من عناء حتى أتلاءم مع حياتنا الجديدة • وصلنا الى  
سان بطرسبرج في أوج الخريف • كان الجو في القرية يوم غادرتها  
رائعا ، فالهواء رائق ، والمناخ دافئ ، والشمس مضيئة • وكانت أعمال  
الحصاد تشارف على النهاية • فيادر القمح تتجمع أكواما كبيرة ، وأسراب  
الطيور تحوم حولها مزققة • كان كل شيء يبدو مرحا فرحا ينبض  
سعادة • حتى اذا وصلنا سان بطرسبرج استقبلتنا الأمطار وصقيع الخريف  
والضباب والوحل وهذا الجمهور من الناس الذين لا يعرفهم يجرون في

الشوارع عابسين مقطعين مزورين مستائين ، واستقررنا كيفما اتفق . . . ما زلت أذكر كيف كنا فى الأيام الأولى نذهب ونجىء بغير توقف ولا انقطاع اذ كان علينا أن نهيبء مسكننا الجديد .

كان أبى فى خارج البيت دائما ، وكانت أمى لا تملك من وقتها دفيقة واحدة ، ونسيت أنا نسيانا تاما . ماأشد الحزن الذى اعترانى حين نهضت من نومى بعد الليلة الأولى التى قضيناها فى منزلنا الجديد ! ان توافد المنزل تطل على سياج أصفر اللون ، والشارع فذر دائما ، لا يمر به الا قليل من الناس ، وهم يرتدون جميعا ثيابا دافئة ، ويظهر فى وجوههم أنهم مقرورون .

وفى منزلنا يرين الضجر وتسود الكآبة من الصباح الى المساء . لم يكن لنا أصدقاء أو أقرباء . أما أنا فيدوروفنا فكان أبى تشاجر معها ( كان يدين لها بمبلغ من المال ) ، وكثيرا ما كان يجيئنا زوار لأعمال ، فكان هؤلاء الزوار يحملون الى المنزل شجارا وصياحا وزعيقا . وكان أبى بعد كل حديث من الأحاديث التى تجرى بينه وبينهم يصبح مكفهر الوجه سريع الغضب ، ولا يبنى يسير من أول الغرفة الى آخرها ذاهبا آيبا ساعات طوالا ، وقد قطب حاجبيه ، وصمت صمتا مطبقا لا يتجه الى أحد بكلمة . وكانت أمى لا تجرؤ أن تخاطبه فى مثل تلك اللحظات ، فهى تلزم الصمت ولا تبس بحرف . وكنت أنا أجلس فى ركن مع كتاب من الكتب ، لا أتحرك مخافة أن ألفت الانتباه اذا أنا تحركت .

وبعد وصولنا سان بطرسبرج بثلاثة أشهر أدخلت مدرسه داخلية فما أشد ما شعرت به من حزن فى أول الأمر بين غرباء ! كان كل سبىء يبدو لى هنالك باردا معاديا . فالمرقيات لا يزدن على أن يصحن طول الوقت ، والبناات لا ينقطعن عن الاستهزاء بى والسخر منى ، وأنا بين هؤلاء وأولئك فى تلك الآونة متوحشة شديدة التوحش . انهن قساء عتاة،

..يندفعن الى التوبخ والتريخ لأتفه الأمور وأيسر الأسباب • وكل شيء  
 ..يجرى هنالك على نظام دقيق ومواعيد ثابتة جامدة • والطعام مشترك  
 ..والأساتذة مملون مضجرون • شعرت في الأشهر الأولى بأننى مصعوقة  
 ..كأنتى أسحق سحقا • أصبحت لا أستطيع أن أنام • وكان يتفق لى أن  
 ..أظل أبكى طوال الليل ••• وكانت الليالى تنقضى طويلة كتيبة باردة •  
 ..مازلت أرانى فى بعض الأيامى ، ساعة تحضّر التلميذات دروسهن للغد،  
 ..يجالسنه أمام دروسى لا أجرؤ أن أتحرّك ، وقد انصرف ذهنى الى غير  
 ..ذلك ، ورحت أفكر فى منزلى ، فى أبى ، فى امى ، فى مرضعتى العجوز،  
 ..فى الحكايات الجميلة التى كانت تقصها على ••• آه ما أشد الحزن الذى  
 ..كان يتنابنى فى تلك اللحظات ! ان أيسر أمر من الأمور التى لها صلة  
 ..بجياتى فى المنزل كان يبدو لى جميلا أخذا حين أتذكره فجأة • كنت  
 ..أحلم قائلة لى نفسى : ما أجمل الحياة فى منزلنا الان ! ما أجمل أن أكون  
 ..الآن مع أهلى فى الحجره الصغيره أمام السماور ! ما أجمل ان أوبل امى  
 ..قبلات حارة وأن أشد جسمى إليها شدا قويا ! هكذا كنت أحلم ثم أطفق  
 ..أبكى من الحنين بكاء صامتا ، فأخفق النسيج لا أدع له أن ينطلق من  
 ..صدرى • ولم أكن أستطيع أن أحفظ دروسى ••• « لن أستطيع الاجابة  
 ..غدا اذا ألقى على الاستاذ سؤالا ، وكنت أظل أحلم طول الليل بالاستاذ،  
 ..و « المدام » والبسات ، وأكرر دروسى وأنا نائمة ، حتى اذا جاء الغد  
 ..ودخلت الصف رأيتنى لا أعرف شيئا ولا حفظت شيئا • فكنت أعاقب  
 ..بالركوع والحلمان من الطعام • وصرت فتاة حزينه أشد الحزن ، برمة  
 ..بالحياة أشد البرم • كانت التلميذات فى أول الامر يهزأن بى ويسخرن  
 ..منى ، ويماحكننى ، ويسلين ببث الاضطراب فى نفسى حين أتلو دروسى،  
 ..ويقرصتنى حين نصطف لنذهب الى الغداء أو العشاء ، ويشكىتنى الى  
 ..الناظرة بغير ذنب اقترفته وبغير داع الى ذلك • وفى مقابل هذا ، ما كان

أروع الجنة التي أحس أنني أدخلها حين كانت تجيء إلى مرضعتي في مساء يوم السبت لتقودني إلى المنزل ! كنت أكاد أختق وأنا أضمها إلى صدرى فرحا ... يا لها من عجوز رائحة ! ... كانت تلبسنى نيايبى ، وتدثرنى بما يقينى البرد ، ثم تتحمل عناء كبيراً من أجل أن تستطیع مجاراة خطواتى فى الشارع بينما أنا أثرثر بغير توقف قاصة عليها جميع تفاصيل حياتى . وكنت أصل معها إلى البيت فرحة مرحة سعيدة ، فأقبل أهلى مندفعة أشد الاندفاع كأننى لم أرهم منذ عشر سنين . ويأخذ الجميع يتكلمون ويسألون ويحكون . وأخذ أحبيهم واحداً واحداً ، وأضحك مقهفها ، وأركض هنا وهناك ، وأقفز وأتواذب فى كل ركن من أركان الغرفة . وكان أبى يسألنى فى أمور هامة ، ويكلمنى عما أحرز من تقدم فى اللنة الفرنسية ، وعن كتاب قواعد اللنة الفرنسية ( من تأليف لومون ) . فكنا نشعر فى مثل تلك الأمسيات بكثير من الفرح والبهجة . ما زلت حتى اليوم أعتبط حين أستحضر هذه الذكريات . كنت أبذل قصارى جهدى من أجل أن أنتج فى دراستى ارضاء لأبى . كنت أرى انه ينفق فى مسيلى آخر ما يملك من دريهمات ، مع أن حالته المالية كانت تتدهور وتتعد . وكان هو يزداد عبوساً وتجهماً يوماً بعد يوم ، ويزداد سرعة إلى الاهتياج والغضب والحلق ، حتى فسد طبعه وساء مزاجه تماماً . كانت ديونه تتكاثر تكاثراً رهيباً . ان أمى تخشى فى بعض الأيام أن تبكى مخافة أن تزيده اهتياجاً ، بل انها تمتنع حتى عن الكلام ، وسرعان ما أصبحت تبدو مريضة ، فهى تهزل هزالاً واضحاً ، وهى تسعل سعالاً سيئاً لا يخطيء المرء تفسيره . وكنت فى تلك الفترة حين أجيء من المدرسة الداخلية زائرة أهلى ، لا أرى الا وجوها حزينة : أمى تبكى فى رفق وهدهوء ، وأبى يثور ويفضب . وأصبحت هذه الزيارات لا تشتمل الا على ملامات وتقريعات . فأبى يصرح بأننى لا أحل إليه أى فرح أو أى عزاء ، ويقول

لانهما ، هو وأمي ، يجرمان نفسيهما من كل شيء في سبيل تعليمي ، ثم أنا لا أتعلم الكلام باللغة الفرنسية ! الخلاصة ان أبي أصبح يلقي علي ظهرنا ، انا وأمي ، تبعة كل ما يلقي من ضروب الاخفاق ، وكل ما يعانى من صنوف الشقاء . كيف كان يستطيع أن يعذب أُمِّي هذا التعذيب كله ؟ كان قلبي يتمزق تمزقا حين أنظر اليها في بعض الأحيان ! لقد خسف خداها وغارب عيناها وأصبح لون وجهها ينم عن مرض السل . ولكن غضب أبي كان ينصب عليّ أنا خاصة : بدأ في أول الأمر من أجل أمور تافهه ، ثم لا يزال يشتد ويشتد الى أن يبلغ أقصى حدود الغيظ والحق . حتى لقد كنت في بعض الأيام لا أفهم ما الذي يحقّه هذا الحق كله . ما أعجب ما كان يسمعي من كلام في مثل تلك المناسبات ! كان يقول ان تعلمي اللغة الفرنسية لا يسير سيرا حسنا ، وانتى غيبه بلهاء ، وان مديرة مدرستا الداخلية ليس في رأسها دماغ وانها لا تعنى بتربية أخلاقنا وتهذيب نفوسنا ، وانه - أي أبي - يبحث عن عمل فلا يجد عملا ، وان كتاب قواعد النحو ( من تأليف لومون ) لا يصلح ، وان كتاب زابولسكى يفضله كثيرا ، وان الأسرة تنفق المال في سبيل تعليمي سدى ، وانتى ابنة ليس لها احساس حتما ، فقلبي قد قدّ من صخر . . . والحق انتى كنت أبذل فصارى ما أملك من جهد في تعلم دروسى ، ولكن هذا لا يمنع أبى من أن يعدنى مسئولة عن جميع أنواع الشقاء التى تحيق بالأسرة ، وان يرانى مذنبه آئمة في كل شيء . ليس معنى هذا ان أبى لم يكن يحبنى . فلقد كان يحيا من أجلى ومن أجل أُمِّي ، ولكن طبعه أصبح على هذه الحال وأسفاه ! كانت الهموم والأحزان وضروب الاخفاق تأكل نفس أبى وتهدمها تهديما رهيبا . أصبح كثير الشك ، شديد الوسواس ، سريع الغضب . وكانت تمر به في كثير من الأحيان حالات هى الى اليأس أقرب . وأخذ يهمل صحته ، وأصابه برد في أحد الأيام ، فسقط مريضا على حين

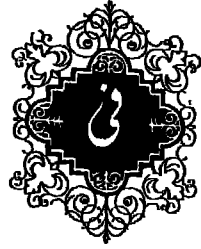
فجأة • ولم يطل مرضه ، فما هي الا أيام حتى خطفه الموت بغتة على غير توقع ، فصعقنا ذلك صعقا ، ولبتنا آيما لا نفيق من ذهول هذه الضربة التي نالنا بها القدر • وما ان انطقت روح أبى ، حتى تكاثرت الدائتون كأنهم يخرجون من تحت الارض ، واخذوا يتوافدون على منزلنا أقواجا ، فاضطررنا ان ندع لهم كل ما كنا نملك ، اضطررنا أن نبيع الدار الصغيرة التي اشتراها ابى على الضفة اليمنى. بعد اقامتنا فى بطرسبرج بستة اشهر • لا أدرى كيف استطعنا ان ندبر أمورنا فيما عدا ذلك ، ولكننا اصبحنا بلا مسكن ، بلا مأوى ، بلا ما يقيم الأود • وكان المرض ما ينفك يضىنى أمى • وكان يستحيل علينا أن نغذيها بما يقوى جسمها ويحميها من الموت • كنا لا نملك ما يطعمنا من جوع •• كنا أمام هاوية •• وكنت أنا قد بلغت الرابعة عشرة منذ قليل • وفى تلك البرهة انما جاءت الينا أنا فيدوروفنا فقالت : انها تملك أطيانا وأنها تمت الينا بعض القربى • وكانت أمى تقول ان بيننا وبين آنا فيدوروفنا قربى ، ولكنها قربى بعيدة • لم تكن آنا فيدوروفنا قد زارتنا يوما أثناء حياة أبى • وهى تزورنا الآن مؤكدة ، والدموع فى عينيها ، أن مصيرنا يهمها كثيرا بل يقض مضجعها وراحت تبكى منتجة على ما أصابنا من خسران ، وعلى ما آل اليه حالنا من شقاء ، مضيئة الى ذلك أن أبى كان سبب ذلك كله ، فقد أراد أن يعيش فى مستوى لا يناسب موارده ، وكان كثير الطموح مسرفا فى الاعتماد على قواه الخاصة • وأعربت عن رغبتها فى أن تعرفنا مزيدا من المعرفة ، واقترحت أن ننسى الجروح القديمة • فلما قالت لها أمى انها لم تشعر نحوها بشيء من العداوة فى يوم من الأيام ، مسحت آنا فيدوروفنا عينيها بمنديلها ، ثم قادت أمى الى الكنيسة فأمرت بصلاة على روح أبى المسكين . ( كذلك قلت ) وتصلحت مع أمى على هذه الصورة من الفخامة والأبهة • وبعد انواع من المواعظ والارشاد ، وبعد سلسلة طويلة من ابداء

الآراء واسداء النصائح ، صورت لنا آنا فيدوروفنا الوضع اليأس الذي نحن فيه بألوان حية وتهاويل صارخة ، مبرهنةً على آنا مهجورون عاجزون، لا أمل لنا في الخروج من المأزق ، ثم دعتنا الى أن نلجأ الى دارها على حد تعبيرها ، فشكرت لها أمي ذلك ، ولكنها ترددت طويلاً • ومع ذلك أدركت أمي انه ليس هنالك حل آخر ، وان ليس هنالك مخرج غير هذا المخرج. فأعلنت لآنا فيدوروفنا اتنا تقبل دعوتها ناكريين ممتين • ما زت أذكر صباح تركنا منزلنا الى حي فاسيليف ، كأن ذلك حدث بالامس • كان صباحاً من أصباح الخريف مضيئاً جافاً صافياً •

كانت أمي تبكي ، وكنت انا أشعر بحزن رهيب واحس أن قلبي يوشك أن يتمزق في قلبي ، واحس بكأبة ثقيلة تجتم على صدري ، كأبة توشك أن تكون نبوءة لا تفسير لها ولا تعليل •• لقد كانت فترة أليمة ••

.....

.....



الأوقات الأولى، أيامَ لم نكن قد ألقنا بعد أنا وأمي مسكننا الجديد، كنا نحس عند أنا فيدوروفنا بكير من الضيق والغم • كانت أنا فيدوروفنا تعيش في منزل تملكه بالحي السادس ، وهو مبنى يتألف كله من خمس غرف ، تحتل أنا فيدوروفنا منها ثلاثة هي وساشا ابنة عمي الصبية اليتيمة التي ليس لها أب ولا أم ، والتي كانت أنا فيدوروفنا قد ضمتها إليها ؟ ونحتل نحن الغرفة الرابعة • أما الغرفة الأخيرة ، المجاورة لغرفتنا ، فكان يسكنها طالب فقير اسمه بوكروفسكى ، استأجرها من أنا فيدوروفنا • كانت مضيقتنا تعيش حياة عريضة ، وكانت تبدو أغنى كثيرا مما كنا نظن قبل ذلك • ولكن مصدر مواردها ظل لغزا بالنسبة إلينا ، كسائر مشاغلها التي لا نعلم عنها شيئا من جهة أخرى • انها في حركة دائمة لا تنقطع ، يبدو أن لها مشاغل مستمرة ، فهي تخرج من المنزل أو تتركب العربة مرات في اليوم • أما ماذا كان نشاطها، وبماذا كانت تهتم أو بمن كانت تهتم ، فذلك أمر لم أستطع أن أعرفه • وكانت علاقاتها كثيرة متنوعة • ففي كل لحظة من اللحظات يجيئها ناس ، لا يعلم الا الله من هم ، يجيئونها لأعمال ولا يمكنون الا لحظات •



كانت أمي تفودني الى غرفتنا متي رن جرس باب المدخل • وكان موقف أمي هذا يسوء انا فيدوروفنا ، فهي لا تنفك تكرر أتنا مسرفون في التكبر ، وأنا أكثر زهوا وصلفا مما يسمح به وضعنا وتبيحه أحوالنا، وهي ما تنفك تضيف الى ذلك قولها « وليت هنالك ما يدعو الى التكبر والعجرفة » ، وتسترسل في حذقات لا أول لها ولا آخر • لم أكن افهم يومئذ معنى هذه الملامات التي تاخذ علينا الكبرياء والغرسة • ولكنني أفهم ذلك اليوم أو أحزر السبب الذي جعل أمي تتردد ذلك التردد كله قبل أن ترضى السكنى عند انا فيدوروفنا •

كانت آنا فيدوروفنا امرأة سيئة • كانت تسومنا سوء العذاب بغير ماقطاع • تطلقت معنا أول الأمر ، ولكن طبعها لم يلبث أن ظهر على حقيقته سافرا ، منذ لاحظت أننا لا نملك أن ندافع عن أنفسنا اطلاقا ، وأنا لا نعرف أين نذهب • وزاد تطفها معي فيما بعد ، فكان تطفنا مزعجا ، مفرطا ، يذهب في المبالغة الى حد التملق • ولكنني في الاشهر الاولى تعذبت مثلما تعذبت أمي ، اذ كانت آنا فيدوروفنا لا تكف عن تهرينا لحظة من اللحظات ، وتذكرنا باحسانها الينا وتعطفها علينا في كل مناسبة من المناسبات • وكانت تقدمنا الى الغرباء على انا من ذوى قرباها الفقراء : أرملة وابنتها ، لا سند لهما في هذه الحياة ، ضمتهما اليها من باب الشفقة الانسانية والبر المسيحي • فاذا جلسنا الى المائدة رافبت كل لقمة نأكلها ، حتى اذا لم نأكل كانت لها معنا قصة أخرى ، فهي تأخذ تسفها عندئذ مدعيه انا نحقر ما يؤكل في بيتها عادة ، فائلة : « انها لا تستطيع أن تطعمنا غير ما تملك ، وانها تمنى لو تقدر أن تأكل هي نفسها خيرا مما نأكل » ، ولا يفوتها عندئذ أن تهجم على أبي فقول انه كان يحسب نفسه أعلى قدرا من الناس ، وانه لذلك انتهى الى ما انتهى اليه من سوء ، وانه ترك امرأته وابنته بلا موارد ، فليولا أن أسعفنا الحظ فتداركتنا قربة

كريمة سخية ذات روح مسيحية رحيمة شقوف اذن لنفقنا جوعاً ،  
 فى أحد الشوارع ، والله أعلم . • كنا نصغى الى كلامها لابرارة فحسب ،  
 بل باشمزاز أشد من المرارة • وكانت أمى لا تكف عن بكاء • وكانت ،  
 صحتها تزداد سوءاً يوماً بعد يوم • كان واضحاً انها تدوب وتفنى ، وكان  
 علينا مع ذلك أن نعمل من الصباح الى المساء • فلقد سعينا الى أن نوصى ،  
 بخياطة بعض الثياب من خارج المنزل ، وكان هذا يسوء أنا فيدوروفنا كثيراً ،  
 فما تفك تردد أن بيتها ليس صالون آزياء • ولكن كان لا بد لنا من كسب  
 ما يكسونا ، وكان لا بد لنا من ادخار بضعة قروش لما قد يقع من طوارئ  
 ليست فى الحساب • لقد صممنا تصميماً جازماً على أن نملك بعض المال  
 لأنفسنا • فكنا ندخر شيئاً كلما استطعنا الى ذلك سبيلاً ، أملاً فى أن يشجع  
 لنا ذلك أن نترك هذه الدار ونمضى نستقر فى مكان ما ، فكانت قوى أمى ،  
 تهتك من هذا العمل ، فهى تزداد هزلاً ونحوها فى كل يوم : كان المرض  
 يقضم حياتها كالسوس ، ويسير بها نحو القبر خطوة بعد خطوة • كنت  
 أرى ذلك وكنت أحس ذلك ، فما كان أشد ألمى وعذابى ! كان ذلك كله  
 يجرى على مرأى منى ، والأيام تتلاحق متشابهة رتيبة حزينة ، ونحن  
 نعيش فى عزلة تامة ، كأننا انفصلنا عن المدينة ، فلسنا منها • وهذأت أنا  
 فيدوروفنا بعض الهدوء ، اذ شعرت بكمال قدرتها وتمام فونها سعوراً  
 مليئاً • ولم يكن ليدور فى بال أحد أن يعارضها على كل حال • وكان  
 الدهليز يفصل غرفتنا عن الغرف التى تسكنها ، وكان جارنا هو الطالب  
 بوكروفسكى كما أسلفت • كان بوكروفسكى يعطى ساسا دروساً فى  
 الفرنسية والالمانية والتاريخ والجغرافيا ، كان يدرّسها جميع العلوم على  
 حد تعبير أنا فيدوروفنا ، لقاء سكناه وطعامه فى الدار بالمجان • وكانت  
 ساشا على جانب عظيم من الذكاء ، رغم انها كثيرة الحركة سديده الخبث  
 والمكر • • • كانت أيامئذ فى الثالثة عشرة من عمرها • قالت أنا فيدوروفنا

لامى ذات يوم ان من المستحسن أن أتفع أنا بهذه الدروس ، لأن القسط الذى نلته من التعليم فى المدرسة الداخلية لا يكفى . فقبلت أمى ذلك راضية فرحة ، فدرست مع بوكروفسكى وساشا سنة كاملة . ان بوكروفسكى شاب فقير شديد الفقر ، لم تتح له صحته أن يتابع دراسته متابعة منتظمة مطردة ، واذا كان لا يزال يسمى طالبا فمن فيل العادة .

انه يعيش حياة متواضعة منزوية صامته ، حتى أننا لم نسمع صوته يخرج من غرفته يوما . وكان يبدو غريبا : فهو يمشى مشية رفلاء ، ويحى تحية خرقاء ، وانه خجول شديد الحجل ، فاذا تكلم تكلم على نحو عجيب يلفت النظر ويثير الدهشة . كنت فى أول الأمر لا أملك الا أن أضحك حين أنظر اليه . وكانت ساشا تكيد له وتمكر به وتدبر له « المقلب » ، ولا سيما أثناء الدروس . وكان هو الى ذلك سريع التأذى شديد الاهتياج ، ما يلبث أن يغضب وأن يزعل ، خارجا عن طوره لأنفه الأسباب ، صارخا ماضيا يشكونا الى أهلنا من حين الى حين ، عائدا الى غرفته يجلس نفسه فيها قبل أن ينتهى الدرس . وكان ينفق وقته فى غرفته قارئا كتباً . فقد كان يملك عدداً كبيراً من الكتب ، بل كان يملك كتباً غالية الثمن نادرة . ان الدروس القليلة التى يعطيها لبعض التلاميذ فى المدينة تدر عليه شيئا من مال ، فما ان يتقاضى أجره حتى يسارع الى شراء كتب .

واستطعت مع الزمن أن أعرفه على حقيقته . ان له قلبا من ذهب . انه فتى جدير بأعظم الاحترام . انه خير رجل أتبع لى أن ألقاه فى هذه الحياة . وكانت أمى تقدره كثيرا ، وقد أصبح بعد ذلك خير صديق لى بعد أمى طبعاً .

أنا أيضا ، رغم اننى أصبحت فناة كبيرة ، كنت فى أول الأمر أتسلى مع ساشا باغاظته . كان ينفق لنا أن نقضى ، أنا وابنة عمى ، ساعات برمتها

نكد ذهننا فى تخيل طريقة نستطيع بها ان نناكده مزيدا من المناكدة وان نخرجه عن طوره • انه يصيح مضحكا جدا حين ينفجر غاضبا ، فكان ذلك يسلينا كثيرا ( انى لاسعر اليوم بالعار وانا اعترف بذلك ) • وفى ذات يوم مضينا بآمازيحنا السخيفة الى حيث راينا الدموع تترفق فى عينيه ، وسمعناه يقول مدمما «أطفال شريرون» • فلما سمعته يقول هذه الكلمات شعرت فجة بخجل شديد ، واحسست بالعار ، واتقبض صدرى ، واهتزت نفسى سفقة عليه • أذكر أن وجهى تخضب يومئذ بحمرة فانية حتى الأذنين ، وتوسلت اليه شبه باكية أنا أيضا أن يهدىء روعه وأن لا يؤاخذنا على آمازيحنا السخيفة • ولكنه طوى الكتاب فجة قبل أن ينتهى الدرس ومضى يعتكف فى غرفته • ظللت نهارى كله معذبة من تأنيب الضمير وألم الندامة ، لا أطيق أن أتصور أننا ، نحن الطفلتين ، قد دفعناه بقسوتنا الى البكاء دفعا • اذن لقد كنا نتنظر أن نرى هذه الدموع ••• اذن لقد كنا تمنى أن نرى هذه الدموع ••• اذن لقد اشتهينا أن نراه باكيا ••• واستطعنا أخيرا أن نفقده صبره ••• لقد حملناه بالقوة ، هو التعس البائس ، على أن يزداد شعورا بحظه الشقى وقدره الظالم • لم أستطع سيلا الى النوم ليلتى كلها ، من فرط الأسف وشدة الحزن وعذاب الضمير • يقال ان تأنيب الضمير يخفف عن النفس ••• ألا ان هذا لخطأ تماما ••• ولقد خالط حزنى شىء من الشعور بأن كبريائى قد جرحت ••• لقد أعاظنى أنه عدنى طفلة • وكنت يومئذ فى الخامسة عشرة من عمري •

يجب أن أقول الآن بضع كلمات عن هذا الانسان الذى كان بين من لقيتهم فى حياتى من الرجال أغربهم وأدعاهم الى العجب وأبعثهم على الشفقة • ولئن كنت أتكلم عنه هنا ، فى هذا الموضع بعينه من مذكراتى ،

فلأنتى لم ألق اليه بالا الى ذلك الحين • غير أن كل ما يتصل بوكروفسكى،  
أخذ يعينى بين عشية وضحاها •

كنا نلمح فى بيتنا أحيانا عجوزا قصيرا رث الثياب قدر المنظر أشيب  
الشعر هزيل الجسم أخرق الحركات ، عجيبا الى حد يعجز عن وصفه  
الكلام ، يوحى الى من يراه من أول نظرة انه خجل من شيء ما أو انه  
مرتبك بنفسه ضيق الذرع بشخصه ، فكأنه يجعد جسمه ويلويه عامدا  
حتى لا يراه أحد • وهو الى ذلك يقوم بإشارات وحركات من تلك  
الاشارات والحركات التى يقدر من يراها أن صاحبها أصبح لا يملك  
عقله كاملا • كان هذا العجوز العجيب يصل أحيانا الى منزلنا ، فيتلبث  
فى الدهليز أمام الباب الزجاجى دون أن يجرؤ على الدخول • حتى اذا  
مر أحد منا قرب ذلك المكان - أنا أو ساشا أو خادم يعرف العجوز انه  
لا يكرهه - حيا صامتا بحركة من رأسه ، وقام بإشارات شتى من يده ،  
ثم لم يدخل الا اذا نودى بنمزة تعنى أن ليس فى الدار غرباء وأن فى  
وسعه أن يدخل : فكان العجوز القصير يشق الباب عندئذ فى رفق ، وقد  
تهلل وجهه وانفرج فمه بإبتسامة سعيدة وأخذ يفرك يديه احديهما  
بالأخرى غبطة ورضى ، ثم يتجه الى غرفة بوكروفسكى رأسا • انه أبوه •  
لقد عرفت بعد ذلك تفاصيل قصة هذا العجوز الفقير • لقد خدم فى الماضى  
فى مكان ما : ولكنه لشدة غيائه وتفاهه شخصيته قد ظل الى النهاية فى  
وظيفة وضيعة • حتى اذا ماتت زوجته الأولى (والدة الطالب بوكروفسكى)  
خطر بباله أن يتزوج مرة أخرى ، فتزوج فتاة من طبقة صغار  
البورجوازيين • فما دخلت المرأة الجديدة منزله حتى انقلب المنزل رأسا  
على عقب ، فهى لا تترك أحدا وشأنه ، ولا تدع لأحد أن يعيش هادئا ،  
وهى مستبدة متسلطة تهيمن على كل شيء وتحب أن يكون لها القول  
الفصل وأن تسيطر على جميع الناس • وكان الطالب بوكروفسكى فى

السنة العاشرة من عمره آنذاك ، فكرهته زوجة أبيه كرها شديدا ، وسامته سوء العذاب ، ولكن الحظ واتاه ، فان رجلا من كبار الملاكين اسمه بيكوف كان قد عرف أباه في الماضي ورعاه وحماه ، فتكفل بالاهتمام بالصبي وأدخله إحدى المدارس الداخلية . وقد اهتم الرجل بالصبي لأنه كان يعرف المرحومة أمه التي كانت تتمتع في أيام صباها بنعم آنا فيدوروفنا وحسانها ، وآنا فيدوروفنا هي التي قدمتها زوجة للموظف بوكروفسكى . وقد وهب السيد بيكوف ، وهو صديق حميم لآنا فيدوروفنا ، وهب للخطيبة بائنة قدرها خمسة آلاف روبل ، شهامة منه وكرما . ولا يعلم أحد أين ذهب هذا المال . لقد عرفت هذه التفاصيل من آنا فيدوروفنا . أما الطالب بوكروفسكى فكان لا يحب كثيرا أن يتحدث عن أسرته . يقال ان أمه كانت على جانب عظيم من الجمال . وانه ليدهشنى انها ارتضت زواجا مشئوما كهذا الزواج برجل تافه كل التفاهة . . . . وقد ماتت المرأة وهي في ريعان الشباب ، بعد زواجها ببضع سنين ؛ وانتقل الفتى بوكروفسكى من المدرسة الداخلية الى المدرسة الثانوية ثم دخل الجامعة . وظل السيد بيكوف الذى كان يتردد كثيرا على سان بطرسبرج ، ظل يحميه ويرعاه ، ولكن بوكروفسكى اضطر الى الانقطاع عن الدراسة بسبب اعتلال صحته . وعندئذ عرفه السيد بيكوف بآنا فيدوروفنا ، وأوصاها به كثيرا في كثير من الحرارة ، فأوته في منزلها ساكنا طاعما لقاء اعطائه ساشا دروسا في جميع الفروع اللازمة .

أما العجوز بوكروفسكى فان الحزن الذى كان يسببه له خيب زوجته الثانية قد دفعه الى أرذل الرذائل دفعا ، فما تكاد تراه الآن الا سكران . كانت زوجته تضربه ضربا مبرحا ، وتجيده على أن يبيت في المطبخ ، وبلغت من التسلط عليه انه انتهى الى قبول الضرب المبرح بغير احتجاج ، والى احتمال أنواع الأذى بغير تدمر أو شكوى . انه في الواقع أقل

شيخوخة مما يبدو • ولكن ميوله السيئه فادته الى حافة الجنون • وكانت العاطفه الرقيقه الوحيدة اللى بقيت له هى ما يشعر به نحو ابنه من حب ليس له حدود • ويقال ان الفتى بوكروفسكى يشبه امه كما تشبه قطرة من الماء قطرة من الماء • فلعل ذلرى الزوجه الاولى النى أحسنت معامله زوجها وكانت معه فى غايه الطيبه ، هى التى ولدت فى نفس العجوز المتدهور هذا الحب الكبير نحو ابنه • كان العجوز ممتلىء الفم بذكر ابنه، لا يدور لسانه بكلام الا عنه • وكان يزوره مرتين فى الاسبوع ، على نظام مطرد بغير انقطاع • انه لا يجروء أن يجيى أكثر من مرتين ، لأن الفتى كان يكره حضور أبيه • لا شك أن عدم احترامه أباه هو أكبر عيب فيه • ولكن يجب الاعتراف بأن العجوز كان يصيح فى بعض الأحيان ثقيلًا لا يطاق ولا يحتمل • فهو أولاً شديد الفضول ، وهو ثانياً ما ينفك يعوق ابنه عن العمل بالحديث فيما هب ودب من نافل القول وهاذر الكلام، وهو ما ينفك يلقى عليه الأسئلة سخيفة تافهة غبية ، وهو بعد هذا وذاك يجيئه سكران فى كثير من الأحيان • وقد حاول ابنه ان يحمله على الافلاح عن هذه العيوب ، عن هذه الثرثرة التى لا تنتهى ، عن هذا الفضول الذى لا يعرف شيئاً من القصد ••• فاستطاع أن يبلغ هذه النتيجة ، وهى أن يصغى أبوه الى كلامه فاعر الفم كأنه يسمع الى كلام عراف من العرافين ، ثم لا يجروء أن ينبس بعد ذلك بكلمة دون استئذان •

كان العجوز المسكين لا يكل ولا يعمل من الاعجاب بانبه العزيز باتنكا • ( هكذا كان يسمى ابنه ) ، ولا يتعب من الشعور بالنشوة والوجد حين يراه • كان اذا جاء يزوره يبدو كالحجلان أو كالمهموم ، ربما لأنه غير واثق من أن ابنه سيحسن استقباله • وكان فى العادة يتردد كثيراً قبل أن يدخل ، فإذا وجدت مصادفةً هنالك ، طفق يسألنى ، خلال خمسه

عشرة دقيقة ، أو عشرين في بعض الاحيان ، عن ابنه : ماذا يعمل؟ كيف صحته؟ ما حالته النفسية؟ أهو بسبيل القيام بعمل هام من الاعمال؟ ما الذى يشغله فى هذه اللحظة على وجه الدقة؟ أهو يكتب شيئاً؟ أم هو منصرف الى تفكير عميق؟ حتى اذا طمأنته وشجعتة بما فيه الكفاية ، قرر أخيراً أن يدخل ، فشق باب غرفة ابنه فى رفق وحذر ، ومد رأسه أولاً ، فاذا لاحظ أن ابنه ليس غاضباً ، وانه يومئ اليه أن يدخل ، نفذ الى الغرفة بخطى لا يُسمع لها صوت ، فضا عنه معطفه البائس وخلع قبعتة المجددة دائماً ، المتعبة فى مواضع عدة ، المنزوعة الأجنحة تقريباً ، وعلق ذلك كله بكلاب ، محاولاً فى كل حركته أن لا يحدث الا أقل ضجة ، فانه يخشى أن يلفت النظر أو يثير الانتباه . ثم يجلس محاذراً على كرسى ، وينتبه بعد ذلك بصره على ابنه لا يحوله عنه لحظة من اللحظات ، متابعاً كل حركة من حركاته ليدرك الحالة النفسية التى يكون فيها عزيزه باتنكا . فاذا لاحظ لدى ابنه أيسر علامة تدل على أنه معكر المزاج شجى البال ، نهض عن كرسية على الفور ، قائلاً انه انما جاء عابراً : « لقد قمت بجولة طويلة لقضاء عمل من الاعمال يا باتنكا ، فلما مررت أمام منزلك ، دخلت عليك لأستريح لحظة » ، ثم تناول معطفه وقبعتة فى مذلة دون أن ينبس بكلمة وفتح الباب فى هدوء وصمت كما فتحه حين دخل ، وانصرف وهو يتكلف الابتسام كطماً للحزن الذى يفيض به قلبه ، واخفاءً لهذا الحزن عن ابنه .

ولا كذلك حين يحسن الابن وقادة أبيه ، فان العجوز يشعر عندئذ بفرح لا يوصف . فالسعادة تتلألأ فى عينيه ، وتترقرق فى اشاراته وحركاته . حتى اذا خاطبه ابنه بكلمة عرضاً نهض عن كرسية وأجابته بصوت رقيق ذليل خاضع متملق مترلف يشيع فيه احترام يشبه أن يكون احتراماً دينياً ، وحاول جهده أن يستعمل ألفاظاً « منتقاة » تخرج من فمه



باعه على الضحكت فى الواقع • ذن العجوز لا يجيد العبير عن ذات نفسه ، فاذا هو ينتهى الى ان يدمدم ويجمجم مرتبدا اشد الارتباك ، واذا هو يخفى يديه ، ويصغر جسمه ، ويظل دقاتك طويلة يهتمهم بكلمات غير متميزة كأنه يريد أن يصلح جوابه الاخرى • اما اذا اتفق مصادفة أن جاء جوابه مناسباً رأيتَه يتجرأ ويتجاسر ، فيعدل صديرتَه ويقومَ ربطه عنقه ويصلح رداءه ويبدو أنه يسترد فى هذه اللحظات شعوره بكرامته • كان يستعيد عندئذ ثقته بنفسه ، ويبلغ من الجسارة فى بعض الأحيان أن ينهض عن كرسيه بلا ضوضاء فيدنو من رف الكتب ويسئل منه كتاباً ، أى كتاب ، حتى لقد يأخذ يقرأ فى الكتاب فقرة من الفقرات على غير هدى أياً كان الموضوع • يفعل ذلك كله متظاهراً بالهدوء مصطنعاً عدم الاكترات كأن من الطبيعى ومن المسموح له به فى أى وف أن يتصرف فى كتب ابنه ، وكأن لطف باتنكأ فى معاملته أمر لا يدعو الى الدهشة ولا يبعث على الاستغراب • ولكننى لاحظت ، فى ذات يوم ، الذعر الذى استولى على الشفى المسكين حين رجاه بوكروفسكى أن لا يمس كتبه • لقد غاب يومئذ عن رشده ، وأسرع يعيد الكتاب الى مكانه مضطرباً ، فاذا هو يخطيء فيضعه مقلوباً ، فما كان منه الا أن سحبه ثانية ثم أعاده الى مكانه ، لكنه فى هذه المرة جعل ظهر الكتاب الى الحائط • وكان يتسم ويحمر ولا يدرى كيف يكفر عن جريمته •

استطاع بوكروفسكى بنصائحه أن يصرف أباه عن ميوله السيئة شيئاً بعد شيء • فاذا اتفق أن رآه ثلاث مرات متتالية معتدلاً دس فى يده خمسة وعشرين كويكاً أو نصف روبل عند انصرافه ، أو اشترى له حذاءين أو ربطة عنق أو صديرة • لبتك ترى الأب عندئذ كيف كان يختال بحليه اختيال الديك • وكان يدخل علينا فى بعض الأحيان حاملاً اليان ، أنا وساسا ، بعض الفطائر أو بعض التفاح ، متحدثاً عن عزيزه

باتنكا حدينا لا ينتهى • وكان فى هذه المناسبات يضرع الينا أن نتبه الى دروس ابنه ، أن نصغى اليها ونتفح بها ، مؤلدا أن باتنكا ابن طيب ، ابن فد ، وانه الى ذلك ابن عالم • وكان حين ينطق بهذه الكلمات الاخيرة يغمز بعينه اليسرى غمزا يبلغ من الوضوح ، وينلوى بجسمه تلويا يبلغ من الغرابه اتنا نعجز عندئذ عن كبح جاح نفسيناه ، فاذا نحن ننفجر مقهقهتين أمام أنفه • وكانت أمى الطيبة تحبه كثيرا • ولكن العجوز كان يكره أنا فيدوروفنا كرها سديدا ، مع محافظته فى حضورها على المذلة والخضوع والصمت وطأطأة الرأس • ولم ألبث أن انقطعت عن تلقى الدروس من من بوكروفسكى • فلقد كان ينظر الى " نظرتة الى طفلة ، الى صيصة طائشة ، ويساوى فى المعاملة بينى وبين سانشا فكان ذلك يؤلمنى كثيرا ، لأننى كنت أحاول أن أمحو من نفسه آثار سلوكى الماضى ، فلا يلاحظ هو هذه الجهود ، فكنت اغتاض من هذا غيظا ما ينفك يزداد بعد يوم ، وصرت لا أكادأخاطبه بكلمة واحدة فى غير أوقات الدروس ، ولا أملك من النسجاعة ما يمكننى من مخاطبته ، فاذا رأيتة أحمر وجهى واضطربت ، ثم مضيت أختبىء فى ركن من الاركان لأبكى ألما وحسرة •

لا أدرى كيف كان سينتهى هذا كله لولا أن ظرفا عجيبا ساعد فى التقريب بيننا • فى ذات مساء ، بينما كانت أمى عند أنا فيدوروفنا ، دخلت غرفة بوكروفسكى على رؤوس الأصابع • كنت أعلم أنه خرج ، فخطر ببالى ، لا أدرى حقا لماذا ، أن ألقى نظرة على غرفته • لم أكن قد دخلت هذه الغرفة يوما قط ، رغم أننا جيران منذ أكثر من عام • أخذ قلبى يخفق هذه المرة فى صدرى خفقانا يبلغ من القوة اننى أحسست انه سينفجر • ألقىت على ما حولى نظرات مستطلعة سرهه • ان أثار الغرفة فقير والفوضى تشيع فى كل ركن من أركانها : هذه أوراق مبتعرة على المنضدة وعلى الكراسى ، ولا تقع العين فى كل موضع الا على كتب وقراطيس • راودتنى

فكرة غريبة بينما كان يعتريني في الوقت نفسه شعور مرير بالحسرة والاسف : بدا لي انه لن يستطيع ان يرضى بصدقتي وبما يحمله له قلبي من حب ، فهو رجل واسع العلم كثير الاطلاع جهم الثقافة ، أما أنا فقناة بلهاء لا أعرف شيئاً ، ولا قرأت كتاباً . الفيت عندئذ نظرة شوق الى هذه الرفوف الطويلة التي تحمل الكتب حتى لتكاد تداعى من ثقل ماتحمل . وتوزعنى مشاعر شتى ، فانا في آن واحد نهب الحزن وخيبة الامل والشوق الى أن أعمل شيئاً . وتمنيت فجأة أن أقرأ جميع كتبه ، أن أقرأ كتبه كلها الى آخرها ، وأن أفعل ذلك بأقصى سرعة ممكنة . وما لبثت أن عزمت أمرى . لعلنى تخيلت في تلك اللحظة اننى اذا علمت كل ما كان يعلم ، فسأصبح أجدر بصداقته واخلاق بمودته . فأسرعت الى أول رف ، وبدون أن أفكر أو أن اختار ، تناولت أول كتاب وقع عليه بصرى ، وهو كتاب قديم أغبر ، فحملته الى غرفتى وأنا احمر وأصفر وأرتجف انفعالا وخوفاً ، حملته كما يحمل السارق غنيمته ، وأنا أنوى أن أقرأه طوال الليل على ضوء السراج الصغير بعد أن تمام أمى .

ولكن ما كان أشد خيبة أملى حين وصلت الى غرفتى ففتحت الكتاب مسرعة فلم أجد فيه الا نصاً لاتينياً مبسوطاً على أوراق كادت تلتف وكادت العث يقضم نصفها . لم أدع للوقت أن يضع سدى ، فأسرعت أعود الى غرفة بوكروفسكى . فما كدت أتياً الى اعادة الكتاب الى موضعه من الرف حتى سمعت ضجة فى الدهليز وسمعت وقع أقدام تقترب . فأسرعت ما أمكنتى الاسراع أحاول أن أدس الكتاب فى مكانه ، ولكن الكتاب الخيث كان قد بلغ من شدة ترصصه بالكتب الاخرى أن هذه الكتب قد تمددت تمدد النابض حين سللته من بينها فهى الآن تحتل المكان كله غير عابئة بزميلها الغائب ، فلم أقو على دسه فيها من جديد ، ولكننى حاولت أن أدفع الكتب بكل ما أوتيت من قوة ، فاذا بالمسار الصدى الذى كان

يمسك الرف والذي لعله كان لا ينتظر الا مثل هذه اللحظة حتى يسقطه ، اذا بهذا المسمار ينكسر فجأة ، واذا بالرف يهوى على أحد طرفيه ، واذا بالكذب تتدحرج على أرض الغرفة محدثة بضجة كبيرة • وانفتح الباب فى هذه اللحظة ودخل بوكروفسكى الغرفة •

يحسن أن أذكر هنا أنه كان لا يطيق ان يمس احد أشياءه • وويل لمن يسمح لنفسه بأن يضع يده على كتاب من كتبه • تصوروا اذن ماشعرت به من دعر حين رأيت هذه الكتب المختلفة الحجم والاشكال والأبعاد ر بعضها دقيق وبعضها سميك ، بعضها صغير وبعضها كبير ) حين رأيتهما سهوى عن الرف ، وتدحرج على ارض الغرفة ، وتأخذ ترقص تحت المنضدة ونحت الكراسى وفى الحجره كلها • أردت أن أهرب ، ولكن اوان الهروب كان قد فات • قلت لنفسى : « انتهى كل شيء ، انتهى كل سىء ، لقد ضعت ، ضعت تماما • اننى أتسلى بارتكاب حماقات كطفلة فى العاسره من عمرها • ما أنا الا طفلة بلهاء ، ما أنا الا غبية كبيرة »

غضب بوكروفسكى غضبا رهيبا وصاح يقول : « ما كان ينقصنى الا هذا ، ألا تستحين أن تسلكى هذا المسلك ؟ متى تراك تعقلين ؟ » وأخذ يحاول أن يلم الكتب • فملت على الارض أساعده • فصاح مرة أخرى يقول : « لا داعى ، لا داعى ••• خير لك ألا تدخلى مكانا ما دعيت اليه » •

لكنه ، وقد رق قليلا لموفى الذليل ، تابع يقول بلهجة أقل غضبا ، بلهجة هى لهجة الناصح التى اعتاد أن يستعملها أثناء الدروس ، مستفيدا من الحق الذى يخوله اياه أنه كان أستاذى منذ وقت قصير ، تابع يقول : « متى تعقلين اذن ؟ هلا فكرت فيما تصنعين ؟ ما أنت الآن بطفلة ، ما أنت الآن بالبنية الصغيرة ، لقد بلغت من العمر خمسة عشر عاما » •

وكأنما أراد أن يتحقق من أنني شيت عن الطوق فما أنا الآن  
 بطفلة ، فألقى عليّ نظرة ، فاذا هو يحمر احمرارا شديدا حتى الأذنين •  
 لم أفهم ما حدث له • كنت واقفة أمامه أحديق إليه بعينين واسعتين  
 مدهوشتين • ونهض فاقرب مني زائغ النظرة شارد اللب ، واضطرب  
 اضطرابا شديدا ، ودمدم ببضع كلمات كأنه يعتذر لي عن شيء ما ، ربما  
 عن أنه لم يكن قد لاحظ الى ذلك الحين انني أصبحت فتاة كبيرة • فهمت  
 على الفور • ثم لم أعرف ماذا جرى لي في تلك اللحظة • لقد اضطربت  
 وفقدت سيطرتي على نفسي واصطنع وجهي بحمرة أشد من الحمرة التي  
 اصطنع بها وجه بوكروفسكي ، فغطيت وجهي يدي وأسرعت أهرب من  
 الغرفة راكضة •

كنت لا أعرف ماذا أعمل ، ولا أين أختبئ من شدة شعوري  
 بالخجل والعار • أيجدني في غرفه ؟ ان هذا وحده يبدو لي الآن امرا  
 لا يفتقر • لبنت ثلاثة أيام لا أستطيع حتى أن أنظر اليه • أصبحت أحمر  
 خجلا حتى لا أكاد أبكي متى لمحتة • ان زوبعة من الخواطر الرهيبة تدور  
 في رأسي ، وتخالطها أفكار مضحكة • من هذه الافكار العجيبة التي  
 راودتني أن أذهب اليه لأشرح له كل شيء ، وأعترف له بكل شيء ، ان  
 أقول له الحقيقة صريحة ، أن أفنعه بأنني لم أتصرف تصرف طفلة صغيرة  
 حمقاء ، وأن الامر الذي دعاني الى فعلى وحضنى عليه ينطوي على نية  
 طيبة حسنة • وقد قررت أن أذهب اليه فعلا ، لولا أن خاتنتي شجاعتى  
 في آخر لحظة من حسن الحظ ، والله الحمد • اننى أتصور الآن كيف  
 كان يمكن أن يكون موقفي لو ذهبت ، وأية سخافات وترهات كان يمكن  
 أن ينطلق بها لساني متدفقا • ما زلت حتى هذه الساعة أشعر بخجل  
 شديد وعار كبير حين أتذكر تلك اللحظات •

بعد ذلك ببضعة أيام ، مرضت أمى مرضا خطيرا • فلزمت فراسها يومين ، واتبعتها فى الليلة الثالثة حمى شديدة يصحبها هذيان • كنت قد قضيت الى جانبها ليلة بكاملها لم يغمض لى خلالها جفن ، فأنا جالسة فربها أحيطها بالناية والرعايه ، وأسقيها ماء وأجرعها أدويةا فى مواقيتها المحددة • فلما جاءت الليلة التالية شعرت بانهاى فى فواى • فالتعاس يستبد بى فى بعض اللحظات فيضطرب أمام بصرى كل شىء ، ويدور رأسى ، وأحس اننى أوشك أن أسقط اعياء من لحظة الى أخرى ، وكانت تأوهات أمى نوقظتنى فى كل مرة ، فأتنفص مذعورة ، وأفتح عيني خلال نوان قليلة ، م ما ألبت أن أرتد الى الوسن • لا أدرى ولا أذكر هل عفوت بضع نوان • ولكننى أذكر أن قد وافانى حلم رهيب ، أذكر أن رؤيا مفرعة انبجست فى دماغى المرهق الذى استولى عليه التعاس وكان يقاومه • فتحت عيني جزعة هلع • كانت الغرفة غارقة فى الظلام • ان لهب السراج الصغير يحتضر ، فكانت أشعة من الضياء تنزلق على الجدران ، فتارة تسع فتعمر الغرفة ، وتارة تضعف حتى لتزول زوالا تاما •

شعرت بخوف مبالغت ، واستبد بى زعر لا أعرف كيف أفسره أو أعلله • كان خيالى مضطربا أشد الاضطراب من ذلك الحلم الرهيب ، وكان قلبى منقبضا أشد الاقباض من فرط الجزع ••• نهضت منتفضة ، وانطلقت من صدرى صرخة وأنا فريسة احساس باختناق مذعور وخوف غامض رهيب • وانى لكذلك اذا بالباب يفتح ، فيدخل بوكروفسكى الى غرفنا •

كل ما أذكره انه كان يسندنى من ذراعى حين ثبت الى شعورى ، وانه أجلسنى فى رفق واحترام وحذر على مقعد ، ومد الى كأسا من الماء وأخذ يمطرنى بوابل من الأسئلة • لأدري بماذا أجبته • ولكننى أذكر انه قال لى وهو يمسك يدي: « انت مريضة •• أنت أيضا مريضه جدا •

ان بك حمى • انك تهدمين صحتك تهديما ، ولا تدارين نفسك • هدتى روعك الآن واضطجعي ، ونامى وسأوظك بعد ساعتين ، • ثم أضاف دون أن يدع لى فرصة الاعتراض بكلمة واحدة ، أضاف يقول : « اهدتى ••• تمددى ، استريحى قليلا ، • كان التعب قد حرمنى كل قدرة على المقاومة ، فأطبقت أجفانى • استلقيت على المقعد نصف استلقاء وأنا أنوى أن لا أسهد الا نصف ساعة • ولكننى نمت حتى الصباح ولم يوقظنى بوكروفسكى الا حين آن أوان تجريع أمى الدواء •

استرحت أثناء النهار فى اليوم التالى ، وفيما كنت أنهياً للسهر على أمى فى الليل جالسة قريبا ، عازمة فى هذه المرة على أن لا أغفو البتة ، اذا بباب غرفتنا يقرع • انها الساعة الحادية عشرة • فتحت الباب فاذا أنا أمام بوكروفسكى •

قال : « قدرت أنك ستشعرين بالسأم ساهرة وحدك هنا • فجتك بهذا الكتاب تقرئينه عسى أن يساعدك على تزجية الوقت ، • تناولت منه الكتاب • لا أذكر ماذا كان عنوانه • بل أشك فى أن أكون قد فتحته ، رغم اننى ظللت ساهرة طول الليل • ان اضطرابا نفسيا غريبا كان لا يتيح لى أن أنام • كنت لا أقوى على البقاء فى مكان واحد • فكبرا ما أترك مقعدى وأطفق أسير فى الغرفة • ان نوعا من فرح عميق ملأ نفسى وأغرق وجودى كله • تأثرت أشد التأثير من النفاثة بوكروفسكى هذه • شعرت بالفخر من اهتمامه بى هذا الاهتمام ، ومن تحمله هذا العناء فى سبيلى • لبست الليل كله لا أزيد على أن أتأمل وأحلم • ولم يعد بوكروفسكى • وكنت أقدّر على كل حال انه لن يعود هذه المرة ، وكنت أحاول أن أتصور ما لعله سيحدث فى المساء القادم •

وفى مساء الغد ، بعد أن رقد كل من فى البيت ، فتح بوكروفسكى

باب غرفته فوقف على العتبة يبادلنى الحديث • لم أحفظ شيئاً من الكلام الذى تبادلناه فى تلك المرة • كل ما أتذكره أن الخجل قد شلنى وانى كنت مضطربة ، واتى كنت فى الوقت نفسه غير راضية عن نفسى ، حتى لقد كنت أنتظر انتهاء هذا الحديث بصبر فارغ ، رغم اننى تمنيت من أعماق قلبى ، ورغم اننى كنت أحلم به منذ الصباح ، وأهيبء له الاسئلة والاجوبة سلفاً ••• كان ذلك المساء بداية الصداقة التى انعقدت بيننا • فاصبنا ، طوال مرض أمى ، نجتمع فى كل ليله عدة ساعات • استطعت ان انتصر على خجلى شيئاً بعد شيء ، رغم ان كل حديث بينى وبين بوكروفسكى كان يخلف امرا من الامور يثير عدم رضى عن نفسى • على انى كنت ألاحظ بفرح خفى وارتياح مبعنه حب الذات ، انه اصبح يهمل من أجلى كتبه المقيمة • وفى ذات يوم وقع الحديث ، من قبيل المزاح ، على حادثه الرف الذى هوى والكتب التى تدهورت على الارض • كانت لحظة غريبة ، أظهرت فيها صراحة مفرطة ، وصدفاً بالغا • ان حميا عجيبه وحماسة سديدة قد دفعناني الى أن أقول له الحقيقة كلها ••• اعترفت له بكل شيء : اعترفت له بأننى أردت أن أتقف نفسى ، أن أملا فكرى ••• وانه كان يحقنى أشد الحق أن أعد صية صغيرة ، وأن أعامل كما تعامل طفلة ••• أعود فأقول انى كنت فى حالة نفسية غريبة ••• كان قلبى يضعف ، وكانت الدموع تترقق فى عيني ••• لم أخف عنه شيئاً ••• بحت له بكل شيء ، بكل شيء ••• بالصداقة التى أشعر بها نحوه ، برغبتى فى أن أحبه ، فى أن أحيا على صلة به ، فى أن أكون له عزاء وسلوى ، فى أن أشجعه وأشد أزره • فكان ينظر الى نظرة غريبة ، وقد ذهل عن نفسه ، واضطرب وجهه ، وعقل لسانه فما يقول كلمة • وأحسست فجأة بمرارة عميقة وحزن كبير • خيل الى انه لا يفهمنى وانه ربما كان يسخر منى ويهزأ بى • فطفقت أبكى ، وانفجرت أشج كما



تشج طفلة ، عاجزةً عن كبح جماح نغمة مزيدها من الكبح . واعتزتي .  
 تسنجات كأنها تسنجات نوبه عصية . فامسك بوروسلدى يدي واغرفهما  
 قبلا ، وضمني الى صدره ، وقال لى كلاما عذبا بصوت مواس رقيق . كان  
 هو نفسه متأثرا أشد التأثير . لا أذكر ماذا قال لى . ولكننى أعرف أتني  
 كنت أبكى وأضحك على التوالي ، وأن وجهي قد تخضب بحمرة قانية ،  
 واننى شعرت من شدة فرحى باننى لا أستطيع ان انبس بكلمة واحدة .  
 وكنت أشعر مع ذلك ، ورغم انفعالى ، بأن بوكروفسكى لايزال يحس  
 بشيء من الحيرة والحرج والضيق . انه لم يبق من دهشته التى اثارها  
 فيه اندفاعى وأثارتها فيه حماسى حين أدرك عندى ما ادركه من هذه  
 الصداقة المفاجئة التى تبلغ هذا المبلغ من العنف والجموح والقوة . لعل  
 سينا من التعجب قد سيطر عليه فى أول الامر . لكن تردده زال بعد  
 ذلك ، فاذا هو يرد على صداقتى بمتلها بساطة وصراحه وانطلاقا ، واذا  
 هو يستجيب لكلماتى العاطفية وتعلقى وحفاونى ، فيقابلنى بعاطفة كعاطفتى ،  
 ويعاملنى معاملة صديق مخلص وأخ حق . تفتح قلبى فى هذا الجور  
 الدافىء ، وشعرت ببهجة كبيرة وسعادة عظيمة . . . . لم أكنم عنه شيئا ،  
 ولم أخف عنه شيئا ، وأصبح يلاحظ هو ذلك ، فيشدد تعلقه بى يوما  
 بعد يوم .

لا أتذكر ، على وجه الدقة ، الأحاديث التى جرت بيننا ، لا أتذكر  
 جميع ما قاله كل منا لصاحبه خلال ساعات كانت ساقية ممتعة فى آن واحد ،  
 ساعات طويلة قضيناها معا فى الليل على أضواء السراج المهتزة قرب أمى  
 المسكينة المريضة . . . هل هناك شيء لم نتحدث فيه ؟ كنت أقول له كل  
 ما كان يخطر ببالى ، كل ما كان ينبجس عصفوا من قلبى ، كل ما كان  
 يخرج من فمى دون أن أستطيع له دفعا . . . وكنا قريين من السعادة كل  
 القرب فى تلك اللحظات . . . آه ما كان أملاً ذلك الوقت بالحزن والسعادة

معا ! انتى حتى هذه الساعة أشعر بالسعادة والحزن كليهما حين أتذكر ذلك الأوان • والذكريات حزينة دائما سواء آكانت ذكريات فرحة أم كانت ذكريات مرة • ذلك شأنى أنا على كل حال • غير أن هذا الحزن عذب كذلك • ففي الساعات التى ينوء فيها القلب بعبء الشقاء ، حين تستبد كآبة ثقيلة بالنفس النى صارت من المحن فى ظلام ، تأتي الذكريات فتعش النفس وتحببها ، مثلها كمثل تلك القطرات من الندى التى تضعها رطوبة المساء على الأزهار بعد نهار خائق ، فتبعث الحياة فى هذه الاوراق الحزينة التى كادت تصوحها أشعة الشمس المحرقة •

وأبليت أمى من مرضها ، ولكننى ظللت أسهر الليل كله قرب سريرها • كان بوكروفسكى يجيئنى ببعض الكتب أحيانا كثيرة • فكنت فى أول الامر أقرأ من أجل آلا آنام ، ثم صرت افرا بشيء من الاهتمام والشغف ، ثم أصبحت فى النهاية أقرأ بنهم شديد وشراهة قصوى • ان عنلا جديدا كنت أجهله قبل ذلك ولم يخطر لى ببال ينبجس الآن أمام بصرى • ان القراءة تفجر فى نفسى أفكارا ومشاعر تزدهم الآن فى قلبى هادرة صاخبة • وكلما كان الجهد الذى يجب أن أبدله من أجل تمثّل هذه الأفكار الجديدة أكبر ، وكلما كان الاضطراب الذى تبثه فى نفسى أشد ، كان تقديرى لهذا الاغتناء الروحى الذى يقبئنى رأسا على عقب أشد • أمور كبيرة انبجست فى قلبى وتراكت فى تترى • لقد قام فى نفسى سديم غريب يتسلل الى أعماق كيانى • لكن هذا العنف الروحى لم يستطع أن يخل بتوازنى تماما • كنت فتاة حاملة ، وهذا ما أتهذنى •

ولما شفيت أمى من مرضها ، انقطعت لقاءاتنا الليلية وأحدثنا الطويلة التى كنا تتبادلها على خلوة • اننا لا نزال نستطيع أن تتبادل بعض الكلمات من حين الى حين ، وهى كلمات تافهة ليست بذات قيمة أو دلالة • ولكن

كان يحلو لي أن أهب لها قيمة خاصة وأن أحملها معاني مضمرة • كانت حياتي غنية ملأى ، وكنت أنا هائلة مطمئنة ، وكانت روحي تفيض سعادة عذبة هادئة • وانقضت على هذه الحال أسابيع ••

وفي ذات يوم جاء يزورنا العجوز بوكروفسكى ، فثرثر معنا مدة طويلة • كان يبدو أكثر ابنهاجا وأشد نشاطا وأعزر تدفقا في الكلام مما عهدناه فيه • كان يفيض حياة ، ويضحك بغير توقف ، ويتندر على طريقته في التندر • وكشف لنا أخيرا عن سبب حماسه ، فأبأننا أن عيد ميلاد باتنتكا سيكون بعد أسبوع تماما ، وأنه سيحجى يزور ابنه في هذه المناسبة • وأسر إلينا انه سيرتدى لهذا العيد صديرة جديدة ، وأن امرأته قد وعدته بأن تشتري له حذاءين جديدين • كان العجوز يطفح سعادة ، ويلقي الكلام على عواهنه طولا وعرضا •

عيد ميلاده ! أصبحت فكرة عيد الميلاد هذه لا تدع لي راحة في نهار ولا في ليل • قررت أن أجدد صداقتي مع بوكروفسكى بتقديم هدية له مهما كلف الامر • ووقع اختياري على الكتب • كنت أعرف انه يتمنى الحصول على المجموعة الكاملة لمؤلفات بوشكين في طبعتها الأخيرة ، فأردت أن أشتريها له • انتهى أملك ثلاثين روبلا لنفسي هي ثمرة أعمالي في الحياطة • لقد ادخرت هذا المبلغ لأشتري نوبا جديدا • فما لبثت أن أرسلت الطاهية العجوز ماترينا تسأل لي عن ثمن مجموعة مؤلفات بوشكين • ويلاه ! ان المجلدات الأحد عشر تكلف مع نفقات التجليد ستين روبلا في أقل تقدير • فمن أين أتى بهذا المبلغ ؟ فكرت طويلا دون أن أهتدى الى حل • لا أحب أن أسأل أمي شيئا من المال ، ولو سألتها أن تعطيني ما أنا في حاجة اليه لما منعتني عني حتما ، ولكن جميع من في المنزل سيعلمون عندئذ نبأ هذه الهدية ، وستعد الهدية عندئذ مكافأه لبوكروفسكى على

الدروس التى أعطانيها سنه كامله • انتى أحب أن أنفرد بتقديم هديه له على غير علم من الآخرين • أما ما تحمله فى سبيلى من غناء ، فكنت أرغب فى أن أظل ممتنة ساكرة له اياه ما حيت ، دون أن أهب له أى مكافأه عليه عدا صداقتى • واكتشفت آخر الأمر وسيله للخروج من المأزق •

كنت أعرف أن فى امكان المرء أن يحصل ، لدى بعض بائعى الكتب القديمه تحت فناطر جوستينى ، على كتب بنصف ثمنها بعد شئ من المساومه • • وقد يُعثر عندهم فى بعض الأحيان على كتب بحاله جيده حتى لتكاد تكون جديده • ففكرت قرارا حازما أن أذهب الى هنالك فى أول فرصه • وما لبنت هذه الفرصه أن عرضت فى الغداة • هنالك أشياء كان يجب سراؤها للمنزل ، فأما أمى فكانت متعبه لا تقوى أن تخرج لشرائها ، وأما أنا فيدوروقنا فقد اتابتها يومئذ نوبه كسل من حسن حظى ، فعهد لى بالخروج لشراء الأشياء • فذهبت الى القناطر تصحبنى ماترينا •

وواتانى الحظ فسرعان ما وقعت على مؤلفات بونسكين مجلده تجليدا جميلا جدا ، فاخذت اساوم البائع على ثمنها • حدد لها فى أول الامر ثمنا يفوق ما يدفعه المرء فى المكتبات ثمنا لكتب جديده ، ثم توصلت بالمساومه ، وفى غير قليل من العناء والحق يقال ، وبعد أن تظاهرت بالانصراف غير مرة ، أن أحمل البائع على انزال السعر ، بتخفيض بعد تخفيض ، الى عشر روبلات فضة • ألا ما كان أشد فرحى بمناقشته ! وكانت ماترينا المسكينه تتساءل ماذا دهانى ولماذا خطر ببالى فجأة أن أسترى مثل هذا العدد الكبير من الكتب • غير انتى لا أملك ، وأسفاه ، الا ثلاثين روبلا ورقا ، والبائع يرفض أن يبيعنى الكتب بسعر أقل من السعر الذى نزل اليه آخر الأمر • فتوسلت اليه ، وألححت فى التوسل ، فاستطعت أخيرا أن أثنيه عن عزمه • غير أنه رفض أن يزيد التخفيض الجديد على روبلين ونصفا ، وحلف أنه

ما كان ليتنازل هذا التنازل كله لأحد غيري ، فهو قد خفض السعر الى هذا الحد الأقصى مراعاة لي ، لأنني فتاة لطيفة • لا يزال ينقصني اذن روبلان ونصف روبل حتى أتم الصفقة • وأوشكت أن أبكي أسفا وحسرة. غير أن ظرفا لم يكن في الحساب لم يلبث أن أتخذني من الورطة •

فغير بعيد مني ، على طرف منضدة أخرى مثقلة كتباً، لمحت العجوز بوكروفسكى وقد خف اليه واحتشد حوله أربعة أو خمسة من بائعي الكتب القديمة • كانوا قد حيروه بعروضهم المتناقضة ، فهو يبدو تائها كأنه فقد البقية الباقية من عقله • كان كل واحد من البائعين يطرى له بضاعته ، ولا يعلم الا الله ما الذي كانوا يعرضونه عليه ، وما الذي كان يمكن أن يشتريه • كان العجوز المسكين يبدو ضائعا في وسطهم لا يعرف من يجيب ولا من يصدق • فاقتربت منه وسألته ماذا يفعل هنا ، فما كان أسد ابتهاجه برؤيتي ! • • لقد كان يجنني حبا لا حدود له ، حبا لعله لا يقل عن حب ابنه باتنكا • قال لي شارحا : « أريد أن أشتري كتابا يا فرفارا الكسيسيفنا • • كتابا لابني باتنكا • ان عيد ميلاده قريب ، وهو يعبد الكتب عبادة ، لذلك جئت أشتري له بعض الكتب • • » •

ان طريقه العجوز في الكلام طريقة مضحكة في العادة ، فكيف اذا أضفت اليها ما كان فيه من اضطراب حينذاك ؟ كان أي كتاب يقع عليه اختياره ، يطلب البائعون ثمنه روبلا فضه ، أو روبلين ، أو ثلاثة ، حتى أصبح لا يجزؤ أن يسأل عن أسعار الكتب الكبيرة بل يكتفي بأن يلقي عليها نظرات تتم عن الرغبة فيها ، ويقلبها بين يديه قبل أن يردها الى موضعها ، ويدندن قائلا بصوت خافت : « لا ، لا ، هذه باهظة الثمن ، لعلني واجد شيئا آخر هناك » ، ثم يأخذ ينشئ بين دفاتر الموسيقى والأضابير والتقاويم المكدسة أكواما تباع جملة •

قلت له :

— لماذا تفكر فى شراء مثل هذه الضبار ؟ انها ليست بذات قيمة •

فأجاب :

— لا ، لا ، لن أشتري منها • انظرى هناك • ثمة كتب صغيرة رائعة ،

كتب صغيرة لطيفة جدا •

قال هذه الكلمات الأخيرة بصوت يبلغ من البضاء والحزن والوهن اتى أحسست أنه يوشك أن يبكى أسى لأن الكتب الجميلة باهظة الثمن • حتى لقد رأيت عبيرة تنهمر من عينيه وتسيل على خديه الشاحين وأنفه الأحمر • فسألته كم معه من المال ، فأخرج المسكين جميع النقود التى كان يملكها ملفوفة بورقة قدرة من أوراق الجرائد ، وقال : « هذا مامعى : خمسون كوبيكا ، ثم خمسة وعشرون كوبيكا ، ثم ما يساوى عشرين كوبيكا من النقود النحاسية » •

فأسرعت أجره نحو بائع الكتب القديمة التى كنت أساومه على شراء مؤلفات بوشكين • وقلت له : « هذه الكتب الأحد عشر لا يساوى ثمنها مجتمعة الا اثنين وثلاثين روبلا ونصف روبل ورقا • معى أنا منها ثلاثون روبلا ، فاذا أضفت اليها أنت روبلين ونصفا اشتريناها كلها هدية مشتركة الى باتنكا » •

'جن العجوز فرحا ، ووضع على المنضدة جميع النقود التى كانت معه ، فحملته البائع مكتبتنا المشتركة • دس العجوز الطيب بعض الكتب فى جيوبه ، ووضع بعضها الآخر تحت ابطيه ، وحمل الباقي بيديه ، ومضى بها الى داره واعداد أن يجيئنا بها فى الغد سرا دون أن يراه أحد •

وجاء يزور ابنه فى اليوم التالى ، ولبث عنده قرابة ساعة على عادته ،

ثم دخل علينا وجلس قربي وقد لاحت في وجهه امارات مضحكة تعني أنه يكتم سرا ويخفي أمرا • كان يتسم ويفرك يديه ، فرحا كل الفرح بأنه يحمل سرا ، ثم شرح لي أنه نقل الكتب الى منزلنا دون أن يراه أحد ، وأنه خباها في ركن من المطبخ بحراسة ماترينا • وانتقل الحديث بعد ذلك الى عيد الميلاد الذي تنتظره • فأطنب العجوز في الكلام على الطريقة التي سنعمد اليها في تقديم الهدية لابنه ، فكان كلما ازداد توغلا في هذا الموضوع ظهر عليه أن قلبه منقل بأمر لا يستطيع أن يتكلم فيه ، ولا يجرؤ أن يتكلم فيه ، كأن شيئا من الخشية يصدده عنه • فكنت أنتظر صامتة • لقد اختفى ذلك الفرح الخفي ، وذلك الرضى النفسى اللذان كنت أقرؤهما حتى ذلك الحين واضحين كل الوضوح في حركات يديه وجعدات وجهه وغمزات عينه اليسرى ، وأصبح قلقه وحزنه يزدادان دقيقة بعد دقيقة ، ثم لم يستطع أن يكظم ما في نفسه ، فبدأ يقول خائفا بصوت متردد متلعثم :

— اسمعى يا فرفارا ألكسييفنا •• هل تعرفين ماذا يا فرفارا  
ألكسييفنا ؟ ••

انه مضطرب أشد الاضطراب •

— اليك الأمر : حين يجيء عيد ميلاده ، تأخذين أنت عشر كتب فتقدمينها هدية منك اليه ، منك وحدك ، وأخذ أنا الكتاب الحادى عشر فأقدمه هدية منى ، منى أنا وحدى • فهذه الطريقة تقدمين أنت هدية اليه ويتاح لي أن أقدم أنا أيضا هدية •

هنا اضطرب العجوز وصمت • ونظرت اليه : انه ينتظر قرارى على خجل ولهفة وهم فى آن معا •

قلت له :

– ما الذى يحملك على العدول عن هدية نشتريك فى تقديمها معا  
يا زاكار بتروفتشس ؟

– ذلك •• يا فر فارا الكسييفنا •• ذلك •• اتنى فدرت •• اتنى  
•• لاتنى •••

وازداد اضطرابه ، فاحمر وجهه وتلثم لسانه وجمد لا يتحرك •

وقال أخيرا يشرح رأيه :

– اسمى يا فر فارا الكسييفنا ••• انه يتفق لى احيانا ان اسير فى  
طريق الضلال و ••• اريد ان افول ان من واجبى ان انبئك باننى اسير  
دائما فى طريق الضلال ••• دائما ••• على وجه التقريب ••• فما انا  
الف عن السير فى هذا الطريق حتى اعاود السير فيه •••• اما سجين  
عادات سيئة •••• أفعل ما ينبغى ألا أفعله •••• هل فهمت ما أريد أن  
افول ؟ •••• يكون الجو باردا جدا فى بعض الايام ، واكون انا مقلا  
بانواع الهموم والاحزان ، بل قولى ان الحزن يعترينى على حين فجاء ،  
فيكفى أن يقع لى سىء مزعج حتى أفقد قدرتى على ضبط نفسى •••• فاذا  
أنا أسير فى طريق الضلال •••• أنرب كأسا أو كأسين زيادة •••• ويستاء  
منى بروسا عندئذ استياء شديدا ، ويفضب غضبا قويا يا فر فارا الكسييفنا ،  
ويأخذ يلومنى ويفرغنى ويعطنى وينصحنى بغير انقطاع •••• لذلك أريد  
أن أبرهن له الآن ، بهذه الهدية التى سأهديها اليه ، اتنى قد أصلحت  
ما فسد من أمرى ، واتنى بدأت أسلك فى الحياة سلوكا حسنا •••• أريد  
أن أريه اتنى وفرت بعض القروش لأشتري كتابا ، أريد أن أريه اتنى  
ظللت أدخر زما طويلا حتى جمعت ما أشتري به كتابا •••• ذلك أتنى



لا أملك من المال الا ما يعطينيه بتروشا من حين الى حين ، وهو يعلم ذلك ، فسيرى اذن ماذا أفعل بالدريهمات التي ينفخني بها ، وسيرى أنتى فعلت ذلك من أجله •

شعرت نحو العجوز بشفقة كبيرة • ولم ألبث أن عزمت أمرى • وكان ما يزال ينظر الى قلقتنا • فقلت له :

– اسمع يا زكار بتروفنش ، ستعطيته أنت الأحد عشر كتابا كلها •

– كيف هذا ؟ كل الكتب ؟ أعطيه الكتب كلها ؟

– نعم ، كلها •

– منى أنا ؟

– نعم منك أنت ؟

– أى هدية اليه منى أنا ؟

– نعم هدية اليه منك أنت ، منك أنت •

أحسب اننى قلت ما قلت واضحا كل الوضوح ولكنه لم يفهم الا بعد زمن • فعاد يقول ساهما شاردا لللب :

– طيب ! سيكون هذا شيئا عظيما ، عظيما حقا • ولكن أنت يا فرارا ألكسيفنا ••• ماذا تفعلين فى هذه الحالة ؟

– الأمر بسيط • لن أهدي اليه شيئا !

صاح العجوز كمن اعتراه دعر على حين فجأة :

– كيف ؟ كيف ؟ لاتهدين شيئا الى باتنكا ؟ ألا تحين اذن أن تقدمى

اليه هدية ؟

كان العجوز مدهوشا أشد الدهشة ، حزينا أبلغ الحزن ، وأحسب انه كان مستعدا للتراجع عن اقتراحه أصلا من أجل أن أستطيع أنا أن أهدي الى ابنه شيئا • يا لقلب هذا العجوز ما أطيبه ! فطمأنته قائلة انه يسعدنى أن أقدم الى ابنه هدية ولكننى لا أريد أن أحرمه من فرحته • قلت : « اذا سر ابنك بالهدية ، وسعدت أنت بذلك ، فسأكون أنا أيضا سعيدة ، لأننى سأشعر ، فى قرارة نفسى ، بأننى أهديت اليه هذه الكتب حقا • » اقتنع العجوز بكلامى أخيرا • ولبث فى منزلنا ساعتين أيضا ، لا يستقر فى مكان ، بل ينهض ويتحرك ويصخب ويلعب ساشا لعب الأطفال ، ويقبلنى خفيه أو يقرصنى فى ذراعى ويجعد وجهه مستهزئا بآنا فيدوروفنا خلصة دون أن تراه ، حتى طردته آنا فيدوروفنا آخر الأمر • الخلاصة أن العجوز جن جنونه حماسة كما لم يقع له ذلك يوما من قبل •

وحل اليوم العظيم ، فجاء العجوز فى الساعة الحادية عشرة تماما ، بعد الصلاة رأسا ، مرتديا نيايا أحسن ترقيعها ، مع صديرة جديدة وحذاءين جديدين حقا ، ممسكا فى كل يد بحزمة من كتب • كنا جميعا فى تلك اللحظة عند آنا فيدوروفنا نحسب فهوة ( كان اليوم يوم أحد ) • وطفق العجوز يتكلم على بوسكين فيما أظن ، قائلا عنه انه شاعر ممتاز • ثم اضطرب وارتبك وقال فجأة ان على الانسان فى هذا العالم أن يسلك سلوكا لائقا ، فاذا سلك أحد سلوكا سيئا كان لنا أن نستنتج من ذلك أنه يتبع طريق الضلالة • وأضاف يقول ان الميول السيئة تقود الانسان الى الضياع والدمار • حتى لقد استشهد بحالات من الافراط والانحلال تستحق أن تكون عظة وعبرة ، وأعلن فى ختام كلامه أنه قد أصلح نفسه منذ زمن ، وان سلوكه أصبح سلوكا سليما لا غبار عليه ولا عيب فيه ، سلوكا يمكن أن يعد قدوة ، وانه كان قد أحس من قبل بصدق ماأخذ

ابنه عليه ، وأدرك منذ زمن طويل أنها صحيحة كل الصحة ، فعزم أمره على اتباع وصاياه ، فاستطاع أن يصل الى ذلك حقا ، فهو الآن قد كف عن الشراب لا قولا بل فعلا ، والدليل على ذلك انه يهدى الى ابنه هذه الكتب التي اشتراها بما ادخر من مال خلال مدة طويلة •

كنت أصغى الى كلام العجوز فما أستطيع أن أمسك عن الضحك والبكاء معا الا في كثير من العناء • انه يعرف كيف يحسن الكذب عند الضرورة • • حملت الكتب الى غرفة بوكروفسكى ، ووضعت على أرضها • وحزر بوكروفسكى الحقيقة فورا • ودعى العجوز الى تناول طعام الغداء معنا • فكنا جميعا سعداء كل السعادة طوال ذلك اليوم • وبعد الغداء لبنا بالورق • وأكثرت ساننا من الحركة منقاداً لطبعها الحي ، ومزاجها الغنيف •

وجاريتها أنا في ذلك • وأظهر بوكروفسكى اهتماما خاصا بي ، حتى لقد حاول مرارا أن يكلمني على انفراد ، ولكنني لم أستجب له • كان ذلك اليوم أسعد أيام حياتي في تلك السنين الاربع •

أصل الآن الى ذكريات حزينة موجعة • ان كل ما تلا ذلك كان أليما شاقا • سأتكلم الآن عن الأيام السود من حياتي • وربما كان هذا هو السبب في أن قلبي يقاوم فيتحرك على الورق تحركا أبطأ ، كأنه يرفض أن يكتب ما بقى على أن أقوله • ولاشك أن هذا هو ما خصني على الاسترسال ، بكل ذلك الانفعال وذلك الحب ، في سرد أدق تفاصيل حياتي المسكينة في ذلك العهد الذي كنت فيه سعيدة • كان عهدا قصيرا جدا ثم تالت المصائب بعد ذلك ، سوداء سوداء لا يعلم الا الله هل تنتهي في يوم من الأيام •

ابتدأت مصائب حياتي بمرض بوكروفسكى وموته • لقد مرض

بوكروفسكى بعد انقضاء شهرين على الحوادث التى أتيت على وصفها •  
 كان فى الأسابيع الأخيرة قد بذل جهودا كبيرة ، ذاهبا هنا وهناك من أجل  
 أن يكفل لنفسه موردا يعيش منه ، لأن وضعه لم يكن على نىء من  
 الاستقرار والاطراد • وظل الى آخر لحظة كسائر المصدورين يأمل أن  
 يعيش طويلا • وقد عرض عليه أن يوظف معلما فى مكان ما، ولكن هذه  
 المهنة كانت ترعبه • وحرمه سوء صحه من أن يعين لوظيفة من وظائف  
 الدولة ، ولو قد عين لوظيفة من هذه الوظائف لكان عليه أن ينتظر زمنا  
 طويلا قبل ان يتقاضى شيئا من راتبه على كل حال • الخلاصة انه لم يلق  
 الا اخفاقا بعد اخفاق فى كل جهة من الجهات ، فساء طبعه وفسد مزاجه ،  
 وكان مرضه يتفاقم أثناء ذلك ولكنه لم يشعر بهذا التفاقم • وجاء الخريف •  
 فكان يخرج كل يوم بمعطفه الرقيق الخفيف الذى كان يرتديه طالبا، يحاول  
 أن يحسن أحواله بالتماس وظيفة فى أى مكان ، واستعطاء عمل من  
 الأعمال أيا كان ، فكانت هذه المساعي تعذب نفسه عذابا مريرا • وكان  
 الماء ينفذ فى حدائه ، وكان يعود الى البيت مبلا بالمطر ، الى أن جاء يوم  
 اضطر فيه أن يلزم فراشه ، ثم لم يبارحه بعد ذلك الا الى القبر •••  
 مات فى وسط الخريف قبل نهاية شهر تشرين الاول ( أكتوبر ) •

أستطيع أن أقول اننى لم أكد أترك غرفته طوال مدة مرضه، أعتنى  
 به وأسهر عليه ، حتى لقد اتفق أن أنفقت ليلالى بأسرها قرب سريره •  
 كان يندر أن يفيق من غيبوته • انه يهذى فى كثير من الأحيان ، ويقول  
 كلاما لا يعلم الا الله ما هو • يتحدث عن الوظيفة التى يبحث عنها ، وعن  
 كتبه ، وعن أبيه ••• وبهذا عرفت عن حياته تفاصيل كنت أجهلها الى  
 ذلك الحين ، بل ما كان يمكن أن تخطر لى على بال • كان جميع من فى  
 المنزل ينظرون الى نظرة غريبة فى أول عهده بالمرض ، وكانت آنا

فيدوروفنا تهز رأسها استنكارا واستياء ، ولكنني لم أغض بصرى ، فسرعان ما كفوا عن لومى على اهتمامى بالمريض ، ولا سيما أمى •

وكان بوكروفسكى يعرفنى فى بعض اللحظات ، ولكن ذلك لا يحدث الا نادرا ، فلقد كان فى أكثر الأحيان غائبا عن نفسه • وسمعتة فى بعض الليالى يناقش شخصا فى خياله مناقشة طويلة • ان كلامه غامض مبهم لا يتميز ولا يبين ، وان صوته الذى يشبه أن يكون صادرا من كهف يدوى فى الحجرة الصغيرة دويته فى تبر • كنت فى تلك اللحظات أشعر بخوف • وفى الليلة الآخيره خاصة ، كان بوكروفسكى فى حالة غريبه من الهياج • كان يعانى آلاما مبرحة ، فهو يئن ويتأوه ، فتمزق شكواه قلبى تمزيقا • وظهر الذعر فى وجوه جميع من فى المنزل • حتى لقد أخذت أنا فيدوروفنا تدعو الله أن يأخذه اليه بأقصى سرعة • ودعى الطبيب ، فقال ان المريض سيموت فى نحو الصباح حتما •

قضى العجوز بوكروفسكى الليل كله فى الدهليز أمام باب غرفة ابنه ، حيث فرشوا له بساطا على الارض • كان يدخل على ابنه فى كل لحظة مستطلعا • ان منظره مخيف حقا • كان الحزن يسحقه سحقا ، حتى ليبدو من سدة الإسحاق فاقد الاحساس بليد الشعور • وكان رأسه يترنح جزعا • وكان جسمه كله يرتجف ويرتعش • وكان يدندن هامسا بغير توقف كأنه يجادل نفسه • قدرت انه سيصبح مجنوننا من فرط الأمل •

حتى اذا جاء الفجر نام العجوز على البساط وقد أرهقه العذاب وأنهك قواه • وأخذ الابن يحتضر فى نحو الساعة النانية ، فأيقظت الأب • كان بوكروفسكى صاحيا صحوا كاملا فى تلك اللحظة ، فودعنا جميعا • شىء غريب ! لم أستطع أن أبكى ، ولكن روحى كانت تمزق •

واللحظات الأخيرة هي التي عذبتى أكبر العذاب • ان بوكروفسكى يطلب بلسانه المتلعم المختلط شيئا ما ، فلا أستطيع أن أفهم ماذا يريد • كان قلبى يتحطم ألما ويأسا • ظل بوكروفسكى يتحرك ويضطرب ساعة كاملة وقد تملكته رغبة عاجزت عن فهمها ، فهو يحاول أن يفصح عنها بإشارات من يديه الباردتين أولا ثم يأخذ يتوسل بصوت منطفىء تارك أصم تخالطه حشرات منذ ذلك الوقت ، ولكن الكلمات التي يلفظها ما هي الا أصوات متقطعة مبهمة أظل عاجزة عن ادراكها • أتيت به بجميع من فى المنزل واحدا بعد آخر ، وعرضت عليه ماء لعله يريد أن يشرب ، ولكنه كان يهز رأسه بالنفى هذا حزينا •

وأدركت أخيرا قصده • كان يطلب منى أن أزيح ستارة النافذة وأن أفتح مصراعها • لعله كان يريد أن يلقى نظرة أخيرة على ضوء النهار ، على خليفة الله ، على الشمس • فأزحت الستارة ، ولكن ضوء النهار كان شاجبا حزينا ، كالحياة التي تطفىء فى المسكين المحتضر •

لم يكن ثمة شمس ، فالغيوم تغشى السماء بحجاب صفيق كيف ، والجو ممطر ، وكل شيء يبدو قاتما مظلما حزينا • هذا رذاذ من مطر ينقر الزجاج ويتزحلق عليه خيوطا من الماء باردة متسخة • ان ضوء النهار لا يكاد يدخل الغرفة ، ولا يكاد يستطيع أن يكبى ضوء الصباح الصغير المشتعل أمام الأيقونة • وألقى على المحتضر نظرة أخيرة مقله بحزن كبير ، وهز رأسه • فما هي الا دقيقة واحدة حتى كان ميتا •

اتخذت أنا فيدوروفنا الاجراءات اللازمة للجنازة • اشترى تابوت بسيط ، واستؤجرت عربة صغيرة • ومن أجل أن تعوض أنا فيدوروفنا خسارتها استولت على جميع الكتب وعلى الأمتعة الشخصية التي تركها المتوفى • فاحتج العجوز وشاجرها شجارا صاخبا ، واسترد ما استطاع أن

يسترده من مجلدات حشا بها جيوبه وحشا بها قبعته ولم يشأ أن يفصل عنها خلال الايام الثلاثة التالية ، وظل يحملها حتى حين أن أو ان الذهاب الى الكنيسة • كان يبدو أنه أصبح أبله ، فهو ما ينفك يضطرب حول التابوت غمبيّ الحركات كأنما هو يريد أن يحيط التابوت بعنايته ، فتارة يعدل العصبه على جبين المتوفى ، وتارة يشعل الشموع او ينقلها من موضعها • كان واضحا أن فكره لا يستطيع أن يثبت على شيء • ولم تحضر أمى ولا آنا فيدوروفنا صلاة الجنائز في الكنيسة • أما أمى فلأنها كانت تحس انها مريضة ، وأما آنا فيدوروفنا فلأنها تشاجرت في اللحظة الاخيرة مع العجوز بوكروفسكى ، بعد أن كان في نيتها أن تحضر الصلاة ، فأثرت بعد تلك المشاجرة أن تبقى في البيت • حضرت اذن صلاة الجنائز وحدى مع الاب • واعترائى أثناء القداس نوع من الغم والخوف ، كأننى أوجس شرا سيقع في المستقبل • ولم ألث في الكنيسة الى آخر القداس الا وقد خارت قواى • وأغلق التابوت أخيرا ، وسمر ، ووضع على العربة ، فسرعان ما سارت به فورا • لم أرافق العربة الا الى آخر الشارع ، ذلك ان الحوذى لكز الحصان هنالك فأخذ يجرى عدوا • فكان العجوز يركض وراء العربة باكيا بصوت عال ، وكانت سرعة الركض تقطع انتحاباته • وقد سقطت قبعه العجوز عن رأسه فلم يرض أن يتوقف عن الركض لتناولها ، فكان المطر يبلل رأسه ، وهبت ريح فارسة ، فكان البرد الشديد يلسع وجهه التى تصفحه الرياح • ولكن العجوز لا يشعر بشيء ، ولا يحس شيئا ، ولا ينفك ينتقل وراء العربة من جانب الى جانب باكيا • ان أذيال « ردنجونه » الرث تطير وترتفع في الهواء كالأجنحة ، وان الكتب تخرج من جيوبه وتسقط على الارض ، ولكنه ممسك بيديه كتابا ضخما منها يبدو مشبا به نسبت الفريق بعارب النجاة • كان المارة يرفعون قبعانهم ويرسمون اشارة الصليب ، وكان

آخرون يتوقفون ويأخذون ينظرون الى العجوز البائس مدهوشين \* وفي كل لحظة تفلت من جيوب العجوز كتب فسقط على وحل الطريق ، فكان الناس يستوقفونه وينبهونه الى سقوط الكتب فيتناولها ويستأنف ركضه ليلحق بمركبة الميت \* وقد انضمت اليه عند ناصية الشارع امرأة فقيرة أشبه بشحاذة عجوز ، فشاركته السير وراء هذه الجنازة التي لم يتبعها أحد غيرهما \* وانحرفت العربة فغابت عن بصرى أخيرا \* فقفلت راجعة الى المنزل ، فما ان وصلت حتى ارتيمت على صدر أمى وأنا أنعر بحزن عميق لا يوصف \* ضمت أمى فى ذراعى ضما قويا ، وأغرقتها بالقبل باكية منتجة ، وشدت جسمى الى جسمها خائفة جزعة ، كأننى أحاول أن أحبس فى حضنى آخر صديق بقى لى فى هذا العالم ، لأدفع عنه الموت \*\*\* ولكن ملاك الموت كان يحوم منذ ذلك الحين حول أمى المسكينة \*

. . . . .  
 . . . . .



## ١١ حزيران ( يونيه )

كيف أشكر لك ، ياماكار ألكسييفتش ، نزهة الأمس في الجزر ؛  
 ما أحلى طراوة الجوهنالك ، وما أجمل خضرة الطبيعة ! اننى ما رأيت  
 خضرة منذ زمن ! كنت أعتقد طوال مدة مرضى اننى سأموت ، وكنت أعد  
 موتى قريبا محتوما لا مناص منه • فلك أن تقدر اذن ماذا كان شعورى  
 أس أثناء تلك النزهة • لا تؤاخذنى على اننى كنت حزينة ذلك الحزن  
 كله طول الوقت • والحق اننى كنت مسرورة جدا سعيدة جدا • ولكن  
 أجمل لحظات سعادتى لا بد أن يخالطها دائما شيء من حزن • ولئن بكيت  
 قليلا فلا تعباً بهذا ولا تلتفت اليه : أنا نفسى لا أدرى لماذا أبكى فى بعض  
 الأحيان • اننى حادة الشعور ، سريعة الاهتياج ، وجميع مشاعرى يازجها  
 ألم • لعل شحوب الجوه ، وصفاء السماء ، وغياب الشمس ، وهدوء الأفق ،  
 لعل ذلك كله قد ساهم فى هذا ••• لا أدرى ••• وأغلب الظن اننى  
 كنت بالأمس مهية لأن أحس الأشياء بنفسى حزينة وقلب متقل ، حتى  
 تتوشك روحى أن تنفجر فى بعض اللحظات ، فتهمر الدموع من عينى  
 على حين فجأة • ولكن لماذا أكتب لك هذه الأشياء ؟ تلك الأشياء مؤلمة ،  
 والتعبير عنها مؤلم أكثر منها أيضا • لعلك تفهمنى مع ذلك : لقد كنت  
 فرحة حزينة فى آن واحد • ما أطيبك يا ماكار ألكسييفتش ! كنت  
 بالأمس لا تنظر فى عينى بغية أن تقرأ مشاعرى ، وكانت نفسك تفيض  
 حماسا اذا رأيت حماسى • عند كل غابة صغيرة نراها ، وفى كل شعب  
 نسير فيه ، وأمام كل غدير تقف عليه ، كنت دائما تتقدمنى معتزا كل  
 الاعتزاز ، وتتنظر الى عينى بغير انقطاع ، كأنك تطوف بى فى أراضيك ،  
 تظهرنى على جمالها وتحملنى على الاعجاب بها • هذا كله يشهد بأن لك  
 قلبا طيبا نبلا يا ماكار ألكسييفتش • وذلك بعينه هو ما يجعلنى أحبك •

وداعا الآن • لقد عاودنى المرض اليوم • فان قدمى تبللتا أمس فأصابنى  
برد • وفيدورا متوعدة أيضا • ان يتسا يضم الآن مريضتين اثنتين •  
لا تسنى وأكثر زياراتك •

المخلصة لك : ب•د

١٢ حزيران ( يونيه )

عزيزتى فرارا الكسييفنا ، يا يهامتى

كنت أتوقع يا ماتوشكا ، أن أقرأ لك قصائد طويلة من شعر فى  
وصف ذلك النهار الذى قضيناه معا بالجزر ، ولكنك لم تكتبى الا صفحة  
واحدة صغيرة • واذا كنت أقول هذا ، فلأن ما كتبه قليل حقا ، ولكن  
ما كان أجمل ما قلته ، وما كان أروع ! لقد ضمت رسالتك كل شيء :  
وصفت الطبيعة ، وصورت مناظر الريف ، وعبرت عن أنبل المشاعر  
والعواطف ، هل هناك شيء لم تضمه هذه الرسالة القصيرة ؟ لقد وصفت  
كل شيء وصفا يبعث على الإعجاب ، أما أنا فليس لى موهبة • فمهما اسوتد  
من صفحات وصفحات ، فانتى لا أعبر عن شيء ، ولا أصل الى شيء • لقد  
حاولت فما ظفرت •

تقولين ، يا صديقتى العزيزة ، اننى انسان شهيم طيب القلب ، واننى  
عاجز عن ايداء أحد من الناس ، واننى أفدّر ما أودع الله خلقته من صنوف  
الجمال ، وتكيلين لى كل أنواع المديح والاطراء • هذا كله حق. ياماتوشكا  
هذا كله صدق. أنا كما تصفين فعلا ، أعرف ذلك بنفسى • ولكن حين

أقرأ أسياء كالتى تقولينها فى رسالتك ، فان قلبى يرق على غير ارادة منى ،  
ثم تغزوينى خواطر سود وأفكار حزينة • اسمعى يا ماتوشكا ، هناك  
ما أحب أن أقصه عليك أنا أيضا يا صديقتى العزيزة •

اعلمى أولا اننى حين عينت موظفا لم أكن قد تجاوزت السابعة عشرة  
من عمرى ، فخدمتى فى الوظيفة تقارب ثلاثين عاما ، وسأستطيع أن أحضل  
قريبا بمرور ثلاثين عاما على عملى فى هذه الوظيفة • آه ما أكثر ما أبليت  
من أردية رسمية خلال هذه المدة ! ولقد تقدمت فى السن ، وأمعت فى  
الجد ، ونضج فكرى ، وتعلمت معرفة الناس • لقد عشت ، نعم لقد عشت ؛  
أستطيع أن أقول اننى عشت فى هذا العالم ، حتى لقد أوشكت أن أرحس  
لنيل وسام • قد لا تصدقين كلامى ولكننى أقول لك الحقيقة • ومع ذلك  
وجد اناس أشرار أساءوا الى ونالونى بأذى • لا أكتمك يا صديقتى  
الطيبة اننى رجل مغلق ، رجل محدود من غير شك ، ولكن قلبى لا يقل  
طيبة عن قلب أى انسان آخر ••• هل تعلمين يا فارنكا ما صنع بى  
أولئك الأشرار ؟ ولكن فىم الكلام على ما صنعوه بى ! الأحرى أن  
تسألينى لماذا صنعوا بى ما صنعوه ؟ لأننى انسان بسيط رقيق هادىء طيب  
القلب لم يرق لهم أن أكون كذلك ، فكان لا بد أن أدفع الثمن • وهجموا  
على • قالوا فى أول الأمر : « أنت كيت وكيت يا ماكار ألكسييفتش » •  
ثم قالوا « أما ماكار ألكسييفتش ، فلا داعى الى الكلام عنه » ، وانهوا الى  
أن يقولوا : « هو ماكار ألكسييفتش ما فى ذلك ريب » • أرأيت ياماتوشكا  
كيف وقع هذا كله ؟ كل شىء يقع على ماكار ألكسييفتش • وجدوا أن  
خير ما يفعلونه أن يشهروا بى فى المنطفة كلها ، حتى صار ماكار  
ألكسييفتش مضرب النل ، ثم لم يكفهم أن يصيح اسمى مضرب النل ،  
وأن يصيح تشيمة وسبة تقريبا ، بل راحوا يهاجمون حذاءى وردائى الرسمى  
وشعر رأسى ، وحتى وجهى • لم يرضهم شىء فى ، فكان على أن أبدل كل

سئى على ما يرضون . وهذا كله يسنمر منذ زمن سحيق ، ويتكرر كل يوم .  
ولقد تعودت فى آخر الأمر ، لأننى أتلاءم مع كل شئ ، لأننى انسان مسالم ،  
لانى انسان بسيط منواضع ، ولكن لماذا هذا كله ، لماذا ؟ قولى لى : لماذا  
هذا كله ؟ بمن ألحقت أذى ؟ هل منعت أحدا أن يرفع ؟ هل وشيت بأحد  
الى الرؤساء ؟ هل نلت مكافآت لا أستحقها ؟ هل دبرت مكائد ؟ هل هيأت  
دسائس ؟ حرام أن يظن بى ذلك . . . . وهل فى وسعى أن أفعل شيئا من  
هذا ؟ احكمى بنفسك يا صديفتى العزيزة : هل لى من الذكاء ما يمكننى  
من الغدر والمكر والوقية . فلماذا يهاجمونى اذن ذلك الهجوم الشرير ؟  
غفر الله لى ! أنت ترين اننى رجل محترم ، فأنت خير منهم جميعا  
يا ماتوشكا . ولتساءل : ما أفضل الفضائل المدنية ؟ لقد صرح أوستانس  
ايفانوفش مؤخرا ، أثناء حديث خاص له ، ان أفضل الفضائل المدنية  
هى أن يعرف المرء كيف يكسب المال . قال ذلك مازحا ( أنا أعلم انه  
قال ذلك مازحا ) ، ولكن العبرة التى يجب أن نستخرجها من قوله هى  
ان من واجب الانسان أن لا يكون عالة على أحد فى هذا العالم . وأنا  
امرؤ لا أعتد على أحد . اننى أملك ما أضمن به. لى كسرة خبز .  
هى كسرة خبز بسيطة ، أعترف بذلك ، والخبز جاف يابس أحيانا ،  
هذا صحيح ، ولكنه لى ، كسبته بعملى حلالا وأكله محافظا على شرفى .  
فماذا يريدون منى أكثر من ذلك ؟ أنا أعلم حق العلم انه ليس بالمزية  
الكبيرة أن أعمل ناسخا طول النهار ، ولكننى فخور بعملى . اننى أقوم به  
جادا مخلصا ، وأتعب فى سبيله وأعرق . أهى خطيئة أن يعمل امرؤ  
ناسخا ؟ يخيل الى أنهم ما ينفكون يهزأون بى قائلين « هه . . . هه . . .  
هذا ناسخ . . هذا ناسخ » . فهل فى النسخ ما يشين ، هل فيه ما يلطخ  
الشرف ؟ ان خطى واضح جلى يسر الناظرين ، وصاحب المعالى راض  
عنه كل الرضى . اننى أنسخ لصاحب المعالى وثائق هى على جانب عظيم

من خطورة الشأن ، صحيح اننى لست بندى أسلوب • لست أجهل ذلك • أعلم اننى لا أملك شيئا من أسلوب ، لعن الله الأسلوب • لذلك لم أرتق فى وظيفتى • ولذلك أيضا أكتب اليك فى هذه اللحظة يا صديقتى العزيزة ببساطة تامة ، لا أنمق العبارات بل أقول ما أقول عفو الخاطر كما أحسه فى قلبى • أنا أعرف كل هذا • ولكن قولى : لو كان كل انسان يكتب من نفسه ولنفسه فمنذا الذى سيقوم عندئذ بعمل النسخ ؟ ذلك هو السؤال الذى أطرحه عليك ، وأطلب منك أن تقولى أنا على حق فيه أم لا ؟ اننى أدرك اليوم أن هناك حاجة الىّ ، واننى لا غنى عنى ، وانه ليس من الخير أن يحاول الناس ازعاج انسان شريف دون ما داع الى ذلك ، وأن يناكوه فى أمور سخيفة تافهة • فليعدونى فأرا ما داموا قد وجدوا بينى وبين الفأر شبة • أسلم لهم بذلك • ولكن للفأر ضرورته أيضا ؛ ان له نفعا فى هذا العالم ، وقد يُحرص على الفأر أحيانا ، وقد يعطى الفأر مكافآت ••• أنا فأر من هذا النوع • كفاى الآن كلاما فى هذا الموضوع يا صديقتى العزيزة ! وعلى كل حال فليس هذا ما كنت أريد أن أكتب اليك فيه • غير أننى تحمست قليلا • ومن الممتع مع ذلك أن ينصف المرء نفسه من حين الى حين • وداعا يا صديقتى العزيزة ، يا يمامتى ، يا عزاء قلبى • سأجىء اليك • سأزورك حتما ، يا شعاع ضيائى ، يا نور عيني • لا تسأمنى كثيرا بانتظار ذلك • سأحمل اليك كتابا • وداعا الآن يا فارنكاه

صديقك الحب المخلص

ماكار ديفوشكين

## عزيزى السيد ماكار ألكسييفتش !

اكتب اليك على عجل ، لان على أن أسرع ، فهناك شغل يجب أن أنجزه اليوم لأقدمه الى أصحابه . اسمع ما سأقوله لك : هناك فرصة موانية لصقفة مغرية . لقد قالت لى فيدورا ان لدى أحد معارفها رداء كاملا من أردية الموظفين يريد أن يبيعه ، وهو جديد تقريبا ، مع سروال وصديرة وبقعة ، ويظهر انه معروض للبيع بسعر زهيد . لست الآن فى عوز ، فلديك قليل من مال ادخرته ، قلت لى هذا أنت نفسك فلا تمنع ولا تكن بخيلا . ذلك أمر لا بد منه . انظر الى نفسك ، انظر الى نيايك كم أصبحت خلفه باليه رثه ؟ ألا تخجل أن ترتدى هذه الثياب التى لا يخلو موضع فيها من ترفيع ؟ وليس عندك رداء رسمى جديد . أنا أعرف ذلك رغم أنك تنفيه وتدعى نقيضه . الله يعلم أين ذهبت به ، أين ذهبت بالرداء الجديد ، أين بعته ! فاسمع كلامى ، واتبع نصيحتى ، واشتر هذا الرداء ، أرجوك . افعل ذلك من اجلى . اذا كنت تحبى فبادر الى شرائه .

لعد بعثت الى بقمصان هدية منك . فلماذا تدمر نفسك هذا التدمير يا ماكار ألكسييفتش ؟ لا شك أن القمصان قد كلفتك ثمنا باهظا . كيف نستطيع أن تبذل كل هذه النفقات فى سبيلى ؟ حقا انك تجد متعة فى التبذير وتبديد المال سدى . لم أكن فى حاجة الى هذه القمصان . كل هذا زائد عن الحاجة . أنا أعلم حق العلم انك تحبى ، لا شك فى ذلك فط . صدق انك لست فى حاجة الى تذكيرى به عن طريق الهدايا . انه ليشق على نفسى قبول هذه الهدايا منك . فأنا أعلم انها تكلفك نفقات باهظه . كفى هدايا . أقول لك هذا مرة واحدة . هل تفهمنى؟ أرجوك ، أتوسل اليك أن تكف . وتسالنى يا ماكار ألكسييفتش أن أبعث اليك بسمه ذكرياتى . انك تمنى أن أنجز كتابتها كاملة . لا أدري كيف فعلت حتى كتبت ما سبق أن بعثت به اليك لتقرأه ، ولكنى أعتقد اننى لن أملك من

القوة ما يمكنني من الرجوع الى الماضي • اننى أوتر أن أنسى هذا الماضي •  
 تلك ذكريات أخاف منها • أما أمى المسكينه التى تركت ابنتها الشقية  
 فريسة لهؤلاء الشياطين فان الكلام عنها يشق على نفسى أكثر من الكلام  
 عما عداها أيضا • ان دمي يفور فى قلبى حين أفكر فيها • كل هذه  
 الأمور ما تزال حية فى نفسى • لم يتسع وقى لأن أنوب الى رشدى تماما  
 بل ولا أن أهدأ بعض الهدوء رغم أن سنة بكاملها قد انقضت منذ ذلك  
 الحين • نم انك تعلم كل شىء على كل حال •

حدثك عن أحوال أنا فيدوروفنا الآن • انها تصفى بالعقوب ،  
 وتتصل من كل تبعه ، وترفض اتهامها بأنها كانت شريكه بيكوف فى ذنبه •  
 وهى تدعونى أن أعود الى منزلها ، قائلة ان تظاهرى بأننى ضحية لا يخذعها  
 عن أمرى ، واننى أسير فى طريق الضلال • وهى تعد بأن تصلح الأمور  
 مع السيد بيكوف ، وأن تجبره على اصلاح أخطائه نحوى اذا أنا عدت  
 الى منزلها • وقد أكدت ان السيد بيكوف على استعداد لأن يفتحنى باثثة •  
 اننى أوتر أن أتجاهله • اننى مرتاحة هنا ، معك ، ومع فيدورا الطيبة التى  
 يذكرنى اخلاصها بالمرحومة مريبتى • أما أنت فانك تحمينى بسلطة  
 اسمك ، رغم انك لآتمت الى الا بقربى بعيدة • اننى أعرف أولئك الناس  
 على حقيقتهم • سأحاول أن أساهم اذا استطعت ذلك • ماذا يريدون منى  
 بعد كل ما فعلوا ؟ فيدورا ترى أن ذلك كله ليس الا أفاويل يتقولونها ،  
 وانهم سيدعوننى وشأنى هادئة آخر الأمر • أسأل الله أن يصدق رأيا •••

ب ا د

يا يمامتى ، يا ماتوشكا !

أريد أن أكتب اليك ، ولكننى لا أعرف من أين أبدأ • أليس غريبا  
 يا ماتوشكا أن نجيا الآن هذه الحياة أنا وأنت ؟ أقول هذا لأننى لم أعش  
 ( ٩ و ١٠ ) دوستويفسكى

طوال حياتى الى الآن أياها حافلة بسعادة كهذه السعادة ، كأن الله قد شاء أن يهب لى بيتا وأسرة • ولكن ياابنتى، ياابنتى الصغيرة المعبودة، ما هذا الذى تقولينه بصدد تلك القمصان الأربعة الصغيرة التى أرسلتها اليك ؟ انك فى حاجة إليها ، علمت ذلك من فيدورا ، وانها لسعادة كبيرة لى يا ماتوشكا أن أستطيع تلبية رغباتك وتحقيق أمنياتك • فلا تحرمينى من هذه السعادة ، لا تحزينينى ، لا تثيرى الاعتراضات تلو الاعتراضات طول الوقت • لم أعرف فى حياتى كلها فترة كهذه الفترة ، ولا عهدا كهذا العهد • لقد بدأت أعرف ما هى الحياة ، وأخذت أسير قدما فى هذا العالم : فأنا أشعر أولا بأننى أعيش حياة مضاعفة لأنك تسكنين على مقربة منى فيعزىنى هذا كثيرا • وثانيا فان ساكنا من سكان منزلنا قد دعانى الى احتساء الشاي معه اليوم • انه جارى راتازايف ، الموظف الذى ينظم السهرات الادبية فى غرفته • سيعقد اجتماع فى هذا المساء ، وستحدث فى الأدب • هذا ما نفعله الآن يا ماتوشكا ، هكذا نحن الآن ، ووداعا الى حين • أكتب هذا كله عفوا ، لغير ما غاية ، لا لشيء الا أن أعلمك اننى بخير ، ان صحتى حسنة • أبلغتتى ، ياروحى اللطيفة ، بواسطة تيريز ، انك فى حاجة الى قليل من الحرير المصبوغ لأشغالك فى الخياطة • سوف أشتويه لك يا ماتوشكا • سوف أشتريه لك • وسوف أشتري حريرا أيضا • سوف يسعدنى أن ألبى طلبك منذ الغد • ثم اننى أعرف أين تباع هذه الأشياء • بانتظار ذلك أظلم :

صديقك المخلص

ماكار دييفوشكين



٢٢ حزيران ( يونيه )

### عزيزتى السيدة فرارا الكسيفينا !

يجب أن أبلغك ، يا صديقتى العزيزة جدا ، أن مصيبة كبيرة قد وقعت فى منزلنا ، وهى حادب يتير أعماق العطف والشفقة . فى نحو الساعة الخامسة من هذا الصباح خطف الموت أحداً أولاد السيدة جورشكوف . لا أعلم المرض الذى أصيب به ، لا أدرى أهو الحصبة أم هو مرض آخر ، وقد زرت أسرة جورشكوف هذه : أناس تساء يا ماتوشكا . ما أفسى البؤس الذى يعيشون فيه ! وما أسند القوضى فى غرفهم أيضا ! على أن هذا ليس بالأمر الذى يتير الدهشة : ان الأسرة كلها تعيش فى غرفة واحدة ، قسمت قسمين بحاجز بسيط من قيلول الحشمة . لقد استطاعوا أن يحصلوا على تابوت صغير ، بسيط جدا لكنه جميل : اشتروه جاهزا . ان الولد المتوفى صبى فى العاشرة من العمر كانوا يعتقدون عليه آمالا كبارا . ان رؤيتهم تؤلم النفس حقا يا فارنكا . الأم لا تبكى أبدا ، ولكن من يراها يحسن ان حزنا رهيا يسحق قلبها سحقا . مسكينه . لعل موت الصبى قد خفف عنهم عبء اطعام شخص . ولكن ما يزال عندهم اثنان ، رضيع و بنت صغيرة عمرها ست سنين أو تزيد قليلا . أية بهجة يمكن أن يشعر بها المرء حين يرى طفلا يتألم ، وحين يكون هذا الطفل فلذة كبده ، ثم هو لا يستطيع أن يدفع عنه الأذى وأن يساعده فى شىء ، أما الأب فقد كان جالسا على كرسيه المهترز ، يتسابه المهترئة القدرة ، لا يتحرك من مكانه ، ولكن الدموع تسيل على خديه . لعله لا يبكى حزنا بل يبكى هكذا ، من قيلول العادة ، لأن عينيه تخضلان من فرط ما أفسدهما البؤس والضعف . انه غريب جدا ، هذا الرجل ، ما يكاد المرء يخاطبه بكلمة حتى يحمر ويضطرب ويرتج عليه فما يستطيع

جوابه ورأيت البنت الصغيرة ، بنته ، متكئة على التابوت بوجه صغير مهموم حزين • مسكينة ! لأحب يا عزيزتى فارنكا ، لأحب أن أرى الاطفال مطرقين مفكرين ، هل تعلمين ؟ ليس منظرهم عندئذ بالمنظر الذى يسر القلب ! وكان ملفى على الارض شىء يشبه أن يكون «عروسا» من خرق ، ولكن البنت لا تلعب بها ، ظلت هنالك واقفة لا تتحرك ، وقد أسندت احدى أصابعها الصغيرة الى قمها • أعطتها صاحبة البيت قطعة سكر ، فلم تأكلها • منظر حزين يا فارنكا ، أليس كذلك ؟

ماكار دييفوشكين

٢٥ حزيران ( يونيه )

أرد اليك الكتاب الذى أعرتيه ، هذا كتاب تستحيل قراءته • ان المرء ليخجل أن يمسكه بيده • أين وقعت على هذه الجوهرة التمينه ؟ دعنا من المزاح ، هل تحب الكتب التى من هذا النوع حقا يا ماكار ألكسييفتش ؟ لقد وعدونى هنا منذ حين بأن يأتونى بشىء أقرؤه • سأعيرك الكتاب اذا شئت • أما الآن فالى اللقاء •  
حقا ان وقتى لا يتسع لكتابة مزيد •

ب • د •

٢٦ حزيران ( يونيه )

عزيزتى فارنكا !

الواقع اننى لم أكن قد قرأت هذا الكتاب يا ماتوشكا • وانما طافت عيناي على بضعة أسطر منه ، فبدأ لى مسليا ، وقدرت أن صاحبه كبه

ليضحك الناس ، وقلت لنفسي عندئذ : لا بد أن يكون مضحكا جدا ، وقد يحظى باعجاب فارنكا • فلذلك أرسلته اليك •

لقد وعدني راتازايف بأن يعيرني أدبا شائقا ذا قيمة • هكذا سيكور عندك كتب يا ماتوشكا • ان راتازايف يفهم أمور الأدب • انه رجل على جانب عظيم من العلم • وهو نفسه يكتب • ان له فلما سريع الحركة نشيطا • ويا لأسلوبه ما أجمله ! انه لذو أسلوب في كل كلمة يقولها • شيء لا يصدقه عقل • في أبسط جملة ، في الجملة المبذولة ، في جملة من الجمل التي يمكن أن أقولها أنا مثلا لفالدونى أو تيريز ، يستطيع هو أن يبث أسلوبا جميلا • اننى أحضر سهراته أيضا : ندخن الغليون ، ويأخذ يقرأ لنا ، وتستمر القراءة أحيانا خمس ساعات متتالية ونحن نصغى اليه • لذو كبيرة ، متعة عظيمة ، جمال رائع ، أزهار ، أزهار طول الوقت : في كل صفحة تستطيعين أن تجمعي باقة من أزهار • ثم ان الرجل لطيف طيب القلب ، دمث الخلق • ما أنا أمامه ؟ لا شيء ، لا شيء البتة ، انه ذو سهرة ، أما أنا فماذا أنا ؟ لا شيء ! أنا لاوجود لى قط • ومع ذلك فهو لطيف جدا فى معاملتى • اننى أنسخ له بعض الانبياء • ولكن اياك أن تتخيلي يا فارنكا أن وراء هذا غرضا ، وانه 'يلاطفنى لأننى أنسخ له هذه الاشياء • أبدا ، لا تصدقنى وشايات كهذه الوشايات يا ماتوشكا •

لا تصدقنى وشايات دينيه كهذه الوشايات ، لا ، لا ، اننى أقوم له بهذا العمل من تلقاء نفسى ، بملء ارادتى ، أنسخ كتاباته لأسره ، فاذا لاطفنى فليسرنى هو أيضا • هذا أكيد • انه رجل طيب ، طيب جدا ، وهو كاتب لا مثيل له •

الأدب شيء حسن يا فارنكا ، شيء جميل ، عرفت هذا أول أسس • وهو شيء عميق ، انه يبث القلب ، وينقف العقل ، وما الى ذلك • لا أذكر

كل ما قالوه عن هذا الموضوع في كتابهم • كان كتابا جيد الاسلوب ، الأدب لوحة أعنى لوحة ومرآة ، يجد فيه المرء أهواء وتعبيرا ، ونقدا مرهفا غاية الرهافة ، وتعاليم تقوّم الاخلاق ، ووثائق •• تعلمت هذا عندهم ، هذا كله تعلمته عندهم • أعترف لك بصراحة يا ماتوشكا اننى حين أجلس بينهم مصغيا اليهم ( مدخنا غليونا مثلهم ) فأسمعهم يتناقشون ويتكلمون في أمور شتى ، أحس فجأة أننى مضطرب جدا ، خجل جدا يا ماتوشكا • لا نملك أنا وأنت الا أن نصمت في مثل هذه الظروف • أشعر عندئذ اننى غيبى ، فأخجل من نفسى ، وأحاول خلال ساعات أن أوفق الى كلمة صغيرة ، الى نصف كلمة ، أقولها فى المناقشة ، ولكن الكلمة لا توافينى كأنما على عمد • ما أشد الحسرة التى تعترينى فى مثل تلك اللحظات يا فارنكا ! ما أشد الأسف الذى أشعر به حين أدرك اننى لست من مستواهم ، وحين أتصور ، على حد تعبير المل ، أننى كبرت ناسيا أن أحمل معى عقلى • فى أى تىء أفضى أوقات فراغى مثلا ؟ أنام ، بعباء ، مع أن فى امكاني أن أشغل نفسى بأمور ممتعة جميلة بدلا من هذا النوم الذى يزيد عن الحاجة • فى امكاني مثلا أن أجلس الى منضدتى فأكتب شيئا • ويكون فى هذا متعة لى ، ومتعة لغيرى من الناس • ليتك تعلمين يا ماتوشكا كم يتقاضى هؤلاء الكتاب ثمنا لكتاباتهم سامحهم الله ! انظرى الى راتازايف هذا ! انه يقبض مالا كبيرا ، مالا كبيرا ! ماذا تكلفه كتابه صفحة ؟ ان فى وسعه أن يكتب خمس صفحات فى اليوم ، وقد قال لى انه يتقاضى عن كل صفحة ثلاثمائة روبل • فاذا اتفق له أن يضيف حكاية مضحكة أو شيئا طريفا حصل على خمسمائة روبل • انه يحصل عليها ، ولا مناص •• حتى لقد يُدفع له فى بعض الأحيان ألف روبل •• ولكن هذا نادر ••• ما قولك فى هذا يا فرفارا ألكسييفنا ؟ وليس ذلك كل شيء ••• ان عنده دفنرا كتب فيه قصائد شعرية ، ليست بالقصائد

الطويلة ، وهو يطلب ثمنها لها سبعة آلاف روبل يا ماتوشكا ! تخيلي هذا !  
 ••• ان هذا المبلغ يساوي ثمن عمارة ، ثمن منزل فخيم ! قال لي انهم  
 عرضوا عليه خمسة آلاف ، ولكنه رفض • أردت أن أردّه الى الصواب  
 فقلت له : « أقبل خمسة آلاف روبل من هؤلاء الناس يا أخي ، أقبل  
 ما يعرضونه عليك ، اضحك عليهم ثم دعهم وشأنهم ، ثم ان خمسة آلاف  
 روبل ثروة » ، فأجابني قائلاً : « لا بل أريد سبعة آلاف ، وسيدفعونها لي  
 أخيراً ، هؤلاء الأوغاد » • حقا انه لرجل قد •

وما دمت أحدثك عنه يا ماتوشكا ، فلماذا لا أنقل اليك هنا جزءاً من  
 كتابه « أهواء ايطالية » ؟ ذلك هو عنوان أحد الكتب التي ألفها • اقرئي  
 يا فارنكا ، ثم احكمي بنفسك •

••• ارتعش فلاديمير ، وانطلقت أهواؤه جامحة عارمة غاضبة ،  
 وأخذ الدم يغلي في عروقه ••

صاح يقول :

« - أينها الكوتيسة ، أينها الكوتيسة ، انك لا تعرفين مدى هذه  
 العاطفة الرهيبة ، ولا تدركين مدى جنوني • لا ، لا ، ان أحلامي لم  
 تكذبني الخبير • انني أحب ، أحب حانقا ، أحب منتشيا ، ساخطا ، أحب  
 كما يحب رجل فقد عقله ، كل دم زوجك لن يكفى لاطفاء جذوة الحماسة  
 الهاذية ، ولتهديئة النار التي تلتهمني • لن تستطيع حواجز تافهة وعقبات  
 مسكينة أن تصد الامواج العارمة التي تهز قلبي هزاً قويا لا سبيل الى  
 مقاومته ، ولا أن تطفىء النيران الجهنمية التي تضطرم في نفسي المتعبة  
 الظمأى • آه يا زينايد ، آه يا زينايد ! ••

« قالت الكوتيسة مدممة وهي تلقي رأسها على كتف الفتاة :

« - فلاديمير !

« فصاح سميلسيكى بالغا أوج الفرح والسعادة :  
« - زنائيد !

« وانطلقت من صدره آهة • لقد أشعل الحريق أشعة ساطعة  
هيكل الحب ، وأرعرش صدر العشيقين الشقيقين •

« عادت الكونيسة تدمدم نشوى ، بينما كان صدرها ينهض  
وبينما كانت عيناها تلمعان ، وبينما كان خذاها يحمران :  
« - فلاديمير !

« وتم زفاف جديد رهيب !

« وبعد نصف ساعة دخل الكونت المعجوز مخدع زوجته ، فقال  
لها وهو يفرص خذاها :

« - ألا يحسن ، يا غزالتى ، أن نطلب سماورا لضيقتنا العزيز ؟

ما رأيك يا ماتوشكا ، صحيح ان فى هذا الكلام شيئا من الجراءة...  
أسلم لك بذلك... ولا سبيل الى انكاره... ولكن ما أجمله كلاما ،  
وما أعذبه أسلوبا ! ما هو جميل فهو جميل لا يمكن جحوده • وان شئت  
نقلت أيضا جزءا من قصة عنوانها : « أرمك وزليخة » •

تصورى يا ماتوشكا : ان القوزاقى ارمك ، الرجل الوحشى الشرس  
المخيف الذى غزا سيبيريا ، قد هام بحب زليخة ، ابنة القيصر السيبيرى  
كوتشوما ، التى وقعت أسيرة فى يده • هى قصة من عهد ايفان الرهيب  
كما ترين • اليك الحوار الذى قام بين ارمك وزليخة :

« - أنت تحببتى اذن يا زليخة ؟ ألا رددى هذا ، ردديه... »

« قالت زليخة مدممة :

« - أحبك يا ارمك •

« - ايه أيتها السماوات ، ايه أيتها السماوات ، لك الحمد والشكر!

اتنى سعيد !

«لقد وهبت لى كل ما حلمت به نفسى الحارة العنيفه منذ أيام المراهقة •  
الى هنا قدتى يا كوكب مصيرى ، ومن أجل هذا اذن انما دفقتى الى هذا  
المكان البعيد وراء الحدود ، لسوف أجعل الناس جميعا يعجبون بحبيتى  
زليخة ، ولن يستطيع الرجال ، لن يستطيع هؤلاء الشياطين الغضاب أن  
يلومونى ، آه ••• ألا ليتهم كانوا قادرين على أن يفهموا آلام روحها  
الرفيقة ، وأن يروا القصيدة التى تضمها عبره واحدة من عبرات حبيتى  
زليخة ، آه ••• دعينى أكفك هذه العبرة بقبلاتى ، دعينى أشرب هذه  
الدمعة المباركة ، هذه الدمعة الالهية ••• أيتها المخلوفة السماوية •••

« قالت زليخة :

« - الناس أنرار يا ارمك ، الناس ظالمون ، لسوف يضطهدوتنا ،  
ويسوموتنا سوء العذاب ، لسوف يستنكرون فعلتنا ويحكمون علينا ،  
يا عزيزى ارمك • ما عسى أن تصير اليه ، فى مجتمعك البارد المتجمد  
المتفطرس الذى لا قلب له ، الفتاة المسكينة التى شبت وترعرعت بين ثلوج  
سييريا ، مسقط رأسها ، ولم تعش أبدا الا تحت خيمة أبيها • لن يفهمنى  
الناس يا معبودى ، يا فارس أحلامى •

« فزأر ارمك يقول وقد جنت عيناه :

« - لسوف يهوى السيف القوازقى على رؤوسهم عندئذ صافرا ••

وتخيلى الآن يا فارنكا ، كيف سيكون اضطراب ارمك هذا حين  
يعلم أن زليخة قد قتلت ، ان الملك العجوز الاعمى كوتشوما قد استغل

ظلمة الليل ، فتسلل فى غيبة ارمالك الى معسكره وقتل ابنته هو ، بغية أن يضرب ارمالك ، الذى سلبه نور عينيه وتاج ملكه ، ضربة قاضية •

« صاح ارمالك يقول وهو فى حالة غضب وحشى جنونى ، وقد أخذ

يسن خنجره على مسن من حجر :

« - أحب صليل الحديد على الحجر • أحب الدم • أحب الدم • أحب ارمالك  
يجب أن أقتلهم جميعا ، يجب أن أذبحهم جميعا ، يجب أن أقطع أجسادهم  
اربا اربا • • • • »

وبعد ذلك ، لما أدرك ارمالك انه لن يقوى على أن يعيش بعد موت

حبيته زليخة ألقى بنفسه فى نهر ارتيش ، وانهت بذلك القصة •

اقرئى أيضا هذا المقطع القصير • لقد كتب بروح الوصف الهزلى ،

للاضحاك لا أكثر :

« هل تعرفون ايفان بروكوفيفتشس بولتوبوزوف ؟ ذلك الذى عض

ايفانوفتشس فى ساقه ؟ ان ايفان بروكوفيفتشس رجل خشن الطبع قليلا ،

لكنه وهب مزايا كبيرة • ولا كذلك بروكوب ايفانوفيتشس ، فانه يعبد أكل

اللفت مع العسل • ذلك حين كان ما يزال متعلقا ببيلاجيا أنطونوفنا • • •

ولكن لعلكم لا تعرفون ببيلاجيا انطونوفنا ؟ انها تلك المرأة التى تلبس

تنورتها مقلوبة دائما • • • • »

هذا للفكاهة يا فارنكا ، وما أجملها فكاهة ، كنا نمسك خواصرنا

بينما هو يقرأ لنا هذه القصة • ولكنه فتى سفيه ، غفر الله له ! اننى أسلم

يا ماتوشكا بأن هذا الكتاب بذيء قليلا ، وأنه أيضا ماجن ، ولكنه من ناحية

أخرى سليم جدا ليس فيه شىء من الحاد أو لبرالية • يجب أن نلاحظ

يا ماتوشكا ان سلوك راتازايف سلوك ممتاز ، وهذا هو السر فى انه

كاتب رائع ، لا كغيره من الكتاب •



تخطر ببالي في بعض الاحيان فكرة غريبة : ماذا لو أخذت أنا أيضا، نعم أنا أيضا، في كتابة شيء؟ ما عسى يحدث عندئذ؟ لنفرض مثلا انه ظهر في المكتبات ذات يوم، دون سابق انذار، كتاب بهذا العنوان : « قصائد ماكار ديفوشكين » ما رأيك يا ملاكي الصغير؟ كيف تجددين هذا، وما عسى تفكرين؟ اما أنا يا ماتوشكا - يجب أن أعترف لك بالحقيقة - فانتى متى نشر الكتاب لن أجرؤ أبدا على أن أضع قدمي في شارع نيفسكى، بل لا يمكن أن يخطر ببالي أن أضع قدمي في هذا الشارع . ذلك ان كل واحد من الناس سوف يشير الى باصبعه قائلا : هذا هو، هذا هو المؤلف، هذا هو الكاتب ديفوشكين، الشاعر، انه هو بعينه، انه ديفوشكين بدمه ولحمه . ما عسى يحدث في تلك اللحظة يارب ! ما عسى يحدث بسبب حذائي؟ يجب أن أسر اليك عرضا ياماتوشكا ان حذائي مرقعان دائما . أما النعلان فكثيرا ما يتفق أن يفغرا على نحو غير لائق . فما عسى يحدث حين يعلم جميع الناس ان الكاتب ديفوشكين ينتعل حذاءين مرقعين؟! لابد أن تعلم بذلك كوتيسة أو دوقة ما، فما عساها تقول يومذاك؟ انتى أطرح عليك هذا السؤال، لأننى أتخيل الكوتيسات لا ينتبهن الى الاحذية، ولا سيما أحذية صغار الموظفين ( ذلك أن الاحذية تتفاوت )، ولكن لابد أن يروى الناس للكوتيسة ان حذائي مرقعان . ان أصدقائي أنفسهم سيخونوننى عندئذ، وعلى رأسهم راتازايف . . . . لسوف يكون راتازايف أول من يفضحنى . . . انه يختلف الى الكوتيسة ف أحيانا كثيرة . وهو يدعى انه يزورها بغير كلفة متى خطر بباله أن يفعل، ويصفها بأنها امرأة فذة، ضليعة في الأدب، وانها سيدة حقا . يا له من نموذج عجيب راتازايف هذا ! . . . ولكن حسبي ما كتبته الى الآن حول هذه الأمور . . انتى أكتب اليك يا ملاكى لا لشيء غير أن أسليك . . أكتب اليك عفو الخاطر لأسرى عنك

قليلًا • وداعا يا يمامتى ، رسالتى اليك طويلة هذه المرة ، ومرد ذلك خاصة الى اننى رائق المزاج • لقد تغدينا عند راتازايف ، فما أعجب الأشياء التى تخيلناها هنالك ! ( انهم صيبة أشقياء مغترون ، يا ماتوشكا ) ما أكثر الأشياء التى تخيلناها •• ولكنك لست من أستطيع التحدث اليه فى تلك الأشياء ! أرجو أن لا تظنى بى سوءا يا فارنكا • فانما ذكرت لك هذا عرضا •• سأبعث اليك بكتب حتما • انا تتداول هنا كتابا بعنوان « بول دو كوك » ، ولكن هذا الكتاب لم يخلق لمتلك يا عزيزتى • هو كتاب لا يناسبك ولا يليق أن تقرئيه • يقال ان هذا الكتاب قد أثار استياء نييلا لدى جميع النقاد فى سان بطرسبرج • أرسل اليك الآن رطلا من المربب اشتريته لك خصيصا • كليه يا روحى العزيزة واذكرينى كلما قضمت قطعة منه • أما فنود السكر فلا تقضيه قضا بل مصيه مصا ، والا أوجع القضم أسنانك • لعلك تحيين مسكر الشعير أيضا ؟ اذا كنت تحيينه فاذكرى لى ذلك ، وداعا الآن ، وداعا • كان الله معك يا يمامتى • أما أنا فساظل •

صديقك المخلص

ماكار ديفوشكين

٢٧ حزيران ( يونيه )

السيد العزيز ماكار ديفوشكين

تؤكد فيدورا أن هناك أناسا يحبون أن يهتموا بأمرى ، فيكفلوا لى عملا طيبا لدى أسرة من الأسر كمرية • فما رأيك يا صديقى ؟ أيجب أن أقبل أم لا ؟ واضح اننى لن أبقى عالة عليك فى هذه الحالة ، والأجر

حسن فيما يظهر • ولكنني من جهة أخرى أخاف قليلا أن أسكن لدى غرباء • هم أسرة من مالكي الأطيان • سوف يسئلون عني ، وسوف يأخذون يلقون عليّ الأسئلة تلو الأسئلة ، سوف يستطلعون أمرى فماذا أجيبهم عندئذ ؟ ثم انني عدا ذلك متوحشة كثيرا ، أحب الأركان التي عشت فيها زمنا طويلا ولا يروق لي أن أبارحها • ان المرء يشعر بالراحة والطمأنينة في الأماكن التي ألفها واعتادها ، مهما يكن قد لاقى فيها من شقاء • ثم ان هؤلاء الناس يقيمون في مكان بعيد • ولا يدرى الا الله ما الذي يتوقعونه مني ! لعلهم لا يريدون الا أن أكون خادمة للأطفال • وعدا ذلك ، فانهم لا يوحون اليّ بالثقة • لقد غيروا معلمة أولادهم ثلاث مرات في غضون سنتين • فما هي نصيحتك يا ماكار ألكسيسيتش ؟ أرجوك أن تسدي الي بنصيحتك ، أيجب أن أقبل هذا العرض أم يجب أن أرفضه ؟ ••• ولكن قل لي : لماذا لا تجيء اليّ أبدا ؟ انه ليندر أن تضع قدميك عندي • فلا أكاد أراك الا يوم الأحد في الصلاة ! يالك من متوحش ! انك متلى تماما ، ألسنت قريبتك ؟ أنت لا تحبني يا ماكار ألكسيسيتش ، وكثيرا ما أشعر بحزن شديد حين أكون وحدي • ويتفق لي في بعض الأيام ، ولا سيما عند الغسق أن أحس بأنني وحيدة ، وحيدة تماما في هذا العالم • لقد ذهبت فيدورا لشراء بعض الأشياء • وها أنا ذا جالسة أحلم وأحلم ، الي غير نهاية : أستعرض الماضي ، الساعات الحزينة والساعات السعيدة • ينبغي كل شيء في ذهني ، كأن الذكريات تتبع من خلال ضباب • أرى بخيالي الوجوه المألوفة ( وأحسب أحيانا انني أراها بعيني فعلا ) ، ولا سيما وجه أمي ، فإني أراه أكثر مما أرى غيره من الوجوه ••• وما أكثر ما أحلم أيضا ••• انني أحس أن صحتي مضعضة • انني ضعيفه شديدة الضعف • في هذا الصباح مثلا ، حين نهضت من فراشي ، شعرت بأوجاع • ثم انني أسعل سعالا سيئا • أنا أعلم

انى ساموت فى القريب ، أحس بذلك منذ الآن ، فمن ذا الذى سيهتم  
 بدفتى ؟ من ذا الذى سيسير وراء نعشى ؟ من ذا الذى سييكنى ؟ ... هل  
 يجب أن أموت فى منزل غرباء ، لدى أناس لا أعرفهم ، بمدينة بعيدة ؟  
 ... ربه ! ما أشقى الحياة وما أكثر أجزائها ! ويا ماكار ألكسييفتش ،  
 الى متى ستظل تمطرني بسكاكرك ؟ انى لأتساءل حقا من أين جاءك كل  
 هذا المال ؟ يا صديقى ، ادخر مالك ، ناشدتك الله ، لا تلتفه ولا تبذره  
 سدى ! ان فيدورا تبيع الآن سجادة فرغت من تطريزها . سنأخذ ثمنها  
 خمسين روبلا ورقا . هذا سعر حسن جدا ما كنت أطمع فى الحصول  
 على مثله . سأعطى فيدورا ثلاثة روبلات فضة ، وأصنع لنفسى بالباقي  
 ثوبا ، ثوبا بسيطا ، ولكنه دافئ . يدفع عنى غائلة البرد . وسأصنع لك  
 صديرة أيضا ، أشتغلها بنفسى بعد أن أختار لها قماشنا جيدا .

حصلت لى فيدورا على كتاب « حكايات بيلكين » ، وها أنذا أرسله  
 اليك اذا كنت تحب أن تقرأه . لكنى أرجوك أن تعنى بالكتاب ، وأن  
 لا تحتفظ به عندك طويلا ، لأنه ليس لى . والكتاب من تأليف بوشكين .  
 لقد قرأت هذه الأفاصيص منذ سنتين بصحبة أمى ، فلما أعدت قراءته الآن  
 شعرت بحزن شديد . اذا كان لديك كتب أخرى فارسلها لى ، شريطة  
 أن لا تأتى من راتازايف . ذلك أنه لن يفوته أن يعطيك كبا من تأليفه ،  
 اذا كان قد نشر شيئا حتى الآن . كيف تستطيع أن تتذوق ما يكتبه ياماكار  
 ألكسييفتش ؟ ان ما يكتبه لهو ترهات وسخافات ... وداعا الآن . لقد  
 أطلت التريثة معك . حين أكون حزينة يحلو لى أن أتحدث عن أى شىء  
 . ذلك دواء مفيد أحس بعده بشىء من الراحة ، لا سيما اذا استطعت أن  
 أقول ما كان يثقل على صدرى . وداعا يا صديقى ، وداعا .

المخلصه لك

ب . د

٢٨ حزيران ( يونيه )

### عزيزتى ماتوشسكا ، عزيزتى فرقارا الكسييفنا !

متى تكفين عن تعذيب نفسك هذا التعذيب كله بدون داع ؟ ألا تخجلين ؟ هلا عقلت يا ملاكى الصغير ؟ كيف يمكن أن تدور فى رأسك خواطر كهذه الخواطر ؟ ما أنت بمريضة يا روحى ، ما أنت بمريضة قط ، بالعكس . . . . . أوكد لك انك كالزهرة نضارة وتفتحا . صحيح انك ساحبة بعض الشحوب ، ولكنك كالزهرة نضارة مع ذلك . ثم ما قصة تلك الأحلام أو الرؤى التى تسترسلين فيها ؟ دعى عنك هذه السخافات يا يمامتى ، ولا تفكرى فيها بعد الآن قط ، هل تفهمين ؟ لماذا لا أترسل أنا فى مثل تلك الأحلام ؟ هل ترين أننى أحلم ، هل ترين أن لى رؤى كتلك الرؤى ؟ أجيبى ! هلا اقتديت بى يا ماتوشسكا ! اننى أعيش حياة هادئة ، أنام نوما مريحا ، وأتمتع بصحة جيدة . ذلك شىء يسر القلب يا عزيزتى . انسى هذه الخزعبلات يا حياتى ، انسيها ، أنا أعرف رأسك الصغير يا بنيتى ، يكفيك أيسر شىء حتى تسترسلى فى الأحلام ، فسرعان ما يغزو قلبك الحزن . ناشدتك الله لا تفعلى هذا بعد اليوم . أما أن تعملى فى منزل غرباء فهذا مستحيل . لا ، لا ، لا . . . . . ما هذه الفكرة السخيفة التى راودتك ؟ ماذا دهاك فجأة ؟ وفى مكان بعيد عن هنا ؟ يا ماتوشسكا ، لن أسمح بذلك ، سأعارض هذا المشروع بكل ما أوتيت من قوة . سأبيع ردائى القديم فأخرج الى الشارع بقميص اذا اقتضى الأمر ، ولكن لن يعوزك شىء عندنا . لا يا فارنكا ، لاء اننى أعرفك . تلك خواطر سخيفة ، تلك أفكار مجنونة . لا شك أن فيدورا وراء ذلك كله . انها امرأة غبية بلهاء ، ولا شك انها هى التى أثرت فيك . لملك لم تعرفى فيدورا هذه بعد ، هى امرأة حمقاء تحب الشجار ، وتهرف بما لا تعرف ، وتخط فى

كلامها خبط عشواء ... بهذا انما اودت بحياة زوجها المسكين وأرسلته الى القبر . ألعلمها أوحث اليك بشيء من عدم الرضا عن حياتنا الراهنة ؟ لا ، لا ، يا ماتوشكا ، مستحيل ! ما عسانى أصبح اذا ابتعدت أنت ، ماذا يبقى لى أن أفعله فى هذه الحياة ؟ لا يا فارنكا ، لا يا حياتى ، اطردى من رأسك هذه الأفكار ؟ ماذا ينقصك عندنا ؟ ان وجودك ينبوع فرح لنا ، ينبوع دائم لا ينضب . انك تحيينا ، فعيشى اذن هادئة حيث أنت الآن . اعملى فى الخياطه أو فالتقى الى القراءة ... لابل دعى الخياطة اذا شئت ، سيات أن تخطى وأن لا تخطى ... ولكن ابقى معنا . والا فأين نذهب نحن ؟ فولى أين نذهب نحن ؟ سأتيك بكتب ، وقد تقوم بنزهة جديدة بعد زمن ، ولكن اتركى تلك المشاريع يا ماتوشكا ، اتركيها ، اعطلى ، ودعيك من هذه السخافات التى تندفعين فيها لغير ما سبب . سأجيبى اليك ، سأجيبى فرييا جدا ، ولكن اسمحى لى أن أقول لك بصراحة واخلاص ان ما تقولينه عن راتازايف ليس صحيحا . أنا أعلم اننى رجل لا ثقافة له ، أعترف بذلك ، فاننى لم أتابع الدراسة ، وليس هذا ما أريد أن أتكلم فيه على كل حال ، لست أنا موضع الكلام الآن . ولكننى لا أسمح أن يمس راتازايف ، وقد أردت أنت أن تمسه . هو صديقى ، ولذلك أدافع عنه . ان ما يكتنه جد جدا ، بل ممتاز ، بل رائع . لست أوافقك على رأيك فيه ، ولن أستطيع أن أحيد حكمك عليه . ان له أسلوبا مزهرا ، رشيقا ، مفعما بالصور ، زاخرا بالمعاني . انه كاتب ممتاز فى الواقع . لعلك ، حين قرأت تلك الفقرات ، كنت فى لحظة ذهول أو خدر بافارنكا ، لعلك قرأتها موصدة القلب دونها ، أو لعلك كنت معتكرة المزاج ، أو لعلك كنت غاضبة من فيدورا ، أو لعل حادئا مزعجا آخر كان يشغل بالك فى تلك اللحظة . يجب أن تعيدى قراءتها يا فارنكا ، حين تكونين راقية المزاج ، راضية النفس أو فرحة القلب ، حين تكونين بسبيل قضم مرببة

أو مص سكرة : في لحظة كهذه انما يجب أن تعيدى قراءة تلك الفقرات •  
 لا أنكر ( ومن ذا الذى ينكر ذلك ؟ ) أن هناك كتابا اعظم من راتازايف ،  
 وان هناك كتابا أعظم بكثير • ولكن اذا كان أولئك الكتاب مشهورين ، فان  
 راتازايف كاتب ممتاز أيضا • انهم يجيدون الكتابة جدا ، ولكنه يجيد  
 الكتابه هو أيضا • انه يختلف عنهم ، انه يكتب بطريقته الخاصة ، وانه  
 ليحسن صنعا اذ يكتب • وداعا الآن يا ماتونسكا، لا أستطيع أن أفيض أكثر  
 مما أفضت ، وأن أطيل هذه الرسالة مزيدا من الاطالة • اتنى مستعجل •  
 هناك أعمال تناديني • ولكنى أتوسل اليك يا ماتونسكا ، أضرع اليك  
 يا طائرى الجميل ، أن تهدينى روعك ، إن تظمئنى بالا ، وأن تطيبي نفسا •  
 كان الله معك وسأظل :

صديقك الأمين الوفى  
 ماكار ديفوشكين

حاشية : أشكر لك ارسالك الكتاب الى • سأقرأ بوسكين أيضا مادمت  
 ترغين فى ذلك • وسأجىء اليك فى هذا المساء ، أعدك بهذا •

### عزيزى ماكار الكسييفتش

لا يا صديقى ، لا ، لا أستطيع أن أستمع على العيش بينكم • لقد  
 غيرت رأى ، وأدركت أنى أسىء صنعا اذا أنا رفضت عملا مجزيا الى  
 هذه الدرجة • سيقفل لى هذا العمل رغيفا على الأقل • سأبذل ما أملك من  
 جهد ، وسأتحمل ما أستطيع تحمله من عناء ، وسأحظى برضاء هؤلاء  
 الغرباء عنى وجبههم لى ، بل سأحاول أن أغير طبعى اذا اقتضى الامر ذلك •  
 صحيح ان من الصعوبة والمسقة والالم بمكان أن يعيش المرء لدى غرباء ،

وأن يكون رهنا باحسانهم اليه وعطفهم عليه، وأن يكره نفسه على المالتحِب،  
وأن يخفى عواطفه ويكتم مشاعره ، ولكن الله سيمدني بعون من عنده •  
يستحيل أن أبقى متوحشة طول عمري على كل حال • لقد سبق لي أن  
مررت بظروف من هذا النوع • تلك كانت حالتي في صغري حين كنت  
أعيش في مدرسة داخلية • كنت اذا جئت الى البيت يوم الاحد أظل أقفز  
وأتب طول النهار ، حتى أن أمي كانت تؤنبني على ذلك ، ولكنني لم أكن  
أحفل بالتأنيب ، فان نفسي تكون في تلك اللحظات طافحة سعادة ومرحاً •  
حتى اذا جاء المساء استبد بي حزن رهيب ، لأن عليّ أن أعود الى المدرسة  
الداخلية في الساعة التاسعة ، حيث كل شيء بارد ، غريب عني ، قاس عليّ •  
كانت المربيات تظهر كثيرا من الشراسة في معاملتي ، فكان قلبي ينقبض  
ابتضا أليما ، وكنت أحس بالدموع توشك أن تظفر من عيني ، فأذهب  
أختبئ في ركن مظلم ، فأذرف العبرات صامتة وحيدة ، أخفيها عن  
الآخرين ، حتى لا يظنوا بي الكسل • والحق انني لم أكن أبكي لهذا  
السبب ، لم أكن أبكي لأن عليّ أن أستأنف العمل والدراسة • ثم تعودت •  
نعم تعودت ، بل بلغت من هذا التعود أنني حين جاءت لحظة ترك المدرسة  
الداخلية بكيت أيضا وأنا أودع صديقتي • انني أسىء صنعا اذا عشت عالة  
عليكما • ان هذه الفكرة تعذبني عذابا شديدا • أقول لك هذا بصراحة ،  
لأنني صريحة معك دائما • هل تظن أنني لا ألاحظ أن فيدورا تستيقظ  
مبكرة في كل صباح تغسل الغسيل ثم تظل تعمل الى ساعة متأخرة من  
الليل ، مع ان عظامها الهرمة في حاجة الى شيء من راحة ؟ وهل تظن انني  
أجهل انك تدمر نفسك في سبيلي ، انك تخرج آخر كوبك تملكه لتنفقه  
عليّ ؟ انك لا تستطيع أن تفعل هذا بمواردك وحدها يا صديقي • لقد قلت  
لي في رسالتك انك ستبيع آخر متاع من أمتعتك في سبيل أن لا يعوزني  
شيء • انني أصدقك يا صديقي وأؤمن بشهامتك وطيب قلبك ، ولكنك



تلقي الكلام على عواهنه يا صديقي • أنت تملك الآن شيئا من مال لم يكن في الحسبان ، هو تلك المكافآت التي نلتها • ولكن ما عساک فاعلا بعد ذلك ؟ اننى دائما مريضة ، أنت تعرف ذلك ، فلست قادرة على أن أعمل منلك ، رغم اننى أتمنى ذلك • ثم اننى لا أجد شغلا بالقدر الذى يجب لى • فماذا الذى بقى على أن أحاوله والأمر كما ترى ؟ ما عسای أصبح هنا ؟ أأضنى نفسى بطول الانتظار حزينةً بينما أتما تعملان يا صديقى العزيزين ، يا صديقى الطيبين ؟ كيف يمكن أن أنفعكما فى شيء ، فى أى شيء ، وأنا على ما أنا عليه ؟ ولماذا تتصور أنك لا غنى لك عنى يا صديقى ؟ أى جميل صنعت لك ؟ أى خير قدمت إليك ؟ صحيح اننى متعلقة بك من أعماق نفسى ، صحيح اننى أحبك كثيرا ، كثيرا جدا ، ولكن قدرى فاسر حزين • أنا أعرف أن أحب ، وأستطيع أن أحب ، ولكن هذا هو كل شيء وا أسفاه ، لأننى عاجزة بنفسى عن أن أصنع لك خيرا ، وعاجزة عن أن أرد لك جميلا • فلا تشبث بى مزيداً من التشبث ، بل فكر فى الأمر مليا ، وأبلغنى كلمتك الأخيرة • وياتنظار ذلك أظل :

### صديقتك المخلصة

ب • د

### أول تموز ( يوليو )

عبث يا فارنكا ، عبث ، كل هذا عبث • متى انقطع المرء عن مراقبتك ، وضعت فى رأسك لا أدرى ماذا ، ووجدت ما تتعللين به فقلت : هذا الأمر لا يجرى كما يجب أن يجرى ، وهذا الأمر البانى أيضا ، وذاك الثالث

كذلك ، الخ • انى أرى الآن ان هذا الكلام كله هراء • ماذا تبغين يا ماتوشكا؟ مم تشكين يا عزيزتى؟ فولى لنا ماذا ينقصك هنا؟ انك تحيينه وانا نحبك، فنحن اذن جميعا سعداء راضون؟ ماذا تريدن أكثر من ذلك؟ هل تتخيلين أن ما ينقصك هو ان تعيشى لدى غرباء؟ انك لتجهلين ما هم الغرباء! اسألينى أجبك • انما أعرف ما رجل غريب يا ماتوشكا! أعرف ذلك حق المعرفة • لقد اتفق لى أن أكلت من خبز رجل غريب • انه شرير يا فارنكا ، شرير يا عزيزتى ، يبلغ من الشر أن قلبك الصغير المسكين سيدوى عنده ، لأنه لن يكف لحظة عن اضائه باللوم والتفريع ، لن يكف لحظة عن ايدائه ••• ثم ان نظرته نظرة سيئة • أنت عندنا بخير ، أنت عندنا فى دفء ، كأنك فى عش صغير بمنجى من كل أذى • فاذا سافرت كنت كأنك تهجريننا وتأخذين حياتنا • ما عسى نصيح هنا يدونك؟ ما عسى أفعل أنا الشيخ المسكين فى هذه الحالة؟ تزعمين أنك لا تفيدننا فى نىء ••• أنت لا تفيدن فى نىء؟ ما هذا الكلام؟ لا يا ماتوشكا ••• هلا فكرت فى الأمر بنفسك؟ كيف يمكن أن لانكون فى حاجة اليك؟ كيف يمكن أن نستغنى عنك؟ أنت تفيدننى جدا يا فارنكا ، ان وجودك يحسن الى كثير يا عزيزتى! ••• فى هذه اللحظة مثلا ، أفكر فيك فيمتلىء قلبى فرحا • وفى بعض الأيام أكتب اليك رسالة أودعها ما أحس به ، وأودعها كل نفسى ، فأتلقي منك جوابا عليها ، جوابا مفصلا ، فهل هذا قليل؟ لقد اشتريت لك خزانة ملابس ، وأوصيت لك ببقعة صغيرة • وانت تعهدين الى أحيانا بشراء شىء من الأشياء فافعل ••• فكيف يمكنك أن تقولى بعد هذا انك لا تفيدننى فى شىء؟ ما عساي أفعل بدونك وحيدا فى شيخوختى ، ولأى شىء يمكن أن أصلح؟ لملك لم تفكرى فى هذا حتى الآن يا فارنكا! لا ، لا ، يجب عليك أن تفكرى فى هذا حتما ، يجب عليك أن تتساءلى : « فى أى أمر يمكن أن يكون مفيدا بعدى؟ » •

لقد تعودت عليك يا صديقتي العزيزة • فماذا عسى يقع لو سافرت؟ لسوف أمضى الى شاطئ نهر نيفا وينتهي الامر ، نعم ، هكذا ستجرى الامور يا فارنكا، ماذا تريدان أن أصبح بدونك؟ آه يا فارنكا، يا فارنكا، يا حياتي، يا روجي ، أتراك تتمنين أن تحملني عربة موتى الى مقبرة فولكوفو في يوم قريب ، وأن تسير وراء نعشي امرأة فقيرة سبجاجة بأسمالها البالية الخلقه ، وحدها في الجنازة ، وأن يهيل عليّ بعض الرجال بضع مجارف من تراب ، ثم ينصرفوا الى سأنهم ويتركوني وحدي هناك ••• انه لائم ، انه لائم أن تقولى ما قلته يا ماتوشكا ••• شهد الله انه لائم ! ••• أعيد اليك كتابك يا بنيتي ، يا فارنكا العزيزة ، فاذا أردت يا طفلي أن تعرفي رأيي في هذه الأفاصيص ، فاعلمي اننى لم أقرأ فى حياتي كلها كتابا يبلغ هذا المبلغ من الروعه • اننى لأسأل اليوم يا ماتوشكا ، كيف أمكنتنى أن أعيش حتى الآن فى مثل الجهل الذى عشت فيه ، يا لئبائى ! ••• سامحنى الله ! ••• ماذا صنعت؟ من أى غايه خرجت؟ اننى لا أعلم شيئا يا ماتوشكا ، لا أعلم شيئا قط • أقول لك بكل بساطة يا فارنكا : اننى انسان بلا ثقافه • لم أقرأ حتى الآن الا قليلا ، قليلا جدا ، يشبه أن لا يكون شيئا • قرأت كتاب « أخلاق الانسان » وهو كتاب عميق ، وقرأت « الصبي الصغير الذى يلعب بالأجراس » وقرأت « طيور ايبكوس » ، ذلك ما قرأته ، ولم أقرأ شيئا آخر غيره فى حياتي • وقد فرغت الآن من قراءة « ناظر المحطة » فى كتابك • يجب أن أعترف لك بالحقيقه يا ماتوشكا : انه لأمر عجيب أن يستطيع امرؤ أن يعيش فى هذا العالم دون أن يخطر بباله أن هناك على مقربة منه كتابا يقص فيه قصة حياتنا كلها شاهد عيان! ان أمورنا من حياتي كانت خافية على غامضة فى نفسى ، فاذا هى تظهر لى شيئا بعد شئ منبته من ذاكرتى أثناء قراءة هذه القصة ، واذا أنا أراها من جديد ، واذا أنا أفهمها أول مرة • ثم ان هناك سببا آخر جعلنى أحب كتابك هذا • ان ثمة

كتبنا لا شك أنها عظيمة ، ولكن المرء منا يستصعب فهمها مهما تكن قيمتها ،  
 ومهما يبذل في سبيل ذلك من جهد ، لأنها مسرفة في العمق ، مسرفة في  
 الذكاء . أنا مثلا غليظ الذهن . . . . كان ذهني غليظا دائما على أى حال ،  
 ذلك نىء ولد معي حين ولدت . . . . فلا أستطيع أن أقرأ الكتب التى تفوق  
 قدرتي على الفهم . . . . أما كتابك هذا ، فانتى أقرؤه كما لو كنت كتبه  
 بنفسى . . . . كأن مؤلفه قد تناول قلبي أنا - اذا جاز التعبير - تناوله كما هو  
 فى واقعه ، فأظهر عليه الناس ، مقلباً إياه على جميع وجوهه، ليصفه وصفا  
 دقيقا بجميع تفاصيله ، نعم بجميع تفاصيله . انه فى غاية البساطة ، أجل  
 فى غاية البساطة . . . . هذا حق ، ولعله كان فى وسعى أن أكذب مثله ،  
 ولماذا لا أكذب مثله ؟ انتى أحسن هذه الأشياء نفسها تماما ، وقد اتفق أن  
 وجدت فى ظروف تشبه كل الشبه ظروف صمصون فيرين الشقى مثلا . . .  
 ذلك أن كثيرا منا هم أمثال صمصون فيرين هذا . . . . أناس طيون يؤساء !  
 الا ما كان أحذق المؤلف فى كتابة هذا الكتاب ! لقد أوشكت الدموع أن  
 تنهمر من عيني يا ماتوشكا حين قرأت أن هذا الخاطيء العائر الحظ قد  
 ظل يشرب الى أن فقد الذاكرة ، فنام مع حزنه المر طوال النهار بفرائه  
 المصنوع من جلد الخراف . حتى اذا استيقظ شرب كأسا صغيرة لاغراق  
 أحزانه ، ثم ما لبث أن عاد يبكى بكاء يثير الشفقة ، ويجفف دموعه بأكمامه  
 القذرة ، لأنه تذكر عزته ، شاء المسكينه الصغيره الضائعه ، ابنته ديتاشا .  
 ألا ان هذا كله لطيعى جدا ، وصادق جدا ! . . . . حق ما أقول ياماتوشكا ،  
 أعيدى قراءة الكتاب بنفسك : ان ما يصفه الكتاب لهو الصدق عينه ، لهو  
 الحياة نفسها . . . . رأيتنه أنا نفسى ، لأن ذلك كله موجود أمام عيني .  
 أنظرى الى تيريز مثلا . ليس بالمرء حاجة الى الذهب بعيدا من أجل أن  
 يقع على أمثلته . وهذا الموظف الفقير الذى يسكن عندنا . . . . قد يكون  
 هو أيضا اتسانا مثل صمصون فيرين . . . . لكنه لا يسمى صمصون فيرين

بل يسمى جورشكوف • هذا مصير مشترك بين الناس جميعا يا ماتوشكا ، وهو شقاء يمكن أن ينزل علينا نحن ، يمكن أن ينزل على أنا • والكونت أيضا ، الكونت المتعطرس الذى يسكن فى شارع نفسكى أو على شاطئ نهر نيفا ، ان من الممكن أن يصيبه هذا المصير نفسه • قد يبدو الأمر عندئذ مختلفا حين يقع لكونت ، لأن كل شيء يجرى لدى الناس الذين هم من نوعه على نحو آخر ، على نحو أرفع ، ولكن الأمور تستوى فى الحقيقة • • لأن كل شيء يمكن أن يقع ، قد يقع هذا لى أنا • • • قد أسقط فى الانم يا فارتكا ، قد أسقط فى هوة الشقاء • سوف تضعين نفسك يا صديقتى العزيزة ، وسوف تجرئنا نحن الى الضياع أيضا • هلا طردت من رأسك الصغيرة هذه الأفكار التمردة يا عزيزتى ؟ هلا أرحتى من هذا العذاب فى غير طائل ؟ ألا فكرى أيها الطائر الصغير المسكين الذى لم يبت ريشه بعد ، ما عساك صانعة من أجل أن تتعهدى نفسك بنفسك ، من أجل أن تصونى نفسك من الضياع ، من أجل أن تحمى نفسك من شر الأشرار ؟ كونى عاقلة يا فارتكا ، وعودى لنا • لا تلقى بالا بعد الآن الى النصائح الغبية التى ينصحونك بها ، لا تصغى الى هذا الهذر السخيف • واقربنى كتابك مرة أخرى ، اقربيه باتباه وامعان • ان قراءته ستفعلك وستسرى عنك •

تحدثت عن « ناظر المحطة » الى راتازايف • فقال ان هذه الاشياء كلها قد انقضت زمانها وأصبحت بالية ، وان الكتاب يؤلفون الآن كتباً تضم لوحات وأنواعا شتى من الوصف • يجب أن أعترف على كل حال بأننى لم أفهم شروحه حول هذه النقطة فهما جيدا • وقد خلص من كلامه الى أن بوشكين كاتب جيد ، وانه صنع أشياء كثيرة لمجد روسيا المقدسة ، وقال لى كذلك أشياء أخرى عنه • • • نعم يا فارتكا ، انه كتاب جيد حقا ، جيد جدا • فأعبدى قراءة هذا الكتاب ، ولكن اقربيه باتباه وامعان • اتبعى

نصيحتى ، فاذا فعلت أفرحت قلب هذا الشيخ المسكين ، أنا • واسأل الله  
يا حمامتى أن يعجزيك عنى خير الجزاء فى هذه الحال ، ولا شك فى أنه  
سيجزيك خير الجزاء •

صديقك المخلص

ماكار دييفوشكين

### السيد العزيز ماكار الكسييفتش

جاءتنى فيدورا اليوم 'بخمسة عشر روبلا فضة • ما كان أشد ابتهاجها  
هذه المسكينة ، حين أعطيتها عن هذا المبلغ ثلاثة روبلات • أكتب اليك  
الآن مستعجلة • اننى بسبيل تفصيل صديرة لك ••• انه نسيج رائع :  
زهرات صغيرة على أرضية صفراء • وأرسل اليك كتابا يضم أقاصيص  
شتى • لقد قرأت بعض هذه الأقاصيص ، وأنصحك خاصة بقراءة القصة  
التي عنوانها « المعطف » • اقرأ هذه القصة • أراك تلج على اصطحابى الى  
المسرح • ألا يكلف الذهاب الى المسرح نفقات باهظة ؟ اللهم الا أن  
تشتري تذاكر فى المشى • منذ مدة طويلة لم أذهب الى مسرح • حتى  
اننى لا أتذكر الآن متى ذهبت آخر مرة • كل ما أخشاه أن يكلف الذهاب  
نفقة باهظة : ذلك ما يشغل بالى • ان فيدورا تهز رأسها طول الوقت ،  
مؤكدة انك تفق الآن أكثر مما تكسب • وأنا أدرك هذا بنفسى على كل  
حال • ما أكثر ما أنفقت من أجلى مثلا ! حذار أن يسبب لك هذا بعض  
المكارة ! لقد حدثتنى فيدورا عن اشاعات مفادها انه قام بينك وبين صاحبة  
الدار شجار بسبب تأخرى فى دفع أجر الغرفة • اننى قلقة عليك جدا •

الوداع الآن • يجب علىَّ أن أسرع • هناك عمل مستعجل يجب أن أنهجه:  
يجب أن أغير أشرطة قبعة •

حاشية : تخطر على بالي فكرة : اذا ذهبنا الى المسرح فسأضع على  
رأسي قبعتي الصغيرة الجديدة، وسأسدل على كفتي خمارا أسود • أتخسب  
أن هذا سيكون جميلا علىَّ ؟

٧ تموز ( يوليه )

### عزيزتي السيدة فرارا ألكسييفنا !

أعود الى ما قصصته عليك أمس • نعم يا ماتوشكا ، لقد عرفت أنا  
أيضا ، فى ذلك الزمان ، ما هو فقدان الصواب ، واختلال الرشد • لقد  
تولمت بتلك الممثلة الصغيرة ، وهمت بحبها هياما شديدا • وليس هذا  
بشيء على كل حال • فالأنكى من ذلك اننى لم أكن قد رأيتها تقريبا ،  
واننى لم أكن قد ذهبت الى المسرح الا مرة واحدة ، ومع ذلك استطعت  
أن أفتتن بتلك المرأة • كنت فى ذلك العهد أعيش فى منزل جيرانى فيه  
خمسة شبان لا يكاد يفصلهم عنى حائط ، وهم شبان لهم رؤوس مجبونة ،  
انعدت أواصر الصلة بينى وبينهم دون أن أريد ذلك ، ورغم أننى حاولت  
جهدى أن أظل على مسافة منهم • وعندئذ ، من أجل أن لا أكون متخلفا  
عنهم ، أخذت أجاريتهم ، أخذت أقلدهم جميعا • ما أكثر ما حدثونى عنها •  
وكلما أقيمت حفلة تمثيل فى المسرح ذهبت الجماعة كلها الى المسرح •  
كانوا لا يملكون حتى للطعام والشراب ما يكفى من مال • ولكنهم يذهبون  
الى المسرح ، يشتررون تذاكر بالمشى ، ويأخذون يصفقون هنالك ما شاء

لهم هواهم أن يصفقوا ، حتى لتكاد تدمى أيديهم من شدة التصفيق كأنها قد مسهم جن ، ويأخذون يهتفون باسم الممثلة فى غير انقطاع • فإذا عادوا الى المنزل بعد ذلك ، لم يكن هناك سبيل الى النوم ، فهم لايزيدون على أن يتحدثوا عن تلك الممثلة طول الليل ، فيناديها كل واحد منهم باسمها • انهم هائمون بها جميعا فقلوبهم جميعا تخفق بحب واحد •

وانتهى الأمر بأن أدخلت حكاياتهم الاضطراب فى قلبى المسكين ، وكنت فى ذلك العهد فتى فى ريعان الشباب ، فرأيتنى أذهب معهم ذات مساء الى المسرح ، لا أدري كيف تم ذلك ، وكانت أماكننا هنالك فى آخر الممشى ، فكنت لا أستطيع أن أرى من هنالك الا ركنا من الستارة • ولكننى كنت أسمع كل شيء • كان لهذه الممثلة صوت عذب حقا ، كان له جرس صاف كأنه رنين الفضة ، حتى ليشعر المرء حين يسمع صوتها انه يسمع تغريد هزار صغير • صفقنا جميعا ، حتى شعرنا من فرط التصفيق بألم فى الأيدي ، وكانت هتافاتنا تتعالى صراخا من شدة الحماسة • ولا أدري كيف لم توقفنا الشرطة بسبب هذا الصخب الذى أحدثناه • ومع ذلك فقد أخرج أحدنا من المسرح • فلما عدت الى البيت كنت كمن هو فى حلم • لم يكن قد بقى فى جيبى الا روبل واحد من فضة ، وكان على أن أنتظر عشرة أيام حتى أقبض راتبى • فهل تعرفين ماذا فعلت ياماتوشكا؟ فى صباح الغد ، قبل أن أذهب الى المكتب ، دخلت مخزن عطور فرنسية ، فاشتريت عطورا واشترت صابونا معطرا ، فأنفقت فى ذلك آخر كويك أملكه • اتى ما أزال أتساءل حتى اليوم لماذا اشتريت تلك الأشياء جميعا ! الحق انى لا أدري أنا نفسى لماذا فعلت ذلك • ولم أعد الى بيتى للعشاء فى ذلك اليوم ، بل قضيت وقتى كله أتجول تحت نوافذ منزلها • كانت تسكن فى شارع نفسكى ، بالطابق الرابع • ومضيت الى بيتى بوثة لأرتاح ساعة قصيرة ، ثم ما لبثت أن عدت الى شارع نفسكى ، أستأنف تجولى



تحت نوافذ منزلها • وظللت أعيش على هذا النحو شهرا ونصف شهر •  
 أمشى في اثر المثلة وأتبع خطاها ، فاستأجر عربات وراءها ، مختارا من  
 الخوذيين من أراه أسرع من غيره جريا • بددت دراهمي ، وتراكت على  
 الديون ، ثم رأيتني في يوم من الأيام وقد كفتت عن حبها : سئمت  
 القضية • أنظري يا ماتوشكا ماذا تستطيع ممثلة أن تفعله برجل لائق •  
 ولكن يجب أن أذكر أنني كنت في ذلك العهد شابا صغيرا ، صغيرا جدا •

• • •

٨ تموز ( يوليو )

### السيدة العزيزة جلد فرارا الكسييفنا !

أسارع فأرد اليك الكتاب الذي أعرتيه في اليوم السادس من هذا  
 الشهر • وأبادر فأتهر الفرصة لأصارك في هذا الأمر • انه لسيء  
 يا ماتوشكا ، انه لسيء منك أن تدفعيني الى مثل هذا البعد دفعا لا هوادة  
 فيه • اسمح لي أن أقول لك ان الله العلي القدير هو الذي يحدد مصير  
 كل انسان ويعين وضع كل انسان في هذا العالم • ان الله تعالى هو انذى  
 تقضى مشيئته أن يكون فلان من الناس جنرالا ، وأن يكون فلان الآخر  
 موظفا وضيع الشأن هين المنزلة من موظفي الحكومة • هذه ارادة الله •  
 ان ارادة الله هي التي تشاء أن يكون فلان من الناس أمرا ، وأن يكون  
 فلان الآخر محكوما عليه أن يطيع باحترام دون أن يدمم بكلمة • ذلك  
 كله انما نظم وفقا لاختلاف البشر في الاستعدادات والكفاءات • فبعض  
 الناس مؤهلون لبعض الأمور ، وبعضهم الآخر غير مؤهلين لهذه الأمور ،

ولكن لهم كفاءات أخرى في مقابل ذلك • ومواهب البشر هذه انما هي  
من صنع الله •

بعد قليل أكون قد سلخت من عمري ثلاثين سنة في خدمة الحكومة •  
لقد فمت بواجباتي دائما خير قيام ، فلا يستطيع أحد أن يأخذ عليّ شيئا في  
هذا المضمار • وكان سلوكي حسنا ، فما أدمنت على شراب ولا تدخلت  
يوما في الاضطرابات السياسية • صحيح ان لي بعض العيوب كمواطن •  
انتي اعترف بذلك ولا أخفيه قط ، ولكنني أملك بعض المزايا أيضا •  
انتي أجظي بتقدير رؤسائي ، حتى أن صاحب المعالي نفسه راض عني •  
ولئن لم يظهر لي حتى الآن ما ينبىء عن تقدير خاص ، فأنا أعلم أنه راض  
عني • ان خطي واضح جلي ، رشيق رشاقة كافية ، لا هو بالضخم جدا  
ولا بالدقيق جدا ، قريب من الكتابة المعتادة ، مقروء دائما ، مرض دائما •  
وليس في دائرتنا أحد غير ايفان بروكوفيفتشس له خط كخطي ، ومع ذلك  
فهو لا يضاھيني • ولقد وخط الشيب رأسى من طول ما جهدت في عملي •  
وليس هنالك من خطيئة ذات بال يمكن أن تؤخذ علي • صحيح انني  
ارتكبت بعض الخطايا الصغيرة ، ولكن من المعصوم عن ارتكاب بعض  
الخطايا الصغيرة أحيانا ؟ اما أن أكون قد قارفت ذنبا كبيرا أو جريمة من  
الجرائم ، كمخالفة للنظام أو كإفلاق للراحة العامة ، فذلك أمر لم يخطر  
بال أحد أن ينسبه الي • لم يؤخذ عليّ شيء من هذا في يوم من الأيام •  
لم تعرف حياتي شيئا من هذا قط • حتى لقد أوُسكت أن أنال وساما •  
حسبي أن أقول ذلك ••• كل هذا كان يجب أن تعرفه في الواقع  
يا ماتوشكا • وكان يجب عليه هو أن يعرفه أيضا ، انه منذ قرر أن يصنفي  
كان ينبغي له أن يعرف الحقيقة كاملة • لا ياماتوشكا ، ماكنت أتوقع منك  
هذا ! ••• ما كنت أتوقع منك هذا يا ماتوشكا ، منك أنت خاصة علي  
كل حال ••

كيف ؟ ألن يستطيع المرء أن يعيش فى ركنه العادى ، أيا كان هذا الركن من جهة أخرى ؟ هل أصبح من غير الجائز للمرء أن يجيا دون أن يعكر ماء جاره ، على حد قول المثل ، دون أن يؤذى أحدا ، خاسيا ربه مهتما بنفسه ، حتى لا يؤذيه أحد أيضا ، حتى لا يدخل أحد الى ركنه الصغير فيحشر أنفه فى شئونه الداخلية ؟ هل من الضرورى أن يعرف كيف أعيش فى بينى ، وهل أملك صديرة ، وهل عندى ما أحتاج اليه من ملابس تستر جسمى ، وهل لى حذاءان ، وهل حذاءى جيد نعلهما ، وهل أطعم اذا جعت ، وما طعامى وما سرايى ، وما هى النصوص التى أنسخها ؟ أى ضمير يا ماتوتسكا فى أن أجتاز الطريق ماتسيا على رؤوس الأصابع اذا لم تكن الطريق مرصوفة ، حتى لا يهترىء حذاءى؟ ما حاجتهم الى الكتابة عن أخيهم ؟ انه ينفق له أن يمر بأيام بؤس وحرمان وأن لا يحتسى قليلا من الشاى ، فهل من الضرورى أن يشرب جميع الناس الشاى ؟ هل أنظر أنا الى فم كل انسان لأعرف ماذا يدخل الى بطنه ؟ مع من سلكت هذا السلوك ؟ ومن أهنت هذه الأهانة ؟ لا ياماتوتسكا ، عيب علينا أن نجرح انسانا لم يمسسنا بسوء • اسمعى يا فرفارا ألكسيفنا على سبيل المثال : انتى أفوم بواجبى كل يوم بهمة ونشاط واخلاص ، والرؤساء راضون عنى ، وهم يحترموننى ( مهما يقولوا فهم يحترموننى ، هذا أكيد ) ، فاذا بانسان يأخذ يكتب عنى ويشهر بى ويسىء الى دون سبب ظاهر ودون أى عذر مقبول • نعم انه ينفق لى أنا أيضا أن أصنع لنفسى رداء جديدا أو أن أسترى حذاءين ، فأبلغ من فرحى بذلك أن لا أنام الليل ، ذلك شىء يبهج النفس • انها لمتعة حقا أن يتتعل المرء حذاء رشيقا جديدا • هذه لذة • هذا سُعور شعرت به ، اعترف بذلك ، والوصف هنا صادق • ومع ذلك يدهشنى ان رئيسنا فيدور فيودورفتس قد سمح بصدور هذا الكتاب ، عن غفلة منه ، لأن الكتاب يتال منه أيضا •

صحيح أن هذا الموظف الكبير ما يزال شابا ، وانه يجب أحيانا أن يرفع صوته • ولكن لماذا يجب أن لا يصرخ قليلا ؟ هل من الضروري أن لا يؤنب أحدنا تانيا شديدا حين يجب التأنيب ؟ أنا أسلم بأنه يفضب أحيانا بدون سبب ظاهر • ولكن هذا أمر لا غنى عنه ، احتفاد بالمهابة وتهذيا للناس • ان من الواجب أن يوحى اليهم بهذا الاحترام المفيد • ذلك اننا معشر البشر - أقول هذا بيني وبينك - لا نعمل فعلا حسنا الا اذا شعرنا بشيء من الحشمية • ما من أحد يفكر في غير مصالحه ، وفي غير تقدمه ، فهو يريد أن يذكر هنا ، وأن يناد به هناك ، أما أن يعمل فذلك ما يحاول أن يتملص منه ما وسعه التملص • ثم ان الموظفين ليسوا جميعا في رتبة واحدة ، فبعضهم فوق بعض درجات ، ولا غرابة والحالة هذه أن يختلف بعضهم عن بعض لهجة وحذقة على حسب الرتبة • ذلك في طبيعة الأمور • وكذلك بنى العالم ياماتوشكا • ان الحياة الاجتماعية تعتمد على مظاهر السلطة التي يصطنعها بعضنا تجاه بعض ، وعلى الطريقة التي يتخاطب بها بعضنا مع بعض لوما وتانيا • وبدون هذه الاحتياطات لا يمكن أن يوجد العالم ، ولا يمكن أن يقوم نظام في أى مكان • لذلك يدهشنى حقا أن يسمح فيدور فيودوروفتش بنشر هذا الكتيب الجارح المؤذى سهوا أو اهمالا •

وأى شيطان دفع هذا الكاتب الى الكتابة ؟ ما نفع هذا الذى كتبه ؟ هل سيرسل الى أحد القراء معظفا جديدا بعد أن يقرأ هذه القصة ؟ هل سيشتري لى حذاءين جديدين ؟ لا يافارنكا ، ان الناس سيقرأون القصة ، ثم لا يزيدون على أن يرغبوا في معرفة تمنتها • يحاول المرء أن يختبئ ما وسعه الاختباء ، ويجهد أن يكون صغيرا ما أمكنه ذلك ، ويبدل قصاره في سبيل أن لا يلتفت اليه أحد ، حتى ليخشى أحيانا أن يظهر أنفه في الخارج لأنه لا يجب أحكام الناس ، لأنه يخشى أن يجعله الناس

أضحوكة لغير سبب ، ثم اذا هو يرى حياته المدنية والعائلية كلها معروضة  
مبسوطة في الأدب بلا خجل ولا حياء ولا حشمة ولا عذار ، واذا كل  
شئ مذاع مطبوع مكشوف معرى ، يحكم عليه الناس ويضحكون منه  
ويهزأون به ! لن يستطيع المرء أن يخرج بعدئذ الى الشارع ، لأن كل  
شئ قد بلغ من دقة الوصف في الكتاب أن الناس سيعرفونه حتى من  
مشيته . وكان يهون الأمر لو أن الكاتب قد كفر عن كتابه بتخفيف  
الخاتمة ، باضافة شئ يلطف القصة . كان في وسع المؤلف مثلا عندما  
وصف كيف تصف الرجل المسكين بالقرطيس ، أن يذكر أن هذا الرجل  
كان انسانا فاضلا ، وانه كان مواطنا صالحا ، وانه كان لا يستحق أن يعامله  
زملاؤه هذه المعاملة ، لأنه كان يحترم دائما من هم أكبر منه سنا ( كان  
في وسع المؤلف هنا أن يضرب مثلا صالحا ) ، وأنه لم يؤذ أحدا طوال  
حياته ، وانه آمن بالله وانه حين مات ( اذا أصر المؤلف اصرارا مطلقا على  
أن يميته ) حزن جميع الناس وبكوه . وكان من الأفضل أيضا أن لا يموت  
المسكين ، وانما يُعمل مايجب من أجل أن يُغفر له على العطف ، أو أن  
يستدعيه فيدور فيدوروفتشس - لا . . . ماذا أقول ؟ - أقصد أن يستدعيه  
الجنرال حين علم بفضائل هذا المرؤوس ، فيبلغه انه نال ترقية ، وانه  
سيعطى راتبا حسنا . بذلك كان يمكن انقاذ كل شئ : يعاقب الأشرار  
وتكافأ الفضيلة ، ويرتدع الزملاء الخبياء . بهذه الخاتمة كان يمكن أن  
أختم أنا القصة . ماذا في هذه القصة من خير ، ماذا فيها من جمال خارق؟  
ان المؤلف لم يزد على أن حكى واقعة مبتذلة ، لم يزد على أن وصف شيئا  
مستمدا من الحياة اليومية ! كيف خطر ببالك يا عزيزتي الغالية أن ترسلي  
الى كتابا كهذا الكتاب ؟ انه كتاب مغرض يا فارتكا . ثم انها قصة غير

معقولة • لأنه لا وجود لموظفين من هذا النوع • لا ، لا ، سوف أشكو  
أمرى الى السلطات يا فارنكا ، سوف أشكو أمرى ، فررت ذلك •

خادمك المخلص  
ماكار ديفوشكين

٢٧ تموز ( يوليو )

ان الأحداث الأخيرة ، وكذلك رسائلك ، قد أذهلتى وأفرغتني ،  
ولكننى فهمت أخيرا كل شيء بعد الذى روتته لى فيدورا • لماذا بلغ بك  
الحزن واليأس هذا المبلغ ؟ لماذا ألقىت بنفسك الى الهوة التى اضطرب فيها  
الآن ؟ هلا قلت لى لماذا يا ماكار الكسييفتشس ؟ ان الشروح التى قدمتها لم  
تقنعنى أبدا • ألم أكن على حق حين أصررت على قبول العمل المجزى  
الذى عرض على ؟ ألا تعترف بأننى كنت على حق ؟ ثم ان حادثتك الأخيرة  
قد أخذت تقلقنى حقا • لقد كنت أشعر طبعاً اننى مدينة لك كثيراً منذ  
كنت تؤكد لى ان ما تنفقه فى سبيلى ليس الامدخرات ادخرتها للطوارئ •  
ولكننى أعلم الآن انك لم تكن قد ادخرت شيئاً ، وانك حين عرفت عرضاً  
ما أعانى من بؤس ، رق قلبك لى فقررت أن تساعدنى بانفاق رواتب عدة  
أشهر قبضتها سلفة ، واعلم أيضاً انك مضيت بعد ذلك تباع ملابسك أثناء  
مرضى • ان اكتشافى هذه الحقيقة قد جعلنى فى وضع أليم جداً ، حتى  
صرت أتساءل الآن كيف يمكن أن أقبل كل هذا ، وماذا يجب أن يكون  
رأى فيه ! لماذا لم تكتف يا ماكار ألكسييفتشس بحسناتك الأولى التى دفعتك  
اليها الشفقة ومشاعر القرابة فحسب ، بدلا من الاندفاع فى انفاق المال فى  
أمور لا فائدة منها ولا طائل تحتها كما فعلت بعد ذلك ؟ لقد خنت صداقتنا

يا ماكار ألكسييفتش حين لم تكن صريحا معي فأخفيت عني الحقيقة .  
 اتى اليوم وقد أدركت أن دريهماتك الأخيرة قد ضاعت في شراء أدوات  
 زينة لى وتبعثرت ثمننا لسكاكر ونزهات وتذاكر مسرح وهدايا كتب ،  
 أكثر تكفيرا باهظا عن تلك اللذات بعذاب الضمير من فرط الندم على  
 خفتى التى لا تتغفر ( لأننى كنت أقبل منك ذلك كله دون أن أراعى  
 وضعك ) . ان كل ما فعلته بغية ان تفرحنى يسنجيل الآن الى عذاب لى ،  
 ولا تبقى منه الاحسرات عقيمة . لقد لاحظت كأبتك منذ مدة ، ورغم انى  
 توقعت فى كثير من الهم والقلق أن يحدث حادث أليم ، فان ما حدث ما كان  
 ليخطر لى على بال . ما هذا ؟ كيف يمكنك أنت يا ماكار ألكسييفتش أن  
 تستسلم لمثل ذلك اليأس ؟ ما عسى يقول عنك جميع أولئك الذين  
 يعرفونك ، وما عسى يكون رأيهم فيك ؟ كيف يمكنك أنت يا من كنا  
 نحترمك أنا وجميع الناس لطيب قلبك وتواضع نفسك ورجاحة عقلك ،  
 كيف يمكنك أن تسقط فى تلك الرذيلة المقوتة التى أحسب أنها لم  
 تمهد فيك قط حتى الآن ؟ يا لهول ما شعرت به حين علمت من فم فيدورا  
 انهم لموك من الشارع سكران ، وان الشرطة فادتك الى منزلك ! لقد  
 صعقت من الدهشة وذهلت عن نفسى وتبله عقلى فى تلك اللحظة ، رغم  
 انى كنت أتوقع أن يحدث شىء غير عادى ، لأنك كنت قد غبت عنا أربعة  
 أيام . هل فكرت يا ماكار ألكسييفتش فيما سيقوله رؤساؤك حين يعلمون  
 سبب تغيبك ؟ تقول لى ان جميع الناس يسخرون منك الآن ، وان جميع  
 جيرانك أصبحوا يعرفون صداقتنا ، وان سخرياتهم وأمازيحهم لا تنسانى  
 أنا أيضا . لا تحفل بهذا يا ماكار الكسييفتش ، وهدىء روعك ، ناشدتك  
 الله ! وانى شديدة القلق أيضا بسبب ذلك الذى وقع لك مع الضباط .  
 لقد سمعت بهذا النبأ غامضا . قل لى ، أرجوك ، ما معنى هذا كله ؟ كتبت  
 لى انك لم تكن تجرؤ على مصارحتى ، وانك كنت تخشى أن تفقد  
 ( ١١ و ١٢ ) دوسنوفسكى

باعترافانك صداقتى ، وانك كنت فى ذروة اليأس ، لأنك لم تعرف كيف  
تساعدنى أثناء مرضى ، وانك بعث كل ما عندك حتى تجبىنى الذهاب الى  
المستشفى ، وتقول انك افترضت مالا من جميع الجهات ، وان مناقشات كانت.  
تقوم بينك وبين صاحبة البيت فى كل يوم . ولكنك اذ أخفيت عنى  
الحقيقة قد اخترت أسوأ الحلول . وأنا أعلم الآن كل شىء على كل  
حال . كنت لا تريد أن تضطرنى الى الاعتراف بأننى السبب فى وضعك  
الحالى البائس ، ولكنك بسلوكك الآن تحزننى حزنا أشد ، وتجعلنى  
أقاسى ألما أكبر . كل هذا يقلقنى ويث الاضطراب فى نفسى يا ماكار  
ألكسييفتش . آه يا صديقى ! ان الشقاء مرض معد ، فيجب على  
الأشقياء والمساكين أن يتجنب بعضهم بعضا ، يجب عليهم أن يتحاشوا أى  
اتصال بينهم ، حتى لا تزداد آلامهم بعدوى متبادلة ، لقد جئتكم بمحن لم  
تعرفها من قبل فى حياتك المتواضعة المنزلة . انه ليعذبنى عذابا شديدا.  
وانه ليقتلنى ان أدرك اليوم ذلك .

اكتب لى الحقيقة كلها صراحة ! قل لى ماذا حدث وكيف أمكن أن.  
تعزم أمرى على القيام بمثل هذا العمل ! طمشى اذا كنت تستطيع ذلك .  
ليست الأناية هى ما يدفعنى الآن الى الكلام عن طمأينتى وهدوئى ، وانما  
تدفعنى الى ذلك صداقتى لك ، وتحضنى عليه المودة التى محضتاك والتى  
لا يمكن أن تمحى من قلبى يوما . انتظر ردى . لقد أخطأت الظن فى  
والحكم علىّ يا ماكار ألكسييفتش .

صديقتك المخلصة الودود

فرارا دوبروزيولوف



٢٨ تهوؤ ( يوليو )

### عزیزتی الغالیة فرارا الكسبیفنا

لك ما تشائین • أما وقد انتهى الآن كل شيء وأخذت الأمور تعود إلى مجراها الطبيعي شيئا بعد شيء ، فسأقول لك يا ماتوشكا ما يلي : انك تخشين مما قد يظن بى ويقال عنى ، لذلك أسارع فأصارك يا فرارا الكسبیفنا بأن سمعتى هى عندى أعلى شيء فى هذا العالم ، لذلك أعتقد أن علىّ وأنا أبلغك أنواع الشقاء التى عانيتها وضروب الفوضى التى وقعت فيها ، أن أذكر لك فى الوقت نفسه انه ما من احد من رؤسائى علم بما حدث ، أو سيعلم به يوما ، وأن رؤسائى سيظنون يظهرين لى اذن نفس التقدير الذى كانوا يظهرونه لى من قبل • أمر واحد يقلقنى ويرهقنى : اننى أخشى النوم والاشاعات • فى منزلنا ما تنفك صاحبة البيت تصيح وتصرخ ، وان تكن ، منذ دفعت لها جزءا من دينها علىّ بفضل روبلاتك العشرة ، أصبحت لا تزيد على أن تتذمر • أما السكان الاخرون فليس هنالك ما أشكوه فيهم • ان سلوكهم معى حسن • كل ما فى الأمر أن علىّ أن أتحاشى اقتراض شيء من المال منهم ، فمتى لم أقترض منهم شيئا من المال كانوا فى غاية اللباقة هم أيضا • وأحب فى ختام هذه الشروح أن تعلمى يا ماتوشكا أن تقديرك هو أتمن ما أملك فى هذا العالم ، وذلك ما يعزىنى فى هذه الساعة عن الفوضى العارضة التى ألت بحياتى • لقد انجعت الغمة والله الحمد ، وانقضت الضربة الأولى والاضطرابات الأولى من هذه المأساة • وقد أمكن أن تحتلملها دون أن تعدينى صديقا خان الصداقة، أو رجلا أنانيا ، لأننى حاولت أن أحفظ بك قرية منى فخادعتك لعجزى عن الانفصال عنك يا من أحبك وأرى فيك ملاكى الصغير • لقد عدت الى العمل بهمة ونشاط ، وأنا أقوم بواجبى اليومى على خير وجه •

حتى ان أوستاش ايفانوفتش لم يقل كلمة واحدة حين مررت أسس أمامه •  
لا أكتفك يا ماتوشكا أن ديونى تعذبى وتضينى وتقتلى قتلا ، وكذلك  
خلو خزاتى من النياب ، ولكننى أعود فأقول ان هذا كله لا قيمة له ،  
فأرجوك بل أتوسل اليه يا ماتوشكا أن لا يحزنك هذا الأمر أيضا • لقد  
أرسلت الى نصف روبل آخر • ان نصف الروبل هذا قد طعن قلبى  
طعنا يا فارنكا • انظرى أين أصبحنا ، انظرى الى أين آلت أمورنا !  
لست أنا من يساعدك الآن اذن ! يا لى من شيخ عجوز أبله ! • • • بل أنت  
التي تهين الى نجديتى يا عزيزتى اليتيمة المسكينة ! يجب أن نشكر  
لفيدورا انها استطاعت أن تحصل على شىء من المال • وليس لى الآن أى  
أمل من هذه الناحية ياماتوشكا، لن أقبض شيئا ، فاذا فتح باب الأمل، فلن  
يفوتنى أن أبلغك ذلك تفصيلا • ولكن النعائم، النعائم المقيتة الكريهة، هى  
ما يعذبى أكثر من شىء آخر ، وداعا يا ملاكى الصغير • أقبل يدك  
الجميلة ، وأضرع اليك أن تبلى من مرضك • لست أقبض فى الكتابة اليك  
الآن لأن على أن أمضى الى عملى ، لأننى أحب أن أبرهن على همتى  
واخلاصى عسى أن أمحو خطيئتى وعسى أن ينسوا تغييى • أرجىء الى  
المساء تنمة شروحي فى موضوع جميع تلك الأحداث، وكذلك فى موضوع  
حادثتى مع الضباط •

صديقك الذى يحترمك ويحبك حبا عميقا

ماكار دييفوشكين

## ٢٨ تموز ( يوليو )

آه يا فارنكا ، يا فارنكا ، الخطيئة هي الآن خطيئتك ! الذنب هو الآن ذنبك ! وسوف يظل هذا الذنب جاثما في ضميرك . لقد استطعت برسالتك أن تقلبي دماغى رأسا على عقب ، أن تلقيني الى اضطراب ما بعده اضطراب .

♦ الآن ، الآن فقط ، انما أدرك ، حين أغوص هادئا الى أعماق قلبى ، أنتى كنت على حق ، على حق تماما . ما عن استهتارى الأخير أحدث هنا ( دعينا من ذلك الاستهتار ، ولا تعودى الى الكلام عليه ) ، وانما أحدث عن حبنى لك ، فأقول انه لم يكن جنونا منى أن أحبك ، لا لم يكن حبنى لك جنونا قط . يجب أن أقول لك يا ماتوشكا انك لا تعرفين شيئا . ولو كنت تعرفين لماذا وقع ما وقع ، ولماذا كان حقا أن أحبك ، لقلت غير الكلام الذى قلته . ان جميع تلك الكلمات الحكيمة العاقلة التى تزجيتها الى - أنت لا تقصدينها . انك تكئينها ، ولكن الذى فى قلبك شيء آخر . أنا من ذلك على يقين . يا ماتوشكا ، لا أعرف الآن ولا أتذكر الآن تذكرنا واضحا تلك القصة التى وقعت لى مع الضباط . ولكن يجب أن تعلمى . يا ملاكى أنتى كنت قد مررت قبل ذلك بفترة مضطربة أقصى الاضطراب . تخيلي اننى كنت منذ شهر بكامله لا يكاد يمسنى عن الانهيار الا خيط . واهن ان صح التعبير . كنت فى وضع يندر بأن الكارثة وشيكة . كنت أختبئ منك ، بل وأحاول أن لا يلمحنى أحد فى منزلنا أيضا ، ولكن صاحبة المنزل قامت بفضيحة وأخذت تصرخ . طبعاً ليس يهمنى أن تصرخ ، فلتصرخ ما شئت ، ولكن المسألة أن صراخها أخرجنى وأشعرنى . بالعار . . . . . تلك نقطة أولى . والنقطة الثانية انها كانت قد علمت بصدقتنا ، لا أدرى كيف ، فأخذت تصبح فى أرجاء المنزل كله مشهورة بهذه الصداقة . قاتلة أمورا تبلغ من الفظاعة اننى تجمدت ذعرا وسددت أذنى حتى .

لأسمع ماتقول • ولكن من المؤسف أن السكان الآخرين لم يسدوا آذانهم  
مثلى ، بل فتحوها واسعة وأرهفوا السمع ••• حتى صرت لا أعرف  
أين أحتبىء •••

ذلك كله يا ملاكى الرقيق ، هذه المصائب التى تراكمت تراكما  
رهيبا ، هى ما أجهز علىّ وانتهى بتحطيمى تحطيمًا كاملا • وعلمت فجأة  
من فيدورا أمورا غريبه : علمت أن زائرا وفجا جاء اليك وألحق بك اهانة  
اذ عرض عليك أمرا شائئا مخزيا • لقد طعنك هذا الرجل طعنا أصاب  
أعماق قلبك يا ماتوشكا ، أنا أعلم ذلك قياسا على ما شعرت به أنا أيضا من  
اتى طعنت • فى تلك اللحظة ياملاكى ، فى تلك اللحظة تماما انما زلت  
قدمى ، وترنحت وسقطت فى الهوة • هرعت أخرج من المنزل يا فارنكا  
وقد عراني غضب جنونى لا يوصف ، غضب لا عهد لى بمثله من قبل •  
كنت أريد أن أذهب الى ذلك الشخص الحقير ، الى ذلك المجرم الذى  
لا حياء له ، دون أن أعرف ماذا أريد أن أصنع ، لأتى لا أطيق يا ملاكى  
الصغير أن يلحق بك أحد اهانة • آه ما كان أشد حزنى ! ما كان أعمق  
تعاستى ! وكان المطر ينهمر غزيرا فى ذلك اليوم ، فالوحل فى كل مكان ،  
والجو كالح جهم حزين • فكرت أن أعود الى المنزل وأن أعدل عما  
عقدت عليه النية ! ••• وفى تلك اللحظة انما وقعت يا ماتوشكا •••  
التقيت باميل ، اعنى ايملبن ايلتس ، وهو موظف فى ادارتنا ، أو موظف  
سابق ، لأنه لم يعد موظفا ، فقد صرف من الخدمة ، ولا أدرى ماذا يعمل  
الآن ، فانما هو يذهب هنا وهناك ليعيش • التقينا فسرنا معا ، ثم  
تبعته ، وهكذا حدث كل ما حدث ••• ثم ••• ولكن أية متعة يمكن أن  
تجديها يا فارنكا فى قراءة قصة أنواع العذاب التى قاساها صديق ، وفى  
معرفة صنوف التدهور التى عاناها ، وألوان النسوايات التى تردى فيها ؟

المهم ان ايميلين هذا هو الذى دفعنى وحرضنى فى اليوم الثالث عند  
المساء : فذهبت الى ذلك الشخص ، الى ذلك الضابط . كنت قد حصلت  
على عنوانه من بواب عمارتنا . والحقيقة اننى كنت أراقب هذا الشاب منذ  
مدة طويلة . كنت أراقبه منذ كان يسكن فى منزلنا . . . . الخلاصة . . .  
اننى أدرك اليوم اننى قد ارتكبت خطأ ، لأننى لم أكن فى حالتى الطبيعية  
حين أعلموه بقدمى . يجب أن أقول يا فارنكا ، حتى أكون صادقا اننى  
لا أتذكر على وجه الدقة ما حدث عندئذ . كل ما أذكره أنه كان فى  
بيته ناس كثير ، كان بيته يمتلىء ضباطا ، اللهم الا أن أكون قد رأيت  
الشخص شخصين . . . . الله أعلم . . . . لا ولا أتذكر أيضا ماذا قلت له ،  
ولكننى أتذكر اننى تكلمت كثيرا ، يحضنى على ذلك استياء شديد .  
وعندئذ ، نعم عندئذ ، انما أخرجونى ودحرجونى الى آخر السلم . . .  
لا! لم يدحرجونى ، بل دفعونى دفعا فحسب . وأنت تعلمين البقية يا فارنكا ،  
تعليمين على أية حال عدت الى منزلى . هذا هو كل شيء . لا شك اننى  
بهذا قد أهنت نفسى ، وضيعت كرامتى ، وهدرت مهابتى . ولكن ما من  
أحد علم بالأمر . واذن فكأن شيئا لم يحدث . ألا تظنين ذلك يا فارنكا ؟  
ومما أعلمه علم اليقين على كل حال هو أن هياسنت أو سيوفتش قد هجم  
فى السنة الفائتة على شخص بطرس بتروفتش ، فى مكتبنا ، هجوما  
كهذا الهجوم ، ولكنه فعل ذلك سرا ، خفية ، على غير علم أحد .  
استقدمه الى غرفة الحارس . وكنت أنا أراقبهما من شق الباب . فرأيته  
يتصرف كما ينبغى التصرف فى مثل هذه الحال ، ولكن بطريقة رفيعة  
نبيلة ، لأن أحدا لم يره غيرى . وما قيمة أن أراه أنا ؟ أنا لست شيئا ،  
أقصد اننى لم أقص الحكاية على أحد . وبعد ذلك الحادث لم يتظاهر  
هياسنت أو سيوفتش وبترس بتروفتش بشيء البتة . لاحظى أن بطرس  
بتروفتش رجل معتز بنفسه ، حريص على سمعته أشد الحرص ، لذلك

لم يرو لأحد شيئاً ، حتى انهما ما يزالان يتبادلان التحيات ويتصافحان أمام الناس . لست أنكر يا فارنكا ، ولن أحاول أن أنكر اننى سقطت سقوطاً مريماً . لا أجد هذا ، والأنتكى من ذلك اننى فقدت اعتبارى فى نظر نفسى . لا شك أن هذا المشقة قد كتب على منذ ولدت ، لا شك أن ذلك قدرى ، وما من انسان فى هذا العالم يمكن أن يفلت من قدره . . . . أنت تعلمين ذلك . هذا هو يا فارنكا الشرح الكامل والسيرد الدقيق لما قابيت من مكاره وما عانيت من تدهور . وهذه كلها أمور يمكن أن لا تقرأ . وفيم قراءتها وقد استوى كل شيء الآن ؟

اننى أشعر بشيء من الابعاء يا ماتوشكا ، وقد فقدت كل بشاشة فى النفس وكل فرحة فى القلب . لذلك أكتفى بأن أؤكد لك ما أشعر به نحوك من تعلق وحب واحترام ، وأظل ، يا عزيزتى المحترمة جدا فراراً ألكسييفنا :

خادمك المطيع  
ماكار ديفوشكين

٢٩ تموز ( يوليو )

السيد العزيز ماكار ألكسييفتش !

قرأت رسالتك ، فأوشكت أن أصبح من فرط الدهشة . أحد شيئين يا عزيزى : اما أنك تخفى عنى شيئاً ما ، وأنت لم تقص علىَّ الا جانباً من المكاره التى وقعت لك ، واما أنك ، يا ماكار ألكسييفتش ، ما تزال تعاني اضطراباً نفسياً . . . .

ان رسائلك تدل على شيء من ذلك في الحقيقة ... تعال الى ،  
 ناشدتك الله ، زرنى في هذا اليوم نفسه • اسمع ، تعال الينا للعشاء ،  
 هكذا ، بغير كلفة • اننى أجهل جهلا تاما كيف تعيش في مسكنك ،  
 وهل تفاهمت مع صاحبة البيت أخيرا • انك لا تكتب الى شيء في هذا  
 الموضوع ، كأنك تتعمد السكوت عن هذه المسألة • أودعك الآن  
 يا صديقى • ولكنى أرجوك أن تأتي الينا اليوم ، تعال حتما • والأصلح  
 على كل حال أن تتشى كل يوم معنا • ان فيدورا تجيد الطهى • وداعا •

المخلصة لك

فرقارا دوبروزبولوفا

اول آب ( أغسطس ) .

عزيزتى فرقارا السكييفنا !

انه ليسعدك يا ماتوشكا ان الله وهب لك فرصة الرد على الاحسان  
 بالاحسان، وأن تبرهنى لى على الشكر والامتنان • اننى أقدر هذا يافارنكاه •  
 وأؤمن بطيبة قلبك الصغير ، قلب الملاك ، فلست أعتب عليك اذن ، ولكن  
 لا تذكرينى ، كما فعلت فى المره الماضيه ، بأننى فى أواخر أيامى قد  
 اندفعت فى أعمال طائشه كأعمال المجانين • لقد أئمت ، نعم أئمت ، اذا  
 كنت تصرين على أن تصفى عملى بأنه اثم ... ولكن يشق على نفسى ،  
 يا صديقتى الطيبة الشهمة النبيلة ، أن أسمع هذه الأشياء من فمك أنت •  
 ذلك فاس على نفسى • لا تؤاخذينى اذا قلت هذا الكلام يا ماتوشكا • ان  
 شيئا فى صدرى يتمزق • ان الفقراء أصحاب نزوات وبدوات • الطيبة  
 أرادت لهم ذلك • الفقير انسان متشدد كثير الشك والحذر • له طريقة

خاصة فى رؤية العالم ، فهو يلتفت نحو كل عابر سبيل ، ويلقى على ما حوله نظرات قلقة وجلي ، ويسترق السمع الى كل كلمة ، متسائلا : أتراهم يتكلمون عنه ؟ أتراهم يطلقون ملاحظة من الملاحظات عن مشيته المتعثرة المضحكة ؟ أتراهم أرادوا أن يقرأوا ما فى نفسه ساخرين ؟ ها هم أولاء ينعمون فيه النظر ، ليروا هيئته من الجهة اليسرى ، ثم ليدرسوا هيئته بعد ذلك من الجهة اليمنى ، ذلك انهم يعلمون يا فارنكا ان الانسان الفقير لا يساوى أكثر من خرقة بالية ، وانه لا يطمع لنفسه فى أى نوع من الاحترام ، مهما يقل القائلون ومهما يكتب الكتّابون ! آه من هؤلاء الكتاب الثرثارين ! آه من هؤلاء الذين ما ينفكون يسودون ورقا ! فمهما يتقنوا صف العبارات وتنميق الجمل ، سيظل الانسان الفقير ما هو ، ولن يتغير فيه شىء . أما لماذا سيظل ما هو لا يتغير فيه شىء ، فلأن هؤلاء الناس جميعا يرون أن كل شىء لديه يجب أن يكون مكشوفاً مبسوطة أمام الأعين معروضا للإبصار ، فلا شىء فى نفسه يجب أن يظل سرا أو أن تكون له حرمة . ليس له أن يكون ذا كرامة أو كبرياء . . . حرام عليه ذلك ! خذى هذا المثال : لقد حكى لى ايميليان منذ مدة أن بعض الناس نظموا له اكتاب تبرع من أجل مساعدته فكان جميع المكتسين يعتقدون أن من حقهم أن يشرعوا فى تحقيق يشسبه أن يكون رسميا ، يجلو لهم شخصه ويكشف لهم عن حياته . لقد ظنوا انهم يهدون اليه دريهماتهم . كذب هذا . الحق أنهم دفعوا ثمن رؤية رجل فقير . كل شىء فى هذا الزمان يتم على نحو عجيب يا فارنكا ، حتى البر والاحسان . . . ولكن لعل الأمر كان كذلك فى جميع الأزمان ، من يدرى ! أحد أمرين لاناث لهما : اما أن هؤلاء الناس لا يعرفون كيف يتصرفون من أجل أن يفعلوا الخير ، واما أنهم مسرفون فى المكر والحذق . تلك أمور لعلك تجهلنها يا ماتوشكا : ألا فلتعلميها اذن الآن . أنا جاهل فى كل ما عدا



هذا ، أما هذا فأعلمه حق العلم • قد تسألنني لماذا يعرف الفقير هذا ؟ لماذا يفكر الفقير على هذا النحو ؟ هي التجربة يا عزيزتي ، التجربة وحدها • هو يعرف مثلا ان ذلك السيد الذي يمشى في الشارع على مسافة بضع خطوات منه متجها الى أحد المطاعم ، يقول لنفسه : « وددت لو أعلم ما عسى يأكل اليوم هذا الموظف البائس • أما أنا فسوف آمر نفسي بطبق من شواء ، وأما هو فلا شك أنه سيكتفى بجريش مسلووق بلا زبدة » ، هناك ناس من هذا النوع يا فارنكا ، هناك بشر يقضون أوقاتهم كلها في تأملات من هذا القليل • ان أولئك الكتاب الوقحين وأولئك المخربين الأوغاد الذين ترينهم يتزهون في الشارع ، فلا يكون لهم من هم الا أن يلاحظوا هل يضع فلان على الأرض راحة قدمه كلها أم هو يمشى على رءوس الأصابع ، يحبون أن يعرفوا أليس في حذاء ذلك الموظف البسيط ثقب منها أصابع قدميه عارية ؟ أليس كماه مهترئين حتى الكوعين ؟ انهم يلاحظون ذلك ثم يصفونه وينشرونه كبا كريمة مقيمة ! فيم يهمهم أن يكون كماي مثقوبين حتى الكوعين ؟ اغفري لي يا فارنكا اذا جئتك بتشبيهه فظ فقلت ان الرجل الفقير يشعر في هذه الأمور كلها بنفس الحياء الذي الذي تشعرين أنت به كفتاة • فأنت لا تحيين طبعا - واغفري لي هذا التشبيه القليل أيضا - أن تتعري أمام الناس • فكذلك الرجل الفقير ، لا يحب أن يحشر أحد أنفه في خدره ليرى كيف يعيش • لم يكن من الخير اذن يا فارنكا أن أهان في المرة الماضية بالتواطؤ مع أعدائي الذين يحاولون أن ينالوا من شرف رجل فاضل ومن عزة نفسه •

كنت أشعر اليوم بضيق شديد في المكتب ، كنت أتجمع على نفسي كقنفذ أو كعصفور متوف • خيل الى أن العار يلتهمني ويحرقني من أخص القدمين الى قمة الرأس • كنت متضايقا من نفسي برما بها-

يا فارتنكا • وكيف لا يخجل المرء ولا يرتبك حين يظهر كوعه من كم قميصه وحين تتراصص أزرار ردائه على طرف خيط ؟ كان كل شيء في هندامي فوضى ، هذا الصباح ، كأنما على عمد • ان المرء يفقد شجاعته في مثل هذه الظروف • ثم ••• لقد أخذ ستيفان كارلوفتش نفسه يحدثني في بعض الأعمال اليوم • فما هي الا لحظة حتى انطلقت منه صيحة تعجب قائلا : « آ ••• ياماكار أنكسييفتش ، باتوسكا ••• » • لم يكمل قول ما كان يدور في فكره ، ولكنني حزرت ذلك فورا ، فاصطنع وجهي بالحمرة ، حتى لقد احمرت صلعتي • الحق أن صيحة التعجب تلك كانت تبدو عابرة لا شأن لها ، ومع ذلك فهي تقلقني ، وهي تثير في رأسي أفكارا لا حصر لها • أتراهم في الدائرة قد علموا بما جرى ؟ وقاني الله شر هذا ، ما عسى يقع لو علموا ؟ لا أكتمك أنتي أشتبته في شخص معين • ان هؤلاء الأشقياء لا يعرف قلبهم الرحمة ولا الشفقة • سوف يفضحونني ، سوف يبيعون كل أميرار جيساتي ، لا حرمة لشيء عندهم •

أنا أعرف الآن من الذي فضحني • ان راتازايف هو الذي دبر هذه المكيدة • انه يعرف أحد الموظفين في دائرتنا ، فلا بد انه قص عليه الأمر عابرا أثناء حديث جرى بينهما ، مضيئا اليه أمورا من عنده فيما أتخيل ، أو لعله تحدث عن الأمر في دائرته هو ، فتسربت الاشاعة من هناك الى دائرتنا • ذلك أن جميع سكان منزلنا ، بغير استثناء ، يعرفون تلك القصة ، ويومئون الى نافذتك بالاصبع • وأمس ، حين ذهبت أتعشى عندك ، وقفوا جميعا على النافذة ، وروت صاحبة المنزل المثل السائر الذي يتحدث عن الشيطان يحوم حول الطفل ، ثم قالت بعد ذلك كلمة نابية في الكلام عليك • ولكن هذا كله لا يعد شيئا اذا قيس بما يبنيه راتازايف من نية حقيرة ، وهي أن يضغنا أنا وأنت في الأدب ،

وأن يصفنا وصفا ساخرا • لقد صرح هو نفسه بذلك ، وتقل الى أقواله  
 أناس شرفاء من سكان منزلنا • انقلب عقلي رأسا على عقب منذ سمعت  
 هذا الكلام • أصبحت لا أستطيع أن أفكر فى شيء ولا أعرف أى قرار  
 اتخذه • لماذا نخفى عن أنفسنا يا ملاكى اللطيف أننا بأنامنا قد أثرنا  
 سخط الله علينا ؟ اقترحت يا ماتوشكا أن ترسلى الى كتابا أتسلى بقراءته •  
 ألا سحقا لهذا الكتاب ! اننى لا أريد كتباً ، بئست الكتب كلها ! فهى  
 لا تساوى شيئا وليس لها من قيمة • ما هى الا قصص غير معقولة ، ماهى  
 الا حكايات سخيفة مستحيلة ! ليست الروايات الا بلاهات وغباوان كتبها  
 أصحابها لتعطلهم عن العمل ، دون أن يكون لهم هدف الا أن يملأوا  
 فراغهم ! تقى يا ماتوشكا ، تقى فى هذه الأمور بخبرتى الطويلة ! لاتلقى  
 بالا الى أولئك الذين يحدثونك عن كاتب اسمه شكسبير ! - يظهر أن فى  
 الأدب كاتباً بهذا الاسم - دعيك من شكسبير ومن غير شكسبير ! ان  
 شكسبير هذا لا يساوى شيئا هو أيضا ••• ما ذلك كله الا ترهات  
 وتفاهات ! • ما ذلك كله الا تلفيقات واختراعات تتخذ حجة لاصدار  
 كرايس فى هجاء الناس والسخر منهم والضحك عليهم •

المخلص لك

ماكار ديفوشكين

٢ آب ( أغسطس )

السيد العزيز ماكار ألكسييفتش

لماذا تعذب نفسك هذا التعذيب ؟ لسوف يصلح كل شيء بمعونة  
 الله • لقد جاءت فيدورا بشغل كبير ، لى ولها ، وشرعنا نعمل فورا فى

كثير من الهمة والنشاط والحماسة • لعلنا نستطيع بذلك أن ندلل جميع  
المصاعب • تعتقد فيدورا أن أنا فيودوروفنا ليست غريسة عن متاعبي  
الآخيرة • ولكن هذا لا يهمنى الآن • اننى أشعر اليوم بفرح خاص •  
تقول انك تنوى اقتراض بعض المال ! اياك ثم اياك ! فلن تستطيع الخروج  
من المأزق متى آن أوان السداد • الأفضل من هذا أن تزداد قربا منا ،  
وأن تكثر زيارتك لنا • أما صاحبة بيتك فلا تعباً بها ولا تلق إليها بالا •  
وأما عن أعدائك ومضطهديك الآخر ، فأنا على يقين من أنك تعذب  
نفسك بشكوك لا محل لها ولا داعى إليها يا ماكار ألكسييفتش ! راقب  
نفسك ! قلت لك في المرة الأخيرة ان كلامك يدل على انك تعاني اضطرابا  
شديدا • أودعك الآن ، الى اللقاء • انتظر عندى اليوم • لا تتخلف •  
المخلصة لك

ب • د

٣ آب ( أغسطس )

ملاكى اللطيف فرفاراً ألكسييفنا !

أسارع فأنبئك ، يا شعاع ضيائى ، ان بعض الآمال قد أنسرت فى  
نفسى • كتبت تقولين لى يا ملاكى الصغير ان على أن لا أفترض شيئاً من  
المال • ولكننى يا هامتى لا أستطيع أن أستغنى الآن عن الاقتراض • ان  
حالى سيئة منذ الآن ، فكيف اذا حصل لك شيء لا قدر الله • ان جسمك  
ضعيف • وأنا انما أكتب اليك فى هذه اللحظة لأقول لك ان الاقتراض  
لا بد منه ولا غنى عنه • لذلك أتابع محاولة الاقتراض •  
ان مكاتنى فى المكتب يا فرفاراً ألكسييفنا يجاور مكان ايميليان

ايفانوفتشس + ليس هو ايميليان الذى تعرفينه + انه ايميليان آخر يعمل  
موظفا مثلى ، ونحن أقدم موظفى الدائرة : نحن عمادها ان صح التعبير .  
وهو انسان طيب النفس مخلص ، لكنه صموت يظل مبتعدا عن الناس ،  
منطويا على نفسه ، يوحى مظهره بأنه دب حقا + ولكنه فى مقابل ذلك  
رجل لا يكل ولا يمل من العمل + وله فلم ما أروعه ! .. خط انجليزى  
قبح ! يجب أن أعترف ، حتى أكون صادقا ، بأن خط هذا الرجل المحترم  
لا يقل جمالا عن خطى + لم تقم بيننا صلة قوية حتى الآن ، وكنا تقتصر  
على تبادل التحيات : « صباح الخير » ، « مع السلامه » ، الخ ... وكنت  
فى بعض الأحيان اذا احتجت الى موسى أبرى بها قلمى أتجه اليه قائلا :  
« أعرنى موسى » .. الخلاصة أن كل شىء بيننا كان لا يزيد على التزام  
المواضعات التى تقضى بها اللباقة + وها هو ذا يسألنى فى هذا الصباح على  
حين فجأة : « ما بالك يا ماكار ألكسييفتشس ؟ انك تبدو سارد اللب كثير  
التفكير » + أدركت أنه يريد لى خيرا + فقلت له : « والله ... يا ايميليان  
ايفانوفتشس ، الأمر كيت وكيت » + طبعا لم أذكر له كل شىء ، معاذ الله !  
لا ولن أذكر له كل شىء يوما + ولو أردت ذلك لما تجرأت على كل  
حال + كل ما هنالك اننى كشفت له عن بعض الأمور الجزئية ، وأسرت  
اليه اننى فى ضيق ، الخ ... فأجابنى بقوله : « ولماذا لا تقترض شيئا  
من المال ما دام الأمر كذلك يا عزيزى ؟ اذهب الى بطرس بتروفتشس ،  
فانه يقترض بفائدة + ولقد سبق أن أقترضنى بفائدة معتدلة محتملة + آه  
يا فارنكا ، لقد وثب قلبى من صدرى حين سمعت هذه الكلمات +  
وأخذت أفكر وأفكر + قلت لى نفسى : من يدرى ؟ قد يلهم الله بطرس  
بتروفتشس ، هذا الرجل المحسن ، أن يقترضنى أنا أيضا + وأجريت  
حسابى فقدرت اننى سأستطيع أن أدفع لصاحبة البيت ديننا على ، واننى  
سأستطيع أن أساعدك أيضا ، واننى سأستطيع أن أحسن هندامى قليلا

آخر الأمر • ذلك أن المخجل أن يكون هندامى على ما هو عليه الآن •  
 لقد أصبحت أشعر بضيق وحرَج في المكتب ، ناهيك عن أولئك الساخرين  
 الأشرار الذين لا ينتظرون الا حجة من أجل أن يستهزئوا • وهينى  
 لا أحفل بهم بل أدعهم وسأنهم ••• ان من الممكن أن يمر صاحب  
 المعالى بمكتبى ، وهذا يحدث من حين الى حين ، ومن الممكن ، لا قدر  
 الله ، أن يلقي علىّ نظرة فيرى ملابسى غير لائقة ، وهو امرؤ يعتقد أن  
 النظافة وحسن الهندام أهم من أى شىء آخر • صحيح انه لن يقول لى  
 شيئاً • ولكننى سأموت فى مكانى من فرط الحياء والحجل والاضطراب •  
 ذلك ما قد يحدث • لذلك استجمعت شجاعتى ، ودسست خجلى فى  
 جيبى المقبوبة ، وتوجهت نحو بطرس بتروفتش ممتلئاً بالأمل مرتعشا من  
 الحسنية فى آن واحد • لكن الأمور لم تنته الى ما أحب يا فارنكا •  
 تخيل أن ذلك كله لم يجدنى نفعا • كان فى تلك اللحظة مشغولاً يكلم  
 تادى ايفانوفتش ، فدنوت منه من جانب ، وشدت كفه قائلاً : « بطرس  
 بتروفتش ، هيه ••• بطرس بتروفتش » ، فالتفت الى ، فتابعت أشرح له  
 انى فى حاجة الى ثلاثين روبلا ، الخ • فلم يفهم فى أول الأمر ما أريد ،  
 حتى اذا شرحت له الأمر مرة أخرى ، أخذ يضحك ، ولكنه لم يجب  
 بشىء بل اكتفى بالصمت • وكررت طلبى ، فقال لى عندئذ : « هل  
 عندك رهن ؟ » ثم أكبَّ ينهمك فى كتابته ، متابعاً عمله دون أن ينظر  
 الى • اضطربت قليلاً • ثم أجبته قائلاً : « لا ليس عندى رهن يا بطرس  
 بتروفتش » • وحاولت أن أفنعه بأننى سأرد اليه القرض متى قبضت  
 راتبى ، واننى لن أتأخر عن السداد لحظة ، فذلك عندى واجب مقدس •  
 وناداه أحد فى تلك اللحظة ، فمضى اليه • وأخذت أنتظر ، فلما عاد  
 جعل يبرى قلمه كأنه لا يلاحظ وجودى • فاستأنفت كلامى قائلاً له :  
 « أما من وسيلة يا بطرس بتروفتش ؟ أما من طريقة ؟ » • ولكنه ظل

صامتا لا يجيب ، متظاهرا بأنه لا يسمعني • فانتظرت بضع دقائق أخرى ، واقفا قربه • ثم قررت أن أحاول محاولة أخيرة ، فشدت كمة مرة ثانية ، فلم ينبس بحرف ، حتى اذا فرغ من برى قلمه عاد ينهك في الكتابة ، فلم يسعني الا أن أنصرف عنه • هؤلاء يا ماتوشكا أناس أخيار جديرون بالاحترام ما في ذلك ريب ، ولكنهم مسرفون في الكبر والصلف والزهو ، فلا يعرف المرء كيف يأخذهم • نحن صغار جدا بالقياس اليهم ، يا فارنكا • لذلك أكتب اليك هذا كله •

وقد أخذ ايميليان ايفانوفتش يضحك حين رويت له القصة ، وهز رأسه الى ذلك هو أيضا • ولكنه في مقابل هذا بث في نفسى بعض الأمل يا فارنكا • انه رجل طيب شهم • وعدني بأن يوصي بي شخصا يعرفه ، يقيم ، يا فارنكا ، في حى فيبورج ، ويقترض بفائدة أيضا ، وهو موظف بالدرجة الرابعة عشرة فيما يظهر • / يدعى ايميليان ايفانوفتش • ان الرجل سيقترضنى المبلغ حتما • سأمضى اليه غدا يا ملاكى الرقيق • • سأمضى اليه ، ما رأيك ؟ ألسنت على حق ؟ لا غنى لى عن الافتراض يا فارنكا • صاحبة البيت تقول انها ستطردنى ، وهى ترفض أن تقدم لى طعام العشاء • حذاءى فى حالة يرثى لها يا ماتوشكا ، وأنا فى حاجة الى أزرار ، والى أشياء أخرى كثيرة أيضا • ما عسى يحدث لو لاحظ أحد من رؤسائى هندامى الرث ؟ سيكون ذلك مصيبة يا فارنكا ، سيكون ذلك مصيبة ، سيكون ذلك كارثة حقا •

ماكار ديفوشكين

٤ آب ( أغسطس )

### عزيزى مآكار الكسييفتش

ناشدتك الله يا مآكار الكسييفتش أن تحصل على مال بأية وسيلة ،  
أن تقترض مالا بأقصى سرعة . ما كنت لأرضى أن أطلب منك مساعدة  
فى الظروف الراهنة ، ولكنك لا تعرف الوضع الذى أنا فيه . يستحيل  
علينا أن نبقى فى هذا المسكن بأية حال . لقد أصابتنى مكاره رهيبه ، ولا  
تستطيع أن تتخيل مدى الاضطراب النفسى الذى أعانيه فى هذه اللحظة .

تصور يا صديقى أن رجلا لا تعرفه ، رجلا مسنا يشبه أن يكون  
سيخا عجوزا مع أوسمة كثيرة ، جاء إلنا هذا الصباح . دهشت من  
مجيئه أشد الدهشة ، لأننى لا أعرف لزيارته سببا . كانت فيدورا قد  
خرجت منذ لحظة لشراء شيء . أخذ الرجل يلقى على الاسئلة تلو  
الاسئلة ، فهو يسألنى عن معيشتى وعن مشاغلى ، ثم اذا هو يصرح لى  
فجأة قبل أن أفرغ من الاجابة على أسئلته ، بأنه عم ذلك الضابط ، وبأنه  
قد امتاء كثيرا من السلوك السيئ الذى سلكه معى ابن أخيه فعرضنى  
لسوء السمعة فى المنزل كله ، وقال ان ابن أخيه صبي غر طائش العقل ،  
وعرض على أن أكون فى حمايته ورعايته ، وأكد فى الوقت نفسه أن على  
أن لا ألقى بالا الى الشبان ، مضيئا الى ذلك انه يقدر ظروفى ويعطف  
على عطف الأب على ابنته ، ويشعر نحوى شعور الأب نحو ابنته ، وانه  
على استعداد لأن يساعدنى فى كل أمر . فاحمر وجهى وتساءلت ماذا  
يجب أن يكون رأى فى هذا الكلام ، ولكننى لم أتسرع فأشكره . وماهى  
الا لحظة حتى رأبته يمسك يدي عنوة ، ويلامس خدى ، ويقول اننى  
فتاة جميلة ، وانه افتن حين لاحظ أن لى نقرتين فى وجنتى ( الله أعلم  
ماذا قال فى هذا ! ) وأراد أخيرا أن يقبلنى بحجة أنه شيخ عجوز ( ماكان



أبشعه ! ) وفي هذه اللحظة دخلت فيدورا • فاضطرب قليلا وعاد يؤكد مرة أخرى أنه يقدرنى ويحترمنى لما أتصف به من تواضع ولما يتصف به سلوكى من استقامة ، وانه يتمنى أن أثق فيه وأن لا أخشاه قط • ثم جذب فيدور الى ركن من الاركان واراد أن يعطيها بعض المال متذرعاً بحجج غريبة • ولكن فيدورا رفضت أن تأخذ المال طبعاً • وفر الرجل أخيراً ان ينصرف ، لكنه جدد تأكيدات واعداء أن يعود مرة أخرى ، وأن يجيئنى بقرطين ( كان يبدو مضطرباً هو نفسه ) ونصحنى أن أستبدل بشقتى شقة أخرى ، وأوصانى بمنزل وصفه بأنه جيد جداً وبأنه لن يكلفنى أجراً • وصرح بأنه يشعر بكثير من العطف نحوى لأنى فتاة شريفة عاقلة • ونصحنى بأن أتجنب الشبان الذين فسدت أخلافهم ، وذكر أنه يعرف أنا فيودوروفنا ، وانها كلفته بأن يبلغنى انها ستزورنى. هى أيضاً • فهمت فى تلك اللحظة كل شىء • فتملكنى غضب شديد حتى أصبحت كالمسعورة • هذه أول مرة فى حياتى أتعرض فيها لمتل هذا الموقف • صرخت فى وجهه حانقة ساخطة • فاضطرب اضطراباً شديداً • وهبت فيدورا فى تلك اللحظة الى نجدتى ، فأخرجته من البيت اخراجاً يوشك أن يكون طرداً • وخلصنا الى أن أنا فيودوروفنا هى التى دبرت الأمر كله ، والا فكيف له أن يعرفنا ! ••

أتوجه اليك الآن يا ماكار ألكسييفتش ضارعة أن تساعدنا • ناشدتك الله ألا تتركنا على مثل هذا الوضع ! اقترض مالا ، ولو مبلغاً ضئيلاً ، لأننا لا نملك ما ندفعه نفقات انتقال ، ومن المستحيل علينا قطعاً أن نمكث هنا بعد الآن • ذلك رأى فيدورا أيضاً • لا بد لنا من خمسة وعشرين روبلاً • سأردها اليك ، سأجنيها بعملى • ستأتينى فيدورا بأشغال جديدة بعد بضعة أيام ، فاذا كنت متردداً عن الاقتراض لأن الفائدة باهظة مثلاً ، فلا توقفك هذه الصعوبة ، بل وافق على كل شىء • سأرد اليك المبلغ

كاملا ، ولكن ناشدتك الله لا تتركنى بلا سند • يحز فى نفسى طبعاً أن  
أزعجك فى الظروف الحالية ، ولكنك الآن أملى الوحيد ، ولا أمل لى  
سواك • وداعاً يا مكار ألكسييفتش • فكر فىّ ، وليكلل الله مساعيك  
بالتجاح •

ب • د

٤ آب ( أغسطس )

يمايتى ، عزيزتى فرفارا ألكسييفنا

ان هذه الضربات الكبيرة التى يباغتك بها القدر ترهقنى ونضينى •  
ان هذه النوازل الرهية تهشم قلبى وتشل روحى • ان هذا الجنس من  
التطفلين الذين تعددت أنواعهم ومن الشيوخ العجز الذين يبغنون على  
الاشمئزاز لا يشيعون الحزن واليأس فى قلبك وحدك يا ملاكى الرقيق ،  
بل لقد آلوا على أنفسهم فوق ذلك أن يجهزوا علىّ أنا اجهازا كاملا •  
ولسوف يصلون الى مبتغاهم ، هؤلاء الطفيلون ، أؤكد لك ذلك • ذلك  
أنتى أوثر الآن أن أموت جوعاً على أن لا أهب الى مساعدتك • اذا لم  
أساعدك فذلك هو الموت عندى يا فارنكا ، الموت الاكيد ، الموت المحقق •  
واذا أنا ساعدتك فستباعدن عنى ، ستطيرين الى بعيد يا طائرى الصغير ،  
ستهجرين عشك الصغير الذى باغتك فيه اليوم الحقيقى بريد - أن يقضى  
عليك ضرباً بالمناكير • ذلك ما يعذبنى ويضينى يا ماتونسكا • ولكن كيف  
أمكنك يا فارنكا أن تكونى قاسية هذه القسوة كلها أنت أيضاً ؟ ما هذا  
الذى يدور فى خلدك ؟ انهم يضطهدونك ويهينونك ، فتألمين وتتعبين

يا طائرى الصغير ، ثم اذا أنت تزيدين على ذلك فتجعلين تلومين نفسك على أنك تزعجيني وتضايقيني • انك تعدين بأن نكدى فى العمل حتى تردى الدين ، فكأنك تريدان أن تقتلى نفسك قنلا ، وأنت على ما أنت عليه من سوء الصحة ووهن الجسم ، فى سبيل أن نسدد المال فى مواعيده • هلا فكرت يا فارنكا فيما تقولين ؟ لماذا تقدرين أن عليك أن تضاعفى جهدك فيما تقومين به من أعمال الحياطة ، وأن ترهقى نفسك ، وتعذبى روحك بهذه الهموم كلها ، وأن تتعبى عينك الجميلتين ، وتهدى البقية الباقية من قواك ؟ صحيح يا ملاكى أنتى امرؤ لا يصلح لشيء ، ولكننى سأحاول أن أكون مفيدا لك على كل حال • سأذلل جميع العقبات • سأحصل على عمل إضافى فى خارج الوظيفة • سأسسخ لكتّاب كثر ، أفرض نفسى عليهم ، واجبرهم على أن يمهّدوا الىّ بأعمال ، لأنهم فى حاجة الى ناسخين • ولكننى لن أسمح لك بأن تقتلى نفسك فى الشغل ، لن أرضى أن تنفذى مشروعك المقيت هذا • سوف أقترض مالا يا ملاكى الرقيق ، اطمنى • تطلين منى يا يمامتى أن لا يصدنى الربا الفاحش عن الاقتراض • ولكن ذلك لن يصدنى يا ماتوشكا ، لا لن أخاف ، لن ينينى أى شيء بعد الآن • سوف أطلب قرضا مقداره أربعون روبلا ورفا يا ماتوشكا • ليس هذا بكثير يا فارنكا ، أليس كذلك ؟ هل تقدرين أنهم سيقترضونى أربعين روبلا على الثقة ؟ هل يمكن أن ينقوا بى لأول وهلة ؟ هل أستطيع ، أعنى هل أستطيع فى رأيك أن أوحى بالثقة والاطمئنان دفعة واحدة ؟ أقصد : هل توحى بذلك هيئتى ، هل يوحى بذلك منظرى ؟ هل أحدث فى نفس من يرانى انطبعا حسنا ؟ حاولى أن تتذكرى يا ملاكى الرقيق هل أحدث فى نفس من يرانى أثرا حسنا من أول نظرة ؟ هل يرتاح الىّ الناس حين يروننى ؟ ذلك أنتى أشعر بنوع من الرهبة حين ألقى على نفسى هذا السؤال ، أشعر بخوف مرضى والحق يقال • من هذه الروبلات الأربعين

لا يرهقنى عذاب الضمير • يجب أن أعترف لك بصراحة يا فارنكا ،  
 اتى الآن فى وضع هو الدمار بعينه ، وضع ما مرتت بمثله فى حياتى  
 أبدا • ان صاحبة البيت تحتقرنى ، وما من أحد يحترمى • مصعب من  
 جميع الجهات ، ثم ديون وديون ، وفى المكتب ، حيث لم يكن زملائى  
 يجهونى كثيرا حتى قبل الآن ، ساء وضعى مزيدا من سوء يا ماتوشكا •  
 اتى أحاول أن لا ينتبه الى أحد ، فأنكمش على نفسى ، وأختبىء عن  
 الناس ، وأتسلل الى مكائى فى المكتب تسلا ، حتى أتجاشى نظرات  
 الآخرين وحتى لا أرى شيئا أنا أيضا • هذه أمور لا أكاد أمك من  
 الشجاعة ما يمكنى من البوح بها ••• وما قولك اذا رفض أن يقرضى؟  
 لا ••• لا الأفضل يا فارنكا أن لا أفكر فى هذا ، وأن لا أهدم قلبى  
 بمتل هذه الحواطر • ومن أجل ذلك انما أكتب اليك الآن •• لأجنبك  
 التفكير فى مثل هذا الأمر ، ولأوقيك العذاب الذى سوف تعانينه اذا خطر  
 ببالك فكرة سيئة كهذه الفكرة • يا رب ، يا رب ! ما عسى يحدث لنا فى  
 مثل تلك الحالة ؟ ما عسى يحدث لنا اذا رفض أن يقرضى ؟ صحيح انك  
 لن تستطيعى الانتقال من بيتك عندئذ ، وانك ستظلين فى هذا المنزل ،  
 فتمكتين قريبة منى غير بعيدة عنى • ولكن •• لا •• سوف أعجز حتى  
 عن العودة الى بيتى اذا أخفقت فى مسعاى ، سوف أهلك نفسى عندئذ فى  
 مكان ما ، سوف أموت • لقد طالت رسالتى • ويجب على أن أحلق  
 ذقتى • ان من الأفضل أن يحلق المرء ذقنه ••• من المستحسن دائما أن  
 يعنى المرء بمظهره • أسأل الله أن يعيننا ويشد أزرنا • وسوف أصلى الآن  
 ثم أمضى الى مسعاى •

م • ديفوشكين

سوف أحتفظ لك يا فارنكا بخمسة وعشرين ، ثم أعطى صاحبة البيت روبلين فضة ، أما الباقي فأنفقه على نفسه ، على حاجاتي أنا • صحيح أن من المستحسن أن أعطى صاحبة البيت أكثر من ذلك ، حتى لقد يكون هذا ضروريا لا غنى عنه • ولكن فكرى فى الأمر أنت نفسك يا ماتوشكا • احسبى النفقات التى لا بد لى منها ، ترى انه يسنجيل على أن أقدم صاحبة المنزل أكثر من روبلين فضة • غير وارد اذن أن أفعل ذلك • ومن الافضل أن لا نتحدث فيه • سوف أشتري حذاءين بروبيل فضة • اننى أتساءل : هل يمكن أن يتماسك حذاءى القديمان حتى الغد ، هل يمكن أن أتعلهما لأذهب بهما الى المكتب فى الغداة • أحتاج أيضا الى عصابة للنعق ، ذلك أن العصابة العتيقة قد بليت منذ سنة • ولكن لمأ كنت قد وعدتني بأن تفصلنى لى عصابة من مآزرك العتيقة ، بل وصدرة أيضا • فانتى لا أفكر الآن فى شراء عصابة ولا صدرة • حلت اذن مشكلة الحذاءين والعصابة • أحتاج عدا هذا الى أزرار ، لأننى فقدت نصف أزرار سترتى • اننى لأرتعش حين أتصور أن صاحب المعالى قد يرى ما انا فيه من فوضى ! ما عساه يقول عندئذ يارب ! على اننى لن أسمع الملاحظات التى قد يبدىها فى هذه الحالة ، لأننى سأموت ، نعم سأموت على الفور . سأموت خبجلا وحياء وشعورا بالعار ! آه ما أفسى هذا يا فارنكا ! سيقى لى اذن بعد كل هذه النفقات التى لا بد منها ثلاثة روبلات وورق وسيكفينى هذا المبلغ لأقيم أودى ، وكذلك لأشتري نصف رطل من التبغ ، لأننى لا أستطيع يا ملاكى الرقيق أن أعيش بلا تدخين : منذ تسعة أيام لم أضع الغليون فى فمى مرة واحدة • فى وسعى أن أشتري لنفسى هذا التبغ دون أن أقول لك ذلك ، ولكنتى أخجل أن أفعل • أتعيشين أنت فى مثل هذا البؤس ، وتحرمين نفسك من كل شىء ، ثم أبدد أنا المال فى سبيل ملذات صغيرة تافهة ؟ لذلك ترىنى أحدثك فى هذا الأمر الآن حتى

• آب ( اغسطس )

السيد العزيز جلا ماكار الكسييفتش !

ليتك لا تعذب نفسك هذا التعذيب كله على الأقل ! أليس ما بنا من شقاء كافيا بدون هذا التعذيب الذي توقعه في نفسك ؟ أرسل اليك ثلاثين كوبكا فضة • يستحيل علىَّ أن افعل أكثر من ذلك اطلاقا • فاشتر ما أنت في أمس الحاجة اليه حتى تعيش الى غد على كل حال • لم يبق لنا شيء تقريبا ، ولا أدري ما عسى يكون الغد • ذلك محزن ياماكار الكسييفتش • ولكن ليس يفيد في شيء أن تحزن هذا الحزن كله : لقد أخفق مسعك، فما حيلتنا وماذا نستطيع أن نفعل ؟ فيدورا تؤكد أن ذلك ليس بكارثة • ان في امكاننا أن نمكث في هذا المسكن الى حين ، ولن يجدينا كثيرا أن نتقل الى مسكن آخر على كل حال ، ففي وسعهم دائما أن يعيشوا علينا اذا هم أصروا • ومع ذلك أرى أنه لا يستحسن أن تبقى هنا الآن • ولولا أنني حزينة جدا لكثبت اليك شيئا في هذا الموضوع •

غريب طبعك يا ماكار الكسييفتش ! انك تسرف في الأسى لأحزان الآخرين • وعلى هذا سوف تقضى حياتك كلها سقيا تعيسا الى أبعد حدود الشقاء والتعاسة • انني أقرأ كل رسالة من رسائلك بانتباه شديد ، فأدرك أنك تعذب نفسك من أجلى ، وأن الهموم تركبك في سبيلي ، وأن حزنك علىَّ أشد من حزنك على نفسك في أي وقت من الأوقات • سيقول جميع الناس طبعاً انك رجل طيب القلب • أما أنا فأرى أن هذا اسراف في طيب القلب • ما أقوله الآن هو نصيحة من صديقة تخلص لك الود يا ماكار الكسييفتش ، أنا شاكرة لك ، شاكرة لك جدا ، جميع الجهود التي بذلتها في سبيلي • انني أعرف هذه الجهود ، وأشعر ازاءها بأعمق الامتنان والتأثر • أنظر الى الأمر بنفسك واحكم فيه : انه ليحز في

نفسى ويؤلنى أشد الالم أن ألاحظ ، بعد كل المصائب التى نزلت بك  
والتى كنت أنا سببها على غير ارادة منى ، أنك ما تزال حتى اليوم لاتعيش  
الابى ولى ، فكأن العالم كله قد خلا الا من أفرأحى وأترأحى ونفسى •  
لو كان على المرء أن يأسى هذا الأسى كله لما يقع لغرباء ، وأن يتعذب هذا  
العذاب لآلام كل انسان من الناس ، لأصبح أشقى أهل الارض طرا •  
حين جئت الى اليوم آيبا من مكتبك هالنى منظر ك • كنت شاحب الوجه ،  
مذعورا يأسا ، مشعث الهيئة غريب السحنة • لماذا ؟ لأنك كنت تخشى  
أن تروى لى اخفاقك فى مسعاك ، لأنك كنت تخاف أن أحزن وأن  
أقلق • حتى اذا لاحظت أنتى مرتاحة تخففت من عبئك فجأة • لا تعذب  
نفسك يا ماكار الكسيفتش ، لا تنحدر الى هوة الحزن واليأس ، كن  
عاقلا ، أرجوك ، أضرع اليك • لسوف ترى أن جميع الأمور ستحل ،  
وأن كل شىء سينتهى الى خير • والا فلن تستطيع أن تعيش متألما لآلام  
الآخرين هذا التالم دائما • وداعا يا صديقى • أضرع اليك مرة أخرى  
ان لا تسرف فى القلق علىَّ •

ب • د

ه أب ( أغسطس )

بمامنى ، عزيزتى فارنكا !

طيب ، يا فارنكا ، طيب • أنت ترين أن اخفاقى فى الحصول على  
مال حتى الآن ليس بالكارثة الكبيرة • طيب طيب • هأنذا راض سعيد  
امتالا لأمر ك • وانى لأفرح حين أتصور أنك أصبحت لا تفكرين فى

تركى أنا الشيخ العجوز الفقير ، وأنت باقية فى هذا المسكن • الحق ان قلبى طفح فرحا حين قرأت ما تقولينه فى رسالتك عن العواطف التى أكنها لك ، وحين رأيت انك تعرفين كيف تقدرين هذه العواطف حق قدرها • لا أتحدث عن هذا افتخارا ، بل لأننى أرى فيه برهانا على العاطفة التى تحملينها لى ما دمت تقلقين أيضا لما آلت اليه حالة قلبى • طيب يا عزيزتى ، ما لنا وقلوبى الآن • دعينا من قلبى الآن • انك تأمريننى بأن أتجمل بالشجاعة • طيب يا ملاكى الرقيق • أنا أعلم انه لا يد للمرء من الشجاعة • ولكن فكرى أنت فى الامر يا ماتوشكا ، واقطعى فيه برأى : ما الحذاءان اللذان أذهب بهما غدا الى العمل ؟ تلك هى المسألة يا ماتوشكا • هذا أمر يمكن أن يقتل المرء قتلا ، يمكن أن يدمره تدميرا كاملا ؟ لا سيما وأنتى لا أتألم على نفسى فحسب ، ولا أتعذب من أجلى وحدى • ثم انه يستوى عندى أن أخرج بلا معطف ولا حذاءين فى هذا الجو البارد وهذا الصقيع المتجدد ، انتى قادر على احتمال ذلك • مستعد لقبول كل شئ • فأنا انسان بسيط ، انسان صغير ، ولكن ما عسى يقول الآخرون ، يارب ، ما عسى يقول أعدائى ، ما عسى تقول هذه الألسنة الطويلة كلها ، حين أرى بلا معطف ؟ من أجلهم ، من أجل الناس ، انما يضطر المرء الى ارتداء معطف واتعال حذاءين أيضا • من أجل الناس انما يتجمل المرء بهذه الأشياء ما فى ذلك ريب • فأنا اذن فى حاجة الى حذاءين ، يا روحى ، يا ماتوشكا ، صوتاً لشرفى ومحافظة على سمعتى ؛ صدقى يا ماتوشكا أن الحذاءين المثقين يسيئان الى سمعتى وشرفى كليهما ، صدقى تجربة عجوز عاش طويلا وعرف العالم وبلا الحياة وخبر الناس • صدقى ما أقوله لك أنا ، لا ما يكتبه أولئك المخرشون الذين يسودون صفحات طويلة ويسمون أدباء •

لم أقص عليك ، يا ماتوشكا ، تفاصيل ما جرى أمس • لقد تأملت



كثيرا ، وعانيت من عذاب النفس في ذلك الصباح وحده أكثر مما عانيت خلال سنة برمتها • اليك ما حدث : نهضت من فراشي وغادرت البيت في ساعة مبكرة جدا من الصباح ، حتى أستطيع أن أجد في منزله وأن أصل الى عملي بعد ذلك دون تأخر • كان المطر يهطل ، وكان الشارع مليئا بالوحل • تدثرت بمعطفي • ومضيت أسعى في الشارع وأنا أتمتم : « يا رب ، اغفر لي آثامي ، وهب لي النجاح في مسعاه ، حتى اذا مررت أمام كنيسة ن ، رسمت اشارة الصليب ، وأعلنت لله توبني عن كل ماأقارفت من شر ، وخطر بيالى في تلك اللحظة أنني لا أستحق أن أخطب الله • سرت منكثا على نفسي ، لا أريد أن أنظر فيما حولي • سرت لا يعينني الطريق الذي أسلكه • كانت الشوارع مقفرة وكان المارة القلائل الذين أصادفهم يبدون مهمومين منهمكين : ولا عجب في ذلك ، فمن ذا الذي يخرج في مثل هذه الساعة ومنل هذا الجبو متزها ؟ والتقت بجماعة من العمال متسخي الايدي ، أقبلوا على يدفيعوني عابرين ••• يا لهم من أفظاظ غلاظ ! تركتني عندئذ شجاعتي ، واعرانى خوف ، حتى أصبحت لا أريد أن أفكر في المبلغ الذي يجب علي أن أقرضه ، ولا أجرؤ أن أفكر فيه ، وانما أسير ضاربا في الارض على غير هدى • وقرب جسر « الانبعاث » انفلت نعل أحد حذاءي حتى كاد ينفصل عن الحذاء ، ولكنني تابعت سيرى لا أدري كيف ! وهأنذا ألمح النساخ ارمولايف على حين فجأة سائرا في اتجاه هو عكس الاتجاه الذي كنت سائرا فيه • وقف ارمولايف أمامي ونظر اليّ وظل يتابعني ببصره كأنه يتمنى لو يطلب منى بعض المال ليشرب به خمرا • قلت في نفسي عندئذ « هذا هو الأوان حقا ! » وكنت أشعر بتعب شديد ، فتوقفت أستريح بضع لحظات ، ثم تابعت سيرى • بحثت فيما حولي عن شيء يمكن أن أفق عليه تفكيري تشدانا للسلى وسعيا الى بيت شيء من الشجاعة في نفسي • ولكنني لم

أستطع الى ذلك سييلا : كان يستحيل أن أثبت أفكارى على اى شىء •  
يضاف الى ذلك انى كنت قد امسخت بالوحل امساخا شديدا حتى صرت  
استحى من نفسى • وأخيرا لمحت من بعيد بيتا خشيا اصفر اللون له  
دربزين • قلت لنفسى : « ذلك هو البيت الذى وصفه لى ايميليان  
ايفانوفتش ، هنا يسكن ماركوف ، ( ماركوف هو الرجل الذى يقرض  
يفاندة يا ماتوشكا ) • نسيت فى تلك اللحظة كل شىء • ورغم ثقتى بان  
منزل ماركوف هو هذا المنزل قطعا ، أردت أن أتأكد من ذلك ، فدنوت  
من البواب وسألته « أهذه دار ماركوف يا أخ ؟ » فأجابنى بفظاظة وغلظة  
كأنه كان غاضبا من أحد وكأنه كان يحسب كل كلمة يقولها : « نعم  
هى دار ماركوف ، يا الهؤلاء البوابين ما اشد عبوسهم وتجهمهم ! وعلى أن  
هذا كان لا يعينى فقد خلف فى نفسى أثرا مزعجا • هذه حقيقة صادقة  
دائما : ان كل ما يقع لنا يناسب حالتنا النفسية ، فاذا كان المرء شجوي  
النفس معتكر المزاج ، فلا تقع له الا احداث مزعجة • مررت امام الدار  
ثلاث مرات ، فكانت عزيزتى تخور مزيدا من الخور فى كل مرة • قلت  
لنفسى : « لا ، لا ، سوف يرفض أن يقرضى ، فهو أولا لا يعرفنى ،  
وهو ثانيا لن يرضيه مظهرى » • وقلت أخيرا : « القدر هو الذى يقرر •  
على الأقل لن ألوم نفسى على أنى لم أحاول • وما يُقتل المرء لأنه حاول » •  
قررت آخر الأمر اذن أن أفتح الرتاج فى رفق • فما ان فعلت حتى  
انقضت على نازلة جديدة : انه كلب شرير صغير • حيوان حقير غبى •  
غضب منى ، فأخذ ينبح بكك ما يملك من قوة ، لا يتوقف عن العواء  
البحانق لحظة واحدة ! ••• يا له من كلب قدر ! ••• ان أمورا يسيرة  
من هذا النوع ، ان أشياء صغيرة تافهة كهذا الشىء ، يمكن أن تجهز  
على انسان ، ان تخرجه عن طوره أحيانا ، أن تبدد دفعة واحدة كل ما قد  
عقد عليه العزم ! ودخلت الدار أقرب الى الموت منى الى الحياة ، وهناك

وافتنى مصيبة جديدة • اجتزت عتبة باب المدخل فى ظلام دامس ، فكنت لا أعرف أين أضع قدمى ، وكانت هنالك امرأة ، نعم امرأة ، تصب دلو من اللبن فى آنية ، فلما صدمتها أفلت الدلو من يديها ، فانسكب اللبن على الارض • طفقت المرأة تعول وتوعوع ! يا لها من حمقاء ! « هلا نظرت أين تسير يا عجوز ، عم تبحث هنا يا فرد ؟ » وانطلقت منها ألفاظ أخرى أيضا أخذت بعدها تتحجب فما تتوقف عن الالتحاب • أروى لك هذا كله يا ماتوشكا ، لأن هذه القصص تقع لى دائما فى هذا النوع من الشئون • لا بد لى دائما ، فى مثل هذه الحالة ، أن أشب فى شىء او فى أحد • وهرعت الى المكان عجوز شمطاء سمعت الصراخ • انها صاحبة البيت ما فى ذلك ريب • تقدمت اليها رأسا ، وسألتها : « أهنا يسكن السيد ماركوف ؟ » فقالت « لا » ثم نظرت الى من أحمض القدمين الى قمة الرأس ، فأضافت بعد ثانية أو ثابنتين : « ماذا تريد منه ؟ » ، فشرحت لها الغرض الذى جئت من أجله ••• قلت ان ايميليان ايميلتش ••• الخ الخ • « فأنا أحب أن أكلمه فى عمل » • فنادت العجوز ابتهاجاً وهى صبية شبت عن الطوق ، لكنها حافية القدمين ، وقالت لها « اذهبى فنادى أباك ، انه هناك عند المستأجرين • تفضل أيها السيد ، • دخلت الغرفة • انها حجرة لائقة ، قد علق على جدرانها لوحات هى صور جنرالات ، جنرالات فحسب ، وفيها ديوان ، ومنضدة مدورة ، وأصيص زهر • فلما لبنت وحيدا أخذت أفكر : « ماذا لو انصرف ، ماذا لو ذهبت دون أن أنتظر التمة ؟ » يمينا يا ماتوشكا لقد تمنيت أن أهرب ! قلت لنفسى : « خير لى أن أعود فى الغد ، فسيكون الجو فى غد أفضل • خير لى أن أصبر قليلا ، فان هذا النهار غير ملائم ولا هو بمشجع : لقد سفحت دلو اللبن على الارض ، وهؤلاء الجنرالات المعلقة صورهم على الجدران عابسون كثيرا • خير لى أن أعود غدا ، وفيما كنت أتجه نحو

الباب أريد الخروج ، دخل علىَّ الرجل • انه أشيب الشعر ، له عينا  
وغد ، يرتدى ثوبا من تياب المنزل ملطحا بالدهن والوسخ ، ويسد على  
خصره جبلا اتخذه حزاما • سألتى عن الهدف من زيارتى ، فذكرت له  
ان ايميليان ايفانوفتشس هو الذى ارسلنى اليه ، واننى فى حاجة الى أربعين  
روبلا ، واننى جئت اليه لأكلمه فى هذا العمل ••• ولكنه لم يدع لى  
أن أنهى كلامى ، وقرأت فى عينيه فورا ان كل أمل قد ضاع • قال :  
« لا داعى الى الكلام فى أعمال ، فليس معى مال • أتراك تملك رهنا  
تقدمه ؟ » فأجبت بأتنى لا أملك ما أرهنه ، ولكن ايميليان ايفانوفتشس •••  
«الحلاصة قلت اننى فى حاجة ملحة الى المال • اصغى الى كلامى فى  
هذه المرة حتى النهاية • فلما انتهيت قال : « لا جدوى ، ليست القضية  
قضية ايميليان ايفانوفتشس • القضية أنه ليس عندى مال • هذا كل  
شئ ••• » قلت لفسى : الامر اذن كما قدرت ، كما توفعت ، كما تنبأت ،  
وددت فى هذه اللحظة لو تنشق الارض فتبلعنى • وشعرت بقشعريرة  
تسرى فى جسمى كله ، وأحسست بسافى تقصان ، وبظهرى ينمل •  
ففظرت اليه ، فرأيتنه ينظر الىَّ هو أيضا وكأنه يقول : « مالك لا تنصرف؟  
ماذا تنتظر بعد ؟ » لو كنت فى ظروف غير هذه الظروف لمت فى أرضى  
خجلا وعارا • وسألنى الرجل فجأة : « ما حاجتك الى هذا المال ؟ »  
( لقد تجرأ أن يلقي علىَّ هذا السؤال يا ماتوشكا ) ، ففتحت فمى أهم  
بالكلام حتى لا أبدو غيبا ، لكنه لم يشأ حتى أن يصغى الى ، بل كرر  
يقول : « لا ، لا ، ليس عندى مال ، ولولا ذلك لقدمت لك هذه الخدمة  
راضيا مسرورا » • حاولت أن أقنعه ، فتكلمت وتكلمت ، قائلا ان المبلغ  
ليس بالمبلغ الضخم ، واننى سأرده اليه فى موعده ، بل قبل موعده أيضا ،  
وأضفت اننى أقبل الفائدة التى يفرضها ، واننى سأرد اليه كل شئ ،  
وحولفت له على ذلك • لقد انصرف ذهنى اليك فى تلك اللحظة يا ماتوشكا ،

فكرت فيما تقاسين من شقاء وعذاب ، فيما تلاقين من مصاعب ، فيما تعانين من بؤس ، وتذكرت أيضا نصف الروبل ذلك الذي أرسلته الى • صاحب الرجل يقول : « لا ، لا ، لا داعى الى الكلام على الفوائد ، كان يهون الأمر لو كان لديك رهن • أما بغير رهن فلا ••• وليس عندى مال على كل حال • يمينا ليس عندى مال ••• والا لكان يسرنى أن أقرضك شهد الله •• » تجرأ أن يحلف وأن يشهد الله ، يا له من لص ! •••

ذلك ما حدث يا ماتوشكا ، لا أتذكر الآن كيف خرجت من عنده • ولا كيف قطعت حى فيبورج ، وانما وجدتنى بعد حين على جسر « الانبعاث » • كنت أشعر باعياء رهيب ، فأنا خائر القوى متجمد مرتعش • ولم أستطع أن أصل الى مكتبى الا فى الساعة العاشرة • أردت أن أنظف نفسى قليلا فى الدهليز ، ولكن سينا جريف ، الحفير ، نهنى الى أن ذلك محظور ، فقد أتلف الفرشاة « والفرشاة ملك الدولة يا سيدى العزيز » هكذا قال • انهم يعاملوننى الآن على هذا النحو من المعاملة يا ماتوشكا ، أنا فى نظرهم أهون شأنًا من حصيرة ، ذلك ما يرهقنى ويضينى يافارنكا • ليست مصاعب المال هى التى تقتلنى ، وانما تقتلنى هذه الاذلالات ، وهذه الهمسات ، وهذه الابتسامات وهذه السخريات ؟ وقد أرى صاحب المعالى يبدى ملاحظة من الملاحظات فى شأنى فى يوم قريب ! أم يا ماتوشكا ••• لقد انقضت الايام الجميلة ••• أعدت اليوم قراءة رسائلك الى • ألا ما أتعسنى يا ماتوشكا ، ألا ما أشقانى ، وداعا يا صديقتى العزيزة ، والله أسأل أن يحميك ويرعاك •

م •• ديفوشكين

حاشية : حاولت أن أقص عليك المصيبة ساكبًا فيها شيئًا من فكاهة ودعابة • ولكننى لم أظفر بذلك فى هذه الساعة • لقد

أردت أن أعمل بنصائحك • سأجىء اليك يا ماتوشكا ،  
سأجىء حتما •

### ١١ آي ( أغسطس )

فرارا ألكسييفنا ، يمامتى ، ماتوشكا ، لقد ضعت ، ضعنا كلانا ،  
ضعت أنا وضعت أنت ، ضياعا لا خلاص منه ، ولا عودة عنه ، سمعتى  
••• كرامتى ••• كل شىء انتهى الآن • سوف أهلك ، وسوف تهلكين  
أيضا يا ماتوشكا • سوف نهلك معا ، ولا أمل لنا فى نجاة ، وأنا الذى  
قدتلك الى هذه الهاوية ، نعم أنا ••• انهم يستهزئون بى يا ماتوشكا ،  
انهم يحقروننى ، انهم يجعلوننى أضحوكة ••• أخذت صاحبة البيت  
تهينتى وتشتمنى بلا حرج • صرخت فى وجهى اليوم ، قذفتى بكل  
ما يخطر على البال من ألفاظ ، عاملتنى كما لا تعامل الارض • وفى المساء  
أخذ أحد أصدقاء راتازايف يقرأ بصوت عال مسودة رسالة كنت قد  
كتبتها لك ثم سقطت من جيبى سهوا • لا تستطيعين يا ماتوشكا أن تتخيلى  
البسخرىات التى سمحوا لانفسهم بها فى هذا الأمر • لقد ضحكوا ملء  
أنداقهم ، هؤلاء الخونة ، وقالوا عنا ما يقال وما لا يقال من غمزات  
ولمزات • هرعت الى غرفتهم أخجل راتازايف • لمته على انه خان  
الصدقة • قلت له انه خائن • ولكن راتازايف هذا أجابنى بأننى أنا  
الخائن ، لأننى أفوم بغزواتى سرا • قال لى : « لقد أخفيت عنا الحقيقة ،  
فما أنت الا غاو عتيق ، ما أنت الا لوفلاس محنك ! » انهم جميعا يطلقون  
على الآن اسم لوفلاس ، ولا ينادوننى الا بهذا الاسم ، ولا يعرفوننى الا  
بهذا الاسم ، فهل تفهمين يا ملاكى الرقيق ، هل تفهمين ؟ انهم على علم

بكل شيء ، انهم يعرفون الآن كل شيء • يعرفون كل شيء عنك أنت أيضا يا صديقتي العزيزة ! يعرفون تفاصيل حياتك • فهموا كل شيء ، وهذا كله كان يمكن أن يهون • ولكن فالدوني ، الخادم ، يشاركهم • طلبت منه اليوم أن يذهب الى البقال ليشتري لي بعض الاشياء ، فرفض أن يذهب بحجة انه مشغول ، فلما قلت له « من واجبك أن تطيع » أجابني بقوله : « لا ، ليس من واجبي أن أطيعك أنت أيها السيد » • حتى اذا لم أطق احتمال هذه اللهجة الجارحة من هذا الفلاح الجاهل فوصفته بأنه غبي قال لي « اذا كنت أنا غبيا مرة فأنت غبي مرة ونصفا » • فقدرت انه سكران ، وأن الحمرة هي التي جعلته وقحا هذه الوقاحة كلها ، فقلت له : « لا شك أنك سكران أيها الوقح » فلم يتورع أن يجيبني بقوله : « أكان يمكن أن أشرب خمرا بمالك ؟ أنت لا تملك ما تشرب به كأسا صغيرة • أنت تستجدي دريهمات من امرأة » • وأضاف قوله : « وبعد نفسه بعد ذلك سيدا ! » • انظري أين صرت الآن يا ماتوشكا • لقد أصبحت أستحي أن أحيا يا فارنكا • صرت كاللذنب الذي شد الى عمود تشهيرا به وفضحا له • هويت الى أدنى ما يهوى اليه متشرد بغير جواز سفر ! يا لها من محن ! يا لها من محن رهيبه ! لقد سقطت ، سقطت سقوطا كاملا ! ضعت ، ضعت ضياعا لا عودة عنه •

•••

١٣ آب ( أغسطس )

عزيزي الغالي جدا ماكار الكسييفتش !

جميع المصائب تهبط علينا • أصبحت لا أدري ما الذي سأصير اليه • ما عسك صانعا الآن ؟ ذلك انني لا أستطيع أن أفيدك في شيء الآن • لقد ( ١٣ و ١٤ ) دوستويفسكي

أحترقت يدي اليسرى باللكواة اليوم • سقطت اللكواة منى غفلة فأحدرت  
يدي وأحرقتها ••• أحدرتها وأحرفتها فى آن واحد • يستحيل علىَّ أن  
أعمل الآن •

أما فيدورا فهى مريضة منذ ثلاثة أيام • اننى قلقة قلقة فظيما •  
أرسل اليك ثلاثين كوبكا فضة • لم يبق لنا شىء تقريبا ، ومع ذلك ، يعلم  
الله كم أتمنى أن أساعدك على مصاعبك الراهنة • أكاد أبكى أسفا  
وحسرة • الوداع يا صديقى • لسوف يعزىنى كثيرا أن تزورنا اليوم •

#### ١٤ آب ( أغسطس )

ماذا دهاك يا ماكار ألكسييفتش ؟ ناشدتك الله قل لى ماذا دهاك ؟  
أأنت لا تخاف الله اذن ؟ انك توشك أن تفقدنى عقلى تماما ، عار عليك !  
انك تضع نفسا تضييعا كاملا ، هلا فكرت فى سمعتك على الأقل ؟ أنت  
رجل شريف النفس نبيل القلب ذو أنفة وكبرياء • فما عسى يحدث  
اذا عرف جميع الناس سلوكك ؟ لن يبقى لك عندئذ الا أن تموت خجلا  
وحياء وشعورا بالعار ! هلا رحمت شعرك الأسيب ؟ هلا خشيت الله ؟  
لقد صرحت فيدورا بأنها لن تساعدك بعد اليوم أبدا • ولن أعطيك أنا  
قرشا واحدا فى المستقبل • انظر الى أين قدتنى يا ماكار ألكسييفتش !  
أتظن أنه يستوى عندى أن تكون جيد السلوك أو سيء السلوك ؟ انك  
ما تزال تجهل ما أعانيه بسبيك ! لقد أصبحت لا أجرؤ أن أظهر على  
سلم الدار : فجميع الجيران يتفرسون فى وجهى ويومئون الىَّ بأصابعهم  
ويذيعون عنى أشياء فظيعة ، بل ولا يتورعون أن يقولوا « اننى هائم  
غراما بسكير » ! أتظن ان سماع مثل هذه الأقوال أمر ممتع ؟ حين يؤتى



بك الى البيت سكران فان جميع سكان المنزل يهزون أكتافهم احتقارا ويشيرون اليك قائلين : « هو ذا يعيدونه الى بيته ! » اننى أستحى عنك ، فلا أعرف ماذا أقول . يمينا لأترككن هذا البيت ، لأعملن خادمة فى أى مكان . أما أن أبقي هنا فمستحيل . كتبت اليك أرجوكم أن تأتي الينا فلم تفعل . ان دموعى وآهاتى لا تأثير لها فيك اذن يا مكار ألكسيفتش ! ومن أين حصلت على مال تشرب به خمرا ؟ ارحم نفسك ناشدتك الله ! لسوف تهلك ، لسوف تهلك هلاكا سخيفا ! وياله من عار فوق ذلك ، يا له من تلطيح للشرف ! ان صاحبة بيتك لم تدع لك أن تدخل فى مساء أمس ، فاضطرت أن تقضى الليل فى الدهليز . أعرف كل شئ . لا تستطيع أن تنخيل ما أعانى من آلام حين أعلم بهذه الامور . تعال الينا يا مكار ألكسيفتش ، لسوف تسلى عندنا . سوف نقرأ معا ، وسوف نستحضر بعض الذكريات . ستقص علينا فيدورا قصص أسفارها الى الحج . ارحمنى يا صديقى العزيز ، لا تضيع نفسك ، ولا تقدنى الى الضياع أيضا . أنا لا أعيش الا لك . ومن أجلك انما أبقي هنا . اعلم هذه الحقيقة وتصرف على هديها . كن كريما على نفسك ، واصمد للشقاء . تذكر القول المأثور : ليس الفقر عيبا . وفيم اليأس على كل حال ؟ لسوف تنقضى هذه الهموم وهذه المتاعب . ولسوف تصلح الحال بعون الله . وانما يجب عليك الآن أن تصبر . أرسل اليك عشرين كوبكا ، فاشتر تبغا واشتر ما تشتهى ، ولكن لا تنفق هذا المال فى الانم ! ناشدتك الله ، تعال الينا ! تعال حتما ! قد تكون خجلان منا ، فما تحب أن تظهر أمامنا . تغلب على هذا الشعور . هذا خجل زائف . يكفي أن تتوب توبة صادقة . ضع أملك فى الله يصلح الله أمرك .

١٩ آب ( أغسطس )

فرافارا الكسييفنا ، ماتوشكا !

أنا أشعر بالحجل ، يا طائرى الجميل ، يا فرافارا الكسييفنا ، أنا  
أشعر بالعار . ولكن هل ما فعلته أمر خارق يا ماتوشكا ؟ أى ضمير فيه ؟  
لماذا يكون حراما على المرء أن يفرح نفسه قليلا ، وأن يتيح لقلبه شيئا  
من الانسراح ؟ اننى حين أشرب أنسى التفكير فى نعل حدائى . والنعل  
شئ نافع ، وسيظل الى الابد تافها وضيعا قدرا باليا . بل ان الحذاء نفسه  
شئ حقير ، كان حكماء اليونان لا يتعلون أحذية . لماذا يجب علينا نحن  
أن نهتم كل هذا الاهتمام بشئ هين هذا الهوان ؟ هل فى هذا ما يدعو  
الى تقدى واهاتى ؟ هل فى هذا ما يدعو الى احتقارى ؟ ايه يا ماتوشكا  
يا ماتوشكا ! لشد ما أظهرت فى رسائلك من قلق لهذا الامر ! أما فيدورا  
فقولى لها على لسانى انها امرأة تافهة مضطربة مقتونة بالفصائح ، وانها  
الى ذلك غيبة جدا ، غيبة غباء لا سبيل الى مغالته . كلمة أخرى فى  
موضوع شعرى الثائب : لقد أخطأت فى هذه النقطة أيضا يا عزيزتى  
الغالية ، لأننى لست أبدا ذلك الشيخ الهرم الذى تصورين . ايميليان  
يبعث اليك بتحياته . كنت تقولين فى رسالتك انك حزنت حزنا شديدا  
وانك بكيت ، فاعلمى اذن اننى حزنت حزنا شديدا أيضا واننى بكيت  
أيضا . وفى الحتام أتمنى لك أن تكونى فى صحة جيدة وأنت تكونى  
راضية مسرورة . أما أنا فاننى فى صحة جيدة واننى راض مسرور ،  
وما زلت يا ملاكى اللطيف صديقك :

ماكار ديفوشكين

٢١ آب ( أغسطس )

### سيدتى وصديقتى العزيزة فرقارا الكسييفنا !

أحس بأننى مذنب ، أشعر بأننى آثم فى حقك • ولكننى لا أرى أية فائدة فى الاعتراف لك بذلك كله يا ماتوشكا ، مهما تقولى ! حتى قبل أن أرتكب الاثم ، كنت أعرف ذلك ، وكنت أحس ذلك • ولقد تدهورت وهويت الى الحضيض لشعورى بخطيئتى • ماتوشكا ! أنا لست شريرا ولا قاسيا ، ومن يشأ يا يمامتى أن يعذب قلبك الصغير المعبود ، لا بد أن يكون نمرا كاسرا على الأقل • وأنا امرؤ لى نفس كنفس الحمل وداعة ، وليس بى ميل الى الوحشية الدموية كما تعلمين • يتتج عن ذلك ، يا ملاكى اللطيف ، أننى لست مسئولاً عن سلوكى تماما ، فلا قلبى ولا فكرى يتحمل تبعه هذا السلوك • فاذا سألتنى من الجانى اذن ، قلت لك لا أدرى من الجانى فى حقيقة الامر • تلك قصة سوداء مظلمة ، قصة غامضة ياماتوشكا • لقد أرسلت الى ثلاثين كوبكا فضة ، ثم أرسلت الى عشرين كوبكا بعد بضعة أيام : فأخذ قلبى يشن حين نظرت الى هذه القروش تتصدق علىّ بها يتيمة فقيرة • لقد احترقت يدك ، وبعد قليل لن يكون معك ما تسدين به رمقك ، ثم أنت تبكين طالبة الىّ أن أسترى لنفسى تبغا • فماذا كان يجب على أن أفعل فى هذه الحالة ؟ هل كان يجب علىّ أن أرضى بسلبك مالك كما يفعل لص من قطاع الطرق ، وأن آخذ هذا المال دون أن يعذبنى ضميرى أيتها اليتيمة المسكينه ؟ لقد فقدت عندئذ شجاعتى يا ماتوشكا ، وخارت قواى ، أعنى اننى أحسست فى أول الامر على غير ارادة منى ، اننى لا أصلح لشيء ، واننى أنا نفسى لا أفضل نعل حذائى ، فرأيت اذن انه من غير اللائق أن أقدر نفسى أى تقدير ، وأن أهب لنفسى أى اعتبار ، وأيقنت اننى أنفه من التفاهة ، وأننى شيء نخجل ،

شيء حقير لا كرامة له • فلما فقدت احترامى لنفسى على هذا النحو ،  
 واستسلمت لانكار مزايىى وكرامتى ، شعرت اننى قد ضعت • وكانت  
 تلك اللحظة هى لحظة السقوط ، السقوط الذى لا مهرب منه • ان القدر  
 هو الذى أراد ذلك • نعم هو القدر • ولا يدلى فى الامر ، ولا حيلة  
 لى فيه ، ولست أنا الجانى • خرجت من المنزل أتشد استنشاق الهواء  
 فحسب • ولكن كل شيء كان يساهم فى دفعى الى الشقاء ذلك اليوم .  
 الطبيعة تبدو شديدة الحزن والأسى والشجن ، الجو بارد ، والمطر ينهمر •  
 وكان طبيعيا أن أجد ايميليان فى طريقى ••• ذلك أمر لا مفر منه • كان  
 ايميليان قد رهن كل ما يملك للحصول على قروض لم يلبث أن أنفقها •  
 فلما التقيت به لم يكن قد أكل شيئا منذ يومين ، وكان يفكر فى رهن  
 أشياء لا يستطيع المرء حقا ان يرهنها ، فما هى بالاشياء التى ترهن • فماذا  
 تريدن يا فارتكا ؟ لقد خضعت ••• خضعت لا استسلاما لميل شخصى ،  
 بل رحمة بالاسان • هكذا سقطت فى الاثم يا ماتوشكا ، ما أكثر ما بكينا  
 معا يا ماتوشكا ، أنا وهو ! ••• وتكلمنا عنك • انه انسان طيب ، انسان  
 له قلب من ذهب ، انسان حساس جدا • اننى أشعر بذلك شعورا قويا  
 يا ماتوشكا • وذلك هو السبب فى أن مصائب كثيرة تنزل بى ••• ان  
 السبب فى ذلك هو اننى أحس بالأمر احساسا قويا ••• أنا أعرف  
 فضلك علىّ يا يمامتى • اننى منذ عرفتك أخذت أعرف نفسى معرفة  
 أصدق وأعمق ، وأصبحت أحبك مزيدا من الحب يوما بعد يوم • كنت  
 قبل أن ألقاك ، يا ملاكى الرقيق ، انسانا منعزلا ، انسانا لا يعيش حقا ،  
 انسانا يشبه أن يكون نائما • كانوا جميعا ، أولئك النساء ، يزعمون أن  
 لى دماغا متحجرا ، وكانوا يهزعون بى ويسخرون منى صراحة ، حتى  
 صرت أحقر نفسى بنفسى • كانوا يؤكدون اننى غيبى أبله ، حتى صدقت  
 اننى كذلك فعلا • فلما ظهرت لى ، أضأت وجودى كله ، وغمرت بالنور

حياتي المظلمة القاتمة • صار كل شيء فيَّ عندئذ مضيئًا : قلبي وروحي ؛  
وأخذ كل شيء يشع • وفزت بالطمأنينة الداخلية حين أدركت بفضلك  
انني لست أسوأ من غيري • فليس يعوزني الا البريق الخارجي ، وشيء  
من اللمعان والمظهر ، ولكنني انسان بالقلب والفكر • حتى اذا أدركت  
أخيرا ، وا أسفاه ، أن القدر يهجم على ويفتك بي رغم كل شيء ؛ حتى  
اذا اندفعت ، وقد أذلني القدر ، فأنكرت عزة نفسي وكرامتي ، غلبني  
الشقاء على أمرى ، وأرهقتني الكوارث تتلو الكوارث ، فخارت عزيمتي  
وهويت الى قاع اليأس • أما وقد عرفت الآن كل شيء يا ماتوشكا ،  
وعرفت كيف حدث لى ذلك الامر ، فاننى أضرع اليك دمع العينين أن  
لا تلحى مزيدا من الالحاح ، وأن لا تلقى علىَّ أسئلة جديدة فى هذا  
الموضوع ، فان قلبي ليمزق ، وانى لأشعر بمرارة ثقيلة وحسرة  
لا تطاق •

وأنا اذ أعير لك عن احترامى يا ماتوشكا ، أبقى صديقك الامين

الوفى :

ماكار ديفوشكين

٣ أيلول ( سبتمبر )

لم أكمل رسالتى السابقة يا ماكار ألكسييفتش ، لأننى كنت حزينة  
حزنا شديدا • لم أملك القدرة على مواصلة الكتابة • تمر بي لحظات  
أحب فيها أن أكون وحيدة أستسلم لحزنى وكآبتى دون أن يرانى أحد •  
وقد أصبحت هذه اللحظات تكثر فى حياتى يوما بعد يوم • ان فى ذكرياتى  
شيئا يصعب تفسيره وتعليله يجذبني اليها جذبا لا سبيل الى مقاومته ، جذبا

يبلغ من القوة انه يتفق لى فى بعض الاحيان أن أبقى ساعات طويلة لا أشعر بشيء مما حولى ، وأنسى الحاضر نسيانا تاما . ان كل شعور فى حياتى الراهنة ، سواء أكان بهيجا أم أليما أم كئيبا ، يوقظ فى نفسى العواطف التى تماثله من حياتى الماضية . والى عهد طفولتى ، الى عهد طفولتى الذهبى ، انما ينصرف ذهنى وتنصرف أحلامى عندئذ فى أكثر الاحيان ، وبعد هذه الاحلام أشعر دائما بارهاق شديد . لقد أصبحت ضعيفة ، فالاحلام النفسية تضينى ، وذلك يفاقم ما أنا فيه من تضعف الصحة ووهن العافية .

ولكن الصباح فى هذا اليوم مضى نير تذهب الشمس بأشعتها وقلما نرى له ميلا هنا فى الخريف ؛ وقد بث هذا الحياة فى نفسى وأنشها ، فاذا قلبى فرح منذ نهضت من فراشى . هو الخريف اذن قد وصل ! لشد ما كنت أحب هذا الفصل من فصول السنة فى الريف ! لقد كانت حياتى النفسية غنية غنى كبيرا فى ذلك الحين ، رغم اننى كنت ما أزال طفلة . كنت أوثر أماسى الخريف على أصباحه . أتذكر الآن بحيرة صغيرة كانت تقع فى سفح رابية ، غير بعيدة عن منزلنا . اننى أتذكر هذه البحيرة حتى لكأننى أراها بعينى فى هذه اللحظة : كانت واسعة كبيرة ، هادئة رائعة ، صافية مضيئة كأنها البلور ؛ كان سطحها يبدو ساكنا سكونا تاما فى بعض الاحيان متى كان المساء هادئا . ما من ورقة على الاشجار التى تحف بشطآنها تتحرك . الماء يشبه أن يكون غافيا ، فهو راكن كأنه مرآة . الهواء طرى ، يكاد يكون باردا . والندى يحط على العشب . وأضواء تشتعل فى الأكواخ عند الشاطيء . قطعان الماشية تتوب . تلك هى الساعة التى كنت أحب أن أتسلل فيها من المنزل فأمضى قرب بحيرتى أحلم وأغرق فى تأملات صامتة . هذه نار حطب جاف تحترق فى كوخ أحد الصيادين قرب الماء ، وهذا ضوء اللهب يعكس سحائب سحائب على

صفحته • السماء تبدو باردة ، زرقاء زرقة عميقة ، تقطعها أخاديد متوهجة عند الأفق ، ثم تصفر الأخاديد شيئاً بعد شيء • الهلال يظهر في السماء • الهواء يشبه أن يكون له رنين • يكفى أن يطير عصفور على حين فجأة ، أو أن تنزلق حصى تدفعها نسمة خفيفة ، أو أن تبجس على سطح البحيرة سمكة تصفق الماء ، حتى يسمع المرء هذه الاصوات كلها • وكان الظلام يتكاثف شيئاً فشيئاً في بعيد ، فكل شيء يبدو كأنه يفرق هناك في ضباب ، بينما يصبح للأشياء القريبة حواشٍ أوضح وحدود أدق كأنها مقدودة قدا بسكين • ان كل شيء يظهر عندئذ بينا مجلوا : القارب الصغير المنسي قرب الشيطان ، الجزيرات الصامتة المثورة هنا وهناك ، البرميل المهجور في مكان على ضفة البحيرة • ومن حين الى حين تهب نسمة فتغضن صفحة البحيرة ، ويرتجف غصن من أغصان السيتس الصفراء الاوراق بين أعواد القصب • وهنا طائر متأخر من طيور السمع يطير على حين فجأة ، ثم يفتس في الموجة الباردة ليستأنف بعد ذلك طيرانه صافقا جناحيه الى أن يختفي في الضباب ••• كنت أتأمل حاله ، وأصغى اصغاء شديدا • ما أعذب الجو في تلك اللحظات ! وما أعظم ما كنت أشعر به من سعادة ! كنت أيامئذ صبية صغيرة • كنت أحب الخريف حبا جما حين يتقدم الفصل فيجنى الفلاحون قمحهم ويفرغون من أعمالهم في الحقول • ذلك أوان السهرات الطويلة الجميلة داخل الاكواخ بانتظار الشتاء الذي يقبل • الطبيعة تصطبغ عندئذ بألوان قاتمة ، والسماء الجهممة تغشاها غيوم مظلمة ، والأوراق الصفراء تتراكم فتشكل بسطا رخوة عند أطراف الغابات المعراة ؛ الحرج يزرق في أول الامر ثم يصير الى سواد ولا سيما عند المساء ، حين يسقط بخار رطب فتبجس الأشجار من الضباب انبجاس عمالقة ، في منظر من أشباح مرعبة • كان يتفق لى أحيانا أن أتلبث أثناء نزهة من النزهاة ، فاذا أنا أراني متخلفه وحيدة على حين

فجأة • كنت عندئذ أغد الحطى خائفة ، وأرتعش ارتعاش ورقة في مهب  
الرياح ، وقد تملكنى ذعر شديد من تصور شيخ رهيب أو عملاق شرير  
قد ينبجس من وراء جذوع الأشجار المخيفة بين لحظة وأخرى • وكانت  
الرياح ترعش الغابة على حين بفتة فتملؤها همهمة صماء في أول الامر ،  
ثم تسع الهمهمة وتتكاثر محتاجة أرجاء الغابة شيئاً بعد شيء ، مثيرة في  
جميع الجهات آهات حزينة وأنات غامضة • والرياح في جريانها المستميت  
تهوى على الاغصان المستدقة فتزع عنها أوراقها الصغيرة بفتة ، وتجرفها  
أمامها في زوبعات غضبي حائقة • وهذه أسراب من الطيور تهب على  
حين فجأة كأنها مذعورة ، فتجري وراء الأوراق الميتة وهي تطلق صرخان  
حادة ، وتشكل جموعها الكثيفة سحباً طويلة تسود السماء وتحجبها  
تماماً • ما أشد الخوف الذي كان يخنق صدرى في تلك اللحظات ! كان  
يخيل الى عندئذ اننى أسمع صوتاً يدمدم على مقربة منى قائلاً : « اركضى ،  
اركضى ، اهربى أيتها البنية ، لا تتلبى في هذا المكان ، لأن أمورا رهية  
تهياً هنا ، اركضى ، اسرعى ، فرى ، فكان الهلع يشلنى شلاً ، وكان  
قلبى يأخذ يخفق خفقاناً شديداً ، وكنت أطلق ساقى فى الريح مسرعة  
فى الجرى ما أمكنتى الاسراع ، فما أصل الى المنزل الا وقد تقطعت  
أنفاسى من اللهات • الغرفة ممتلئة صحياً ومرحاً • الاطفال توزع عليهم  
أعمال سهلة ، فهم يقشرون الباسلاء أو يقشرون خضارا أخرى ؛ وعيدان  
من خشب طرى رطب تطلق فى المدفأة • وكانت المربية العجوز أوليانا  
تحدثنا عن الزمان الماضى ، وتقص علينا حكايات مرعبة يدور فيها الكلام  
على ساحرات وعلى أرواح عائدات من العالم الآخر • فكنا نحن الاطفال  
تراص وتغارب متلاصقين ، مبسمين ابتسامة من يشعر بالامن والطمأنينة •  
ولكننا نصمت على حين فجأة قلقين : « هس ••• ما هذا الصوت ؟ كأن  
أحدا يقرع الباب » • ولكن لا شيء من ذلك ••• وانما هو مغزل



العجوز فلوروفنا يدمدم دمدته الهادئة . ما كان أشد الضحك الذى  
ينفجر عندئذ فى رهطنا ؛ ثم كان يتفق لنا ألا نستطيع سيلا الى النوم  
فى الليل ، لأن مخاوف عجيبة تستبد بنا أو لأن أحلاما مرعبة تلاحقنا .  
وكنا نستيقظ أحيانا فما نجرؤ أن نتحرك بل نظل ساكنين تحت أغطيتنا  
مرتعشين . ولكننا نهض فى الصباح نضرين نضارة الزهور . ونلقى  
نظرة نحو النافذة فنرى البرية فى خارج المنزل قد تجلجت ، ونرى  
صقيا دقيقا قد تعلق بالأغصان العارية ، ونرى طبقة من الجليد رقيقة  
كالورق قد فرشت صفحة البحيرة ، ونرى بخارا أبيض يتصاعد على  
سطحها ، ونرى أسراب العصافير تطير فى السماء وتملأ الهواء زقزقات  
فرحة . الشمس ترسل أشعتها الساطعة فى جميع الجهات ، فسقط على  
طبقة الجليد الرقيقة فتحطمها تحطيم الزجاج . كل شئ مضى فرح  
نير . وتعود النار تفر فى الموقد . وتتعلق حول السماور ، ثم نأخذ  
نضحك متى ظهر لنا من وراء الزجاج ذلك البوز الاسود ، بوز كلبنا  
بولكان الذى ترتعد فرائضه من البرد لأنه قضى الليل فى الخارج ، والذى  
أخذ يحيننا محركا ذيله فى فرح . ويمرق أمام نوافذنا أحد الفلاحين  
مسرعا ، على عربة يجرها حصان قوى . انه ماض الى الغابة ليحجى منها  
بشئ من حطب . انا نشعر جميعا برضى عظيم وسعادة كبيرة ! . . . لقد  
كان المحصول وافرا ، والقمح يتكدس فى الحقول حيث تسطع تحت  
ضوء الشمس يبادر ضخمة يغطيها القش . انها للذة أن يرى المرء هذه  
البيادر ؛ يشعر المرء عندئذ بطمأنينة وثقة وسعادة : لقد وهب الله لكل  
واحد رزقا طيبا . فالجميع يعلمون أن الخبز لن يعوزهم فى هذا الشتاء .  
الفلاح الصغير يعرف أن امرأته وأولاده لن يجوعوا فى أيام البرد  
الشديد . لذلك فالفتيات ما تنفك تطلق أغانيها الراعشة فى السهرات  
الطويلة مدوية بغير انقطاع ، وما تنفك جوقاتها تصاحب حلقات الرافضين

فى أحواش المزارع بلا توقف • ولذلك أيضا تخضل الأعين فى الكنيسة يوم الاحد شكرا للخالق على ما وهب وأعطى ••• ألا ما كان أجمله من عهد ، ذلك العهد الذهبى من طفولتى !

هكذا رأيتنى أبكى فجأة بكاء طفلة ، بعد استرسالى فى استحضار تلك الذكريات كلها • رأيت ذلك الماضى رؤيه واضحة جدا ، جلية جدا ، دقيقة جدا ، وانبثق هذا الماضى فى نفسى مضيئا ذلك الضياء كله ، بينما الحاضر حالك هذه الحلقة ، مظلم هذا الظلام ••• ترى كيف ينتهى هذا كله ؟ كيف ينتهى هذا كله ؟ يراودنى فى بعض اللحظات يقين قوى يشبه أن يكون رؤيه ، بأننى سأموت فى هذا الخريف • أنا فى الواقع مريضة جدا ، مريضة جدا جدا • اتنى أفكر فى الموت كثيرا ، ولكننى لا أريد أن أموت هنا ، لا أريد أن أدفن فى هذه الارض غير الكريمة • من يدرى ؟ قد اضطر الى ملازمة فراشى قريبا ، كما حدث فى المرة الماضيه ابان الربيع ، مع أننى لما أبرأ من مرضى تماما بعد • فى هذه اللحظة مثلا أشعر بوهن شديد جدا • لقد غابت فيدورا طول النهار لشؤون تخصها ، فبقيت فى البيت وحيدة • وقد أصبحت أخشى الوحدة والعزلة منذ زمن • اتنى أتصور دائما أن فى الغرفة أحدا لا أراه ، ولكنه قريب منى يكلمنى • يحدث لى هذا خاصة بعد أن استرسل فى تأملات طويلة ، ثم أرتد فجأة الى الواقع الراهن • ان غما ثقيل يعترينى فى مثل هذه اللحظات ، فأشعر بخوف شديد • لذلك ترانى أبعث اليك اليوم برسالة طويلة هذا الطول كله •

ان تلك المخاوف تتبدد وتزول حين أكتب • أودعك الآن حاتمته هذه الرسالة ، فلم يبق عندى ورق ، وليس يتسع وقتى لمزيد من الكتابة على كل حال • نفذ ما حصلت عليه من بيع ثيابى وقبعتى الصغيرة ، فلم

يبقى لى منه الا روبل واحد فضة • أحسنت اذ دفعت الى صاحبة البيت  
 روبلين • ستهداً الآن بعض الوقت •  
 يجب عليك أن تدبر أمرك بحيث تصلح رداءك قليلا • أستودعك  
 الله • اننى متعبة مرهقة • لا أدرى لماذا أصبحت واهنة هذا الوهن كله •  
 ان أيسر جهد يرهقنى • ماعسانى فاعلة اذا جاءنى شغل ؟ ان ذلك كله  
 يقتلنى قتلا فى الواقع •

ب•د

٥ أيلول ( سبتمبر )

يمامتى ، عزيزتى فارنكا !

عانيت اليوم مشاعر مختلفة • أولاً : لم يفارقتى الصداغ لحظه طول  
 النهار • ومن أجل أن أخفف عن نفسى قليلا مضيت أتنزه على شاطئ  
 فوتانكا • المساء مظلم رطب • لقد هبط الليل منذ الساعة الخامسة • ولم  
 تكن السماء ممطرة ، ولكن الضباب لا يقل عن مطر غزير • ان سحابات  
 كبيرة مستطيلة تنزلق على السماء • وكان رصيف القناة يزدحم بالناس •  
 وكان جميع هؤلاء الناس يلوح فى وجوههم المرعبة حزن شديد وعبوس  
 قاس ، فكان ذلك يفرق المرء فى جو من الكآبة والأسى : فلاحون سكارى ،  
 نساء ثرارات فطس الأنوف يتتلطن أحذية لكن رؤوسهن عارية ، عمال ،  
 حوزيون ••• وهنا وهناك رجل يحث الخطى وراء عمل من الاعمال ،  
 وصيبة صغار ، وأجير قفال بمعطف مخطط ، له وجه ضامر سوده  
 الدخان ، يحمل فى يده قفلا • وبعد ذلك بقليل جندى محال على التقاعد

يشبه أن يكون عمالفا من العمالقة ، ينتظر فرصة أن يبيع لأحد المارة موسى أو خاتما من البرونز • ذلك هو الجمهور الذى رأيتُه هنالك • طبعاً لم يكن الوقت الذى خرجت فيه الى النزهة هو الساعة التى يخرج فيها وجوه الناس • وما الفوتاتنكا أخيراً الا قناة لعبور المراكب • ياللفوضى التى يراها المرء هناك ! ان المرء ليعجب كيف يمكن لهذه الاشياء جميعاً أن تجد متسعاً لها فى ذلك المكان ••• أمر يصعب فهمه : فلاحات يقفن على الجسور أمام بسطاتهن التى تحمل حلوى رطبة وتفاحاً يوشك أن يكون عفناً • انهن قدرات جداً ، هاته النساء ، مبللات الثياب • شئ يير الحزن فى القلب ، هذه النزهة على فوتاتنكا • البلاط رطب تحب الاقدام ، وعلى الجانبين مبان عالية قائمة سودها اندخان • أمامى الضباب • وفوق رأسى الضباب • مساء قاتم مظلم يبعث الكآبة فى النفس •

فلما انحرفت نحو شارع جوروخوفايا كان الليل قد أطبق ، فأخذوا يشعلون الفوانيس • منذ زمن لم يتفق لى أن وجدت فى شارع جوروخوفايا • ياله من شريان صاحب بيع بالضوضاء ! ما أغنى واجهات المخازن فى هذا الشارع ! كل شئ هنالك يسطع ويتلألأ : الأقمشة ، الأزهار وراء الزجاج ، القبعات الصغيرة المزدانة بأشرطة ملونة • فد يتوهم المرء ان هذه الاشياء كلها ليست الا للزينة • ولكن لا : هنالك أناس يشترون هذه الاشياء ليهدونها الى نساءهم • شارع مترف باذخ • وتوجد فى شارع جوروخوفايا مخابز ألمانية كثيرة ، أغلب الظن ان الذين يستغلون هذه المخابز أناس على جانب عظيم من الغنى والثراء • ما أكثر العربات التى تمر فى كل لحظة ! كيف تستطيع أرض الشارع أن تحتملها ؟ انها مركبات فخمة ، يتلألأ زجاجها كأنه مرايا ، وليس فى داخلها الا قטיפه وحرير ، وللخدم فيها مظهر اراستقراطى جداً ، على أكتافهم تلتصق الشارات المقصبة ، وعلى جنوبهم تتدلى سيوف • كنت أنظر

فى كل عربة من هذه العربات التى تمر • انها ملأى بسيدات يرتدين  
أجمل الثياب ، لعلهن أميرات أو كوتيسات • هى الساعة التى تخرج  
فيها هذه الصفوة من أبناء المجتمع الراقى ذاهبة الى حفلات الرقص أو  
اجتماعات السهر • لا بد أن تكون رؤية أميرة أو سيدة عظيمة ، عن  
كسب ، منظرا شائقا • أحسب أن هذا لا بد أن يكون ممتعا ، أما أنا فلم  
يتح لى أن أرى هذا المنظر فى حياتى ، اللهم الا من بعيد ، كما رأيته  
فى هذا المساء وأنا ألقى نظرة الى داخل العربات • لقد انصرف خيالى  
اليك فى تلك اللحظة - آه يا يمامتى - يا صديقتى العزيزة ! ان قلبى  
لينزف دما متى فكرت فيك • لماذا أنت شقية هذا الشقاء كله يا فارنكا ،  
يا ملاكى الرقيق ؟ أهذه السيدات خير منك ؟ أية ميزة لهن عليك ؟  
أنت طيبة جميلة مثقفة ، فلماذا يكون حظك هذا الحظ ؟ لماذا تعيش  
النفوس الطيبة النبيلة فى الشقاء والهجران ، بينما لا يحتاج غيرها حتى  
الى البحث عن السعادة لأن السعادة هى التى تلقى بنفسها بين ذراعيه ؟  
أعرف يا ماتوشكا ان هذا التفكير شر ، أعرف أن هذا التفكير حرام ،  
فهو لبرالية وزندقة والحاد • ومع ذلك فانى أتساءل صادقا باسم الحقيقة  
المقدسة نفسها : لماذا خلق نساء للسعادة ، بقرار من القدر ، منذ كن فى  
أرحام أمهاتهن ، بينما نساء أخريات يرين النور فى ملاجئ أيتام ؟  
ما أكثر ما تهبط السعادة على ايفان ما ، ايفان غبى ، وكأن القدر يقول  
له : « ما أنت يا هذا الا ايفان ما ، ولكننى أريد لك أن تعيش فى رعد  
وفرح ، تتمتع بخيرات أجدادك ، تشرب وتأكل وتلهو • فاغرف من هذه  
الملذات ما شاء لك هواك • فمن أجل هذا خلقت يا عزيزى ، وهكذا  
يجب أن تكون » • أعرف يا ماتوشكا أن هذه الأفكار اثم ، اثم كبير ،  
ولكن المرء يسقط فى هذا الاثم على غير ارادة منه فى بعض الأحيان •  
لماذا لا تملكين أنت أيضا مركبات فخمة يا طائرى الجميل الرقيق ؟ لو

ملكت مثل هذه المركبات لهب جنرالات يستجدون منك نظرات عطف حين تمرين ، جنرالات لا أناس تافهون مثلى ، ولليست حريرا وذها ، لا ثيابا عتيقه من غليظ القماش كما تلبسين الآن ، ولكنك أشبه بتمثال من الخزف نضارة وامتلاء وازدهار خدين ، لا تحيلة هزيلة ضامرة الوجه كما تظهرين اليوم . لو كنت كذلك لكان حسبي أنا ، من أجل سعادتى ، أن ألمحك فى الشارع وراء نافذة ساطعة الاضواء ، وأن ألمح خيالك يتبختر على جدار ، حسبي عندئذ ، حتى تفيض نفسى بهجة ، يا طاترى الصغير الجميل ، أن أتصور أنك سعيدة ، راضية فرحة . فانظرى أين نحن الآن ؟ كأنما لا يكفىك أن أناسا أشرارا دفعوك الى الشقاء ، فلا بد أن يجيء أيضا رجل حقير وقح سافل يهينك ويسىء اليك فى عقر بيتك . يكفى أن يكون هذا الوقع مرتديا رداء أنيقا ، وأن ينظر اليك من خلال نظارة ذات اطار ذهبي ، حتى يظن ان كل شيء مباح له ، وان عليك أن تصغى الى أحاديثه السفيهة متسامحة راضية ، أليس الامر كذلك حقا أيها الأصدقاء الطيبون ؟ ولماذا هذا كله ؟ لأنك يتيمة ، لأنك بلا سند ، لأنك محرومة من صديق قوى يستطيع أن يحميك ! ما هذا الرجل السافل ، ما هؤلاء الناس الذين لا يخشون أن يهينوا طفلة فقيرة مثلك ؟ ليس هؤلاء الأوغاد ببشر ، انهم عدم . . . انهم يتظاهرون بالوجود حتى يلتفت اليهم ويحسب حسابهم ، ولكنهم ليسوا فى الواقع شيئا ! أنا من هذا على يقين عميق . تلك هى حقيقة هؤلاء الناس ، وفى رأىى يا صديقتى العزيزة ان العازف على أرغن برباريا الذى رأيتة اليوم فى شارع جوروخوفايا أجدر بالاحترام منهم . صحيح انه يجبر نفسه فى الشوارع من الصباح الى المساء جاهدا أن يحصل على بضع كوبكات قديمة مهترئة تتيح له أن يأكل من جوع ، ولكنه سيد نفسه يكفل رزقه دون أن يستجدى أحدا . انه لا يريد صدقه . بالعكس : هو يجهد فى

سبيل لذة الآخرين ، وكأنه يقول : « أنا مفيد بمقدار ما أطيق ، أحاول أن أسليك ما وسعني ذلك » • صحيح انه بائس ، وأن كبريائه لا تخفف شيئا من بؤسه • ولكنه بائس ممتليء النفس نبلا • صحيح انه متعب ، وانه يتجلد من شدة البرد ، ولكنه يعمل ، ويستمر يعمل ، على طريقته طبعاً • هناك ناس كثير من هذا القليل يا ماتوشكا ، هناك ناس كثير من هؤلاء الرجال الشرفاء ، من هؤلاء الرجال الذين لا يجنون مالا كثيرا ( تبعا لمقدار العمل الذي يقومون به وتبعا لفائدة هذا العمل ) ولكنهم لا يدينون لأحد بشيء ، لا ينشدون عطف أحد ، ولا يأكلون من خبز أحد • أنا من هؤلاء الرجال يا صديقتي ، أنا مثل ذلك العازف على أرغن برباريا • لا أقصد أنني مثله ، لا ، ليس هذا ما أردت أن أقوله ، لست مثله أبدا • ولكنني مع ذلك أشبهه بمعنى ما ، أشبهه من جهة نبل الجهد • أنا أجهد مثله على قدر ما تطيق قواي ، وأنا أعمل ما أستطيع أن أعمله • ليس ما أعمله بالكثير ••• أنا أعرف ذلك ••• ولكن ما من انسان يقدر أن يعطى أكثر ما عنده •

إذا كنت أحدثك عن العازف على أرغن برباريا ، يا ماتوشكا ، فلأنتني شعرت اليوم بتقل الفقر مضاعفا • لقد وقفت أنظر الى العازف • وافنتي أفكار سود ، فجعلت نفسي أمامه ، عسى أن تزاولني تلك الأفكار السود • كان قد وضع آله تحت نافذة من النوافذ • وتجمع حوله نفر قليل : أنا وحوذيون ، وفتاة كبيرة ، وبنية صغيرة قدرة شعواء ، ثم صبي صغير في العاشرة من عمره ، كان يمكن أن يكون جميلا لولا ما يظهر في وجهه من مرض : انه هزيل شديد الهزال ، كل ما يرتديه قميص فوقه معطف صغير لا يكاد يغطيه ، وهو حافي القدمين تقريبا • كان الصبي يصنعي الى الموسيقى فاعرا فاه ، تلك سنه • كان لا يستطيع أن يحول بصره عن الدمى التي تدور فوق الأرغن ، بينما يدها وقدماه تتجمدان

من شدة الصقيع • كان يرتجف من البرد عاضا بأسنانه طرف كفه • لاحظت انه كان يمسك ورقة صغيرة في يده المقبوضة • ومر سيد فقذف للعازف على الأرغن بقطعة صغيرة من النقد ، سقطت في درج يحجبه شبك من وراءه يرقص فرنسى وسيدات جميلات • فلما سمع الصبى رنين قطعة النقد ارتعش ونظر فيما حوله رجلا ، واذ حسب اننى أنا الذى قذفت قطعة النقد هرع نحوى فمد الى الورقة مرتجف اليدين ، وقال لى مرتعش الصوت : « اقرأ » ففضضت الورقة وقرأتها • هى قصة معروفة • اليك ما كان مكتوبا فى الورقة : « أنا أمهم أيها المحسنون ، وأنا أحتضر • أولادى الثلاثة جياع • ساعدوهم اليوم ، فاذا مت تذكرتكم فى العالم الآخر ودعوت لكم ، لأنكم رحمتهم أولادى » • ماذا تريدن يا صديقتى العزيزة ؟ تلك حالة شائعة • الأمر واضح • ولكن ماذا كان يمكننى أن أفعل ؟ لم أعطه اذن سيئا • ولقد طعن قلبى أن أضطر الى رفض تقديم معونة • كان الصبى الصغير المسكين قد ازرق وجهه من شدة البرد ، ولعله كان جائعا ، ومن يدري على كل حال : ربما كان صادقا غير كاذب ، بل لا شك فى انه قال الحقيقة • أنا أعرف هذه الأمور • ولكن الأمر الذى يثير حفيظتى أن لا تراعى هاته الأمهات أولادهن ، فيرسلنهم الى الشارع بهذه البطاقات أشباه عراة فى مثل هذا الجو البارد • لعلها امرأة حمقاء لا ارادة لها • أظن انها مهجورة لا يعنى بها أحد ، فهى تبقى فى منزلها حزينة يائسة ، ولعلها مريضة فعلا • مع ذلك كان ينبغى لها أن تنجى الى أحد تطلب معونة • وقد تكون امرأة كاذبة ترسل ابنها الهزيل الجائع الى الشارع عامدة لتوهم الناس بأنها مريضة • فما عسى أن يتعلم هذا الصبى الشقى حاملا بطاقات من هذا النوع ؟ أى درس سيستمده من الحياة ؟ سوف يقسو قلبه ، هذا كل شيء • فهو يمشى ، ويركض ، ويستجدى ، والناس يمرون مسرعين لا يلتفتون اليه ولا



يسمعون كلامه • انهم قساة لا يحسون ، والعبارات التي يقذفون بها جوابا على سؤاله تصيب قلبه بجروح عميقة : « امض ، ابعذ ، اذهب ، أيها الولد البطل ••• أنت كذاب • هذه قصص معروفة • ذلك ما يسمعه من جميع الناس ، فيمتليء قلبه حقدا على البشر • عبثا يرتعش من شدة البرد • هذا الصبي الصغير الشقي ، المذعور ذعر عصفور صغير سقط من عش تداعى • لقد تجلدت يداه وقدماه من الصقيع • وتقطعت أنفاسه من القر • وسيأخذ يسعل في ذات يوم • فما هي الا فترة قصيرة اذا بالمرض يتسلل الى جسمه تسلل الأفعى ليستقر في صدره • ثم ينحني الموت عليه في ركن مظلم وسخ يتمدد فيه بلا من يعنى به أو يراه أو يمد له يد العون ••• تلك هي حياته • ذلك ما يمكن أن تصير اليه حياة انسان في هذا العالم • آه يا فارتكا ! انه ليشق على قلب المرء أن يسمع أحدا يطلب صدقة ثم يكون مضطرا أن يمضى دون أن يعطى شيئا ، مكتفيا بأن يقول للسائل : « الله يعطيك » • ثمه استجداء يطيق المرء أن يسمعه دون أن يحفل به كثيرا ( ذلك ان هناك طرقا شتى في التضرع الى المارة يا ماتوشكا) فهناك ضراعات بطيئة منعمة يحس المرء حين يسمعا انها عادة مألوفة ولحن محفوظ ، ذلك هو الاستجداء المستمر المحترف • ففي مثل هذه الحالة لا يشعر المرء بألم شديد حين لا يعطى المستجدي شيئا : فهؤلاء متسولون مزمنون ألفوا هذه الحياة ، فيقول المرء لنفسه حين يلقاهم انهم فادرون على تذليل مصاعبهم ، فقد تعلموا كيف يدبرون أمورهم وكيف يخرجون من مأزقهم • غير أن هناك ضراعات لا يحس المرء حين يسمعا أن صاحبها قد ألفها حتى أصبحت عنده عادة من العادات فان لها نبرة خاصة ، وهي تتصف بأنها خشنة حتى لتكاد تكون فاسية مرعبة • في هذا اليوم مثلا حين تناولت الورقة من يدي هذا الصبي ، لمحت على بعد خطوتين ، قرب سياج الاشجار ، بأسا آخر لم يكن يستوقف المارة ،

شاعرا على حين بقتة بأننى صغير ، وأتابع طريقي قائلا لنفسى ان هذه الحياة الصاخبة لم تخلق لى • ولكن ألا فكرى فى الأمر وتساءلى عما يجرى وراء الجدران المسودة بالدخان من هذه المباني الحجرية الكبيرة • حاولى أن تنفذى الى أسرارها وقولى لى بعد ذلك ألسنت على خطأ حين أغض من قيمة نفسى على ذلك النحو ، وحين استسلم لذلك النوع من التصاغر والتضائل ! لاحظى يا فارنكا انتى أتكلم هنا على سبيل الرمز ، فما يجوز أن يفهم كلامى بنصه • انظرى ماذا يختبئ وراء هذه المنازل الشامخة : هذا رجل بسيط من العاملين فى حرفة من الحرف يستيقظ من نومه ، فى ركن مظلم مملوء بالدخان ، فى حجر رطب موبوء يسمونه غرفة أو مسكنا لأنه لا مفر من تسميته كذلك : انه طوال الليل لم يحلم الا بالحدش الذى أحدثه مقصه فى الجلد أمس سهوا حين كان يقدر منه حذاء ، كأن هذه النازلة يجب أن تلاحق الرجل حتى فى نومه • صحيح ان الرجل ليس الا صاحب حرفة ، ليس الا حذاء فقيرا ، فهو يعذر اذا اقتصر تفكيره واقتصرت أحلامه على الشيء الذى يستأثر بمشاغله كل يوم ، فان أولاده ليصيحون ، وان امرأته لتتضور جوعا • وليس الحذاءون وحدهم هم الذين يستيقظون على هذه الحالة النفسية أيضا • وما كان ذلك ليعد شيئا ، وما كان ليستحق أن يذكر لولا أمر آخر يضاف إليه يا ماتوشكا : ذلك الأمر الآخر هو أن فى ذلك المبنى نفسه ، فى الطابق الذى يقع فوق هذا الطابق أو تحته ، يوجد بيت فاخر الأثاث أنيق الرياش ؛ والرجل الذى يسكن هذا البيت قد حلم هو أيضا بحذاء بن • صحيح انهما غير الحذاءين اللذين حلم بهما الحذاء • فلعلهما يختلفان شكلا ، ويمتازان أناقة • ولكن ذلك لا يمنع أنهما حذاءان • ذلك هو الرمز فيما أقوله يا ماتوشكا : نحن جميعا حذاءون من بعض النواحي • وما كان ليعد هذا كله شيئا أيضا • وانما مصدر البلاء انه ما من أحد

ولكنه اتجه الىّ على حين فجأة قائلا : « اعطني خمس كوكبات أيها السيد من مال الله » . قال ذلك بصوت يبلغ من التقطع والقهوة اننى شعرت بما يشبه الرعب ، ولكننى لم أعط السائل شيئا ، لأننى كنت أنا نفسى لا أملك شيئا . يجب أن أقول أيضا ان الأغنياء لا يحبون أبدا أن يشكو الفقراء حظهم جهارا . يظهر أن هذا يؤذيهم ويزعجهم . والبؤس مزعج دائما على كل حال : كأن أنات الفقراء تعوق نوم الأغنياء . يجب أن أعترف لك يا صديقتى الغالية جدا اننى أكتب اليك هذه الأشياء كلها ، أولا لأخفف عن نفسى ، وثانيا لأظهرك بعض الاظهار على أسلوبى . لا شك انك لاحظت أن أسلوبى قد تحسن منذ زمن . لقد تعلمت الكتابة . ومع ذلك فاننى فى هذه اللحظة أشعر بكآبة تبلغ من القوة اننى أخذت أجد متعة فى العطف على نفسى رغم علمى بأن ذلك لن يغير من حالى شيئا ، ولكنه ينصفنى بعض الانصاف . ذلك واقع يا صديقتى العزيزة . انه ليتفق لنا أحيانا أن نصغر أنفسنا فى نظر أنفسنا ، أن نغض من قيمة أنفسنا ، فما نعد أنفسنا شيئا ، وان نهوى بذلك الى القاع من الشعور بالثلاثى . واذا جاز لى أن أعمد هنا الى التشبيه فلعلنى أستطيع أن أقول ان السبب فى ذلك هو اننى أنا نفسى أشبه ذلك الصبي الفقير الذى سألتنى صدقة منذ حين . أحب يا ماتوشكا أن أعمد فى التعبير هنا الى الرمز والتشبيه ، فاستمعى الىّ : انه يتفق لى يا صديقتى العزيزة جدا ، وأنا ذاهب الى عملى فى الصباح المبكر ، أن أتأمل منظر المدينة التى تستيقظ وترتد الى الحياة بينما تتصاعد فى الهواء أدخنة المصانع وبينما تبدأ الشوارع تتحرك كمرجل ينلى ، وتضطرب فى صحب ما ينفك يترابى حتى يشمل كل شىء ، انه يتفق لى أن أبلغ من الافتتان بالشهد الذى ينتشر أمامى أن أحس عندئذ على حين فجأة بما يشبه أن يكون لطمه بالمسابة تسقط على أنفى المسرف فى الفضول ، فأغذ الحطى مبتعدا مسرعا ،

الى جانب الشخص الغيبى يهمس فى أذنه قائلا : ألا تستحى يا فلان أن لا تفكر الا فى هذه الأشياء ، وان لا تشغل الا بذاتك ، أن تحيا لنفسك وحدها ؟ أنت لست حذاء • وأولادك فى كمال الصحة وتسام العافية ، وامراتك غير جائعة • هلا نظرت فيما حولك عسى أن تقع على ما هو أكرم من هذه الهموم ، وعلى ما هو أنبل من الاحذية ؟ ، ذلك ما أردت أن أقوله لك يا ماتوشكا على سبيل الرمز • قد أكون فى هذه اللحظة مسرفا فى جرأة التفكير واستقلال الرأى يا صديقتى • ولكنها فكرة تراودنى أحيانا وتلازمنى من وقت الى وقت ، فتخرج من قلبى عندئذ أقوال عنيفة على غير ارادة منى • لقد أخطأت اذن حين غضضت من قيمة نفسى ، وحططت من قدرها ، متأثرا بضجة المدينة وصخبها وهديرها • وفى الختام : لعلك تظنين يا ماتوشكا اننى أتجنى على نفسى ، واننى أخترع قصصا ، واننى أستسلم للكآبة ، أو اننى أنسخ هذا كله عن كتاب من الكتب • تخطئين يا ماتوشكا اذا وقع فى وهمك شيء من هذا • اننى لا أهبط الى الافتراء على نفسى ، ولا ألق شيئا ، ولا أستسلم لأفكار سود ، ولا أقل شيئا عن كتب • وانما هى الحقيقة •

عدت الى منزلى طافح النفس حزنا • وجلست الى منضدتى ، وسخنت ابريق الشاي على السماور وتهيأت لاحتساء كأس أو ربما كأسين فى هدوء ؟ وانى لقي ذلك اذا بذلك الرجل الفقير البائس الذى يسكن معنا فى المنزل ، أفصد جورشكوف ، يدخل على • كنت قد لاحظت فى ذلك الصباح انه كان يحوم حول سكان المنزل الآخرين ، حتى لقد ظهر لى فى لحظة من اللحظات أنه يحاول الاقتراب منى • يجب أن أقول لك عابرا يا ماتوشكا ، انهم أشد فقرا وأكثر بؤسا منى ! تصورى : زوجة ! وأطفال ! لو كنت فى مكان جورشكوف لما عرفت ماذا أصنع حقا ! هذا جورشكوف يدخل على اذن وقد عقلت بأهدابه عبرة صغيرة

قدرة على عاداته ، ها هو ذا يحييني ويقرع نعليه ، ولكنه يبدو مرتبكا مضطربا لا يستطيع أن ينبس بكلمة • أقعدته على كرسي • صحيح ان الكرسي مكسور ، ولكن ليس عندي كرسي آخر • قدمت له كأسا من الشاي • فاعتذر في أول الامر ، ورفض ؛ ثم اعتذر ، وانهى أخيرا الى تناول الكأس الذي كنت أمدها اليه • أراد أن يشربه بلا سكر • فلما أصررت على أن يحليه بشيء من السكر جعل يعتذر من جديد ، وظل يرفض مدة طويلة قائلا انه لا حاجة الى السكر • ثم رضى أن يلقى في الكأس قطعة صغيرة جدا من السكر ، قال بعدها ان الشاي حلو جدا جدا • انظري الى أي حد من المذلة يمكن أن يؤدي الفقر بالانسان ، فلب : « ما عسك قائلا لي يا عم » • فقال : « اليك المسألة ! » وأخذ يشرح لي ما هو فيه من عسر وضيق ••• قال : « يا ماكار ألكسيقتش ، ناشدتك الله ••• ساعد هذه الاسرة البائسة • ليس عندنا طعام لزوجتي وأولادي • ولا أطيق ، أنا الأب ، أن أحتمل هذا » • أردت أن أجيبه ، ولكنه لم يدع لي أن أتكلم • قال : « اننى أخشى جميع من فى هذا المنزل يا ماكار ألكسيقتش • ليس معنى هذا اننى أخاف منهم ، ولكنى ••• أشعر بخرج • هم جميعا أناس متكبرون ، أناس ذو شأن • ولقد خشيت أن أزعجك أيضا ، أيها المحسن ، لأننى أعلم أن لك متاعبك وهمومك أنت أيضا ، وأنك لا تستطيع أن تهب كثيرا • ولكن اقرضنى مبلغا صغيرا على الأقل • لقد تجاسرت فطلبت اليك هذا ، لأننى أعرف انك انسان طيب شهيم ، لأننى أعلم انك كنت أنت نفسك فى ضيق وعسر ، وانك ما تزال تعاني متاعب كثيرة ، وان قلبك ، لهذا السبب نفسه ، يمكن أن يتألم لآلام الآخرين وأن يشفق عليهم ، وأن يرحمهم ••• » وختم كلامه يرجونى أن أعفر له جرأته ، وأن أعفو عن مخالفته الأدب فيما أقدم عليه • أجبته بأننى أود لو أساعده ، ولكننى لم يبق معى شيء ، لم يبق معى شيء

البتة • فعاد يلح قائلا : « ماكار ألكسييفتش لست أطلب الكثير •••  
يكفينى ••• » ( قال ذلك واصطنع وجهه فى تلك اللحظة بحمرة شديدة  
بلغت شعره ) « زوجتى وأولادى جياع ••• ألا تستطيع أن تقرضىنى  
بضع كوبكات ؟ ••• » انقبض صدرى انقباضا رهيبا • قلت لنفسى : انهم  
يفوقوننى بؤسا • لم يكن قد بقى معى الا عشرون كوبكا حصلت عليها  
سلفة ؛ وكنت أنوى أن أشتري لنفسى فى الغد أشياء لا غنى عنها • قلت  
له تقريبا ما يلى : « لا ، لا ، يا عزيزى ، آسف ••• مستحيل ••• »  
قال : « ماكار ألكسييفتش • اعطنى أى شىء ••• اقرضىنى ولو عشرة  
كوبكات • • عندئذ لم أستطع أن أقاوم مزيدا من المقاومة • فأخرجت  
من الدرج كوبكاتى العشرين ، وأعطيته اياها ••• هل أخطأت يا ماتوشكا؟  
آه ••• يا له من بؤس ! يا له من بؤس ، وتحدثنا بعد ذلك • سألته :  
« ماذا صنعت يا أخى ، ماذا صنعت حتى غرقت فى هذا الشقاء كله ، ولماذا  
ظننت وأنت على ما أنت عليه من فقر ، ان عليك أن تستأجر غرفة بخمسة  
روبلات فضة؟» فشرح لى انه استأجر هذه الغرفة منذ ستة أشهر ، وانه دفع  
أجرها عن ثلاثة أشهر سلفا ، ثم انبجست صعوبات ، وساءت حاله وتفاقم  
وضعه حتى أصبح لا يعرف الآن أين يضع رأسه ! ••• مسكين ! ••• كان  
يأمل أن تحل قضيته فى هذه الاثناء ••• وقصته قصة حرجة مزعجة ••  
تصورى يا فارنكا انه مضطر للمثول أمام المحكمة متقاضيا فى أمر لا أعرف  
ماهو ••• الدعوى قائمة بينه وبين تاجر سرق الدولة فى مقاولته • واكتشف  
التلاعب والاختلاس ، فأحيل التاجر الى القضاء ، فجر معه جورشكوف ،  
وأحجمه فى هذه الورطة ، مع أن المسكين لم يشارك فى الامر ••• اللهم  
الا ان تقول انه شارك فيه مشاركة غير مباشرة • فلا ذنب له الا انه كان  
مهملا بعض الاهمال ، ولم يكن على قدر كاف من الحيطة والحذر ، فغابت  
عنه مصلحة الخزينة ، وذلك أمر لا ينغفر ••• والقضية قديمة ينظر فيها

القضاة منذ سنين ولما يُفرغ منها وبيت فيها ، فهناك وفائع جديدة تظهر من حين الى حين بنير انقطاع ، فتزيد متاعب جورشكوف . قال لى جورشكوف مؤكدا : « لم أقارف الفعل المشين الذى ينسب الىّ . لست مذنباً فى هذا الامر ، لم أرتكب أية سرقة ، ولا خنت الأمانة ولا أسأت استعمال الثقة . » ولقد أصابته هذه القضية بضرر كبير . طرد من الوظيفة ، ورغم انه لم تثبت عليه جناية معينة ، فانه يستحيل عليه قبل ان تثبت براءته تماما ان يحصل من هذا التاجر على سداد مبلغ ضخم يدين به التاجر له ولكنه ينكره عليه أمام القضاء . أنا أصدق كلامه . ولكن المحكمة لم تقتنع واأسفاه ، يجب أن أقول ان القضية معقدة جدا ، متشابكة كثيرا ، مقولة الحيوط الى غير حد ، فلا سبيل الى فكها وحلها . وما ان يظن أن نقطة من النقاط قد اوضحت وظهرت الى النور حتى يعود التاجر الى التعمية والتضليل بحيل بارعة ومكر حاذق . اننى أشارك جورشكوف شقاه يا صديقتى العزيزة ، وأشاطره الله وعذابه ، وأشعر نحوه بعطف شديد . رجل بلا عمل ، ولا يمكن أن يجد عملا لأنه فقد ثقة الناس به . ولقد أنفق جميع ما سبق أن ادخره . والقضية تطول وتطول ، وتزداد تعقدا يوما بعد يوم . وهذا ولد جديد يولد له ، فيزيد ميلاده الطين بلة ، وتزداد النفقات فى غير داع الى زيادة وهم على ما هم عليه . ويمرض الابن : فهذه نفقات اخرى . والام مريضة . والاب نفسه مصاب بمرض قديم لم يعالجه . لقد عانى هذا المسكين من العذاب مالا يتصوره خيال . لكنه يدعى ان القضية تقترب من الحل ، فما هى الا أيام وتثبت براءته ما فى ذلك ريب . لقد آلمنى وضعه كثيرا يا ماتوشكا ، آلمنى وضعه كثيرا . . اننى ارثى لحاله . ولقد عجزتته وواسيته يا ماتوشكا ، حاولت أن أسرى عنه ، وأن أقوى عزيمته . انه انسان أعزل خائف . وهو فى حاجة الى أن يشعر بشيء من حماية . ولذلك تطلعت فى الكلام معه ،

فكنت دمثا رفيقا • أودعك يا ماتوشكا ، وأسأل الله أن يرعاك وأن ينعم  
عليك بالصحة والعافية • حين أفكر فيك ، فكأن بلسما يمس روجي  
الموجعة • ورغم انى أتألم لك ، فان تألمى هذا عذب فى نفسى •

صديقك المخلص  
ماكار ديفوشكين

٩ أيلول ( سبتمبر )

ماتوشكا ، عزيزتى فرارا ألكسينيفنا !

أكتب اليك وأنا فى حالة نفسية فظيعة • لقد هزنى الحادث المروع  
الذى وقع اليوم فقلب نفسى رأسا على عقب • ان رأسى يدور ، وان  
الاشياء تتراقص أمام بصرى • آه يا صديقتى الغالية ! كيف أستطيع أن  
أقص عليك ما حدث ؟ ما كان لأحد أن يتصور ما وقع ، ما كان لأحد أن  
يتبأ بما وقع • لا بل يستحيل أن لا أكون قد أوجست ما وقع ! بلى بلى ،  
لقد خمنتته تخميننا غامضا ، حزره قلبى حزرأ • بل اننى لأنذكر اننى  
رأيت حلما فى يوم من الايام ، وأحسب أن ما وقع انما كان مدار حلمى  
عليه •

اليك ما جرى • سأقصه عليك ببساطة ، لا أتكلف أسلوبا ، ولا  
أصطنع زخرقة ولا تنميقا ، بل أرويه بالكلمات التى يلهمنى اياها الرب •  
ذهبت الى عملى فى هذا الصباح ، فجلست فى مكانى وأخذت أكتب •  
يجب أن أقول لك يا ماتوشكا اننى قد نسخت فى الليلة البارحة أيضا •  
جاء تيموتى ايفانوفتش فأقرب من منضدتى وتفضل فأمرنى بنفسه أن أعيد



نسخ نص هو وثيقة مستعجله وهامة جدا فيما فال • أوصاني قائلا : « أعد نسخ هذا يا مكار ألكسييفتش ، بأجمل خط تستطيعه ، أعد نسخه بعناية عظيمة وسرعة كبيرة ، فيجب أن تقدم الوثيقة في هذا اليوم للتوقيع ، • يجب أن أسر اليك هنا ، يا ملاكى الرقيق ، اننى لم أكن بالأمس مرتاح البال ، بل كنت مكدد النفس معتكز المزاج ، حتى لقد كنت أتحاشى أن أنظر فيما حولى : ان حزنا عميقا وكآبة قاتمة فد استبدا بنفسى • كان قلبى فى صقيع ، وكانت نفسى فى ظلام ، وكان التفكير فيك لا يبارحنى لحظة يا طائرى الصغير • أخذت أنسخ ، فنقلت النص تقلا جميلا جدا ، لا يمكن أن يؤخذ عليه عيب • ولكن كيف أشرح لك ما حدث ؟ هل الشيطان هو الذى دفعنى الى ذلك ؟ أم هى قوة خفية من فوى القدر تدخلت فى الامر ؟ أكانت المسألة محتومة لا مفر منها ؟ المهم اننى أسقطت من النص عند النسخ سطرا بكامله • ونشأ عن ذلك أن معنى النص أصبح ••••• يارب يارب ! ••••• لم يبق للنص معنى البتة ••• ولم يتسع الوقت للحصول على التوقيع بالامس • وانما قدموه الى صاحب المعالى اليوم • ذهبت أنا الى مكتبى فى الصباح كالعادة دون أن يخطر على بالى شئ ، واستقررت فى مكانى الى جانب ايميليان ايفانوفتش • يجب أن أذكر لك يا صديقتى العزيزة اننى قد أصبحت منذ زمن أشد خجلا من أى وقت مضى ، واننى أصبحت أشعر بشئ من الحرج والاضطراب والخشية بغير انقطاع • حتى لقد غدوت فى الآونة الاخيرة أتحاشى أن أنظر الى زملائى وأتجنب أن ينظروا الى • أصبح يكفى أن يصير كرسى أحد جيراني حتى أشعر فورا اننى أقرب الى الموت منى الى الحياة من شدة الرعب • وعلى هذه الحالة النفسية انما كنت اليوم أيضا ، ملتصقا بمقعدى خافضا رأسى منكشبا انكماش قنفذ • حتى ان وليم كيموفتش ( وهو رجل مناكد رهيب لا نظير له فى العالم بأسره) لم يسهه الا أن يقول لى بصوت عال يستطيع أن يسمعه

الجميع : « مابك فى هذا الصباح يا ماكار ألكسييفتش ، ان لك لوجها عجييا ، هى هى هى ! ... » قال ذلك وجمد وجهه تجميدا لم يملك معه جميع كانوا هنالك الى جانبه أو الى جانبى الا أن ينفجروا ضاحكين ، على طبعاً ... لا يشعرون باى حرج بل يمعنون فى القهقهة لا ينسبهم عنها نىء . اما انا فقد صغرت جسمى والصفى اذناى براسى واغمضت عينى ولبثت فى مكائى على هذه الحال لا أتحرك . تلك هى عادتى فى ظرف كهذا الظرف ، فانهم ما يلبتون عندئذ أن يدعونى وشأنى . وانى لكذلك اذا أنا أسمع ضجة ، وأسمع وقع خطوات سريعة فى المرر ذاهبة آية . وسمعت - أهذا حق أم أن أذنى تخدعانى ؟ - سمعت صوتا ينادينى ، سمعت صياحا ينطق باسمى . انهم يستدعون ديفوشكين ! أخذ قلبى يرتجف فى صدرى ، واعترانى زعر لا أستطيع له تعليلا . لا أدرى مم خفت فى تلك اللحظة ؟ . ولكننى أستطيع أن أقول اننى لم أشعر بمثل هذا الرعب يوما فى حياتى . التصقت بمقعدى مزيدا من الالتصاق ، كأننى لم أسمع شيئا ، وكأننى أظاهر بأننى غير موجود ؛ ولكن الضجة تكبر وتقترب ، وها هى ذى تدوى فوق أذنى « ديفوشكين ، ديفوشكين ، أين ديفوشكين ؟ » كذلك صاح صوت . وقال الصوت يخاطبني « ماكار ألكسييفتش ... أنت «طلوب الى مكتب صاحب المعالى . هيا أسرع ، لقد جعلت من النص الذى نسخته كارثة ، ذلك كل ما قاله الصوت ، ولكن هذا الذى قاله الصوت كان كافيا ... أليس كذلك يا ماتوسدا ؟ كان كافيا كل الكفاية . ألا ترى ذلك ؟ أحسست ان ساعة أصانتى ، تجمدت من شدة الذعر ، شعرت اننى فقدت حواسى . نهضت عن مكائى ، وسرت كأننى آلة أتحرك ، وأنا أقرب الى الموت منى الى الحياة . اجتازوا بى حجرة أولى فحجرة ثانية ، فحجرة ثالثة ، الى أن بلغوا بى مكتب صاحب المعالى . برأيتنى فجأة هنالك ، واقفا أمامه . يستحيل على أن

أصف لك الخواطر التي دارت في رأسي في تلك اللحظة • أظن انني نسيت حتى أن ألقى السلام من فرط اضطرابي • كنت كالمتوه ، وكانت شفثاي ترتجفان ، وكانت ساقاي تصطكان • ولهذا ما يبرره يا ماتوشكا • أولا كنت أشعر بالخجل والعار • لقد وقع بصري مصادفة على مرآة كانت على يميني ، فكان ما رأيته خليقا بأن يجعلني مجنونا تماما ؛ وتانيا كنت قد بذلت دائما كل ما أستطيع من جهد حتى لا يلتفت الي أحد ، وحتى لا يراني أحد ، متظاهرا بأنني غير موجود في هذا العالم ، حتى ان صاحب المعالي لم يكن قد شعر بوجودي في دائرته على أغلب الظن • لعله سمع عرضا باسم موظف اسمه ديفوشكين ، ولكنه لم يدخل حتما في التفاصيل ، ولا اهتم بأمرى أى اهتمام •

بدأ صاحب المعالي يقول بصوت غاضب حائق : « كيف أمكن أن تفعل هذا أيها السيد ؟ أين كانت عينك اذن ؟ تلك وثيقه خطيرة كنت في حاجة ملحة اليها فها أنت ذا قد أفسدتها ! مابالك ساهما ناراد اللب ؟ » قال صاحب المعالي هذا ثم التفت الى أوسناتس ايفانوفتش • أدركت من خلال ضباب كلمات متقطعة تسقط على أذني « اهمال ، غفلة ، أنت تجلب لنا متاعب » • فتحت فمي لا أدري لماذا ، أردت أن أستغفر ، أن أطلب الصفح والعفو ، ولكنني لم أستطع • أأهرب ؟ لم أجروء أن أحاول ذلك • وعندئذ ، عندئذ يا ماتوشكا ، حدث شيء يبلغ من الفسوة ان فعلني في هذه اللحظة يسقط من يدي خجلا وعارا حين أتذكره • ان زري ، هنا الزر الذي لم يكن يشده الى مكانه الا خيط واهن ، قد انقطع فجأة ، لعنه الله ( لعنني صدمته من قلة الانتباه ) فادا عو يشب ويقفز ويدور ويتدحرج على أرض الفرقة محدثا صوتا كأنه صوت جرس ، ثم يتوقف أمام قدمي صاحب المعالي تماما • حدث ذلك كله والجميع صامتون واجمومون • كان هذا هو التعليل الوحيد ، الاعتذار الوحيد ، الجواب

الوحيد الذى استطعت أن أقدمه بين يدي صاحب المعالي • لم أستطع أن أقول بعدئذ شيئا • وكانت نتائج ذلك رهيبة • فسرعان ما لاحظ صاحب المعالي هيئتي واتبه الى هندامى • تذكرت فى تلك اللحظة ما كنت قد رأيته فى المراة • وكاننى فقدت عقلى فاسرعت اريد أن اتناول الزر • أحسب اننى أصبحت لا أعرف ماذا أصنع • لقد ملت على الارض وأردت أن أمسك الزر ، ولكنه أفلت من يدي وعاد يدور ثم يدور ، فلم أستطع أن ألتقطه • الخلاصة : اننى لمعت أيضا بخراقتى • شعرت فى تلك اللحظة ان البقية الباقية من قوى تبارخنى ، وان كل شيء قد ضاع منذ الآن ، ضاع الى الابد ، فلا سمعة ولا كرامة • كل شيء قد انتهى وتحطم • أحسست اننى هويت • أخذت تدوى وتدندن فى أذنى جمل غريبة ، وخيّل الىّ اننى أسمع صوت تيريز وصوت فالدونى • واستطعت أخيرا أن ألتقط الزر بعد لآى ، فنهضت عن الارض واتصببت قائما • ويا ليتنى بقيت بعد ذلك ساكنا ممسكا حزام سروالى بيدي ، ولكن لا ••• ليس هذا ما فعلته ، بل أخذت أربط الزر بالخيط المقطوعة ، كما لو كان من الممكن أن يثبت الزر بهذا فى مكانه • وكنت أثناء ذلك أبتمس ، نعم أبتمس • حول صاحب المعالي بصره عنى فى أول الأمر ثم عاد ينظر الى ، وسمعتة يقول عندئذ لأوستاش ايفانوفتش « ما هذا ؟ هل ترى هيئته ؟ ماذا أصابه ، لم هو كذلك ؟ » آه ياماتوشكا ! ماذا يمكن ان أصبح فى ظرف كهذا الظرف • وسمعت أوستاش ايفانوفتش يقول عنى : « لم يكن فى يوم من الأيام محل شكوى ، سلوكه ممتاز ، وهو يتقاضى مرتبا كافيا كما تقضى الأنظمة » فقال صاحب المعالي « ألا يمكنك أن تعطيه سلفة لتساعده قليلا ؟ » فقال أوستاش ايفانوفتش : « لقد تقاضى سلفا عن عدة أشهر ••• تقاضى سلفا حتى تاريخ كذا ••• » أغلب الظن ان له مصاعب شخصية ، ولكن سلوكه كان طيبا دائما • ولم

يلاحظ عليه شيء فط ، ولم يوجه اليه لوم يوما • أحسست بحر شديد  
يا ملاكى الرقيق ، كان لهيبا من جهنم يلفح وجهى ، وقدرت أنتى  
سأموت فى مكانى • قال صاحب المعالى : « طيب • أعيدوا نسخ النص ،  
ولكن بسرعة ! ديفوشكين ! تعال الى هنا ، ستعيد نسخ هذه  
الورقة ، ولكن بدون خطأ هذه المرة • وبالناسبة ••• » هنا التفت  
صاحب السعادة نحو الاشخاص الآخرين وأصدر اليهم أوامر شتى ،  
ففرقوا ، فما كادوا ينصرفون حتى أسرع صاحب السعادة يخرج محفظة  
نقوده ، ويسل منها ورقة مائة روبل « اليك هذا • انتى أعطيك ما أستطيع ،  
فخذه بلا كلفة ، وسترده الىّ فى المستقبل » • قال ذلك ووضع الورقة  
فى يدى • ارتعشت يا ملاكى ، أحسست أن نفسى تهتز اهتزازا قويا •  
كنت لا أدرى ماذا يحدث لى • أردت أن أتناول يده لأقبلها • فرأيت  
وجهه هو يحمر حتى الشعر • يمينا لا أبالغ • انتى أقول لك الحقيقة  
دقيقة كاملة يا ماتوشكا : لقد أمسك يدى الوضعية وهزها مصافحا ، هزها  
هكذا ، كما لو كنت نداء من أنداده ، كما لو كنت أنا أيضا جنرالاً • ثم  
قال لى : « انصرف الآن ••• لقد عملت ما أستطيع ••• لا ترتكب أخطاء  
فى المستقبل • أما هذه المرة فالله غفور رحيم » •

اليك الآن يا ماتوشكا ما عقدت النية عليه : انتى أطلب اليك والى  
فيدورا كما كان يمكن أن أطلب ذلك الى أولادى لو كان لى أولاد ، أن  
تدعوا الله له • أقصد أن يكون الأمر كما يلى : لا تكون دعوات الأولاد  
وصلواتهم من أجل أبيهم بل بتوجهن بالدعاء كل يوم والى الأبد من  
أجل صاحب المعالى • هناك شيء آخر أريد أن أعبر عنه يا ماتوشكا ،  
وهأنذا أؤكدك جهارا نهارا • اصغ الى يا ماتوشكا : انتى أحلف صادقا  
أن ما أبهجنى فى هذه الحادثة ، رغم كل الآلام العظيمة التى عانيتها فى  
الأيام الحالكة من بؤسنا ، ورغم كل الحزن العميق الذى كان يضنى

قلبي حين كنت أفكر فيك أو حين كنت أرى شقاءنا أو حين كنت أدرك  
وضعي ومذلتى وعجزى ، أقول ان الذى أبهجنى فى هذه الحادثة ، رغم  
كل ذلك ، ليس هو المائة روبل بقدر ما هو تفضل صاحب السعادة  
بمصافحة يدي الوضيعة ، يدي أنا الذى لا أساوى فشة ، أنا السكير !  
لقد رد الىّ بذلك احترامى لنفسى ، وهو بهذه البادرة الكريمة قد أنعش  
روحى ، وجعل حياتى رضية الى الأبد . اننى لعلى يقين قوى ، مهما تكن  
خطاياى عند الله العلى القدير ، ان دعائى له بالسعادة والهناء والنصر  
والتوفيق ، سترقى الى السماء وسيستجيب لها الرب ! ••

ماتوشكا ، أنا الآن فى هذه اللحظة مضطرب اضطرابا رهيبا . أحس  
أن نفسى مهتزة أعمق الاهتزاز . قلبى يخفق خفقانا قويا كأنه يريد أن  
يثب من صدرى . وأنا أشعر عدا ذلك بوهن شديد فى جسمى كله .  
ارسل اليك خمسة وأربعين روبلا ورقا . وسأدفع لصاحبة البيت عشرين  
روبلا ، ثم أحتفظ بالباقي لنفسى : بعشرين روبلا أصلح ثيابى ، فيبقى لى  
خمس عشرة روبلا أصرفها فى تدبير معائى . ولكن جميع هذه المشاعر  
التي تراكمت طوال هذا النهار قد هزتنى هزا عميقا وزعزعت كيانى من  
الجنود . سأرقد لأستريح قليلا . على أننى الآن هادىء . كل ما هنالك  
ان نفسى تشبه ان تكون محطمة من الانفعال ، فأنا أحسها ، هنالك فى  
أعماق كيانى ، ترتجف وترتعش وتهتز . سأجىء اليك زائرا . أما الآن  
فاننى مضطرب الفكر بعد هذه الانفعالات كلها فكأننى سكران ••• ان  
الله يرى كل شىء يا ماتوشكا ••• الله يرى كل شىء يا يمامتى المعبودة .

صديقك المحترم

ماكار دييفوشكين

١٠ ايلول ( سبتمبر )

### عزى الغالى جدا ماكار الكسىفتش !

انى معتبة أشد الاعتباط لسعادتك ، وانى أقدر المزايا الاخلاقية الرفيعة التى يتحلى بها رئيسك حق قدرها يا صدىقى • هكذا تستطيع الآن أن تخلد الى شىء من الهدوء بعد تلك الآلام كلها • ولكننى أضرع اليك أن لا تستأنف تبديد المال يمىة ويسرة على غير هدى • عى حياة هادئة ، حياة متواضعة الى أقصى حد ممكن ، واعزم أمرى منذ اليوم على أن تدخر كل ما تستطيع ادخاره ، حتى لا تفاجأ مرة أخرى بمصاعب لم تكن فى الحسبان • أما نحن فلا تقلق علينا • أرجوك لا تقلق علينا • سنعرف أنا وفيدورا كيف ندير أمورنا وكيف نخرج من متاعنا بوسيلة أو بأخرى • ما كان ينبغى أن ترسل إلنا مبلغا ضخما هذه الضخامة ، يا ماكار الكسىفتش • لسنا أبدا فى حاجة الى مثل هذا المبلغ الضخم • نحن راضيتان بما عندنا لا نطلب مزيدا • صحيح اننا سنحتاج قريبا الى بعض المال لتترك هذا المنزل ، ولكن فيدورا تأمل أن تقبض فى القريب مبلغا مستحقا لها منذ زمن • ومع ذلك سأحتفظ بعشرين روبلا للطوارئ • أما الباقى فأرده اليك • وفر دراهمك يا ماكار الكسىفتش ، صدقنى • تستطيع بعد اليوم أن تتم بحياة هادئة ، فاعتن بصحتك وكن فرحا • كنت أود أن أطيل الكتابة ، ولكننى أشعر بتعب شديد • اضطرت الى ملازمة الفراش طول نهار أمس • أشكر لك وعذك بزيارتى • زرنى يا ماكار الكسىفتش ، فأسر بذلك سرورا كبيرا !

١١ أيلول ( سبتمبر )

عزيزتى الغالية جدا فرارا ألكسييفنا !

أناشدك الله يا صديقتى العزيزة جدا ، أتوسل اليك ، أضرع اليك  
ألا تتركينى الآن ، ألا تبعدى عنى فى اللحظة التى أصبحت فيها  
سعيدا كل السعادة راضيا عن حياتى كل الرضى ! يمامتى ، لا تصنى الى  
نصائح فيدورا ، واعلمى اننى سأتبع فى سلوكى دائما الطريق التى  
تشيرين به وترغين فيه . سأحسن سلوكى ، احتراما لصاحب السعادة  
على الأقل . سيكون سلوكى حسنا جدا ، سأكون مستقيما نشيطا . وسنظل  
تبادل رسائل سعيدة هائلة ، يسر كل منا الى صاحبه بخواتمه وأفكاره ،  
ويشاطر كل منا صاحبه أفراحه وهمومه ، اذا كان هنالك هموم سنقاسى  
منها أيضا . سنعيش معا فرحين منسجمين . وسنهتم بالأدب . . . . ياملاكى  
الرفيق ، هل توافقين ؟ لقد تبدل مصيرى تبديلا كاملا ، تبديلا حسنا .  
صاحبه البيت مثلا أصبحت أكثر تسامحا . وأصبحت تيريز أقل حماقة  
وغباء مما كنت أتصور . حتى فالدونى أصبح يظهر خفة ونشاطا ومرونة .  
أما راتازايف فقد تصالحت معه . ذهبت أراه قبل سائر السكان وأنا أفيض  
فرحا . انه فتى طيب جدا . . . . يا ماتوشكا . اعلمى انه فتى طيب جدا  
. . . . وليس ما قيل عنه من سوء الا اثررة ظالمة وتجنيا ! لقد اقتنعت أن  
ذلك كله لم يكن الا افتراء دنيئا . لم يخطر بباله أبدا ، فى يوم من  
الأيام ، أن يصفنا ، أن يتخذنا موضوع رواية يكتبها . أكد لى ذلك هو  
نفسه . وقد قرأ لى بضع صفحات من آخر كتاب له . أما ذلك اللقب  
الذى أطلقه على ، أعنى اسم « لوفلاس » فيظهر انه لا يشتمل على شىء  
من اهانة ، ولا هو بالاسم المعبى . لقد شرح لى معنى هذا الاسم . هو  
كلمة مستمدة من لغة أجنبية تعنى شيئا من هذا القبيل « الفتى الشيط



الجرىء» ، أو قولى بتعبير أقرب الى الأناقة وأسلوب أدنى الى الأدب ، « السيد الذى يعرف ما يجب له » ذلك هو معنى تلك الكلمة • فليس فيها اذن شيء من غمز يجرح الشعور أو يسيء الى الكرامة • هى مزحة غير مؤذية يا ملاكى الرقيق • ما أنا الا جاهل ، لذلك ساءنى هذا اللقب • لكن كل شيء صلح الآن ، وقد اعتذرت الى راتازايف ••••• ثم ان الجو جميل جدا اليوم يا فارنكا ••• هو جو رائع عذب ••• صحيح انه كان فى الصباح شيء من صقيع ، وان رذاذا من المطر والبرد قد خالط الهواء قليلا • ولكن ذلك لا يعد شيئا ••• حتى أن الهواء قد تنضر من ذلك • ذهبت أشتري لنفسى حذاءين ، وقد عنرت فعلا على حذاءين مدهشين • ثم مضيت أتجول منتزها فى شارع نفسكى • وقرأت عددا من جريدة « النحلة » ها ••• نسيت شيئا أساسيا ••• يجب أن أرويه لك الآن :

إليك المسألة :

فى هذا الصباح تحدثت مع ايميليان ايفانوفتشن وهياست ميخائيلوفتشن عن صاحب السعادة • نعم يا فارنكا : يظهر اننى لست الرجل الوحيد الذى حظى منه بكل هذا الكرم وهذا السخاء • لقد نعم آخرون باحسانه أيضا ، والناس جميعا يعرفون طيبة قلبه ونبيل نفسه • كثيرون أولئك الذين يتنون بفضائله ويمدحون مزاياه • وفى بيوت كثيرة تدرف دموع العرفان بالجميل حين يجيء ذكره ويدور الحديث عليه • لقد كفل فى بيته يتيمة مسكينة ، وعنى بمستقبلها ، وزوجها رجلا محترما من موظفى مكتبه • واهتم كذلك بابن امرأة أرمل ، فعينه فى وظيفة من وظائف الحكومة • وقام بأعمال أخبرى كثيرة من أعمال البر فحين علمت ذلك يا ماتوشكا رأيت أن من واجبى أن أشهد أنا أيضا نشيدى الصغير فى مدحه ، فقصصت على الجميع بصوت عال قصة ما أغدقه على صاحب

السعادة وما غمرنى به • قلت لهم الحقيقة كلها ، فلم أخف عنهم شيئا • وضعت خجلى فى جيبي • والامر فى الواقع أمر خجل وكرامة شخصية ازاء عظمة كهذه العظمة • أذعت الحقيقة جهارا حتى لا يجهل أحد ما يتحلى به صاحب المعالى من نفس عظيمة وروح كبيرة • تكلمت بحماسة ، بحرارة ، دون أن يحمر وجهي • بالعكس : كنت فخورا بسر هذه القصة • أفضيت لهم بكل شيء (الا ماتعلق بك طبعا ياماتوشكا) : حكيت لهم متاعبي مع صاحبة البيت ، ومع فالدونى ، وحدثتهم عن راتاذايف ، وعن حذاءي ، وعن ماركوف • حدثتهم عن كل شيء ، كل شيء • صحيح ان بعضهم ابتسم فى بعض اللحظات • بل الحقيقة انهم جميعا ابتسموا • حتى لقد ضحكوا قليلا • لا شك ان قد كان فى هيتي أو فى وجهي ما يبعث على الضحك ، أو لعل قصة حذاءي هى التى أضحكهم ••• نعم هى قصة الحذاءين قطعا • ذلك ان من غير المعقول أن يضحكوا بنية سيئة • أنا على يقين من هذا • وقد ضحكوا لأنهم شبان ، وربما لأنهم أغنياء أيضا • ولكن لم يخطر ببالهم أن يسخروا من أتوالى وأن يستهزئوا بكلامى • ما كان لهم أن يتخذوا من مدحى لصاحب السعادة موضوع عيب وهزاء • هذا مستبعد تماما • ألا تظنين ذلك يا فارتكا ؟

لم أصل حتى الآن الى كمال استردادى لهدوء نفسى ياماتوشكا • لقد هزنتى هذه الأحداث كلها هزا عنيفا • هل عندك ما يكفيك من حطب للتدفئة ؟ حاذرى أن يئالك برد يا فارتكا • سرعان ما يصاب المرء بالزكام فى هذا الجو • آه منك يا ماتوشكا ! هل تعلمين انك تقتليننى قتلا بأفكارك السود الحزينة تلك ؟ اننى أدعو لك الله بغير انقطاع • لبتك تعلمين كم أدعو لك وكم أصلى من أجلك يا ماتوشكا ! قولى : هل لديك تجربة من صوف ، وهل عندك ما تدثرين به جسمك اتقاء البرد على الأقل ؟

كوني حذرة يا يمامتى • اذا أعوزك شيء فلا تغفل أن تذكرى لى ذلك :  
 أناشدك الله لا تهينى شيخا مسكينا بالاحجام عن التوجه اليه فى مثل هذه  
 الحال • لا تقلقى على • المستقبل باسم مشرق ، ولن تكون أيامنا بعد  
 الآن الا وضاعة سعيدة •

آه يا فارنكا ! ما كان أصعب ، وآلم تلك الأيام الشقية ! لقد انقضت  
 الآن ، فلا تحدثنى عنها ، هى بضع سنين ثم نسى هذه الفترة فما نخطر  
 لنا على بال • انتى أتذكر سننى شبابى • يا لذلك العهد ! كان يتفق لى أن  
 أظل أياما بلا قرش فى جيبي • • كنت أقاسى من البرد وأعانى من الجوع  
 • • ومع ذلك ما أعظم الفرح الذى كان يملأ نفسى ! كنت أقوم أحيانا  
 بنزهة فى الصباح على نهر نفسكى ، فاذا لمحت وجهها جميلا ، كان يكفينى  
 ذلك حتى أظل سعيدا النهار كله الى المساء ! ما كان أجمله عهدا ! ما كان  
 أجمله عهدا يا ماتوشكا ! ما أمتع الحياة فى هذا العالم يافارنكا ! ما أمتعها  
 فى بطرسبرج خاصة ! لقد تبت الى الله بالأمس باكيا ، وضرت الى  
 الرب أن يغفر لى الخطايا التى انجرفت اليها خلال هذه الفترة القاتمة ،  
 من دمدمات تنمر وتمرد ، الى اتجاهات نحو اللبرالية ، الى فجور وفسق ،  
 والى قمار وميسر • • • ولقد ذكرتك فى صلواتى وأدعيتى منفلا أعمق  
 الانفعال • أنت وحدك ، يا ملاكى الصغير الرقيق ، بشت فى نفسى القوة ،  
 وواسيتينى ، وعزيتينى ، وخفت عنى ، ووجهتى بنصائحك الحكيمة الى  
 طريق الرشاد • لن أنسى هذا يا ماتوشكا ، لن أنساه أبدا • اليوم تناولت  
 رسائلك فقبلتها جميعا واحدة بعد أخرى ! نعم يا يمامتى ! أودعك الآن  
 ياماتوشكا • قيل لى ان هناك ، على مقربة منا ، رداء يراد بيعه • سأمضى  
 أستطلع الأمر • وداعا ياملاكى الرقيق ، وداعا •

صديقك المخلص اخلاصا عميقا

ماكار ديفوشكين

١٥ ايلول ( سبتمبر )

السيد العزيز جدا ماكار الكسييفتش !

اننى مضطربة اشد الاضطراب • اسمع ما حدث • يجب أن أذكر لك أولا اننى كنت أوجس منذ زمن وقوع حادث محتوم • فانظر فى الأمر بنفسك يا صديقى العزيز : ان السيد بيكوف هو الان فى بطرسبرج • • لقد صادفته فيدورا • فلما لمحها استوقف عربته ودنا منها وأراد أن يعرف أين تسكن الآن • وقد رفضت فيدورا فى أول الأمر أن تقول له شيئاً • فصرح لها وهو يضحك ضحكة صغيرة ساخرة انه يعرف من تستضيف عندها ( لا شك ان أنا فيدوروفنا هى التى قصت عليه كل شىء ) وعندئذ لم تستطع فيدورا أن تكظم غيظها وأن تكبح جماح نفسها ، فأخذت تكيل له الشتائم فى الشارع ، وتصب عليه أنواع التقرح ، قائلة انه رجل لا خلاف له وانه سبب كل ما قاسيت من ضروب العذاب والشقاء • فأجاب بقوله انه ليس من المستغرب أن يكون المرء شقيا حين لا يملك قرشا • فأجابته فيدورا بأنى كنت أستطيع أن أعيش من عملى ، وانى كنت أستطيع أن أتزوج ، أو أن أجد وظيفة من الوظائف ، ولكن سعادتى قد تحطمت الآن الى الأبد ، واننى عدا ذلك مريضة مشرفة على الموت • فقال اننى ما زلت شابة فى مقتبل العمر ، واننى أضع فى رأسى أفكارا سخيفة ، وان « فضائلنا قد حال لونها » فيما يظهر (تلك كلماته) •

قدرنا أنا وفيدورا انه يجهل عنوانها • ولكن تصور أنه بالأمس ، بعد خروجى من البيت لشراء بعض الأشياء من قناطر جوستينى ، دخل غرفتنا على حين فجأة • واضح انه كان يتمنى أن لا يجدنى فى منزلى • فأخذ يسأل فيدورا عن معيشتنا مسهبا ، وأخذ ينعم النظر فى أرجاء الغرفة ، وأحب أن يعرف شيئاً عن عملى فى الخياطة ، ثم ألقى على

فيدورا فجأة هذا السؤال : « من هو ذلك الموظف الذى تقوم بيننا وبينه علاقات صداقة ؟ » واتفق أن كنت أنت مارا فى تلك اللحظة نفسها ، فدلته فيدورا عليك ، فنظر اليك وابتسم . وتوسلت اليه فيدورا عندئذ أن ينصرف قائلة له ان أحزاني قد هدت قواى وجعلتني مريضة ، فحسبى مالقيته ، ولا داعى لأن أتألم مزيدا من الألم حين أعود فألقاه أمامى . فصمت لحظة ثم قال انه جاء عرضا ، فقد مر بالمكان مصادفة ، وكان فى وقته متسع ، فدخل بغير غاية يقصدها أو هدف يرمى اليه . وأراد أن يعطى فيدورا خمسة وعشرين روبلا ، ولكنها رفضت أن تأخذ منه شيئا بطبيعة الحال . ترى ماذا تعنى هذه الزيارة ؟ ماذا كان يريد منا ؟ لم أستطع أن أفهم من أين عرف عنا هذه الأخبار كلها . اننى ألقب الأمر على وجوهه وأفرض الفروض ، وأظن الظنون ، فلا أهتدى الى جواب على هذا السؤال . تدعى فيدورا أن أكسينيا زوجة أخيها التى تأتى إلينا أحيانا تعرف النسالة آناستازيا ، وان ابن عم آناستازيا خفير فى وزارة يعمل فيها أحد أصدقاء ابن أخى آنا فيدوروفنا ، فلعل بعض الاشاعات قد تسربت عن هذا الطريق . ومن الجائز أن تكون فيدورا مخطئة على كل حال . والحق اننا لا ندرى كيف نفكر فى هذا الأمر كله ولا كيف نعلله ونفسره . أمن الممكن أن يعود مرة أخرى ؟ ان تصور هذا وحده يملؤنى رعبا ! حين أطلعتنى فيدورا مساء أمس على ما جرى بلغت من الرعب اننى أوشكت أن يغمى على . ماذا يريدون فوق ما فعلوا ؟ اننى لا أريد أن أعرفهم بعد الآن . لماذا يصرون على الاهتمام بأمرى أنا المسكينة البائسة الشقية ؟ آه ما أشد المخاوف التى أشعر بها فى هذه الساعة ! يخيل الى أن بيكوف سيدخل علينا من لحظة الى أخرى . فما عسى يقع لى عندئذ ؟ ماذا يخبىء لى القدر أيضا ؟ أنا أناشدك محبة يسوع أن تجيئى الى بغير ابطاء يا ماكار ألكسييفتش . تعال الى ، أضرع اليك ، تعال .

١٨ أيلول ( سبتمبر )

### ماتوشكا ، فرارا الكسييفنا !

حدث اليوم في منزلنا حادث حزين كل الحزن ، لا يعلل ولا يفسر ، ولا كان في خيال أحد أن يقع • ان صاحبنا المسكين جورشكوف ( يجب أن أقول لك هذا عابرا ياماتوشكا ) قد أمكن أن يرد اليه اعتباره • فقد فضت المحكمة في قضيته منذ مدة طويلة ، وذهب اليوم الى المحكمة ليتبلغ قرارها النهائي • انتهت القضية نهاية ترضيه كل الرضى • ذلك انها برأته من جميع ما نسب اليه ، عدا انه ارتكب أخطاء اهمال وغفلة • وقضى قرار المحكمة أن تدفع له من أموال التاجر المصادرة المبالغ الضخمة التي يستحقها ، وبذلك تحسنت حالته المادية أيضا تحسنا كبيرا • وأصبح شرفه غير ملطخ من جهة أخرى ، ومعنى هذا أن جميع شئونته قد صلحت كثيرا • الخلاصة أن جميع ما كان يتمناه قد تحقق له • عاد الى البيت في الساعة الثالثة مضطرب الوجه شاحبا شحوبا شديدا • كانت شفتاه ترتجفان ، ولكنه كان يتسهم • قبل زوجته وأولاده • وهرعنا جميعا الى غرفته نهته ، فبدت في وجهه علائم التأثير الشديد لهذه البادرة من جانبنا ، وراح يحيى ويسلم في جميع الجهات ويصافح كلا منا عدة مرات • حتى لقد لاح لي أن جسمه نفسه قد كبر ، فكأن قامته انتصبت ، وأحسب أن العبرة الصغيرة المألوفة أصبحت غير عالقة بأهدابه • كان المسكين مضطربا اضطرابا شديدا ، فهو لا يستطيع أن يستقر في مكان دقيقتين • كانت يده ما تنفك تقبض على هذا الشيء أو ذاك ، ثم ما تلبث أن تنبذه بغير داع ، وكان يتسهم بلا انقطاع ، ويحيى ، ويجلس ، ثم ينهض ، ثم يعود الى الجلوس ، وهو بين هذا وذاك لا يكف عن الكلام ، وكان كلامه مشوشا لا تسلسل في معانيه ولا اتساق بين أفكاره • كان يقول

كلاما من هذا النوع : « شرفى ، سمعتى ، لولادى ، صيتى الحسن بين الناس . . . » . حتى لقد أخذ ينتحب فجأة فى لحظة من اللحظات . وترقرقت فى مآقى أكثرنا دموع أيضا . وأراد راتازايف أن يعزبه وأن يقوى عزيمته فقال له وهو يربت على كتفه : « مالك تتكلم عن الشرف يا عزيزى وأنت لا تملك ما تسد به الرمق . المال يا عزيزى ! المال ! ذلك هو الأمر المهم ! احمد الله على أنه وهب لك هذا المبلغ الضخم ، ذلك ما يجب أن تحمد الله عليه ! » . وأحسست فى تلك اللحظة أن جورشكوف قد استاء . لا أقول أنه أظهر امتعاضا ، ولكنه رمى راتازايف بنظرة غريبة ، وأبعد يده عن كتفه . ذلك وضع ما كان ليتخذ من قبل ياماتوشكا . لكل انسان طبعه على كل حال . فأنا مثلا ما كنت لأظهر شيئا من الزهو فى مثل هذه اللحظة من السعادة . ألا يتفق لنا ياماتوشكا أن نسرف فى التحية والسلام وأن نفرض على أنفسنا مزيدا من التواضع والتذلل لا لشيء غير شهامة شبت فى النفس ، وحنان استولى على القلب ؟ ولكن دعينا من هذا الآن ، فما هو بالأمر الذى من أجله أكتب اليك فى هذه اللحظة . قال جورشكوف : « نعم ، أنا مقتبط بالمال أيضا ، الحمد لله ، ثم لم يزد بعد ذلك على أن ظل يردد طول الوقت قوله : « الحمد لله ، الحمد لله ! » . وطلبت امرأته غداء أرقى نوعا وأكبر مقدارا مما اعتادت أن تطلب ، فلبتها صاحبة البيت ، حتى لقد أرادت أن تهيب الطعام بنفسها . ان صاحبة البيت امرأة شهمة على طريقتها الخاصة ، فى بعض الأمور على الأقل . وظل جورشكوف يذهب ويحجى قبل الغداء . كان يدخل على جميع من فى البيت ، دعى أم لم يدع . يدخل الغرف مبتسما ويجلس على كرسى ويقول بضع كلمات أو يلبث صامتا . ثم يتكلم على حين فجأة . حتى لقد مضى عند الضابط البحار الى حد تناول ورق اللعب ، والمشاركة فى اللعب طرفا رابعا . لعب بضع لحظات ، فناه عقله

بين أوراق اللعب ، فقال ، « باس » عدة مرات ، ثم نهض بقتة وهو يدمدم : « لا ، لا ، لا ، لم أشأ أن ألعب جادا ، وانما أحييت أن أرى فحسب » ثم انصرف . فلما لقينى فى المر تناول يدى وحدق فى عينى تحديقاً غريباً بعض الغرابة ، ثم ابتعد وهو ما يزال مبتسماً . لكن ابتسامته كان فيها شيء من ثقل ، فهى تخلف فى نفس من يراها شعوراً أليماً ، فكأنها ابتسامه ميت . وكانت امرأته تبكى فرحاً . لقد ظللت السعادة بيثهم مرة . كان جو غرفتهم يشبه أن يكون جو عيد . تناولوا غداهم مسرعين . وقال الرجل لزوجته بعد الغداء : « اسمعى يا عزيزتى : أحب أن أرتاح قليلاً ، واضطجع فى سريره . نادى ابنته ، فوضع يده على رأسها ، ولعب شعرها مدة طويلة . ثم التفت الى امرأته يسألها : وابننا بتسكا ؟ أين هو ؟ فرسمت امرأته إشارة الصليب وأجابته خائفة مذعورة بأن ابنهما قد مات ، وبأنه يعرف هو ذلك . فقال لها : « طبعاً طبعاً أنا أعرف ذلك ، أنا أعرف كل شيء ، أنا أعرف أن بتسكا هو الآن فى ملكوت السموات » . فأدركت امرأته عندئذ أن زوجها ليس فى حالة طبيعية ، فالحادث قد هزه هزاً عنيفاً عميقاً ، فقالت له : « خير لك يا عزيزى أن تنام بضع لحظات » . فقال : « نعم نعم ، سأنام فوراً . . . أنا . . . قليلاً . . . » وتحول عنها الى الجهة الأخرى ، فظل ساكناً دقائق لا يتحرك ، ثم لم يلبث أن التفت الى امرأته من جديد ، يحاول أن يقول بضع كلمات فى أغلب الظن . فلما لم تسمع امرأته كلامه واضحاً سأله قائلة : « ماذا تريد يا صديقى ؟ » . ولكنه لم يجب . فانتظرت بضع لحظات ، ثم قالت لنفسها : « لا شك انه غفا » . وذهبت الى صاحبة البيت تثرثر معها قرابة ساعة . حتى اذا عادت الى الغرفة وجدت أن زوجها لما يستيقظ بعد ، وانه ما يزال ساكناً فى سريره . فقدرت أنه نائم ، وجلست على كرسى ، وأخذت تشتغل . قالت لنا فيما بعد انها غرقت عندئذ فى تأملاتها ، فاتقضى على ذلك نصف ساعة . انها



لا تتذكر الآن الموضوع الذي دارت عليه تأملاتها ، وكل ما تقوله هو أنها في أثناء ذلك نسيت حضور زوجها نسيانا كاملا ، ولكنها ارتدت فجأة الى الواقع بسبب احساس مقلق اتابها على حين فجأة ، فأذهلها هذا الصمت الغريب ، هذا الصمت الذي يسود الغرفة ويشبه صمت القبور . ألفت نظرة على السرير فلاحظت أن زوجها لم يغير وضعه ، فاقتربت منه ورفعت عنه الغطاء ، فأدركت في تلك اللحظة فقط ، أن جسمه كان قد برد . لقد مات جورشكوف ياماتوشكا . مات فجأة ، كأن ساعة نزلت عليه . أما سبب موته فأنا أجهله كل الجهل . وقد بلغت من التأثر والاضطراب لهذا الحادث يافارنكا اننى لم أثب الى نفسى حتى هذه اللحظة . لا أستطيع أن أصدق أن من الممكن أن يموت انسان هذه الميتة ، من لحظة الى أخرى! مسكين جورشكوف ! مسكين ! . . . ما أكثر ما لقي من صنوف الشقاء والعذاب ! ياله من مصير ! ياله من مصير ! ان امرأته غارقة في دموعها وان فى هيتها الآن ذعرا لا يوصف . أما البنت فقد لطت فى ركن من أركان الغرفة ساكنة لا تتحرك . ان فى الغرفة حركة ذهاب واياب كبيرة . . . وهم يتكلمون الآن عن تحقيق طبي سيتم اجراؤه . . . لأدرى تماما . . . ولا أستطيع أن أزودك بتفاصيل عن هذا الموضوع . ولكننى أتألم لهم أشد الألم ، أشد الألم . انه لما يحزن النفس أن يتصور المرء انه لا يعرف فى أى يوم ، فى أى ساعة . . . أن من الممكن أن يموت الانسان ميتة بلهاء فى لحظة كانت فكرة الموت فيها أبعد ما تكون عن خياله .

صديقك

ماكس دييفوشكين

١٩ ايلول ( سبتمبر )

سيدتى العزيزة فرقارا الكسييفنا !

أسارع فأبئك أن صديقى راتازايف قد جاءنى بعمل أقوم به لأحد الكتاب • هو مؤلف جاء يزوره فأعطاه مخطوطة كبيرة لأتولى أنا نسخها ••• لن يعوزنى العمل اذن • الحمد لله • ولكن المؤسف أن خط المؤلف يبلغ من الرداءة أننى لا أستطيع قراءته ، فأنا أتساءل كيف يمكننى أن أفكه • ثم انهم يطلبون أن أنجز نسخ المخطوطة فى مهلة قصيرة جدا ، لأن الأمر مستعجل • يعالج الكتاب أمورا كثيرة أحس أننى لا أفهم منها شيئا ••• وقد اتفقنا على أجر هو أربعين كوبكا عن كل صفحة • أذكر لك هذه التفاصيل كلها يا صديقتى لتعلمى أن ما سأكسبه سيفيض عن حاجتى • أودعك الآن ياماتوشكا • وسأشرع فى العمل فورا •

صديقك الوفى

ماكار ديففوشكين

٢٣ ايلول ( سبتمبر )

صديقى العزيز جدا ماكار الكسييفتش !

منذ سبعة أيام لم أكتب اليك ، وقد شغلت خلال هذه المدة بأمور كثيرة ، كما مرت بى أحداث تثير القلق والاضطراب • أول أمس ، زارنى بيكوف • كنت عندئذ وحدى فى البيت ، لأن فيدورا كانت قد خرجت • فتحت له الباب ، فلما رأيته اتابنى رعب وذعر ، حتى اتنى

لم أستطع أن أقوم بأية حركة • وشعرت بوجهي يصفر • دخل وهو يطلق ضحكة صاخبة مدوية على عادته، وتناول كرسيًا بنفسه فقعده عليه • لبثت مدة طويلة لا أستطيع أن أثوب إلى نفسي وأن أملك شعوري • وأخيرا مضيت أعتصم بركن من الغرفة ، واستغرقت في شغلي فما لبث أن كف عن الضحك • أغلب الظن أن مظهرى قد فاجأه • كنت قد نحللت نحولا شديدا في الآونة الأخيرة • خدائى خاسقتان ، وعيناي غائرتان ، ووجهي شاحب شحوبا شديدا • لا شك أن الذين عرفوني منذ سنة يصعب عليهم أن يعرفوني الآن • أنعم النظر إلى مدة طويلة بانتباه شديد ، ثم عاد إلى مرحة وضحكه • أبدى ملاحظة لا أتذكرها الآن ، ولا أدري بماذا أجبته ، ولكنه استأنف ضحكه حين سمع جوابي • مكث عندي ساعة كاملة يلقي على الأسئلة تلو الأسئلة • وأخيرا ، لحظة هم أن ينصرف ، أمسك يدي وقال لي ( وأنا أثقل اليك أقواله بنصها ) : « فرفارا ألكسيينا ، يجب أن أعترف ، بيني وبينك ، ان آنا فيدوروفنا التي هي قريبتك والتي تربطني بها صداقة ، هي امرأة حقيرة دنيئة شريرة » • ( استعمل لفظة أخرى أيضا ، ولكنها لفظة غير لائقة ) « لقد دفعت ابنة عمك الصغيرة في طريق سيئة ، وأدت بك أنت أيضا إلى الضياع • أما أنا فقد سلكت في ذلك الطرف سلوك رجل جبان • ولكن ما العمل ؟ تلك قصة مبتدلة شائمة » • قال هذه الكلمات وانفجر ضاحكا • كان يقهقه ملء حنجرتة • وقال أخيرا انه لا يجيد القاء خطب طويلة ، وانه ذكر الشيء الأساسي الذي أملى عليه ضميره أن يذكره ، لأن الشرف يقضى بذلك ، وانه سيوجز فيما سيضيفه من قول • وشرح لي عندئذ ، بغير اسهاب ولا لف ولا دوران ، انه يريد أن يتزوجني ، وانه يرى ان من واجبه أن يرد إلى اعتباري وشرفي ، وانه غني ، وانه سيأخذني بعد الزواج إلى أراضيه ، وانه ينوي أن يفرغ هناك لصيد الأرانب ، وأضاف

الى ذلك انه لن يعود الى بطرسبرج أبدا ، لأن بطرسبرج مدينة مملة مضجرة موبوءة ، وان له هنا ابن أخ هو فى رأيه ولد حقير ، لذلك آلى على نفسه أن يحرمه من ميراثه ، حتى أن هذا هو السبب الذى يحرص من أجله على أن يتزوجنى ، وذلك ليكون له ورثة شرعيون ، فذلك هو الباعث الأساسى الذى دفعه الى القيام بهذا المسعى عندى . ولقت نظرى بعد ذلك الى اتنى أعيش حياة فقيرة جدا، وانه ليس بالمستغرب أن أمرض وأنا أقيم فى مثل هذا الكوخ الحقير الذى أسكنه . وتنبأ لى بموت وشيك اذا أنا أصرت على البقاء هنا ولو شهرا واحدا آخر . وقال ان البيوت فى بطرسبرج سيئة ، وسألنى أخيرا هل أنا فى حاجة الى شيء ؟ .

بلغت من الانشدهاء لهذا العرض اتنى أخذت أبكى ، لا أدرى لماذا ، فظن أتنى أذرف دموع العرفان بالجميل . فقال انه كان دائما يعدنى فتاة طيبة القلب ، رقيقة العاطفه ، حساسة الشعور ، مثقفة ، ولكن ما كان له مع ذلك أن يقدم على ما يقدم عليه الآن لولا انه سأل عن سلوكى الراهن فعرف تفاصيله . قال انه مطلع على كل شيء ، وانك رجل فاضل الأخلاق ، وأنه لا يريد أن يبقى مدينا لك ، فهو يريد أن يعرف هل يكفى خمسمائة روبل فى رأيك تعويضا لك عن كل ما صنعته فى سيبلى ؟ فلما قلت له ان خيراتك على هى من تلك الخيرات التى لا يمكن أن يكافئها أى مبلغ من المال ، صاح يقول ان هذا كله سخافات ، وان هذا كله من باب الروايات ، واتنى ما زلت شابة ، واتنى أحب قراءة الشعر ولا شك ، وان الروايات تضع الفتيات وتفسد أخلاقهن ، وانه يهتقر جميع الكتب على وجه الاجمال . ونصحنى أن أنتظر ان أكبر بضع سنين أخرى حتى أصدر أحكاما صحيحة فى حق الناس . وأضاف قوله : « سوف تتعلمين عندئذ كيف تعرفينهم » . وسألنى بعد ذلك أن أفكر فيما عرضه على متمهلة غير متعجلة ، لأنه سوف يؤلمه كثيرا ان اتخذ قرارا خطيرا هذه الخطورة

دون أن أفكر في الأمر تفكيراً عميقاً . وقال ان الخفة والطيش والاندفاع مع الهوى تؤدي بالشباب الذين لم يخبروا الحياة الى الضياع ، ولكنه ، من جهته ، يمتنى من أعماق قلبه أن يجيء جوابي بالموافقة على عرضه . أما اذا رفضت هذا العرض فسيجد نفسه مضطراً أن يتزوج تاجرة من سكان موسكو ، لأنه آلى على نفسه أن يحرم ذلك الوغد ابن أخيه من ميراثه . وترك لي خمسمائة روبل أجبرني على قبولها اجباراً ، لأستطيع أن أشتري لنفسى بها حلوى . . . كذلك قال . وأكد اننى لن ألبث أن أسمن في قرية وأتربل ، واتى سأعيش عنده في وفرة وبجبوحة . وأضاف الى ذلك انه كان في هذه الأيام الأخيرة مشغولاً جداً ، فهناك أمور كثيرة يجب أن يسويها ، وانه جاء الى عابراً ، منتهزاً فرصة بين موعدين هامين . وانصرف بعد ذلك . فأخذت أفكر ملياً . فلبت الامر على وجوهه المختلفة ، ولبثت أتأمل ساعات وساعات الى غير نهاية ، وعانيت من اضطراب الفكر ما عانيت ، حتى انتهيت أخيراً الى اتخاذ قرار . لقد قررت يا صديقي أن أتزوجه . لا بد أن أقبل ما عرضه على . انه الرجل الوحيد الذي يمكنه أن يفصل عارى ، وأن يصلح سمعتي ، وأن يجنبي البؤس وأنواع الحرمان وصنوف الشقاء في المستقبل . ما الذي يمكن أن أطمع فيه بعد الآن ؟ ما الذي أستطيع أن أنتظره من القدر ؟ فيدورا تقول ان على المرء أن يعرف كيف يمسك السعادة من شعرها ؟ هي تؤكد أن . . . ولكن ما هي السعادة بعد كل حساب ؟ أما أنا فلا أتصور مخرجاً آخر على كل حال ، فاعلم ذلك يا صديقي الغالي . ما العمل ؟ لقد أضيت سحتي بالعمل ، ولسوف يستحيل على أن أواسل هذا العمل دائماً . اما أن أوظف لدى أسرة ، فان ذلك سيميتني حزناً وأسى . وما من أحد يريدني على كل حال . ان جسمي عليل ، وسأكون لذلك عبئاً على الآخرين . طبعا ليس ما اخترته هو

الجنة • ولكن ماذا يجب أن أعمل يا صديقي ؟ ماذا أستطيع أن أعمل ؟  
الحق اننى ليس لى فى الأمر خيار •

لم أسألك نصحا • أردت أن أزن جميع جوانب القضية بنفسى •  
والقرار الذى أبلغتك اياه منذ هنيهة قرار مبرم لا رجوع عنه ، وسأبلغ  
بيكوف هذا القرار فورا ، فهو يصر على أن أبلغه جوابى الحاسم • وهو  
الآن يستعجلنى ، قائلا ان أعماله لا تمكنه من الانتظار ، وان عليه أن  
يسافر ، وانه لا يستطيع أن يرجىء سفره لأسباب تافهة • لا يدرى الا  
الله هل سأجد السعادة هنالك ! ان مصيرى رهن بارادة الله المقدسة •  
ولكننى عزمت أمرى ، واتخذت قرارى • يقولون ان بيكوف رجل شهيم •  
سوف يحترمنى ، وقد أعلم ان أحترمه أيضا • هل يمكن أن نرجو من  
زواجنا أكثر من ذلك ؟

ها قد أطلعتك على الوضع يا ماكار ألكسييفتش • أنا واثقة انك  
ستفهم ما أنا فيه من حزن • لا تحاول أن تثينى عن عزمى ، فسوف تضيع  
جميع جهودك فى هذا السيل سدى • حاول أن تزن فى قرارة نفسك  
جميع الأسباب التى دفعتنى الى اتخاذ هذا القرار • لقد تعذبت كثيرا فى  
أول الأمر ، ولكننى هادئة كل الهدوء الآن • اننى أجهل ما يخبئه لى  
المستقبل • فليكن ما يكون ، ولتسم مشيئة الله ! ••• وصل بيكوف ، لذلك  
أقطع الرسالة قبل اكمالها • هناك أمور كثيرة كان يجب أن أقولها لك  
أيضا •

٢٣ أيلول ( سبتمبر )

### ماتوشكا ، فرارا الكسييفنا !

أسارع الى الرد على رسالتك يا ماتوشكا • أبادر فأقول لك  
ياماتوشكا اننى فد ذهلت • كل هذا غريب متناقض ••• أسبى دفنا  
جورشكوف • نعم يا فارنكا • الأمر كذلك اذن • هو كذلك اذن يافارنكا •  
لقد تصرف بيكوف تصرف رجل شريف • وقبلت أنت دفعة واحدة  
يا صديقتى ••• ولكن ••• صحيح ان مقاديرنا بيد الله ••• هى بيد  
الله ••• أنا أعرف ذلك ••• ولا بد أن يكون الامر كذلك ••• أريد  
أن أقول ان مشيئته هى العليا ، ولا بد أن تنفذ مشيئة الله • والله العلى  
القدير مشيئة لا تجحد عدالتها ولا يجحد عمقها ، ولكننا لا نستطيع أن  
نفذ الى سرها ••• ومصائرنا كمشيئة الله أيضا • ان بيكوف يريد لك  
السعادة ••• أنا واثق من ذلك • واضح انك ستسعدين الآن يا ماتوشكا ،  
وأنتك ستعيشين فى يسر ووفرة وبحبوحة يا يمامتى ، يا ملاكى الصغير  
المعبود ، يا طائرى اللطيف ••• ولكن يا فارنكا لم هذا التعجل كله ؟ •••  
الأعمال •• نعم •• الاعمال •• السيد بيكوف مشغول جدا •• صحيح ••  
كل انسان فى هذا العالم مشغول •• وقد يكون السيد بيكوف مشغولا  
أيضا • لقد لمحته لحظة خروجه من عندك •• انه رجل مهيب ، مهيب  
جدا •• ولعله مهيب أكثر مما ينبغي •• ولكن هذا كله ليس واضحا  
وضوحا كاملا •• ليست القضية قضية هيئته المهمة الآن •• ثم ان فكرى  
مشوش مضطرب فى هذه اللحظة •• فأنا لا أهتدى الى أفكارى ولا أعرف  
ماذا أريد أن أقول • هناك نقطة هامة بوجه خاص : ما الذى سنعمله  
من أجل أن نواصل التراسل ؟ وأنا ؟ وأنا ؟ أيجب أن أبقى وحيدا بعد  
الآن ؟ لقد وزنت كل شىء يا ملاكى الرقيق ••• نعم وزنت كل شىء ••

نظرت فى كل شىء ، كما طلبت منى ذلك . . . . . وزنت كل شىء فى قرارة قلبى ، وزنت جميع البواعث التى تذكرينها . كنت على وشك الانتهاء من نسخ الصفحة العشرين من المخطوطة ، فاذا بهذه الأحداث كلها تسقط على رأسى فجأة . ستسافرين اذن يا ماتوشكا . ستحتاجين الى أشياء كثيرة استعدادا للسفر : أحذية ، ثوب . . . . . اننى أعرف مخزنا فى شارع جوروخوفايا . هل تذكرين حدينى الذى وصفت لك فيه ذلك المخزن؟ ولكن لا . . . لا . . . ما هذا الذى تقولين يا ماتوشكا؟ هلا فكرت فى الامر قليلا؟ انك لا تستطيعين أن تسلفى الآن . . . . . مستحيل . . . . . مستحيل استحالة مطلقة ! هناك بضائع كثيرة يجب أن تشتريها قبل السفر ، وستكونين فى حاجة الى عربة ، الى مركبة خاصة . ثم ان الجو قد ساء . انظري الى المطر كيف ينهمر غزيرا فى هذه اللحظة ! انه مطر ردىء ، انه مطر رطب . . . ثم . . . ثم . . . سوف يصيبك برد يا ملاكى الرقيق ، وسوف يصيبك برد روحى . أنت ، يا من تخشين الناس كل تلك الحشية ، تقررين أن تسافرى؟ وأنا؟ مع من أبقى ، أبقى وحيدا؟ فيدورا تقول ان سعادتك هناك ! انها امرأة قاسية عنيفة ، انها لا تفكر الا فى ضياعى . أنت آتية الى الكنيسة لصلاة الغروب هذا المساء يا ماتوشكا؟ سوف يطيب لى أن آتى لأراك هناك . ذلك صحيح كل الصحة يا ماتوشكا ، صادق كل الصدق : انت فتاة فاضلة الخلق ، حساسة الشعور مثقفة . ولكننى أرى أن زواجه بتاجرة موسكو خير له . . . . . ألا ترين هذا الرأى يا ماتوشكا؟ ان من الأفضل أن يختار تلك التاجرة ، فليتزوجهها اذن . سأثب اليك يا فارنكا الطيبة متى هبط المساء فأقضى عندك ساعة أو بعض ساعة . ان التسوق يهبط مبكرا فى هذا الفصل . سأجىء اليك . أنت تنتظرين الآن بيكوف . فمتى انصرف ، سنرى . . . . . انتظري زيارتى يا فارنكا . سأجىء فى هذا المساء .

ماكسار ديفوشكين



٢٧ أيلول ( سبتمبر )

### صديقي العزيز ماكار الكسييفتش !

يرى السيد بيكوف أن من الواجب حتما أن يكون عندي ثلاث دستات قمصان من الحرير الهولندي . فلا بد لنا اذن من خياطين لتفصيل دستتين أخريين من القمصان ، لأنه لم يبق أماننا الا وقت قصير . ان السيد بيكوف يستعجلني نافد الصبر ، وهو يقول ان حكاية الحزن هذه قد طالت كثيرا . سيتم زواجنا بعد خمسة أيام ثم نسافر في الغداة . ان السيد بيكوف يقول ان علينا أن نسرع ، ويقول ان علينا أن لا نضيع الوقت في ترهات . أنا مهدودة القوى بسبب هذه الهموم . فلا أكاد أستطيع الوقوف على ساقى من الاجهاد . هناك أشياء كثيرة يجب أن أسويها ، أشياء كثيرة تمرني حتى الرأس ؛ وانى لأسأل : ألم يكن من الأفضل أن أعدل عن هذه الحكاية كلها أساسا . بالناسبة : ليس عندنا ما يكفى من النسيج المخرم والقماش الشبيك ، فيجب أن تشتري من هذين النوعين ، لأن السيد بيكوف يقول انه لا يطيق أن تكون نياپ زوجته كتياب طبخة ، وان على أن « أخرس جميع نساء المالكين فى الأراضى المجاورة لأراضيه » ، تلك هى كلمانه . لذلك أرجوك يا ماكار الكسييفتش أن تذهب الى مدام شيفون بشارع جوروخوفايا ، فتوصيها أولا بأن ترسل لنا خياطات ، وتوصيها ثانيا بأن تتكرم بالمجىء الى . انى متعبة اليوم . فالبرد شديد فى مسكننا ، وكل شىء فى البيت فوضى . ان عمه السيد بيكوف تبلغ من الشيخوخة والهزم انها لا تكاد تستطيع أن تتنفس . وأنا أخشى فى كل لحظة أن توافيها منيتها قبل سفرنا . ولكن السيد بيكوف يؤكد أن الامر بسيط ، وانها ستسترد قواها . كل ما فى البيت مقلوب رأسا على عقب . السيد بيكوف لا يعيش معنا ، حتى ان

الخدم يتغيرون كثيرا ، فلا أدري أين يعثر المرء عليهم • وكثيرا ما يتفق أن لا يكون في خدمتنا أحد غير فيدورا • أما وصيف السيد بيكوف الذى كان ينبغي أن يشرف على كل شيء ، فقد انصرف منذ ثلاثه أيام دون أن يقول شيئا • السيد بيكوف يزورنا كل صباح ، فما ينفك يلوم ويقرع ويؤنب ، حتى لقد أخذ بالأمس يضرب ناظر المبنى ضربا مبرحا نشأت عنه مصاعب مع الشرطة ••• لا أدري بمن أستعين لايصال هذه الرسالة اليك ، لذلك أبعتها بواسطة البريد • ها ••• نعم ••• نسيت الشيء الأساسى : قل لمدام شيفون ان عليها حتما أن تبدل المخمرات وفقا للمعينة التى درسناها أمس ، وأن تجيء بنفسها الى لترينى اختيارا جديدا • قل لها أيضا اننى غيرت رأى فيما يتعلق بالصدار ، فأنا أرى الآن أن يحاك بالابرة • ثم ان الأحرف الأولى من الاسم يجب أن تطرز فى المناديل على الطارة ، هل فهمت ما أقول ؟ على الطارة لا بالتقليب • اتبه الى ما أقول • اياك أن تنسى اننى أريد تطرزا على الطارة • ها ••• كدت أنسى أيضا : أوصها ، ناشدتك الله ، أن تخط الأوراق عالية جدا على رداء الكتفين ، وأن تقويها بصفائح وأن تخط الياقة بشيك أو بتخريج عريض • لاتنس أن توصيها بهذا يا ماكار ألكسييفتش ، أرجوك •

صديقتك

ب.د

حاشية : يعذب ضميرى اننى أزعجك بهذه المهمات • لقد ظلمت أول أمس تجوب المدينة طوال الصباح من أجلى • ولكن ما حيلتى؟ ليس فى منزلنا نظام ، وأنا نفسى مريضة • فلا تؤاخذنى يا ماكار ألكسييفتش • ما عسى يخرج من هذا كله يا صديقى

الشهم الطيب ماكار الأكسيقتش ؟ انى أتهبب أن أسأل  
المستقبل • انى أوجس خيفة وأعيش فيما يشبه الضباب •

حاشية : ناشدتك الله يا صديقى ، لا تنس شيئاً مما عهدت به اليك . أخنى  
أن تخطيء أو أن تختلط عليك الأمور • تذكر جيداً : على  
الطارة لا بالتقليب •

ب • د

٢٧ أيلول ( سبتمبر )

### المحترمة جدا فرارا الكسييفنا !

نفذت تنفيذا دقيقا جميع التوصيات التى كلفتنى بها • تدعى مدام  
شيفون انها فكرت من تلقاء نفسها فى التطريز على الطارة ، فذلك أليق ،  
إذا صح ما فهمته ، لأننى فى الواقع لا أعرف على وجه الدقة ماذا قالت لى  
فى هذا الموضوع • وهناك أيضا مسألة التخريج التى كتبت الى فيها •  
لقد كلمتنى هى أيضا عن التخريج • ولكننى يا عزيزتى لا أستطيع أن  
أتذكر ما شرحته لى فى شأن التخريج هذا • كل ما يمكن أن أقوله هو  
انها أفاضت فى الكلام عليه وأسهبته •

امرأة عجيبة ، ما هو الموضوع تماما ؟ على كل حال ستردد على  
أسماعك ما قالته لى • يجب أن أعترف لك يا ماتوشكا انى كالتائه • حتى  
لقد فوتت عملى اليوم • صدينى يا عزيزتى إذا قلت لك انك مخطئة فيما  
تحسينه من حزن • ثقى أننى ، فى سبيل تهدئة خاطرک ، مستعد لأن

أجوب جميع مخازن المدينه • تقولين انك تخشين المستقبل • فلماذا هذه الحشية ما دمت ستعرفين كل شىء فى الساعة السادسة من هذا المساء : سوف تبيئك مدام شيفون بنفسها • فلا تقلقى ، وأملى خيرا يا مانوشكا • لسوف ترين ان جميع الأمور سترتب على أحسن وجه ، كما أقول لك • أما التخريج ، أما ذلك التخريج اللعين ، فسحقا للتخريج والتخريم والتطريز جميعا • كان يمكن أن أزورك يا ملاكى الرقيق ، كان يمكن أن أتب الى بيتك لحظة ، كان يمكن أن أجيء اليك حتما ••• حتى لقد دنوت من أبواب منزلك مرتين اثنتين •• ولكن هذا الرجل بيكوف ، عفوا ، أقصد السيد بيكوف متجهم الوجه جدا ••• لذلك لم أجازف ••• ثم ماذا ؟

ماكار ديفوشكين

٢٨ أيلول ( سبتمبر )

السيد العزيز ماكار الكسييفتش :

أتوسل اليك أن تركض فورا الى الصائغ ، فتقول له اننى عدلت عن قرطى الأذنين اللذين أوصيته بضمنهما من لآلىء وزمرد • ان السيد بيكوف يرى ان هذا اسراف فى البذخ ، وان التمن باهظ خاصة • انه غضبان جدا • يقول اتنا نبالغ فى الانفاق ، واتنا ننهيه نهبا • حتى لقد صرح أمس بأنه لو كان يتنبأ بجميع هذه المصاريف لتجنب ولوج هذا الطريق أساسا • وهو يقول اتنا سنسافر فورا بعد الزفاف ، ولن يكون هنالك مدعوون ، ولا يجب أن أتوقع أن أرقص وأتسلى ، فما تزال أعياد

نهاية العام بعيدة • انظر كيف يتكلم ، والله يعلم مع ذلك هل كنت أنا في حاجة الى هذا كله ! ان السيد بيكوف نفسه هو الذى حرص على أن يوصى بها في البداية • ولست أستطيع أن أرد عليه بشيء ، لأنه سريع الغضب • ترى كيف ستكون حياتي ؟

ب.د

٢٨ ايلول ( سبتمبر )

يماهى فرفارا الكسييفنا !

اننى - أقصد ان الصائح يقول انه قد نفذ أمرك • أما أنا فقد أردت أن أذكر لك في بدايه هذه الرسالة اننى مريض لا أستطيع أن أبارح سريري • لقد جاء المرض اللعين في غير أوانه ••• جاء في الوقت الذى يجب علىّ فيه أن أسوى أموراً كثيرة ••• في الوقت الذى أنت فيه محتاجة الى ، قاتل الله الزكام ••• يجب أن أخبرك أيضاً أن خاتمه الرزايا ان صاحب السعادة رأى من اللازم اليوم أن يظهر شيئاً من القسوة ، فصب غضبه الشديد على ايميليان ايفانوفتش ، وبلغ من ذلك أن قواه خارت أخيراً حتى تقطعت أنفاسه • مسكين ! هأنذا أخبرك بكل هذه المزعجات • وكنت أريد أن أبلغك شيئاً آخر ، ولكننى أخشى أن أزعجك وأعكر صفوك ، لأننى ، يا صديقتى ، لست الا رجلاً بسيطاً بغير ثقافة ، أكتب ما يخطر ببالى هكذا بغير تكلف • وقد تجددين هنا وهناك ما ••• الخلاصة ••• ماذا بعد ؟

صديقك

ماكس ديفوشكين

٢٩ ايلول ( سبتمبر )

فرارا الكسييفنا ، صديقتى العزيزة !

رايت اليوم فيدورا ، يا يمامتى . قالت لى ان الزفاف سيتم غدا ،  
وانك مسافرة بعد غد ، وان السيد بيكوف قد هيا الخيول . أما صاحب  
السعادة فقد حدثك عنه فى رسالتى الاخيرة . ها . . . نعم . . . لقد  
دقت فواتير مخزن شارع جوروخوفايا : الحسابات صحيحة ، ولكنى  
أرى أن الاسعار باهظة . لماذا يوجه اليك السيد بيكوف هذه الملامات ؟  
كونى سعيدة يا ماتوشكا . أنا مقتبط لك ! نعم ! وسيهجنى دائما أن  
أعرف أنك سعيدة . كنت أود لو أجيء الى الكنيسة ، ولكن ذلك  
مستحيل ، لأننى أشعر بالآلم فى خاصرتى . أعود الى مسألة التراسل  
بيننا . ان هذه المسألة تقلقنى وتقض مضجعى . من ترى يتولى نقل  
رسائلنا يا ماتوشكا ؟ بالمناسبة ، لقد كنت كريمة جدا مع فيدورا يا صديقتى  
العزيزة . لقد أحسنت صنعا يا عزيزتى ، أحسنت جدا . ذلك منك عمل  
طيب خير ، وسيجزيك الله جزاء حسنا على جميع ما قدمت من خيرات  
وحسان . ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا . هذه عدالة الرب . .  
عاجلا أو آجلا . ماتوشكا ، هناك أمور كثيرة أود لو أكلمك فيها . اننى  
أستطيع أن أكتب اليك كل ساعة بل كل دقيقة ، فأقص عليك كل شيء ،  
وأسر اليك بكل شيء . ما زلت محتفظا بكتابك ( أفايص بيلكين ) .  
لا تستردى منى هذا الكتاب يا ماتوشكا ! اهده الى يا يمامتى ! لا لأننى  
أشتهى قراءته كثيرا ، بل لأن الشتاء يدنو ، ولىالى الشتاء طويلا كما  
تعلمين ، وسأشعر بسأم ، وقد أشعر بحزن ، فأتسلى عندئذ بقراءته .  
قررت يا ماتوشكا أن أترك غرفتى التى أسكنها ، وأن أنتقل الى بيتك  
القديم مستأجرا عند فيدورا . لن أرضى أن أنفصل عن هذه المرأة الشهمة  
بعد اليوم أبدا . ثم انها صاحبة همة ونشاط فى العمل . لقد طفت أمس

بكل ركن من أركان بيتك المهجور المقفر ، أنعم النظر في كل شيء  
تفصيلا . ما يزال كل شيء في مكانه . منضدة الخياطة لم تتزحزح ،  
والشغل الذى كنت قد بدأت به ما يزال عليها فى زاوية الغرفة . نظرت فى  
الشيء الذى كنت تخطينه . ان قصاصات من القماش مبعثرة هنا وهناك .  
كنت قد لفتت خيطا على احدى رسائلى أيضا . وفى درج طاولتك عثرت  
على ورقة كتب عليها « السيد العزيز ماكار ألكسييفتش أسارع ف . . . »  
- هذا كل ما كتب على الورقة . لا شك أن أحدا قطع عليك الكتابة فى  
أهم موضع . وفى ركن آخر وراء حاجز ، رأيت سريرك الصغير . . .  
أواه يا يمامتى ، أودعك الآن ، أودعك ! . . . ناشدتك الله ، أجيبي على  
رسالتى هذه ، أجيبي بأى شيء ، ولا تدعيني أنتظر طويلا . . .

ماكار ديفوشكين

٣٠ ايلول ( سبتمبر )

ماكار ألكسييفتش ، صديقى العزيز !

تحققت مشيئة الأقدار . تقرر مصيرى . أنا أجهل ما سيكون هذا  
المصير . ولكننى أذعن لارادة الرب . سنسافر غدا . أودعك الآن آخر  
مرة يا صديقى العزيز ، يا من أحسنت الى و كنت لى بمثابة أب ! لا يؤلئك  
سفرى ! عش سعيدا . تذكرنى . أسأل الله أن يباركك وأن يكلاذك  
برعايته . سأفكر فىك كثيرا ، كثيرا جدا ، وسأدعو لك فى صلواتى .  
لقد انتهت الآن ، انتهت تلك الفترة من حياتى . لست أحمل الى حياتى  
الجديدة كثيرا من الذكريات السعيدة . وهذا يجعل ذكرى ما صنعتها  
فى سبيلى أجمل وقما فى نفسى ، ويجعل منزلتك فى قلبى أرفع مكانا

وأعظم شأنًا • أنت صديقى الوحيد • انت وحدك أحببتنى هنا • لقد رأيت كل شيء ، وعرفت كم كنت تحببى • كان يكفيك أن أتسم حتى تصبح سعيدا • كان سطر واحد من رسائلى قادرا على أن يملأ نفسك فرحا • سيكون عليك الآن أن تتعود فراقى • ما عسى أن تكون حياتك المنغزلة بعدى ؟ من عسى يعتنى بك يا صديقى العزيز ، يا صديقى الوحيد ؟ أترك لك كتابى ، وأترك لك منضدة خياطتى ، وأترك لك الرسالة التى بدأت كتابتها ولم أكملها فوجدتها فى درجى • حين ستنظر الى هذه الاسطر التى لم تكمل ، سوف تستطيع أن تكملها بخيالك من عندك وان تضيف اليها كل ما كنت تود لو تقرأه ، وكل ما كان يمكن أن أكتبه لك فى الواقع ، والله أعلم ماذا كنت أود لو أكتبه اليك اليوم !  
 ... أذكر من حين الى حين صديقتك المسكينه فارنكا التى أحببتك كثيرا • رسائلك جميعها بقيت فى خزانة فيدورا ، بالدرج الأعلى • تقول انك مريض ، ولكن السيد بيكوف لا يريد أن أخرج الآن • سأكتب اليك يا صديقى ، أعدك بذلك • وأودعك اذن الى الأبد يا صديقى ، يا صديقى العزيز ، يا أخى ، الى الأبد ، ... آه ... ما أكثر ما كان يمكن أن أقبلك فى هذه اللحظة ! وداعا يا صديقى ، وداعا ، وداعا ، كن سعيدا ، وأسأل الله لك العافية • سأظل أدعو لك ما حييت • ما أشد حزنى فى هذه اللحظة ! ما أثقل الحمل الذى أحسه جاثما على صدرى • السيد بيكوف ينادينى •

صديقتك التى ستحبك دائما

ب•د



حاشية : روجى تفيض حزننا ، نفسى تطفح دموعا \*\*\* النحيب الذى  
أكتمه فى صدرى يخنقنى خنقا • وداعا • رباہ ! ما أفسى  
الفراق ! لا تنس أبدا صديقتك الشقية فارنكا !

فارنكا ، عزيزتى ماتوشكا ، يمامتى ، معبودتى فارنكا !

لقد أخذوك وسوف تسافرين • لو انتزعوا قلبى من صدرى لكان  
ذلك أهون على من بعدك عنى • كيف أمكن هذا ؟ انظرى : انك تبتكين،  
ومع ذلك سوف تسافرين • لقد استلمت رسالة منك منذ هنيهة ، رسالة  
مبللة بالدموع ! معنى هذا انك لا تحيين أن تسافرى ، معنى هذا أنهم  
يأخذونك عنوة • معنى هذا انك ترحميتنى وتشفقين على ! معنى هذا  
انك تحييننى ! كيف ستعيشين الآن ومع من ؟ لسوف ينوب قلبك الصغير  
هنالك حزننا وضجرا وشعورا بالجزلة الروحية • لسوف تهد الكآبة قلبك  
الصغير هذا ، ولسوف يحطمه الأسى تحطيا • سوف تموتين ، وسوف  
يدفنونك عندئذ فى تلك الارض الرطبة الباردة من ذلك المكان النسائى  
الغريب ، ولن يكون ثمة أحد يبكيك • السيد بيكوف لن يتسع وقته  
للبيكاء • السيد بيكوف لن يفكر الا فى صيد الارانب • أواه يا ماتوشكا !  
أواه يا ماتوشكا ! لماذا اتخذت ذلك القرار ؟ كيف أمكن أن تعزى على  
هذا الامر ؟ ماذا صنعت بنفسك ، ماذا صنعت بنفسك ؟ ما هذا الذى جئته  
على نفسك ؟ ان القبر هو ما ستجدينه عندهم ، سوف يميونك يا ملاكى  
الريق ! \*\*\* ذلك ان جسمك ضعيف واهن يا ماتوشكا ! أين كنت أنا  
الأحمق فى هذه الآونة ؟ أين كانت عيناى ؟ اتنى بدلا من أن أعارض  
معارضة حاسمة \*\*\* نعم \*\*\*\* بدلا من ذلك كنت أبله لا يفكر ، وأعمى

لا يرى ... كأن كل ما حدث كان عدلا لا اعتراض عليه وضرورة لا مناص منها ، وكأن ذلك كله لا يعينى فى شىء ! وكنت أثناء ذلك أذهب وأجىء هنا وهناك بحثا عن تخريمه او تخريجه ... لا يا ماتوشكا ، لا ، لن أسمح بهذا ، سوف أنهض من سريرى • قد أبل من مرضى غدا ، فاستطيع أن اخرج ... فألقى بنفسى تحت عجلات العربى ، ولا أدعك تسافرين • هلا فكرت فى الامر قليلا ؟ بأى حق ، بأى حق يفعلون هذا ؟ سأسافر معك ، سأركض وراء العربى اذا رفضت أن تأخذينى ، سأظل أركض وراء العربى الى أن ألفظ آخر أنفاسى وتزهق روحى • هل تصورين ماذا ينتظر هنالك ، ماذا ينتظر فى ذلك المكان الذى تسافرين اليه يا ماتوشكا ؟ اذا كنت تجهلين ماذا ينتظر ، فأسألينى أنا • أنا أعرف • لن ترى من حولك الا فيافى مقفرة يا صديقتى ، الا فيافى مقفرة ، وسهولا جرداء ممتدة الى غير نهاية ، وارضا عارية كراحة الكف • الفلاحات اللائى يعشن فى تلك البلاد قاسيات القلوب ، لا حس لهن ولا شعور • والفلاحون غلاظ جفاة سكارى فى كل لحظة • الاشجار ذهبت عنها أوراقها فى هذا الفصل ، والسماء ممطرة ، والبرد قارص ، فهل الى هذا المكان تسافرين ؟ للسيد بيكوف أن يسافر اذا شاء • فان له هنالك ما يشغله • سوف يعيش مع أرابه • أما أنت ، أنت ، فما عسالك تفعلين ؟ لن يكون لك هناك من دور الا دور زوجة مالك كبير يا ماتوشكا ؟ فانظرى الى نفسك : أنت امرأة من هذا النوع ؟ ... كيف أمكن أن يقع هذا كله يا فارنكا ؟ الى من عسانى أكتب الآن يا ماتوشكا ؟ هل ألقيت على نفسك هذا السؤال يا ماتوشكا : « الى من سيرسل رسائل بعد الآن ؟ » من ذا الذى سأناديه هاتفاً ماتوشكا ؟ على من سأطلق هذا الاسم العذب الرقيق ؟ وأين عسى أراك بعد ذلك يا ملاكى الجميل ؟ لسوف يميئى هذا يا فارنكا ، سوف يميئى حتما ، لن يحتمل قلبى عذابا كبيرا كهذا

العذاب • لقد أحيتك أكثر من ضوء النهار ، أحيتك كما لو كنت ابنتي ،  
أحيت فيك كل شيء يا ماتوشكا ، ومن أجلك انما كنت أعيش على كل  
حال ، من أجلك أنت وحدك • كنت أعمل ، وأنسخ وناق ، وامشي ،  
وأتنزه ، وأكتب مشاعري على الورق رسائل صداقية ، كل ذلك لأنك  
كنت تسكنين قبالي على مقربة مني • لعلك تجهلين هذا ، ولكن الامر كان  
كذلك • ولكن لا ، اصغى الى يا ماتوشكا ، فكري قليلا يا يمامتي : كيف  
يمكنك أن تسافري ، كيف يمكنك أن تتركينا ؟ مستحيل هذا يا صديقتي ،  
مستحيل هذا يا صديقتي ، مستحيل هذا ، لست قادرة على القيام بهذه  
الرحلة • لا تستطيعين أن تقومي بها ، مستحيل ••• يجب استبعاد هذا  
الامر ••• يجب استبعاده استبعادا كاملا • المطر ينهمر الان ، وأنت  
ضعيفة واهنة ، وستصابين ببرد ، سوف تتبلل عربتك ، وسوف ترشح الى  
داخلها مياه الأمطار • هذا أكيد • ثم انها ستتحطم ، هذه العربية ، متى  
اجتزتم المدينة الى الضواحي • ستتحطم حتما • أنت تجهلين ان العربات  
التي تبني الآن في بطرسبرج متداعية الهياكل ؟ اتنى أعرف هؤلاء الذين  
يصنعون العربات : يكفيهم أن تكون المركبة جميلة المنظر ، وأن تشبه  
دمية حلوة المظهر ، ولا يعنيهم بعد ذلك أن تكون متينة أو متهالكة • يمينا  
انها تتحطم لأيسر سبب • سوف أركع أمام السيد بيكوف يا ماتوشكا ،  
فأبين له ذلك ، وأبرهن له عليه • وأنت أيضا يا ماتوشكا ، سوف تبرهنين  
له على ذلك ، سوف تشرحين له بحجج معقولة دامغة حاسمة ان عليك  
أن تبقى هنا ، وان من المستحيل عليك أن تسافري • لماذا لم يتزوج تلك  
المرأة ، تاجرة موسكو ؟ لقد كان من الأفضل أن يتخذها امرأة له • ان  
تاجرة خير له منك • ذلك أحسن له كثيرا • أنا أعرف هذا ، أعرفه حق  
المعرفة ، وأعرف لماذا ! أما أنت فكان يمكن أن أحفظ بك هنا قريبة  
منى • ما هو عندك بيكوف هذا ؟ ما الذي أراضاك فيه على حين فجأة ؟

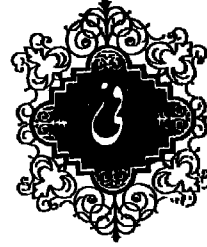
لأنه اشترى لك كل ذلك التخريج؟ أيكون هذا هو السبب؟ ولكن  
 ما قيمة التخريج؟ ما نفع التخريج؟ ذلك كله ترهات يا ماتوشكا...  
 الأمر أمر حياة انسان يا ماتوشكا! أما التخاريم فما هي الا خرق حقيرة  
 يا ماتوشكا، تلك هي التخاريم: خرق لا أكثر. اننى أنا أيضا، أنا  
 نفسى، سأشترى لك تخاريم. سأشترى لك تخاريم متى قبضت راتبى.  
 نعم نعم سأشترى لك تخاريم. اننى أعرف مخزنا تباع فيه التخاريم.  
 انتظري حتى أقبض راتبى فقط يا ماتوشكا، يا طفلى المعبودة! رباه  
 رباه! أنت مصرة قطعاً على السفر مع بيكوف الى الفيافي؟ هل قررت  
 قراراً لا عودة عنه، أن تسافرى بغير رجعة؟ آه يا ماتوشكا! لا...  
 لا... سوف تكتنين الى: سوف تبعين الى رسالة تصفين لى فيها كل شىء  
 تفصيلاً... وحين ستكونين بعيدة، ستكتنين الى من هنالك أيضا. والا،  
 يا ملاكى الصغير المشع المشرق، فان هذه الرسالة ستكون الاخيرة...  
 مستحيل، لماذا تكون الاخيرة؟ لماذا هذه الرسالة بعينها؟ أهكذا، فجأة؟  
 لا... لا... سوف أكتب اليك أيضا، وسوف تكتنين الى أنت كذلك  
 ... هل تلاحظين ان أسلوبى أخذ يتحسن؟ آه يا صديقتى، اننى لا أعبأ  
 بالأسلوب، لا أحفل به! فى هذه اللحظة نفسها، أصبحت لا أعرف ماذا  
 أكتب، نعم أصبحت لا أعرف ماذا أكتب، وأنا لا أعيد قراءة ما أكتب،  
 ولا أصحح عباراتى ولا أنقحها. وانما أكتب لأكتب فحسب، لأحدثك  
 أطول مدة... آه يا يمامتى، يا بنيتى، يا ماتوشكا...

المجلد

١٨٤٦

« المثل » (Dvoïnik) ،  
كتبت هذه الرواية سنة ١٨٤٤ -  
١٨٤٥ ، ونشرت سنة ١٨٤٦ في  
« حوليات الوطن » ، المجلد ٤٦ ،  
في شهر شباط ( فبراير ) ١٨٤٦

## الفصل الأول



نحو الساعة الثامنة استيقظ يأكوف بتروفس  
جولديا كين ، الكاتب في احدى الادارات الحكومية،  
بعد نوم طويل • فتساب ، وتمطى ، ثم فتح  
عينيه تماما اخر الامر • ومع ذلك ظل مسنلقيا  
على فراشه دقيقتين ، ساكنا لا يتحرك ، وكأنه لا يعلم علم اليقين اهو  
استيقظ حقا أم هو لا يزال نائما ، ولا يعلم علم اليقين آكل ما يراه حوله  
هو جزء من العالم الواقعي أم هو امتداد الرؤى المضطربة التي رآها في  
• حلم

غير أن حواس السيد جوليا دكين أخذت تستوعب شيئا فشيئا، بمزيد  
من الدقة والحدة ، مجال ادراكاته المألوفة • فيها هو ذا يرى ما ألف أن  
يراه من نظرات محدفة اليه : نظرات جدران الغرفة التي يغشاها الغبار  
والدخان ، ويميل لونها الى خضرة مسخنة ، ونظرات منضدته المصنوعة  
من خشب الأكاجو ، ونظرات كراسيه التي هي تقليد لكراسي خشب  
الأكاجو ، ونظرات منضدته المصبوغة باللون الأحمر وديوانه التركي

المغطى بقماش مشمع يضرب لونه الى حمرة وتزينه زهيرات خضراء ؛  
ونظرات يابه التي خلعتها بالأمس على عجل ورمها على الديوان كتلا  
مكورة . وها هو ذا يرى آخر الأمر ، من خلال نافذته ، نظرة حزينة  
كافية يلقبها عليه نهار عكر حائل اللون من نهر الخريف ، فتثقل هذه  
النظرة على صدره : ان فى هذه النظرة كثيرا من العبوس ، وان فى  
التقطيب الذى يصاحبها كثيرا من الحدة والشراسة ، فلم يبق فى ذهن  
السيد جولياكين أى شك : ليس هو الآن فى عالم محدد من عوالم  
الرؤى والأحلام ، بل هو حقا فى العاصمة ، فى مدينة سان بطرسبرج ،  
فى شارع « الدكاكين الستة » ، فى مسكنه بالطابق الثالث من عمارة كبيرة .  
فلما اكتشف السيد جولياكين هذا الاكتشاف الهام ، عاد يغمض عينيه ،  
كأنه يأسف على رؤى حلمه الأخير ويتمنى أن يرتد اليها ولو لحظة .  
ومع ذلك لم يلبث أن وثب عن سريره بعد هنيهة ، ربما لأنه اهتدى الى  
الفكرة المركزية التى كانت تدور حولها تهاويل فكره مضطربة مشوشة  
حتى ذلك الحين . وسرعان ما هرع نحو مرآة صغيرة مستديرة كانت  
موضوعة على المنضدة . ان الوجه الذى يتراءى فى المرآة رث بعض  
الرثاثة ، وعيناه اللتان تشبهان أن تكونا مغمضتين قد تورمتا من النوم . انه  
وجه من تلك الوجوه التى ليس لها طابع يميزها ، فلا يمكن أن تلفت  
النظر من أول وهلة . ومع ذلك فقد بدا على صاحب الوجه أنه راض عنه  
كل الرضا بعد أن تفرس فيه .

قال السيد جولياكين بصوت خافت : « الحمد لله ! لو قد حدث لى  
شئ فى هذا الصباح ، لو قد وقع لى ما يزعج ، كأن تثبت فى أنفى دمل  
أو شئ من هذا القليل ، اذن لكانت قصة سخيفة . . . ما ينبغى التشكى .  
ليس هنالك دمامة ؛ وكل شئ يجرى على خير ما يُشتهى حتى الآن » .



ابتهج السيد جوليا دكين من حسن سير أمورهِ ، فأعاد المرآة الى مكانها المألوف • ورغم أنه حافى القدمين ، ورغم أنه ما يزال في ملابس الليل ، هرع نحو نافذة غرفته التي تطل على فناء العمارة ، وأخذ ينظر الى ما يجري فيها ، بكثير من الاهتمام •

وقد لاح أنه راض كل الرضى عما رأى ، فقد أشرق وجهه بإبتسامة غبطة • ثم اقترب من المائدة على رءوس الأصابع • وبعد أن ألقى نظرة على ما وراء الحاجز ، حيث يوجد مخدع خادمه بتروشكا ، فتأكد أن بتروشكا ليس هناك ، فتح أحد أدراج المائدة ، ومدّ يديه الى أعماقه ، فأخرج من تحت كومة من الأوراق المصفرة المتسخة محفظة خضراء اللون بالية بعض البلى ، وفتحها بكثير من الحذر والتأنى وألقى نظرة عجلى على جيبها الخفى • لا بد أن كدسة الأوراق النقدية الخضراء والشهباء والزرقاء والمتعددة الألوان ، قد أنعش منظرها نفس السيد جوليا دكين ، اذا صدق ما ارتسم على وجهه من معنى حين وضع المحفظة مفضوضة على المائدة • وهما هو ذا يفرك يديه منشرح القلب فرحا أشد الفرح •

وأخيرا أخرج كدسة الأوراق النقدية هذه التي كانت له موضوع آمال خفية كثيرة ، فأخذ يعدها مرة أخرى ، بعد أن عدها فرابة مائة مرة منذ أمس ، جاسا كل ورقة منها بالابهام والسبابه فى كثير من الجدد والاجتهاد •

وتتمم يقول بعد أن فرغ من حسابها : « سبعمائة وخمسين روبلا ، أوراقا نقدية ••• يمينا انه لبلغ عظيم ••• مبلغ جميل ممتع » • كذلك تابع يقول بصوت مرتجف يكسره انفعال اللذة ، قابضا على الكدسة بيديه ، مبتسما ابتسامة الجدد والوقار « نعم ، مبلغ جميل جدا ••• مبلغ يسر له قلب كل انسان • وددت لو أرى انسانا يحسب مل هذا المبلغ

تأفها ، فى هذه اللحظة ! ان مبلغا كهذا يمكن أن يمضى بالمرء بعيدا  
بعيدا •••»

« ولكن ماذا جرى ؟ أين ذهب بتروشكا اللعين » • كذلك تساءل  
السيد جوليا دكين ، ثم مضى بملابسه تلك نفسها يلقي نظرة على ما وراء  
الحاجز مرة أخرى • ليس بتروشكا هناك • ولكن ، فى مقابل ذلك ،  
ها هو ذا السماور الموضوع على الأرض ، المهجور ، يغلى غضبا ويهدد  
فى كل لحظة بأن يطفح ، حتى لكأنه يريد أن يقول للسيد جوليا دكين ،  
بلغته السرية اللغناء الموشوشة ، شيئا من هذا القليل : « هلا تناولتى  
يا سيدى الشهم • أنا مستعد • أنا مستعد كل الاستعداد » • قال السيد  
جوليا دكين لنفسه : « لعنه الله ••• هذا الكسلان ، هذا الأحمق الذى  
ينير الحق • أين ذهب يتسكع ؟ » •

استاء السيد جوليا دكين استياء له ما يسوغه ، فمضى الى حجرة  
المدخل ، وهى ممر بسيط صغير ينتهى بباب يطل على السلم ، فشق الباب  
فراى خادمه عندئذ وقد أحاط به جماعة من سكان المنزل وأناس ممن  
يضعون وقتهم فى الترترة • كان بتروشكا يقص عليهم حكاية وكانوا هم  
يصغون اليه • ولا بد أن الموضوع الذى كان يجرى عليه الحديث ، بل  
وجريان هذا الحديث أصلا ، لم يعجبا السيد جوليا دكين قط ، لأنه سرعان  
ما نادى بتروشكا وعاد الى غرفته مستاء استياء شديدا بل قولوا غاضبا  
حائقا • قال لنفسه : « ان هذا الوغد لا يتورع أن يبيع انسانا فى سبيل  
كوبك واحد ، ولا سيما مولاه ••• وقد فعل ذلك وانتهى الأمر •••  
باعنى ••• أراهن على أنه باعنى بأقل من كوبك » •

سأل السيد جوليا دكين خادمه :

— ماذا هناك ؟

— جىء بالبذلة يا سيدى ♦

— البسها وتعال ♦

ارتدى بتروشكا بذلته ودخل غرفة مولاه مبتسما ابتسامه بلهاء ♦  
كانت بذلته غريبة الى أبعد حدود الغرابة ♦ انها البذلة العادية التى يلبسها  
الحجاب ، ولكنها مهترئة كثيرا ، خضراء اللون ذات شرائط مذهبة ، قد  
تسلت خيطانها ، وبدا واضحا انها فصلت لرجل أطول من بتروشكا  
بنصف متر ♦

وكان بتروشكا يحمل بيده قبعة مزدانة بشرائط مذهبة وریش  
خضراء ♦ وعلى فخذه يتدلى سيف له غمد من جلد ♦ ويجب أن نذكر،  
اكتمالا للوحة ، أن بتروشكا ، على عادته الراسخة المتأصلة ، وهى عادة  
التجول بملابس المنزل التى تستحق أن توصف بأنها أكثر من مهملة ،  
كان حافى القدمين ♦

فتش السيد جوليا دكين خادمه من جميع النواحي ، فبدا راضيا عن  
هذا التفتيش ♦ واضح أن البذلة قد استؤجرت لمناسبة ذات أهمية ♦ ومن  
جهة أخرى كان بتروشكا ، أثناء هذا التفتيش ، يتابع بكثير من الانتباه ،  
كل حركة من حركات مولاه ، دالا على استطلاع شديد واهتمام غريب  
ينبىء بنفاد الصبر ، ولا شك فى أن هذا قد أربك السيد جوليا دكين  
كثيرا ♦

— طيب ♦ والعربة ؟

— العربة وصلت أيضا ♦

— للنهار كله ؟

— نعم للنهار كله ♦ خمسة وعشرون روبلا ♦

– هل حذاءى موجودان أيضا؟

– نعم •

– يا أبله ! ألا تستطيع أن تتكلم بأدب؟ ألا تستطيع أن تقول : نعم

سيدى؟ هات الحذاءين ••

لاح على السيد جوليا دكين أنه مبتهج أشد الابتهاج بحذاءيه الجديدين • وأمر لنفسه بعد ذلك بسأى ، وطلب الى بتروشكا أن يعد له ما يجب اعداده للاغتسال والحلاقة • وأنفق فى الحلاقة وقتا طويلا ، ثم أنفق فى الاغتسال وقتا أطول ، واحتسى الشأى على عجل ، من أجل أن يفرغ بعد ذلك للمهمة الكبرى ألا وهى البأس شخصه • ارتدى سرواليه اللذين يشبهان أن يكونا جديدين ، ولبس قميصا ذا أزرار مذهبة ، وصديرة تزيناها أزهار جميلة زاهية الألوان ، وعقد على عنقه ربطة عنق حرير مبرقش ، ثم ارتدى رديجوته ، الجديد أيضا ، الذى أحسن تنفيذه بالفرشاة •

وكان وهو يرتدى ثيابه ما ينفك يلقى على حذاءيه نظرات حب وحنان • فهو فى كل لحظة يرفع هذا أو ذاك منهما ليعجب بشكله ، مدمما بين أسنانه بكلام متصل لا يتوقف ، ومضيفا الى هذا الحديث الداخلى من حين الى حين علامات فى وجهه تفيض رضى •

يجب أن نقول مع ذلك ان السيد جوليا دكين كان فى ذلك الصباح ذاهلا بعض الذهول ولا شك ، لأن البسمات وحركات الوجه التى كان يرشقه بها بتروشكا وهو يساعده فى ارتداء ثيابه قد غابت عن انتباهه تماما • حتى اذا فرغ من ملبسه من القدمين الى الرأس ، وبعد أن أصلح زيه دون أن يغفل عن أيسر التفاصيل ، وضع محفظة نقوده فى جيب

ردنجاته • وكان بتروشكا أثناء ذلك قد دس قدميه في حذاءيه وأصبح على أتم تهيؤ •

فلما تأكد السيد جوليا دكين من أن جميع الاعدادات قد تمت ، وأنه لا شيء يوجب أن يبقيا في الغرفة بعد ذلك ، خرج يهبط السلم بخطى محمومة سريعة ، وقلبه يخفق خفقانا شديدا من فرط الانفعال •

وتقدمت نحو باب المبنى عربية زرقاء مزدانة بأشعرة الشرف والنسب ، محدثة ضجة كبيرة • تبادل بتروشكا بضع غمزات متواطئة مع الحوذي ومع المتسكعين الذين كانوا هنالك ، وهو يساعد مولاة في ركوب العربة؛ ثم صاح بالحوذي ، وهو لا يكاد يستطيع حبس ضحكة بلهاء ، قائلا له : « هيا » ، ووثب يستقر على الدكة في خلف • تحركت العربة وسط هدير الجلاجل وزمزمات العجلات متجهة نحو شارع نفسكي • فما ان تجاوزت العربة الزرقاء باب المنزل حتى أخذ السيد جوليا دكين يفرح يديه بحركات متشنجة ، وحتى أفلتت منه ضحكة طويلة صامتة هي ضحكة رجل ذى مزاج مرح استطاع أن ينجح في تدبير مكيدة موفقه ، فهو مبتهج بذلك من أعماق قلبه •

غير أن اندفاعه الفرح هذه قد انتهت بسرعة ، وظهر على وجه السيد جوليا دكين تعبير غريب يفيض قلعا •

وها هو ذا ، رغم رطوبة الجو ورغم الضباب ، ينزل زجاج الباب ، ويأخذ يتفرس المارة على جانبي الطريق وقد بان في وجهه الهم • ولكنه ما ان أحس أن الناس يلاحظونه حتى اصطنع هيئة اللفة بالنفس وتفنن بمظهر الوقار • فلما وصل الى ملتقى شارع ليتانيايا وشارع نفسكي أحس بقشعريرة لعل سببها أن يكون احساسا مزعجا ، فاذا بوجهه يتصعر تصعر وجه رجلٍ شقيٍ داس أحد الناس على دمل في قدمه سهوا ، ثم اذا

هو يرتقى الى أبعد ركن مظلم من العربية بحركة مباغثة تشبه أن تكون خائفة جزعة •

ذلك أن السيد جوليا دكين قد رأى اثنين من زملائه هما موظفان شابان يعملان في الدائرة التي يعمل هو فيها •

وقد أحس السيد جوليا دكين احساسا واضحا بأن زميله قد دهشا هما أيضا دهشة شديدة من الالتقاء بزميلهما في ظروف كهذه الظروف • فهذا أحدهما يشير الى السيد جوليا دكين بيده • وقد بدا للسيد جوليا دكين أيضا أنه يسمع الآخر يناديه باسمه بصوت عال ، وذلك أمر لا محل له في الشارع طبعاً •

بقى صاحبنا في ركن العربية دون أن يجيب • قال لنفسه : « يالهم من صيبة صغار ! أى عجب في هذا كله • رجل في عربية ، فأى عجب في هذا ؟ رجل في حاجة الى الذهاب بعسرية ، فذهب بعربة ••• أمر بسيط ••• حقا انهم لمزيلة ، هؤلاء الصيبة ••• أنا أعرفهم ••• صيبة يستحقون السوط - كل ما يهمهم هو أن يقبضوا أجورهم ويتجولوا هنا وهناك • لو كان الامر بيدي لوضعهم حيث يجب أن يكونوا ، ولكن حتى يكون لهذا نفع •••

ولم يكمل السيد جوليا دكين جملته ••• فانه قد ذعر حتى كاد يموت ذعرا حين رأى عربية فخمة تمر على يمين عربته ، يجرها حصانان من قازان ، وقد ألفت أن يراها • ان الشخص الجالس في هذه العربية قد لمح وجه السيد جوليا دكين الذي كان في تلك اللحظة قد أخرج رأسه من باب العربية طيشا • فبدأ على السيد أنه دهش دهشة كبيرة لهذه المصادفة التي لم تكن في الحسبان ، فمال ما استطاع الميل وأخذ يتفحص

بكثير من الاستطلاع والانتباه الركن الذى أسرع صاحبنا يقبع فيه من  
العربة •

كان هذا السيد هو اندره فيليوفتش ، الرئيس الادارى للقسم  
الذى يعمل فيه جوليا دكين مساعدا لمدير المكتب • فلما رأى جوليا دكين  
أن آندره فيليوفتش قد عرفه تماما وأنه يتفرس فيه بكل عينيه ، ولما  
أدرك من جهة أخرى أنه لا يستطيع الاختباء احمر احمرارا شديدا حتى  
الأذنين • قال فى نفسه : « أيجب علىّ أن أحييه ، أن أرد على علائم  
الاهتمام التى يبديها ، أن أكشف له عن نفسى ••• أم الأفضل أن أظاهر  
بأننى لست أنا بل شخص آخر يشبهنى شيها قويا ، وفى هذه الحالة أنظر  
اليه كأن لم يكن شيء ؟ ••• » • ان السيد جوليا دكين ما ينفك يلقى على  
نفسه هذه الأسئلة وقد تملكه ذعر لا يوصف • انه يدمدم قائلا : « نعم  
نعم ، لست أنا ، طبعاً ، لست أنا ، نازعا قبعتة أمام آندره فيليوفتش  
ناظرا اليه لا يحول بصره عنه ؟ وهو يتمتم بصوت يشبه أن يكون مختفيا :  
« أنا ، أنا ، ما أنا ، لا شيء ، يمينا لست أنا ، لست أنا حتما » • ولكن  
العربة الفخمة كانت قد تجاوزت عربة السيد جوليا دكين ، وكانت الجاذبية  
المغناطيسية فى نظرة رئيس السيد جوليا دكين قد غابت • ومع ذلك فان  
جوليا دكين الذى ما يزال أحمر الوجه مبتسما ، ظل يدمدم ••• وقال  
لنفسه أخيرا :

« ما كان أعبانى حين تظاهرت بأننى لم أعرفه ••• كان يجب علىّ  
أن أحييه ، نعم ، أن أحييه صراحة ، من مستوى واحد ، بل بشيء من  
الرفعة والنبيل •• تحية يمكن أن تقول له : « نعم يا آندره فيليوفتش ،  
أنا أيضا مدعو الى العشاء ••• الأمر بسيط جدا كما ترى » • وتعاوده  
ذكرى غلظته ، فيحترق شعورا بالحجل والعار ، ويقطب حاجبيه ، وينظر

الى مقدمة العربة كأنه يلتهمها بنظراته التهاما ، حتى ليحس من يراه أنه يريد أن يسحق بهذه النظرات جميع أعدائه وأن يحيلهم الى رماد • واوحى اليه بفكرة على حين فجأة ، فها هو ذا يشد الحبل المئبث فى كوع الحوذى ، فيأمر الحوذى بوقف العربة والعودة القهقرى الى شارع ليتاينايا • وكان سبب هذه الرجعة بسيطا : فقد شعر جوليا دكين فى تلك اللحظة برغبة لا سبيل الى مقاومتها فى أن يبوح بشيء هام جدا لطيبه كريستيان ايفانوفتش • وهو على كل حال لا يعرف طبيه هذا الا منذ زمن قصير جدا ، أو قل اذا شئت الدقة انه لم يره الا مرة واحدة ، وذلك فى الاسبوع الماضى • لقد استشاره يومئذ فى أمر طبي تافه • « ولكن ألا يشبه الطيب الكاهن من حيث أن على المرء أن يعترف له بكل شيء ؟ ان من الحمامة أن يخفى المرء عن طبيه أى شيء ( كذلك كان بطلنا يقول لنفسه وهو يخرج من العربة أمام مدخل منزل مؤلف من خمسة طوابق بشارع ليتاينايا ) « نعم ••• هو كذلك ••• أليس الأمر كذلك ؟ هل الأمر كذلك ؟ هل يجوز هذا ؟ هل هذا مناسب ؟ ولكن ••• أى ضمير فى هذا ؟ » • هكذا استمر جوليا دكين يدمدم وهو يصعد السلم متقطع الأنفاس لا يستطيع أن يهدىء دقات قلبه الا بكثير من العناء ، وهو قلب ألف أن يدق دقا قويا جدا متى كان بطلنا يصعد الى أحد الناس ••• نعم ، أى ضمير فى هذا ؟ أنا آت اليه من أجل صحتى • لا لوم علىّ فى هذا • أكون غيبا اذا أخفيت عنه • سأظاهر بأننى جئت اليه عابرا ••• وسوف يرى ما هو الأمر ••• وفيما كان جوليا دكين يفكر هذا التفكير وصل الى الطابق الثانى ووقف أمام باب الشقة رقم ٥ : هذه لوحة جميلة من نحاس قد نقش عليها :

كريستيان ايفانوفتش روتنشتبس

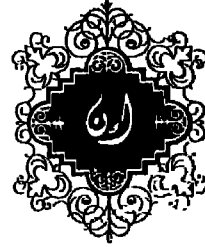
دكتور فى الطب والجراحة



واستفاد بطلنا من زمن التوقف هذا ليشكل لنفسه وجها باشا ،  
هانسا ، بل ولطيفا محبباً • وهم أن يشد جبل الجرس • غير أن فكرة  
برقت في ذهنه في هذه اللحظة نفسها، وهي فكرة في محلها جدا على كل  
حال • أليس من الأفضل تأجيل زيارته الى الغد؟ ما من حاجة اليها في  
هذا اليوم نفسه في الواقع ••• ولكنه سمع وقع خطوات على السلم  
فجأة ، فاذا هو ينفذ نقيض ما نواه ، فيدق جرس كريستيان ايفانوفتش ،  
وقد بدا في وجهه العزم والتصميم •



## الفصل الثاني



كريستيان ايفانوفتش روتشبتس ، الدكتور في  
الطب والجراحة ، رجل قوى البنية جيد الصحة  
وان يكن متقدما في السن • ان حاجيه الكتيفين  
ولحيتي وجنتيه قد أخذت تشيب • وان نظرة عينيه  
المعبرتين الساطعتين تبدو قادرة وحدها على أن تستأصل جميع الامراض •  
وهو يحمل على صدره وساما رفيعا • كان في ذلك الصباح جالسا على مقعد  
مريح في مكتبه يشرب فنجانا من القهوة جاءت به امرأته ، ويحرر في  
الوقت نفسه وصفات لمرضاه • لقد أمر منذ هنيهة بمرهم لرجل عجوز يعاني  
من البواسير ، فبعد أن شيعه حتى الباب ، عاد يجلس على مقعده منتظرا  
الزيارة القادمة • وفي تلك اللحظة انما دخل عليه السيد جوليا دكين •  
ان كل شيء يحمل على الاعتقاد بأن كريستيان ايفانوفتش لم يكن يتوقع  
هذه الزيارة قط ، بل وأنه لم يكن يرغب أبدا في رؤية السيد جوليا دكين  
أمامه ، فهنا ما يدل عليه الاضطراب المفاجيء الذي ظهر فيه ، والتعير

الغريب بل الغاضب الذى لاح في وجهه • والسيد جوليا دكين ، من جهته ، يشعر دائما بكثير من الضيق والخرج حين يكون عليه أن يواجه أحد الناس وأن يحدثه فى شؤنه • واذ لم يتسع وقته لتحضير مقدمة يبدأ بها كلامه - وذلك يشكل عنده عقبة كبيرة دائما - فقد اضطربت حاله فقدمم بيضع كلمات مشوشة يعتذر بها عن مجيئه ؛ ولم يعرف بعد ذلك أى وضع يتخذ ، فجلس على كرسى ، ولكنه لم يلبث أن لاحظ أن أحدا لم يدعه الى الجلوس ، ف شعر بأن عمله غير لائق ، فأراد أن يصلح ما اقترف من مخالفة للآداب الاجتماعية ، فأسرع ينهض عن الكرسى المقتصب ، ويقف على قدميه ؛ ثم تاب الى رشده ف شعر مضطربا بأنه قد ارتكب غلظتين متلاحقتين فاندفع يرتكب غلظة ثالثة • وأملا فى تبرير نفسه أخذ يجمع بأقوال غير مفهومة تصحبها ابتسامة شاحبة • وأخيرا احمر وجهه احمرارا شديدا ، واضطرب اضطرابا كبيرا ، فصمت ، وعاد الى مكانه على الكرسى ثم لم ينهض عنه • ومع ذلك فانه من أجل أن يسترد ثقته بنفسه لم ينس أن يرشق صاحبه بنظرة من تلك النظرات الناقبة التى تمتاز بمزية خارقة هى أنها تسحق جميع أعدائه وتحيلهم رمادا • وفوق هذا ، فقد كانت تلك النظرة تدل على استقلال بطلنا استقلالاً كاملا ، فهى تؤكد تأكيدا فصيحاً أن السيد جوليا دكين انسان سوى ، أنه رجل عادى ، كسائر الناس ، راض عن مصيره ولا يطلب المزيد •

تنحى كريستيان ايفانوفتش ، علامة الاستحسان لسلوك بطلنا ، ثم حذق اليه بنظرة فاحصة • فقال جوليا دكين مبتسما : « انما جئت يا كريستيان ايفانوفتش أطلب منك رحابة الصدر مرة أخرى •••  
كان واضحا أن السيد جوليا دكين يجد مشقة فى الاهتداء الى كلماته •••

قال كريستيان ايفانوفتش وهو ينفث نفثة كيفية من الدخان ويضع  
سيجاره على المائدة :

- همم ••• نعم نعم ••• عليك مع ذلك أن تواطب على استعمال  
الدواء الذى وصفه لك • ولقد سبق أن اوضحت لك ان علاجك انما  
يكون بتغيير عاداتك ••• أنت فى حاجة الى تسلييات تسرى عنك • أنت  
فى حاجة الى أصدقاء تتردد اليهم ••• أنت فى حاجة الى معاشره الناس  
ومخالطة المجتمع • وعليك فى الوقت نفسه أن لا تكون عدو الزجاجة  
وأن تصاحب أناسا يحبون الحياة ويقبلون عليها ويفرغون من مباحثها •

فأسرع السيد جولياكين يقول ، وهو لما يزل مبتسما ، انه يرى  
أن سلوكه سوى جدا ، شبيه بسلوك الآخرين ، وان تسليياته هى التسلييات  
التي يتعاطاها الآخرون ؟ وانه يستطيع خاصة أن يذهب الى المسرح ، وانه  
يملك ما هو فى حاجة اليه من مال كسائر الناس ؟ وانه يعمل صباحا فى  
مكتبه ويبقى مساء فى بيته ؟ أى انه انسان كسائر البشر . حتى لقد اتهمز  
السيد جولياكين هذه الفرصة فألمع الماعا خفيا الى اعتقاده بأنه ليس دون  
غيره من الناس ، فهو يملك شقة فى عمارة مناسبة ، حتى أن فى خدمته  
خادما هو بتروشكا • ولكن السيد جولياكين ، حين وصل الى هذا الموضع  
من حديثه ، توقف عن الكلام فجأة •

قال الطبيب :

- همم ••• لا ••• لا ••• أنا لم أتكلم عن هذا ••• ليس هذا ما أردت  
أن أطلبه منك • وانما أردت أن أعرف هل أنت على وجه العموم تحب  
صحبة الناس وتحب أن تنظر الى الحياة من جانبها الجميل ؟ ••• أى  
بكلمة واحدة : هل سلوكك فى الحياة هو سلوك انسان سوداوى أم هو  
سلوك انسان متفائل ؟

– أنا يا كريستيان ايفانوفتش ♦♦♦

قاطعہ الطیب قاتلا :

– هم ♦♦♦ أكرر : أنت في حاجة الى تغير طراز حياتك تغييرا جذريا • ان عليك أن تتغلب على « طبعك »

شدد كريستيان ايفانوفتش تشديدا قويا على كلمة «تغلب» ، وتجمع على نفسه في وضع ممتاز جدا ثم أردف يقول :

– عليك أن لا تهرب من التسليات ، عليك أن تختلف الى المسارح والحلقات ، عليك خاصة أن لا تهمل الزجاجة • اياك والبقاء في بيتك ، فليس ينفك في شيء أن تلازم بيتك •

دمدم جوليا دكين يقول وهو يرشق محدثه بنظرة مفهومة ويسدو عاجزا عن العنور على الكلمات التي يفصح بها عن فكره :

– أنا أحب الهدوء يا كريستيان ايفانوفتش • نحن في البيت اثنان فقط : أنا وبتروشكا ♦♦♦ أقصد خادمي يا كريستيان ايفانوفتش • أريد أن أقول بذلك يا كريستيان ايفانوفتش انني أسير في طريقي ، نعم ، في طريقي الخاص ، يا كريستيان ايفانوفتش • أنا مكنتف بنفسى ، ولست رهنا بأحد ، هذا اذا لم يخطيء ظني • على أن ذلك كله لا يمنعني من التزه يا كريستيان ايفانوفتش •

– ليس التزه في هذه الأيام بالمتع كثيرا ، فان الجو أقرب الى أن يعد رديئا •

– صحيح يا كريستيان ايفانوفتش • ورغم أنني بطبعي شديد التحفظ والانكماش على نفسي ، كما سبق أن تشرفت بايضاح ذلك لك فيما أعتقد ، فاني أتابع طريقي ، وهو طريق انغزالي • أنا أعرف أن

دروب الحياة واسعة ••• أعنى ••• أقصد ••• معذرة يا كريستيان  
ايفانوفتش ، لست قديرا فى مجال فصاحة اللسان •

- همم •• هكذا ؟

- أقول هذا يا كريستيان ايفانوفتش من أجل أن تعذرني اذا لم  
أعبر عن نفسى بفصاحة كافية •

كذلك نطق السيد جوليا دكين بلهجة فيها شيء من المطالبة ، وكان  
واضحا أنه يجد مشقة فى العثور على كلماته • وأردف يقول وهو يتسم  
ابتسامة غريبة :

- من هذه الناحية ، لست كسائر الناس يا كريستيان ايفانوفتش •  
فأنا لأجيد الحطب الطويلة والجمل الرشيق • ولكنى ، فى مقابل ذلك ،  
يا كريستيان ايفانوفتش ، أعمل ، نعم أعمل يا كريستيان ايفانوفتش •••

- همم ••• طيب ••• وماذا تعمل ؟

ساد الصمت لحظة • نظر الطبيب الى السيد جوليا دكين نظرة فاحصة  
مرتابة • كما ألقى السيد جوليا دكين على محدثه نظرة مثقلة بالحذر  
والشك •

تابع بطلنا يقول بلهجة شاكية تتم عن انزعاجه ، وقد بدا عليه  
الاضطراب ازاء هذا العناد القوى لدى محدثه :

- أنا يا كريستيان ايفانوفتش ••• أنا يا كريستيان ايفانوفتش •••  
أنا ••• أنا أحب الهدوء والسكون والركون ••• وأكره ذلك التحرك  
الكثير الذى يتحركه المرء فى المجتمع بغير طائل • فهناك ، أقصد فى  
المجتمع الراقى ، يجب على المرء أن يعرف كيف يصقل خشب الأرض  
بنتليه ( هنا ظهر على جوليا دكين أنه ينقر الأرض بكعب حدائه ) •••

نعم ... ذلك أمر مطلوب هناك ... ويجب على المرء هناك أن يحسن استعمال الجنس ... أن يعرف كيف يجامل وكيف يمدح بحذق وبراعة ... نعم ... كل ذلك لا بد منه هناك • وأنا يا كريستيان ايفانوفتش لم أتعلم شيئاً من هذا كله ... لم أتعلم فى حياتى هذه الحيل ... لم ينسح وقتى لتعلمها ... أنا امرؤ بسيط ، بلا مكر ولا دهاء ، ولا طلاء خارجى • فى هذا المجال ، يا كريستيان ايفانوفتش ، ليس لى قدرة ؛ أنا هنا ألقى سلاحى وأتركه تماماً •

نطق السيد جوليا دكين بهذه الأقوال الأخيرة بلهجة تدل دلالة بليغة على أنه لا يأسف أى أسف لالقاء سلاحه فى ميدان الترهات السخيفه ، وعلى أنه لا يأسف أى أسف لكونه غير حاذق فى حيل المجتمع ومكر الناس • وكان كريستيان ايفانوفتش يصنعى اليه مطرقاً وقد أطل شفتيه تعبيراً عن عدم الاستحسان • كان كمن يتوجس سرا • وأعقب كلام بطلنا المسهب صمت طويل •

قال كريستيان ايفانوفتش أخيراً بصوت خافت :

— أحسب أنك ابتعدت قليلاً عن موضوعك • أعترف لك بأننى لم أستطع أن أتابع تفكيرك الا بكثير من العناء •

— لست قديراً فى مجال الفصاحة يا كريستيان ايفانوفتش • لقد سبق أن تشرفت بذكر ذلك لك يا كريستيان ايفانوفتش • لا ... لست قديراً فى ميدان الفصاحة ( كذلك ردد السيد جوليا دكين بلهجة غدت على حين فجأة فاطمة جازمة مستبدة ) •

همهم الطيب :

— همم ...



واستأنف بطلنا كلامه يقول بصوت مخنوق لكنه وقور رصين ،  
متوقفا على كل جملة :

– كريستيان ايفانوفتشس ، حين دخلت عليك بدأت كلامي معندرا •  
والآن أريد أن أكرر ما سبق أن قلته ، ومن أجل ذلك أسألك التسامح  
ورحابة الصدر • ليس هناك ما أخفيه عنك يا كريستيان ايفانوفتشس • أنا  
انسان ليس له شأن يذكر يا كريستيان ايفانوفتشس ، وأنت تعلم ذلك •  
ولكننى لا يؤسفنى ، لحسن حظى ، أنتى انسان ليس له شأن يذكر •  
بالعكس يا كريستيان ايفانوفتشس • ومن اجل ان افصح عن دن فدى  
أقول لك اننى فخور بكونى انسانا ليس له شأن يذكر • ما أنا بالرجل  
الماكر الذى يدبر المكائد ••• وهذا أمر أعتر به أيضا • لا أقوم بعمل  
من الأعمال خفية ، بل أعمل صراحة ، فى وضخ النهار ، دون احتيال •  
ورغم أنتى قادر ، نعم قادر ، أنا أيضا ، على الايذاء ، فانتى لا أريد الايذاء  
يا كريستيان ايفانوفتشس ، لا أريد أن ألتخ نفسى ، بل أفضل أن تبقى  
يدى طاهرتين • ومع ذلك فأنا أعرف وسائل الايذاء ••• لكننى لا أريد  
أن أودى يا كريستيان ايفانوفتشس • أقول لك على سبيل الحقيقة والمعجاز  
ما ، اننى أغسل يدى وأطهرهما •

كأن السيد جوليا دكين منتعشا • وفى هذا الموضع من حديثه لزم  
لحظة من صمت بليغ جدا ، ثم أردف يقول :

– أنا أسير فى طريقى قداما يا كريستيان ايفانوفتشس ، فى وضخ  
النهار ، لا أبحث عن دروب ملتوية ، لأننى أحقر الأساليب الملتوية  
وأتركها لغيرى • ولست أرغب فى اذلال أناس لعلهم أشرف منك ومنى  
••• عفوا ••• أقصد أشرف منى ومن غيرى يا كريستيان ايفانوفتشس ،  
لا أشرف منك ومنى • اننى أكره الفخر • اننى أحقر النفاق الدنى ،

وأحقر الوسائيات والأقويل والنمائم • انى ألبس فناعا فى حفلة تقنع ،  
لا فى جميع الأيام ، تجاه جميع الناس • وأريد فى الختام أن ألقى عليك  
سؤالا يا كريستيان ايفانوفتش ، سؤالا واحدا : كيف تتقم أنت من عدو ،  
من عدو رهيب ، أو من عدو تعده رهيبا على الأقل ؟

هنا توقف جوليا دكين عن الكلام راشقا كريستيان ايفانوفتش بنظرة  
تحد • لقد صب كلامه المسهب المطب بوضوح وجلاء وثقة لا يدانيها  
وضوح ولا جلاء ولا ثقة ، فكان يزن كل قول من أقواله ساعيا الى احداث  
أقوى تأثير ممكن • ولكن ما ان أنهى خطابه حتى أخذ يتفرس فى محدثه  
وهو يشعر بقلق شديد ، بقلق عظيم • انه يلتهمه الآن بنظراته التهاما ،  
ينتظر جوابه خائفا وجلا مشوشا نافذ الصبر تفيض نفسه هما وغما • فما  
كان أشد استغرابه وذهوله حين لم يزد كريستيان ايفانوفتش على أن دمدم  
ببضع كلمات بين أسنانه ؛ ثم قرب كرسيه من المائدة وقال له بلهجة  
جافة ولكنها لا تخلو من أدب وتهذيب ، ان وقته ثمين جدا ، وانه لا يفهم  
هذه الأقوال كلها فهما واضحا ؛ وانه يظل مع ذلك فى خدمته وتحت  
تصرفه ، ولكن فى حدود اختصاصه ، أما فى كل ما عدا ذلك فلا يتحمل  
أية تبعه • قال الطيب ذلك ثم أخرج ريشة ، وتناول ورقة فثناها ثم  
قطعها على قد الورقة التى تكتب عليها الوصفات الطبية ، ثم أعلن لبطلنا  
أنه سيفى له علاجاً مناسباً •

تمتم جوليا دكين وهو ينتصب على قدميه ويخطف يد الطيب اليمنى:

— لا •• لا •• يا كريستيان ايفانوفتش ••• لا حاجة الى هذا ••  
لا حاجة الى هذا البتة • حقا يا كريستيان ايفانوفتش لا ضرورة لهذا •

ولكن بينما كان السيد جوليا دكين يقول هذا الكلام كان شخصه  
يعانى تحولا غريبا • ان بروقا عجيبية تومض فى عينيه الرماديتين ، وان

ارتجافا اختلاجيا يهز شفتيه ، وان عضلات وجهه ترتعش • ان جسمه كله ينبض • واستطاع بالاستمرار في حركته الأولى أن يوقف يد الطبيب ، ثم تسمر في مكانه جامدا لا يتحرك ، ولاح عليه أنه يتردد منتظرا أن يوحى اليه بما يجب عليه أن يفعله •

مشهد غريب جرى عندئذ بين الرجلين • الطبيب متحير لحظة ، مسمر على كرسيه ، ثم فاقد صبره ، محمق في السيد جوليا دكين • وجوليا دكين يحدق الى الطبيب هو أيضا بهذه الشدة نفسها وهذا العنف نفسه • وينتصب كريستيان ايفانوفتش أخيرا ، متشبها بياقة رندنجوت زبونه • فيقف الرجلان وجها لوجه لحظات ، جامدين صامتين ، لا يحول أحد منهما بصره عن صاحبه • وعندئذ يظهر الرد الثاني لدى السيد جوليا دكين ، يظهر ظهورا مباغتا غريبا ليس في الحسبان • ان شفتيه تختلجان ، وان ذقنه ترتجف ارتجافات عنيفة ، وها هو ذا ينفجر آخر الأمر بأقيا • انه يشهق ، ويهز رأسه ، ويلطم صدره بيده اليمنى ، بينما يده اليسرى متشنجة على ياقة سترة كريستيان ايفانوفتش • أراد أن يتمم بضع كلمات ، أراد أن يقدم بعض الشروح ، ولكن ما من كلمة أمكن أن تخرج من فمه •

واستطاع كريستيان ايفانوفتش أخيرا أن يثوب من ذهوله الطارىء

وأن يعود الى صوابه •

دمدم يقول وهو يدفع السيد جوليا دكين الى المقعد :

— كفى ، أرجوك ، هدىء نفسك ، أقعد •

قال السيد جوليا دكين بصوت أصم مهموم :

— لى أعداء يا كريستيان ايفانوفتش ، نعم ، لى أعداء • أعداء عتاة

ألوا على أنفسهم أن يضيعونى •••

– هيا ••• دعك من هذا ! ••• أى أعداء هم هؤلاء ! ما ينبغي لك أن تفكر فى أعدائك • اقم اقم •••

بذلك ختم الطيب كلامه وقد استطاع أخيرا أن يقعد السيد جوليا دكين •

كف بطلنا عن الهيجان • ولكن عينيه ما تزالان ثابتتين على وجه كريستيان ايفانوفتش • وكان واضحا أن كريستيان ايفانوفتش منزعج فهو يذرع العرقه طولاً وعرضاً • وساد صمت طويل •

قال السيد جوليا دكين أخيراً ، وهو ينهض منكسر النفس مغلوباً :

– أشكرك يا كريستيان ايفانوفتش ، أشكرك شكراً لا حدود له • اننى متأثر أشد التأثير بكل ما صنعته من أجلى اليوم • لن أنسى فضلك ما حيت ، وسأظل معترفاً بجميلك أبداً الدهر •

فكان رد الطيب على هذه المحاولة الجديدة من السيد جوليا دكين أن قال له :

– كفى ••• أقول لك كفى ••• هدىء نفسك •

ثم أضاف وهو يدفعه مرة أخرى الى الكرسي :

– قل لى الآن : ما الذى يشغل بالك ، ما الذى يقلق نفسك ؟ حدثنى عن متاعبك ••• وقل لى قبل كل شىء : من هم هؤلاء الأعداء الذين تشير اليهم ؟ ما الذى يجرى على غير ما تحب ؟

قال السيد جوليا دكين مطرفاً الى الأرض :

– لا ••• يا كريستيان ايفانوفتش ، لا ••• دعنا من هذا كله الآن ••• سنتحدث فيه مرة أخرى ••• دعنا من هذا كله ليوم آخر ، ليوم

أنسب من هذا اليوم يا كريستيان ايفانوفتش ، ليوم يصبح فيه كل شيء واضحاً ، ليوم تسقط فيه الأقنعة عن بعض الوجوه .. نعم ، ليوم ينجلي فيه كل شيء . أما الآن ... أقصد ... بعد كل ما جرى بيننا ... تعرف ذلك بنفسك يا كريستيان ايفانوفتش ... فاسمح لي أن أتمنى لك يوماً سعيداً يا كريستيان ايفانوفتش ..

بهذا ختم السيد جوليا دكين كلامه ناهضاً متاولاً قبعته ، وقد لاح في وجهه الحزم .

– لك ما تشاء .. همم ..

وصمت الطيب لحظة ثم أردف يقول :

– اعلم على كل حال أنني ، من جهتي ، سأفعل كل ما يمكنني أن أفعله ... اعلم أنني أريد لك الخير صادفاً كل الصدق .

– أنا أفهمك يا كريستيان ايفانوفتش ، أنا أفهمك . نعم ، أفهمك كل الفهم اليوم ... ومهما يكن من أمر ، فأرجوك أن تغفر لي ازعاجي اياك يا كريستيان ايفانوفتش ..

– همم ... لا ... ليس هذا ما أردت أن أقوله . على كل حال ، افعل ما يحلو لك . وواظب على العلاج كالعادة .

– سأواظب على العلاج ، كالعادة ، كما أمرتني يا كريستيان ايفانوفتش ، نعم ... سأواظب ... وسأشترى الدواء من الصيدلية نفسها ... ليست الصيدلة في أيامنا هذه بالتجارة البسيطة يا كريستيان ايفانوفتش .

– بأي معنى تقول هذا ؟

بالمعنى العادى يا كريستيان ايفانوفتش ، أريد أن أقول بذلك  
ان الأمور تجرى على هذا النحو فى هذه الأيام ♦♦

- همم ♦♦♦

- نعم ، وان أيسر شاب رقيق ، لا الصيادلة وحدهم ، يسمح لنفسه  
اليوم بجميع الوقاحات فى معاملة انسان خير ♦

- همم ♦♦♦ ماذا تقصد ؟

- أقصد يا كريستيان ايفانوفتش شخصا بعينه نعرفه جميعا  
يا كريستيان ايفانوفتش ، نعرفه حق المعرفة ، أنا وأنت ♦♦♦ أقصد فلاديمير  
سيميونوفتش ، اذا شئت أن أسميه ♦♦♦

- ها ♦♦♦

- نعم يا كريستيان ايفانوفتش ، ولكننى أعرف كذلك أناسا  
لا يتورعون عن مجافاة آداب المجتمع من أجل أن يقولوا ما يفكرون فيه ♦

- ها ♦♦ كيف ذلك ؟

- الأمر بسيط ♦ ولكن هذه الحالة حالة خاصة فى حقيقة الأمر ♦  
هناك أناس يعرفون ، عند اللزوم ، أن يقدموا لك طبقا من الطعام هو  
حسك بالقشدة !

- حسك بالقشدة ؟

- نعم ♦♦ حسك بالقشدة ♦♦ يا كريستيان ايفانوفتش ♦♦♦ هذا  
تعبير شعبى ♦♦♦ نعم ، هناك أناس يعرفون كيف يخفون خبثهم وراء ستار  
من الملاطفة ♦♦♦ هناك أناس من هذا القبيل يا كريستيان ايفانوفتش ♦

- الملاطفة ؟

– نعم ، الملاطفة •• التهئة •• اليك المثل : كان على أحد أصدقائي الحميمين ، فى هذه الأيام الأخيرة •••  
– ماذا كان عليه ؟

كذلك سأل الطيب وهو يتفرس وجه السيد جوليا دكين باتسباه شديد :

– نعم ، كان على أحد أصدقائي الحميمين أن يهنئ صديقا آخر من أصدقائي ، وهو رجل محبب جدا ، لطيف جدا ، يمكن أن يسمى صديقا ممتازا • لقد رفى هذا الصديق الثانى الى درجة أعلى فى الادارة التى يعمل فيها ، فاليك العبارات التى قالها له الصديق الأول مهنتا : «يسعدنى أعمق السعادة يا فلاديمير سيمينوفتش أن أقدم اليك تهانى ، أن أقدم أصدق تهانى ، ومما يزيدنى سعادة أن الزمان الذى نعيش فيه ، كما لا يجهل ذلك أحد ، هو زمان أبناء ذوى الغنى والنفوذ » •

كان السيد جوليا دكين يشفع كلماته الأخيرة هذه بتحريك رأسه تحريكا يفيض بمعاني الدهاء ، ويشفعها بغمزات مكر يوجهها الى محدثه :  
– همم ••• اذن هذا ما قاله له ؟

– نعم هذا ما قاله له يا كريستيان ايفانوفتش ، قاله له بهذا النص نفسه ، قاله وهو يحدق أيضا فى عيني آندره فلبليوفتش ، عمّ صاحبنا ، عمّ فلاديمير سيمينوفتش •

وفى الواقع يا كريستيان ايفانوفتش ، فيم يهمنى أن يرقى الى رتبة معاون قاض ، فيم يهمنى ذلك ؟ وأكثر من هذا أنه يريد أن يتزوج ، على أن حليب مرضعته لما يجف على شفثيه ، اذا أذنت لى بهذا التعبير ••

نعم \*\*\* لقد قلت لهذا الفلاديمير سيمينوفتشس \*\*\* هاقد ذكرت لك كل شيء \*\*\* فاسمح لى أن أنصرف \*

- همم \*\*

- نعم يا كريستيان ايفانوفتشس ، اسمح لى الآن أن أنصرف \* وبعد الالماع الى أبناء ذوى الغنى والنفوذ ، أردت أن أصيب بحجر واحد طارين \* كنا عند أولسوفى ايفانوفتشس \* وكان ذلك أول أمس \* فالتفت نحو كلارا أولسوفينا التى كانت قد غنت أغنية عاطفية ، وقلت لها : « لقد غنت هذه الاغنية بكثير من العاطفة فى الواقع ، ولكن الذين استمعوا اليك لم يعجبوا بك بقلب نقى جدا \* \* » كانت غمزتى واضحة جدا جدا يا كريستيان ايفانوفتشس \* أنت تفهمها حق الفهم \* لقد أفصحت لها بهذه الغمزة افصاحا واضحا عن أن الذين يستمعون اليها لا ينشدونها هى ، بل ينشدون من ورائها شيئا آخر \*

- آ \*\*\* وماذا فعل هو ؟

- بلعها \*\*\* يا كريستيان ايفانوفتشس \*\*\* على حد التعبير الشعبى \*

- همم \*\*\*

- نعم \*\* تماما يا كريستيان ايفانوفتشس \* أما الشيخ ، أبو الآمنة ، فقد قلت له : « أولسوفى ايفانوفتشس ، أنا أعرف كل ما أدين لك به ، وأقدر ما أسبغته على من حسنات منذ طفولتى حق قدره \* ولكننى أرجوك أن تفتح عينيك يا أولسوفى ايفانوفتشس \* انظر حواليك ! أما أنا فأحاول أن أخرج المسألة الى الضوء يا أولسوفى ايفانوفتشس » \*

- آ \*\*\* هكذا \*\*\*

- تماما يا كريستيان ايفانوفتشس \* \* هكذا \*\*

- وهو ، عندئذ ؟



— هو ؟ ماذا تتوقع أن يعمل يا كريستيان ايفانوفتش ؟ لقد أخذ يهرق ويخبط في كلامه خبط عشواء ••• قال لى : « أنا أعرفك جيدا ••• ان صاحب المعالي انسان يفيض كرما وجودا ••• » ، ثم استرسل في حديث غامض مبهم : ماذا تتوقع ؟ لقد أخرفت السنون عقله كما يقال •

— ها ••• اذن هكذا جرت الأمور •

— تماما يا كريستيان ايفانوفتش • ونحن جميعا كذلك • هو شيخ عجوز ، قلت لك ذلك • احدى قدميه في القبر ، كما يقال ، ولكن يكفى أن تسترسل أمامه في نائم حتى يصبح آذانا مصغية •

— نائم ؟

— تماما يا كريستيان ايفانوفتش • انهم يجيكون الآن مؤامرة • والدب الكبير ، العم ، أسرع يضع يده في العجين ، وكذلك ابن الأخ ، صاحبنا الصبى ، طبعا ! ••• لقد تواطئوا مع عدد من النساء العجائز ، ولا شك أنهم طبخوا طبقا على طريقتهم ••• هل تعرف ماذا اخترعوا من أجل أن يقتلوا انسانا ؟

— من أجل أن يقتلوا انسانا ؟

— تماما يا كريستيان ايفانوفتش ، من أجل أن يقتلوا انسانا • من أجل أن يقتلوه معنويا • أطلقوا شائعة ••• ما زلت أفصد صديقى الحميم فى الواقع ••• فهمته ؟

أنغض كريستيان ايفانوفتش رأسه ، علامة التأييد •

— نعم ••• روجوا عنه اشاعة ••• أعترف لك يا كريستيان

ايفانوفتش أنتى أستحى أن أذكر لك الاشاعة التى روجوها •••

- هممم ...
- أشاعوا عنه أنه قد تعهد تعهدا رسميا بالزواج ... أنه قد خطب  
أخرى ... هل تصور هذه الأخرى التي أشاعوا أنه خطبها ؟
- صحيح ؟
- صاحبة معطم حقير ، ألمانية ، امرأة عامية ، يتناول وجباته في  
مطعمها • زعموا أنه خطبها • سدادا لديونها عليه •
- هم الذين يحكون هذا ؟
- هل تصدق يا كريستيان ايفانوفتش ؟ هذه الألمانية ، الحظيرة ،  
الدينثة ، التي لا حياة لها ، هذه الكارولين ايفانوفنا ... أتعرفها ؟
- أتعرف أتى من جهتى ...
- أفهمك يا كريستيان ايفانوفتش ، أفهمك • أنا أيضا ، من جهتى ،  
أحس أن ...
- قل لى من فضلك : أين تسكن الآن ؟
- أين أسكن يا كريستيان ايفانوفتش ؟
- نعم •• أريد أن أعرف •• أظن أنك كنت فى الماضى تعيش ••
- صحيح يا كريستيان ايفانوفتش ، كنت أعيش ، كنت أعيش •••  
نعم ، كنت فى الماضى أعيش ••• هذا واقع ••• كنت أعيش •••
- كان السيد جوليا دكين يجب بذلك مرفقا كلماته بضحكة نهيلة •  
• ولاح أن جوابه قد بث القلق والاضطراب فى نفس محدثه •
- قال الطيب :
- لا ••• لقد أسأت فهم سؤالى ••• أردت أن أقول انى من  
جهتى •••

— أنا أيضا أردت أن أقول يا كريستيان ايفانوفتش ، اننى من

♦♦♦ جهتى

كذلك قال السيد جوليا دكين ضاحكا • ولكن يظهر اننى اطلت  
زيارتى يا كريستيان ايفانوفتش • آمل أن تأذن لى بالانصراف الآن •♦

— همم ♦♦♦

— تماما يا كريستيان ايفانوفتش ، أنا أفهمك ، أنا أفهمك كل الفهم

♦♦♦ وأخيرا اسمح لى أن أتمنى لك يوما سعيدا •

هكذا ردد السيد جوليا دكين بغير أى كلفة أو حرج ازاء محدثه •  
ثم انحنى محيا وخرج من الغرفة ، تاركا الطيب فى ذروة الدهول ♦♦  
هبط السلم وهو يتشم ابتسامة مشرقة ، ويفرك يديه فرحا مرحا • حتى  
اذا صار عند باب العمارة استنشق الهواء النقي ، وشعر بتحرر وانطلاق •  
وأوشك أن يعد نفسه أسعد انسان على وجه الأرض ، وهم أن يتجه  
نحو مكتبه ، لولا أنه سمع فجأة قرعة عجلات ورنين جلاجل ♦♦♦ انها  
عربة واقفة أمام الباب • فرفع عينيه وتذكر كل شيء • وفتح بتروشكا  
باب العربة • فشعر السيد جوليا دكين فى هذه اللحظة باحساس غريب  
أليم • واصطبغ وجهه بحمرة بضع لحظات • لكأن قلبه قد طعن ♦♦  
ووضع قدمه على درجة العربة ، ثم التفت ينظر نحو نوافذ كريستيان  
ايفانوفتش • لقد حزر ! كان الطيب واقفا هنالك يرقبه مستطلعا متعجبا ،  
يلعب لحيته بيده اليمنى • قال جوليا دكين لنفسه وهو يرتدى فى ركن  
من العربة : « هذا الطيب غبى • نعم ، غبى جدا • قد يكون بارعا فى  
معالجة مرضاه • ولكن ذلك لا يمنع أنه غبى كأوزة » •

استقر السيد جوليا دكين فى العربة أخيرا • وعوى بتروشكا يقول

للسائق : « هيا » • ودرجت العربة من جديد متجهة نحو شارع نفسكى •



## الفصل الثالث

ذلك الصباح فى حركة جهنمية •

فحين وصلت العربة الى شارع نفسكى ،  
امر السيد جوليا دكين بالوقوف على مقربة من  
جوسيتينى دفور ، ثم قفز من العربة وأسرع



يدخل تحت القناطر يحاديه خادمه الوفى بتروشكا ، وماهى اللحظة حتى  
دن فى أحد مخازن المصوغات الذهبية والفضية ، ولم يلبث ، وقد بدا مرهقا  
ب'هسوم والنعاب النقال ، يسسوم على طقم كامل للمائدة ، وعلى طقم  
للتماهى ، فاستطاع ان يحصل عليهما بألف وخمسمائة روبل ، وبهذا  
انسر نفسه حصل على عليه سيجار أخاذة المظهر وعلى طقم كامل من  
أمواس الحرافه بالمضه ، واهتم أيضا ببعض الأشياء المفيدة والجميلة ،  
روسد وعدا جازما فى اخر الأمر بان يعود ندا ، بل بان يرسل أحدا بعد  
اعنهر لاستلام هذه المشنرات ، وحرص على ان يسجل عنوان المخزن  
دقيقا ، واسمى باسياه الى الباتم الذى أثار مسألة العربون ، فوعده بان  
يدفمها فى الوقت المناسب ، ثم ودع الباتم المشدوه مسرعا وخرج • طقف

السيد جوليا دكين الشارع دون أن يحول بصره عن بتروشكا، يتبعه رهط من أصحاب الدكاكين • وكان واضحا أنه يبحث عن مخزن آخر • وفيما هو يطوف الشارع توقف عند أحد « الصرافين » ، فأبدل أوراقه المالية الكبيرة بأوراق مالية صغيرة ، وبدا ، رغم خسارته في التبديل ، معتببا بهذه العملية اغتباطا كبيرا ، لأنها ضخمت حجم محفظته تضيخا واضحا • وبعد ذلك دخل مخزن أقمشة للسيدات ، فأوصى هنالك أيضا على أشياء كثيرة ، متعهدا تعهدا قاطعا بأن يعود في الغداة ، وسجل كذلك العنوان ، وأجاب على سؤال البائع عن العربون بأنه سيدفعه في حينه • ثم دخل دكاكين أخرى ، فسأل عن أسعار أشياء شتى ، مساوماً في كل مكان ، تاركا مخزنا من المخازن ليعود اليه بعد قليل ، مناقشا التجار حول الأسعار مناقشة طويلة لا تنتهي ، باذلا نشاطا كبيرا على وجه العموم • حتى اذا ترك حتى جوسيتيني دفور ، اتجه الى مخازن عرض الأثاث ، فسأل عن اثاث كامل لست حجرات ، وتلبث طويلا أمام مفعد طريف من المقاعد التي تعد « آخر صيحة » من صيحات الموضة ، ثم خرج من المخزن بعد أن تعهد للبائع بأن يرسل من يستلم هذه الأشياء كلها حالا ، وبعد أن وعد بدفع عربون على عادته •

وزار مخزنا آخر من مخازن عرض الأثاث أيضا ، فأوصى على أشياء أخرى • كان يبدو أن حاجته الى بذل النشاط لا ينضب لها معين • ومع ذلك فقد لاح عليه آخر الأمر أنه سئم هذا المكر كله • حتى لقد أخذ ضميره يعذبه ندامة على حين فجأة ، لا يدري الا الله لماذا • • وهو ، خاصة ، لا يتمنى في هذه اللحظة ، على أية حال من الأحوال ، أن يجد نفسه وجها لوجه أمام آندره فيليتش ، أو حتى أمام كريستيان ايفانوفتش • • وفي أثناء ذلك دفت الساعة الثالثة • فاستقر السيد جوليا دكين في

عربته • لقد أنهى أعمال الشراء التي سعى فيها ، فلم يشتتر بعد نهار من البحث الا قفازين وزجاجة عطر برويل ونصف روبل •

ولا يزال أمامه متسع من الوقت • لذلك أمر الحوذى أن يمضى به الى مطعم مشهور فى شارع نفسكى كان لا يعرفه الا بالاسم • فلما وصل الى المطعم خرج من عربته وأسرع يدخل قاعته ، بنية الاستراحة قليلا ، وتناول أكلة خفيفة ، وانتظار « ساعته » خاصة • أكل كما يأكل امرؤ ينتظر عشاء هاما دسما ، فيقرر أن يطعم شيئا يخادع به الجوع • وشرب كذلك كأسا صغيرا من الفودكا ، ثم قبع فى أحد المقاعد ، وبعد أن أجال بصره فى القاعة ، استغرق بهدوء فى قراءة جريدة وطنية صغيرة •

قرأ سطرين أو ثلاثة أسطر ، ثم نهض ينظر الى نفسه فى المرآة ، فرتب شعره وهندامه قليلا ، ثم اقترب من النافذة فألقى نظرة ليتأكد من أن عربته لا تزال فى مكانها ••• وعاد أخيرا الى مقعده وتناول جريدته من جديد ••

كان واضحا انه فلق مضطرب • وألقى نظرة على الساعة المعلقة فى الحائط فعلم أن الساعه هي الثالثة والربع • لا يزال عليه أن ينتظر مدة طويلة • وقدر السيد جولياكين أنه ليس من اللائق كثيرا أن يبقى أمام مائدة خالية ، فأمر لنفسه بفتحجان من الشوكولاته ، رغم انه لم تكن به أية رغبة فى احتساء شئ من الشوكولاته فى تلك اللحظة والحق يقال • شرب الشوكولاته • فلما لاحظ بعدئذ أن عقرب الساعة قد قطع مسافة طويلة نهض ليدفع الحساب • وفى تلك اللحظة تفره أحد على كتفه • قالت فرأى أمامه اثنين من زملائه هما اللذان التقى بهما صباحا فى شارع ليتاينايا - وهما شابان مبتدئان فى الحياة وفى الوظيفة الحكومية ، وكانت

علاقة بطلنا بهما علاقة ملتبس ، فلا هي علاقة مودة ، ولا هي علاقة عداوة  
صريحة ♦

كان الطرفان كلاهما يحاولان أن يراعى قواعد اللياقة ، ولكن كان  
يبدو أن قيام تقارب وثيق بينهما أمر مستحيل ♦ أما فى اللحظة الحاضرة  
فقد لاح أن هذا اللقاء قد أزعج السيد جوليا دكين كثيرا ، فهو يقطب  
حاجبيه ، بل يبدو مضطربا خلال بضع لحظات ♦

وسرعان ما أخذ الشابان الموظفان يزقزان قائلين :

– يا كوف بتروفتش ، يا كوف بتروفتش ! أأنت هنا ؟ يالها من  
مصادفة !

فأسرع السيد جوليا دكين يقاطعهما وقد انزعج قليلا بل استاء من  
هذه الدهشة التى أظهرها الموظفان على هذا النحو الفج ، وبهذه الطريقة  
التى ليس فيها تحرج ولا كلفة ، أسرع يقاطعهما قائلا :

– ها ... هذا أتما أيها السيدان ♦

ثم اصطنع لهجة انطلاق كاذب وجرأة زائفة ، فقال :

– أتما اذن هاربان أيها السيدان ! هه هه هه !

ومن أجل أن يبرز المسافة بينه وبينهما ، ومن أجل أن يرد هذين  
الشابين الغرين الطائشين الى مكانهما ، حرك يده بحركة من يريد أن  
يربت على كتفى واحد منهما ♦ ولكن طابع الألفة الملائمة التى أراد أن  
يطبع به حركته لم يوفق ، فبدلا من أن يقوم بحركة هادئة محتشمة فعل  
شيئا آخر تماما ♦ وسأل الشابين :

– وبعد ... ألا يزال صاحبنا الدب فى المكتب ؟



– من تقصد يا ياكوف بتروفشس ؟

– الدب ••• ألا تعرفان من يطلق عليه اسم الدب ؟

قال جوليا دكين ذلك وأخذ يضحك • والتفت نحو المستخدم يتناول باقي الدراهم ، ثم أضاف :

– هو آندره فيلييتشس طبعاً !

وضع النقود في جيبه ، ثم كرر سؤاله بلمهجة جادة جدا هذه المرة • فتبادل الموظفان نظرة ذات دلالة ، وقال أحدهما يجيبه :

– نعم يا ياكوف بتروفشس ••• انه لا يزال في المكتب ، حتى لقد طلبك •

– ها ••• لا يزال هناك ••• طيب ••• فليبق هناك • وقد طلبني اذن ؟

– نعم طلبك يا ياكوف بتروفشس • ولكن ماذا جرى لك ؟ أراك متعطرا متدهنا ••• أنيقا كل الأناقة !

– نعم ، أيها السيدان ، نعم ••• الخلاصة •••

قال السيد جوليا دكين ذلك وحول عنهما بصره محاولاً أن يتسّم ••• واذ رأى الموظفان انه يتسّم أخذوا يضحكان مقهقهين قهقهة صاخبة • فقطب السيد جوليا دكين وعبس ، ثم قال بعد لحظة صمت ، عازماً ، فيما يظهر ، على أن يكشف لهما عن حقيقة هامة :

– أحب أن أقول لكما ، أيها السيدان ، على مودة وصدافة ، انكما لم تعرفاني حتى الآن الا في ضوء معين ••• ولست ألوم آيا منكما على ذلك • ولعلني أنا المسئول عنه •

زم السيد جوليا دكين شفقيه وتفريس فى محدثيه وقد بدا فى وجهه  
الجد والوفار • فتبادل الشابين مرة أخرى نظرة عجلى مختلسة •

— انكما ، أيها السيدان ، لما تعرفانى بعد • وليس من المناسب فى  
هذه الساعة وفى هذا المكان أن أسرح لكما من أنا • ولكننى أحب أن  
أقول لكما بضع كلمات عابرا • ان هناك ، أيها السيدان ، أناسا لا يحبون  
الطرق الملتوية كثيرا ، ولا يلبسون فناعا الا حين يذهبون الى حفلة مقنعة ،  
أناسا يؤمنون بأن حياتهم يجب ألا تنقضى فى تعلم اتقان تلميع البلاط  
بنعالهم • وان هناك أيضا ، أيها السيدان ، أناسا لا يعدون أنفسهم فى  
ذروة السعادة حين يرتدون سراويل جميلة التفصيل • وان هناك ، آخر  
الأمر ، أناسا يكرهون أن يتحركوا كثيرا فيما لا طائل تحته ، ويحتقرون  
الاستعراضات والدسائس والتملق ، ويتحاشون فوق ذلك كله ، أيها  
السيدان ، أن يحشروا أنوفهم حيث لا يجب أن تكون • والآن اسمحوا  
أن أستأذنكم بالانصراف •

توقف جوليا دكين عن الكلام • وبدا على الشابين الموظفين أنهما  
مسروران بكلامه المسهب كل السرور ، لأنهما لم يلبتا أن انفجرا ضاحكين  
فى كثير من الوفاحة • التهب السيد جوليا دكين غيظا وقال :

— اضحكا أيها السيدان •• اضحكا ما اتسع وقتكما للضحك ••

ثم أضاف مستاءً وهو يتناول قبعته ويتجه نحو الباب :

— من يعيش ير ••

ولكنه عاد يلنفت نحوهما مرة أخيرة ليقول :

— ومع ذلك أيها السيدان ، أحب أن أقول لكما أيضا ، أحب أن  
أذهب الى أبعد من ذلك ، مادنا هنا بين أربعة جدران ، فأقول لكما :

هذه مبادئ في الحياة : « الصمود عند الاخفاق ، رباطة الجأش عند النجاح ، والامتناع عن الاضرار بأحد على أية حال من الأحوال » . لست بالرجل الذي يحسن تدبير المكائد ، واني بذلك لفخور . لست أصلح للدبلوماسية . يقال أيها السيدان ان الطائر يطير نحو الصياد قدما . الا أن في هذا القول نصيبا من صدق ، واني لأصدقه على كل حال . ولكن قولنا لى : من الصياد ومن الطائر في عالمنا هذا ؟ ... تلكما مسألة يجب أن تناقش أيها السيدان .

وبعد لحظة من صمت يفيض بلاغة ، اصطنع السيد جوليا دكين هيئة أخرى جادة وقورة الى ابعاد حدود الجد والوقار ، ثم حيا محدثيه مقطب الحاجبين مزوم الشفتين ، وخرج تاركا صاحبيه على أشد حالة من الدهول .

سأله بتروشكا بلهجة قاسية ، وقد بدا عليه السأم من التجول في هذا البرد القارص :

— الى أين نذهب الآن ؟

وكرر سؤاله ، فاذا هو يلتقى بنظرة رهيبة صاعقة ، بتلك النظرة التي سبق أن استعملها السيد جوليا دكين مرتين في الصباح ، ولجأ اليها الآن مرة أخرى وهو يهبط درجات باب المطعم .

— الى جسر اسماعيلوفسكى .

صاح بتروشكا :

— الى جسر اسماعيلوفسكى . هيا ! ...

« المفروض ألا يبدأ العشاء عندهم قبل الساعة الرابعة ... وقد لا يبدأ قبل الخامسة ... ألسنت اذن ذاهبا قبل الأوان ؟ ولكن ماذا لو

وصلت قبل الموعد ! هذا عشاء عائلى • نعم ••• أستطيع أن أسمح لنمسي بالمجئء دون التقيء « بالرسميات » ••• « بغير كلفة » كما يقال فى أوساط الناس المهذبن • لماذا لا يكون من حقى أن أتصرف « بغير كلفة » ؟ لقد أنبأنا الدب أن كل شىء سيكون « بغير كلفة » فى منزلهم ••• فلماذا لا أستعمل أنا هذا الحق ؟ ••• ، ذلك كان مجرى خواطر السيد جوليا دكين أثناء الطريق • ومع ذلك كان اضطرابه ما ينفك يزداد • كان واضحا أنه يتهاى لمواجهة موقف حرج شائك ، اذا لم نقل أكثر من ذلك • كان السيد جوليا دكين يهمس ، ويلوح بيده اليمنى ، وينظر من خلال باب العربة بغير انقطاع •

حقا ان من يراه فى هذه اللحظة على حالته تلك ، لا يمكن أن يتصور أنه ذاهب الى عشاء ، الى عشاء عائلى ، « بغير كلفة » ، كما يقال فى أوساط الناس المهذبن • ووصل أخيرا قرب جسر اسماعيلوفسكى ، فعين للحوذى احدى العمارات ، فاجتازت العربة باب العمارة مقرفة ، وتوقفت عند سلم الجناح الأيمن من المبنى • ولمح السيد جوليا دكين على نافذة الطابق الثانى وجه امرأة ، فبعث اليها بقبلة على راحة يده • والحق أنه لم يكن يدرك هو نفسه ماذا يفعل ••• كان فى تلك اللحظة لا ميتا ولا حيا • وخرج من العربة ، شاحب الوجه ، مضطرب النفس ، وصعد درجات المدخل ، ونزع قبعة بجركة آلية ، وعدل ثيابه واندفع يصعد السلم مصطك الركبتين •

سأل الخادم الذى جاء يفتح له الباب :

— هل أولسوفى ايفانوفتش فى بيته ؟

فأجابه الخادم :

— نعم هو فى بيته ••• بل ليس هو فى بيته •••

– كيف؟ ما هذا الذي تقوله يا صديقي؟ أنا آت للعشاء أيها الرجل  
الشهم • ثم انك تعرفني •

– طبعاً • ولكنني أمرت أن لا أدعك تدخل •

– أنت ••• أنت مخطيء ••• ولا شك • هذا أنا ••• أنا مدعو  
••• مدعو إلى العشاء يا صاحبي •••

كذلك قال السيد جوليا دكين متدفقا في الكلام ، نازعا عنه معطفه ،  
عازما على الدخول إلى الصالون •

قال الخادم :

– معذرة • ممنوع • لقد أمرت بأن لا أستقبلك ••• أمرت بأن  
أمنعك من الدخول • هذا كل شيء •

امتقع لون السيد جوليا دكين • وفي هذه اللحظة فتح باب إحدى  
غرف البيت ، وأقبل منها إلى حجرة المدخل الخادم العجوز الذي يعمل  
عند أولسوفى ايفانوفتش •

قال الخادم الأول يخاطب العجوز :

– يا ايميليان جيراسيموفتش ••• أنظر إلى هذا السيد ••• انه  
يريد الدخول ، وأنا •••؛

– أنت غبي يا ألكسى • امض إلى الخدمة في الصالونات ، وابعث  
إلى بذلك الوغد سبميوفتش •

قال جيراسيموفتش ذلك ، ثم التفت إلى السيد جوليا دكين ، فأعلن  
له بلهجة مهذبة ولكنها قاطعة :

- ممنوع يا سيدى • مستحيل استحالة مطلقة يا سيدى • مولاي  
يرجوك أن تعذره • انه لا يستطيع أن يستقبلك •

- هل أوضح لك بدقة أنه لا يستطيع أن يستقبلني ؟

كذلك قال جوليا دكين خجلا • ثم أضاف :

- معذرة يا جيراسيموفتش ••• ولكن لأى سبب هذه الاستحالة

المطلقة ؟

سنتك

- هكذا ••• مستحيل استحالة مطلقة ••• لقد أعلنت وصولك ، فقبل

لى : « اطلب منه أن يعذرنا » • الخلاصة ••• لا يستطيع مولاي أن

يستقبلك •••

- ولكن لماذا ؟ كيف ؟ كيف ؟

- عجب ! اسمح لى •••

- ولكن لماذا ؟ هذا غير ممكن • فل لى ••• ولكن ••• لماذا ؟ أنا

مدعو الى العشاء ••• « على كل حال اذا كان يطلب أن أعذره فذلك أمر

آخر ••• وعلى ذلك يا جيراسيموفتش ••• اشرح له ••• أرجوك •

- عفوا ••• اسمح •••

فقال جيراسيموف ذلك وهو يبعد بيده السيد جوليا دكين جازما ،

فاتحا بذلك ممرا عريضا لسيدتين دخلا الدهليز • انهما آندره فيلييوفتش

وابن أخيه ، فلايمير سيميونوفتش • تفرس الرجلان كلاهما فى السيد

جوليا دكين مذهولين • وأراد آندره فيلييوفتش أن يقول شيئاً ، ولكن

السيد جوليا دكين كان قد عزم أمره ، فها هو يغادر حجرة المدخل خافض

العينين ، محمرّ الوجه ، مشعث الهيئة ، وعلى شفّيه ابتسامه حزينة •

- سأمر فيما بعد يا جيراسيموفتش • سأجىء أشرح الأمر •••  
لا شك فى أن كل شىء سيتضح فى حينه •
- دمدم بذلك وهو يجتاز العتبة منتقلا الى فسحة السلم •
- ياكوف بتروفتش ، ياكوف بتروفتش •••
- كذلك نادى آندره فيليوفتش وهو يهرع وراء بطلنا • وكان بطلنا  
قد أصبح على فسحة الطابق الأدنى • فالتفت بقوة نحو آندره فيليوفتش •
- سأله بصوت قاطع :
- ماذا تريد يا آندره فيليوفتش ؟
- ما الذى جرى يا ياكوف بتروفتش ؟ ماذا بك ؟
- لا شىء يا آندره بتروفتش • لقد جئت الى هنا من تلقاء نفسى •  
هذا شأن من شؤون حياتى الخاصة يا آندره فيليوفتش •
- ماذا تقول ؟
- أقول ان هذا شأن من شؤون حياتى الخاصة يا آندره فيليوفتش ،  
وأحسب أنه ليس لأحد أن يأخذ على شىء من سلوكى فيما يتصل  
بعلاقاتى الرسمية •
- ماذا تقول ؟ فيما يتصل بعلاقاتك الرسمية ؟ ••• ولكن ماذا بك  
أيها السيد ؟ ماذا بك ؟
- لا شىء ••• يا آندره فيليوفتش • لا شىء اطلاقا • بنيت واحة  
••• ولا شىء غير ذلك •
- كيف ؟ كيف ؟
- اضطرب آندره فيليوفتش ، وزهل ، فأصبح لا يعرف ماذا يقول

•• وكان السيد جوليا دكين أثناء ذلك الحوار ما يزال واقفا على فسحة سلم الطابق الأدنى ، محدفا بصره الى رئيسه ، وكأنه يهم أن يتب عليه في كل لحظة • واذ أدرك بطلنا اضطراب محدثه خطأ خطوة الى أمام ، غير شعور تقريبا • فتراجع آندره فيليوفتش خطوة أيضا • فتقدم جوليا دكين مزيدا من التقدم ، فنظر آندره فيليوفتش حواله وقد بدا في وجهه القلق • وفيجأة أخذ السيد جوليا دكين يصعد السلم بخطى سريعة •• ولكن خصمه وثب أسرع منه ، فدخل البيت ، وأغلق الباب وراءه •

لبث السيد جوليا دكين وحيدا على السلم • زادت عيناه • ظل واقفا • هنالك ، مصعوقا ، مسمرا ، يجتر خواطر غريبة • عادت الى خياله ذكرى • انها ذكرى تتصل بموقف عجيب وجد فيه منذ مدة قصيرة •

دمدم يقول وهو يحاول أن يتسّم :

— هه هه هه •••

وفي تلك اللحظة سمع وقع أقدام وصوت كلام في الطابق الأدنى •• لا شك أنهم مدعوون آخرون من ضيوف أولسوفى ايفانوفتش • تاب السيد جوليا دكين الى رشده ، فأسرع يرفع ياقة فراء معطفه ، ويخفي وجهه فيها ما استطاع اخفائه ، ثم أخذ يهبط السلم بخطى سريعة ، متوثبا متعبرا ، يوشك أن يسقط عند كل خطوة • كان يشعر بوهن ، ويحس بنوع من الخدر • وقد بلغ من الاضطراب أنه حين وصل الى درجات المدخل لم ينتظر أن تتقدم العربية اليه ، بل اتجه هو اليها مجتازا الفناء الموحد • وحين همّ أن يصعد الى العربية أحس فيجأة برغبة قوية في أن يغور تحت الأرض أو أن يختبئ هو وعربته في جحر من جحور القثران • 'خبل اليه أن جميع من كانوا في هذه اللحظة عند أولسوفى



قد وقفوا ينظرون اليه ، أحس أنه لو التفت لحظة واحدة لمات على الفور  
في مكانه •

- ما الذى يضحكك أيها الغبي ؟

كذلك سأل بتروشكا بعنف بينما كان بتروشكا يساعده في ركوب  
العربة :

- أنا ؟ لا شيء ! لست أضحك ••• الى أين نذهب الآن ؟

- الى البيت • بسرعة •

صاح بتروشكا وهو يستقر في مؤخرة العربة :

- الى البيت !

« بوز غراب » • كذلك قال السيد جوليا دكين في نفسه •

وتحركت العربة ••• وقطعت جسر اسماعيلوفسكى ، فاذا بالسيد  
جوليا دكين يشد الحبل شدا قويا بعد مدة على حين فجأة ، ويأمر الحوذى  
بالعودة القهقري • فيدير الحوذى الحصانين ، ويصل بعد دقيقتين مرة  
أخرى الى الفناء من العمارة التى يقع فيها منزل أولسوفى ايفانوفتش •

صاح بطلنا :

- قف • لا داعى • اخرج •

وكان الحوذى كان يتوقع أن يصدر اليه هذا الأمر الجديد ، فلم  
يحتاج ، بل دار فى الفناء دون أن يتوقف وخرج الى الشارع •

لم يأمره السيد جوليا دكين بأن يعود به الى منزله ، بل أمره بأن  
يقطع جسر سيميونوفسكى ، ثم أمره بدخول شارع صغير ، ثم بالتوقف

عند حانة حقيرة المظهر • هنالك نزل من العربية ، فقد الحوذى أجره ،  
وأمر بتروشكا أن يمضى ينتظره فى البيت • أما هو فقد دخل الحانة ،  
فاتخذ لنفسه مكانا خاصا وأمر بعشاء • كان فى حالة نفسية سيئة • ان  
رأسه مقر سديم لا يصدق • سار فى الصالون زمنا ، وهو نهب قلق  
شديد • وجلس آخر الأمر دافنا جبينه فى يديه ، وأخذ يفكر بكل  
ما أوتى من قوة باحثا عن حل للمشكلة التى يطرحها الموقف •

## الفصل الرابع



فى ذلك اليوم الرائع الفخم ، وهو عيد ميلاد كلارا أولسوفينا ، البنت الوحيدة لمستشار الدولة بيرنديف ، الذى كان فى الماضى حاميا للسيد جوليادين، أقيمت فى ذلك اليوم حفلة عشاء ذات أبهة وعظمة وجلال لم يشهد لها مثيل منذ زمن طويل فى منازل كبار الموظفين من حى اسماعيلوفسكى وغيره ، حفلة عشاء لها مظاهر وليمة من ولائم بلتازار ، يذكر بذخها وترفها وتسيقها بالمآدب البابيلونية الكبرى • لم يعوز هذه الحفلة شىء ، لا شمبانيا كليكو ، ولا المحار ، ولا الفاكهة التى تشتري من محلات ايليسيف وميلوتين الشهيرة • كانت الصالونات مزدحمة بجمهرة مرموقة متألثة من الناس تضم جميع كبار موظفى الحكومة • وقد اختتم ذلك اليوم المشهود الذى تميز بتلك الوليمة الفاخرة ، اختتم بحفلة راقصة ، كانت عائلية طبعاً ، ولكن ذلك لا يمنع أنها كانت رائعة فخمة الى أبعد حدود الروعة والفتخامة ، سواء من ناحية حسن الذوق ومن ناحية علو مقام الشهود •

انا أعلم أن الحفلات الراقصة التى من هذا النوع موجودة ، ولكنها نادرة •  
 انها اعياد كبرى يحتفل بها احتفالا عائليا ، وهذه الاعياد لا تقوم عادة الا  
 فى بيوت راقية جدا ، كبيت مستشار الدولة بيرتديف مثلا • بل اننى  
 لأذهب الى أبعد من ذلك فأدعى أن مستشارى الدولة لا يقدرّون جميعا  
 على اقامة مثل هذه الحفلات ! اه •••• يا ليتنى كنت شاعرا ! •••• شاعرا  
 له مواهب هوميروس او بوشكين ( ذلك اتنى بمواهب دون مواهب هذين  
 الشعارين لا اجازف •••• ) اذن لصورت لك ، أيها القارئ ، بريشه  
 بارعة والوان زاهية ، الخطوط الكبرى من ذلك الاصيل المظفر !

و كنت شاعرا املك تلك المواهب لبدات فصيدنى بوصف العشاء  
 •••• ولألححت خاصة على تلك اللحظة الفذة الفريدة الفخمة ، التى رُفِعَ  
 فيها أول كأس احتفاء بملكة ذلك اليوم : كنت سأظهرك أولا على المدعوين  
 وقد تجمدوا انتظارا ، وصمتوا صمتا مهيبا ، صمتا هو الى بلاغة ديومستين  
 أقرب منه الى البكم • ثم أقدم اليك آندره فيليوفتش ، عميد هذا الحفل ،  
 الذى يمتاز فوق ذلك بجميع حقوق انصدر ، اد نهض مزين الصدر  
 بالأوسمة ، تزينا ينسجم وشعره الأشيب ، فنطق بأولى التمنيات ، رافعا  
 كأسه المملوءة بخمر نادر ، خمر يستورد من مملكة بعيدة للاحتفال  
 بأحداث هى على هذا القدر من خطورة الشأن وعلو القيمة ، خمر هى  
 شراب ثمين أنسبه برحيق الآلهة منه بخمر البشر ؛ ولصورت لك بعد ذلك  
 المدعوين وأبوى ملكة اليوم السعدين ، لحظة رفعوا كئوسهم اقتداء بآندره  
 فيليوفتش ، وقد ثبتت نظراتهم عليه بانتظار خطابه •

ولآريتك آندره فيليوفتش نفسه ، وقد تأثر تأثرا عميقا فذرف فى  
 كأسه دمة خاطفة ، ثم لصورته لك يكيل المديح للجيلة ويعرب لها عن  
 تمنياته ويقترح على المدعوين أخيرا أن يشربوا نخبها ، ويفرغ كأسه ••••

ونكنى أعترف لك بكثير من التواضع أيها القارئ أنتى كنت سأعجز  
 حتما عن وصف تلك اللحظة التى تمتاز بروعة قصوى ، أعنى اللحظة  
 التى رُيت فيها كلارا أولسوفيينا ، ملكة هذا العيد ، يزهر وجهها كوردة  
 من ورود الربيع ، وتحمر سعادة وخفرا ، ثم ترتدى بين ذراعى أمها  
 الحنون وقد فاضت نفسها انفعالا • وكنت سأعجز كذلك عن تصوير هذه  
 الأم الحنون ذارفة دموع السعادة ، وعن تصوير الأب أولسوفى ايبانوفتش  
 مستشار الدولة • لقد كان هذا الشيخ المحترم الوقور ينشج باكيا ؛ نعم  
 لقد كان هذا الرجل الذى فقد خلال السنين الطويلة التى قضاها فى  
 الوظائف استعمال سافيه ، ولكن كافاه القدر على ذلك مكافأة عادلة، فزوده  
 بمال كثير ، ومنزل جميل ، وأملاك عدة ، ووهب له ، خاصة، ابنة جميلة  
 كالنهار ، أقول كان هذا الرجل ينشج باكيا كطفل ، ويؤكد من خلال  
 الدموع ان « صاحب السعادة محسن عظيم • • • لا • • • ما كان لى  
 بحال من الأحوال أن أصف الانفعال الشديد الذى استولى فى تلك  
 اللحظة على الحضور الذين تعلقت أبصارهم بشفتى آندره فيليوفتش •

ان موظفا شابا من موظفى السجل ( وكان مظهره فى تلك الدقيقة  
 أقرب الى مظهر مستشار محترم منه الى مظهر موظف بسيط فى السجل ) ،  
 لم يستطع أن يجبس عندئذ دموعه ، فعبر بذلك عن انفعال سائر الحضور •

وكان مظهر آندره فيليوفتش ، من جهة ، لا يشبه فى تلك اللحظة  
 مظهر مستشار ، مظهر رئيس دائرة • • • لا • • • وانما كان مظهره مظهرا  
 آخر ، مظهرا لا أستطيع أن أصفه ، ولكنه ليس مظهر مستشار على كل  
 حال • • • فلقد كان يحلق • • • كان فوق كل هذا • • •

وأخيرا ، لو كنت أملك تلك المواهب ادن ل • • • ولكن أين أنا من  
 الأسلوب الناصع الرفيع ، أين أنا من الأسلوب القوى المشرق الذى يمكنى

من وصف الجو العاطفى المؤثر فى تلك اللحظات الرائعة التى تهيب بالمرء الى السمو الأخلاقى ، وهى لحظات من الحياة يبدو كل شىء فيها أنه يسهم فى تأكيد ظفر الفضيله على الجمود والكفر والرذيلة والحسد . . . لا . . . انتى أوثر أن أصمت ، وأوثر بالصمت ، بصمت هو أبلغ من الكلام ، أن أصف لكم ذلك الفتى السعيد الذى شارف على السادسة والعشرين من عمره ، فلاديمير سيميونوفتش ؛ ابن أخى آندره فيليوفتش . انه الآن واقف يقترح ، بدوره ، نجبا آخر .

جميع النظرات معلقة به : نظرات الأبوين المخضلة بالدموع ، ونظرات عمه الساطعتين اعتراضا ، والنظرات التى تفيض خفرا وحياء من ملكة اليوم ، والنظرات التى تشع حماسة من أكثر المدعوين ، وأخيرا نظرات بعض زملاء هذا الشاب اللامع ، وهى نظرات تقرا فيها نسيئا من حسد . أريد أن أصمت . ولكن هذا الفتى ملئ بما يجذب اليه ويعزى فيه . والحق أن مظهره أقرب الى مظهر شيخ ، بالمعنى الحسن من معانى هذا التشبيه طبعاً . ان وقفته ووجهه المحمر ورتبته ( وهى رتبة معاون فاض ) التى تلتحم به التحاماً فكأنهما شىء واحد ، ذلك كله كان فى تلك اللحظة كأنه يهتف قائلاً : « تلك هى الدرجات القصوى من السعادة التى يمكن أن تفود الفضيلة انسانا اليها . » لا ولا أريد أن أروى لكم تفصيلاً كيف اقترح أنطون أنطونوفتش سينوشكين ، الموظف برتبة رئيس دائرة ، زميل آندره فيليوفتش ، وزميل أولسوفى ايفانوفتش فى الماضى ، والصديق القديم للأسرة ، وعرباب الفتاة فوق ذلك ، نعم كيف اقترح هذا الشيخ العجوز ، ذو الجمجمة التى تشبه القمر ، نجبا آخر هو أيضاً ، وكيف غنى على طريقة الديك بعض الأمازيح المقفاة . ان هذا التجروء الذى كان نسيانا لاثقا للياقة - ان صح التعبير - فد أضحك جميع الحضور حتى الدموع ، وهذه كلارا أولسوفينا نفسها تنهض بموافقة أبويها فتقبله

وتشكره في كثير من اللطف والمرح • وحسبى أن أضيف أن المدعويين ، كما ينتظر ذلك في ختام وجبة كهذه الوجبة ، قد أخذوا يشعرون ، بعضهم نحو بعض ، بعواطف حارة جدا ، أخوية جدا •

ونهبوا أخيرا عن المائدة • فأما الرجال المتقدمون في السن بعض التقدم ، فانهم بعد أن تبادلوا كلمات تسم بالمودة الحارة والصدافة الحميمة ، انسحبوا في وقار الى الصالون القريب • وأما الشباب - وكان الوقت ثمينا ما ينبغي أن يضيع سدى - فلم يلبثوا أن جلسوا الى موائد العمار الحضراء شاعرين شعورا عميقا بقيمتهم الخاصة • وأما السيدات اللواتي مكن في الصالون الكبير فسرعان ما تطفن تلطفا نادرا فذا وأخذن يتحدثن في شئون الزينة • وهذا رب المنزل ، الشيخ المحترم الذي فقد استعمال ساقيه في خدمة العدالة والحقيقة وكوفيء على النحو الذي ذكرناه آنفا ، يطوف على حلقة ضيوفه متوكئا على عكازين ، تسنده ابنته وفلاديمير سيميونوفتش • وتستبد بالشيخ النيل على حين فجأة لطافة عجيبية فيقرر أن يقيم حفلة راقصة مرتجلة دون أن يهتم بالنفقات • وهذا فتى نشيط ( هو ذلك الموظف في السجل ، الذي قلنا انه أشبه بشيخ محترم منه بمراهق ) ، يرسل فورا للمجيء بموسيقين على جناح السرعة •

وصل الموسيقيون بعد قليل ، وعددهم أحد عشر موسيقيا ، وفي الساعة الثانية والنصف تماما دون أولى ألحان رقصه فرنسية ، ثم تبعتها رقصات أخرى ••• لا داعي الى القول ان ريشتي لا تملك من الرهافة والقوة ما يمكنني من أن أصف وصفا أميناً هذه الحفلة الراقصة المنرجلة التي تكرم بها رب المنزل المبيض الرأس ، لما أوتى من لطف فد وكرم نادر • وأنى لى أنا القصاص المتواضع الذي يروى مغامرات السيد جوليا دكين - وهي مغامرات عجيبية ، أعترف بذلك - أنى لى أن أنقل الى

القارىء ذلك التالى الخارج والانسجام الرائع فى ذلك العيد الذى ائتلف فيه الجمال والتلاؤم والفرح والمرح اثنافا موقفا مع الأناقة المحتشمة والاحتشام الأنيق • كيف أصف ألعاب وضحكات جميع هاته السيدات اللواتى كن أشبه بغادات أساطير منهن بنساء موظفين - وذلك مديح أزجيه لهن - كيف أصف وجناتهن وأكتافهن التى تشبه أن تكون ألوانها ألوان زهر الليلك ، كيف أصف قاماتهن المشوقة وأقدامهن الصغيرة الماكرة النشيطة ••• وكيف أصف فرسانهن اللامعين ، هؤلاء المثلين المحترمين للإدارة الحكومية !

ان المراهقين والكهول ، الفرحين والرصينين من الشبان ، والمرحين والحالمين ، والذين يمضون بين كل رقصة ورقصة الى الصالون الأخضر الصغير ليدخنوا غليوننا والذين لا يدخنون بين كل رقصة ورقصة ••• ان هؤلاء جميعا يحملون أسماء مجيدة • ان لهم جميعا ألقابا شريفة • انهم جميعا يفيضون لباقه ورشاقه وأناقة ، ويشعرون شعورا عميقا بقيمتهم ومنزلتهم • ويكادون يتخاطبون جميعا بالفرنسية ، وحتى الذين يستعملون منهم اللغة الروسية يعبرون عن أنفسهم بطريقة رفيعة راقية مزاجين بين المرح وبين الجمل المقللة بالمعاني • فى صالون التدخين ، فى صالون التدخين فقط ، كانوا يسمحون لأنفسهم بشيء يسير من الخروج على اللغة الراقية ، فتفلت من ألسنهم جملة مألوفة لطيفة من هذا النوع : « هيه ••• يا بيرو التقى النقى ••• لقد عرفت كيف تفضح صاحبك » أو « مرحى أيها الوغد فاسيا ، لقد وصلت الى غاياتك ، عرفت كيف تتعب غادتك بغير رحمة • » •

ولكن فلمى يخوننى أيها القارىء ، كما سبق أن تشرفت بأن قلت لك هذا • لذلك أؤثر أن أصمت أو قل أن أعود الى السيد جوليا دكين البطل الحقيقى لهذه القصة الصادقة •



يجب أن أقول ان حالته الآن غريبة بعض الغرابة ، اذا لم أقل أكثر من ذلك • انه حاضر هناك ، هو أيضا ، أيها السادة • ليس حاضرا في حفلة الرقص ، ولكنه يشبه أن يكون حاضرا فيها • ليس لديه أية نية سيئة يا سادتي • انه لا يريد أن يسيء الى أحد • ولكنه مع ذلك في منعطف سيء • هو الآن - وانه لغريب حتى أن نقول هذا - في دهليز سلم الخدمة بمنزل أولسوفى ايفانوفتش • لا شيء في ذلك يا سادتي ، لا شيء في ذلك • ان السيد جوليا دكين لم يفكر في أى سوء • هو الآن قابع في ركنه الصغير • لقد لطا في ركن صغير غير دافئ جدا بطبيعة الحال ، ولكنه ركن مظلم في مقابل ذلك ، تخفيه بعض الاخفاء خزانه ضخمة وحواجز قديمة • انه في وسط كومة من الخرق العتيقة والأواني القديمة • انه مختف في هذه اللحظة ، يراقب ، ويتابع مجرى الأحداث مشاهدا محايدا • انه حتى الآن ، أيها السادة ، لا يزيد على أن يلاحظ • في وسعه طبعاً أن يدخل هو أيضا أيها السادة ••• ولماذا لا يكون في وسعه أن يدخل ! ليس عليه حتى يدخل الا أن يتقدم خطوة واحدة • سيعرف كيف يدخل برشافة • انه قابع هناك منذ ثلاث ساعات ، في البرد ، وراء الخزانة والحواجز ، وسط كل هذه الأكداس • انه ينتظر • ومن أجل أن يبرر نفسه أمام نفسه ، تذكر منذ لحظة جملة للوزير الفرنسى السابق فيليل : « من صبر ظفر » • لقد قرأ هذه العبارة سابقا في كتاب لا قيمة له ، وهى تعود الآن الى ذاكرته في وقتها تماما • انها تناسب وضعه الراهن جدا • ويجب أن نقول أيضا أن أفكارا كثيرة تراود خاطر انسانٍ يمكنه منتظرا ، في دهليز بارد مظلم ، خلال ثلاث ساعات ، أن تنتهى الأحداث الجارية الى حل موفق •

هكذا ، بعد أن تذكر جملة الوزير الفرنسى في الوقت المناسب ، خطر بباله - لا يدري الا الله لماذا - الوزير التركى القديم مارزيميريس ،

ثم خطرت بباله مارجراف لوزير الجميله ، التى كان قد قرأ قصتها فى أحد الكتب • ثم خطر بباله بعد ذلك أن يسوعيين قد اتخذوا مبدأ لهم أن يعدوا جميع الوسائل حسنة متى كانت تؤدى الى تحقيق الغاية المنشودة • ان تذكر هذه الحقيقه التاريخيه قد بث فى نفس السيد جوليا دكين شيئا من النقه • حتى لقد استخرج منها على الفور أن هؤلاء يسوعيين ، أن جميع يسوعيين ، من أولهم الى آخرهم ، أغبياء أقصى الغباوة ، وانه قادر على أن يضعهم جميعا فى جيبه ! ••• آه ••• ليت الغرفة التى يوجد فيها البوفيه خاليه ، ولو دقيقه واحده ( هى الغرفة التى تتصل رأسا بالدهليز الذى يقبع فيه السيد جوليا دكين فى هذه اللحظه ) ••• لو كانت خاليه اذن لاجتاز هذه الغرفة ، رغم جميع يسوعيين ، ولاتنقل بعد ذلك الى الصالون الكبير ، فالى غرفة القمار ، من أجل يدخل من هناك الى القاعة التى يقوم فيها رقص البولكا • نعم ، لو كانت الغرفة خاليه اذن لمر حتما ، مهما كلف الأمر ••• ان فى وسعه أن يتسلل خفيه ••• فما يلاحظه أحد ، وتصبح حيلته ••• وسيعرف عندئذ ماذا بقى عليه أن يعمل ••• تلك كانت ، فى هذه اللحظه ، الحاله النفسية لبطل قصتنا الصادقة ، رغم أنه ما يزال يصعب علينا كثيرا أن نصف عواطفه وصفا دقيقا •

طبعا ، لقد استطاع أن يصل الى سلم الخدمه والى الدهليز على أساس التفكير التالى : « ماداموا قد وصلوا هم ، فلماذا لا أصل أنا ؟ » • أما أن يمضى الى أبعد من ذلك ، فهذا أمر آخر ••• انه لم يجرؤ أن يفعل ••• لا عن جبن طبعا ، بل بمحض ارادته : انه يؤثر أن يتصرف خفيه ••• وهو الآن يرقب فرصه التسلل خلسه • انه يرقب هذه الفرصه منذ ثلاث ساعات • ولماذا لا يصبر ؟ ان فيليل نفسه قد صبر • « ولكن ما شأن فيليل هنا ؟ » • كذلك قال السيد جوليا دكين لنفسه فجأة ،

« ثم من هو فيليل هذا ؟ ... أما أنا فيجب عليّ الآن أن أتمكن من الدخول ... فما العمل ؟ ألا انك أنسبه بأولئك المنلين النانويين الذين لا يفعلون شيئاً ولا يقولون شيئاً على خشبة المسرح ... ألا انك لشخص غبي أبله ، » هكذا قال جوليا دكين لنفسه وهو يقرص خده المتجلد بأصابعه المتخدره من شدة البرد . « ما أنت الى جوليا دكا مسكين ، لا أكثر من ذلك ... أنت اسم على مسمى ! » .

يجب أن نذكر أن هذه المداعبات الصغيرة التي داعب بها جوليا دكين شخصه قد نطق بها جوليا دكين دون أى هدف معين ، بل تزجية للوقت فحسب . ولكن ها هو ذا يتقدم . لقد خلا البوفيه . لم يبق فيه أحد . لاحظ جوليا دكين ذلك من كوة صغيرة ... خطوتان ، فاذا هو على الباب . وهمّ أن يفتح الباب ...

« أمضى أم لا أمضى ؟ نعم ، أمضى أم لا أمضى ؟ بل سأمضى ... لماذا لا أمضى ؟ الشجاع يجد طريقه دائما . » . بث هذا التفكير بعض الثقة في نفس بطلنا . ولكن ها هو ذا يتراجع فجأة . « لا ... لا يجب ... هب أحدا دخل في هذه اللحظة ... هذا واحد يدخل فعلا . لماذا تكاسلت ببلاهة حين كانت الطريق خالية ؟ يجب أن أفتح وأن أدخل مهما كلف الأمر ... يجب أن أفتح . الكلام سهل . جرب أن تفتح وأنت على ما أنت عليه من طبع متردد ، ومزاج جبان . لقد خفت ... كدجاجة مبللة . هو الهلع والجزع ... ما في ذلك شك ... أما أعرفك .. هو الجبن .. أعرفه فيك .. لا جدال في هذا .. اذن ليس عليك الا أن تبقى حيث أنت ، كرزمة ، كرزمة لا أكثر .. لو كنت في منزلي الآن لكنت بسيل احتساء فنجان طيب من الشاي . واذا تأخرت عن العودة سيأخذ بترونسكا يقيق حتما ... أليس الأفضل أن أعود الى

المنزل ؟ نعم ، والى جهنم كل ما عدا ذلك ! هيا ، سأعود . انتهى  
الأمر . . .

ما ان اتخذ جوليا دكين هذا القرار حتى وثب وثبة مفاجئة الى أمام ،  
كأن نابضا قد انفلت فيه على حين بغتة . فأذا هو ، بخطوتين اثنتين ، فى  
القاعة المخصصة للبوفيه . وما لبث أن خلع معطفه بسرعة ، ونزع قبعته ،  
فدسهما فى ركن ، ثم رتب شعره وزينته بعض الترتيب ، و . . . و . . .  
أخيرا ، تقدم . . . فاجتاز الصالون ، وتسلك من هناك الى غرفة أخرى ،  
فمر بين المقارنين المحمومين دون أن يلاحظه أحد . . . وبعدها . . .  
ابتداء من تلك اللحظة أصبح السيد جوليا دكين لا يدرك شيئا مما يجرى  
حوله ، وها هو ذا يظهر فى قاعة الرقص منقضا انقضا الصاعقة .

وشاعت المصادفة التى تشبه التعمد ، أن يكون الرقص متوقفا فى  
تلك اللحظة بعينها . السيدات يتجولن فى القاعة جماعات متألقة . والرجال  
مجتمعون حلقات تتحدث ، وبعضهم يطوفون فى القاعة محتجزين  
حساواتهم للرفضة القادمة . ولكن السيد جوليا دكين لم ير الا كلارا  
أولسوفينا ، والا آندره فيليوفتش الى جانبها . ولاحظ أيضا فلاديمير  
سيميونوفتش ، ثم لاحظ ضابطين أو ثلاثة ، وشابين أو ثلاثة شبان لهم  
مظهر ملىء بوعود كثيرة . . . وعود يكون بعضها فى بعض الأحيان قد  
تحقق . . . وكان النابض الذى دفع جوليا دكين دفعا الى دخول حفلة  
الرقص التى لم يدع اليها كان ما يزال يحركه هو نفسه . فها هو ذا  
يتقدم ثم يتقدم ، فيصطدم فى طريقه بمستشار ويدوس على قدمه ؟ ثم  
يسير أثناء اندفاعه على أطراف من ثوب سيدة عجور فيمزقه ، ويزحم  
خادما كان يطوف على المدعويين بطبق ، ويصدم سيدا آخر أيضا ، ولكن  
دون أن يلاحظ شيئا من هذا كله ، أو فل متظاهرا بأنه لا يلاحظ شيئا

ولا يرى شيئاً ، وانما هو يتقدم ثم يتقدم الى أن وجد نفسه وجها لوجه أمام كلارا أولسوفيفنا •

لا شك أبداً ، نعم لا ريب إطلاقاً في أنه لو استطاع في هذه اللحظة بعينها أن يغيب تحت الأرض الى الأبد ، لفعل ذلك بغير أى تردد، وبسرور عظيم • ولكن فات الأوان ، وما وقع فقد وقع •

أمر لا يفتنر ••• ما الذى بقى عليه أن يعمل ؟ قال السيد جوليا دكين لنفسه : « الصمود عند الاخفاق ، والاستمرار عند التجاح » • ليس السيد جوليا دكين انساناً ماكرًا يدبر المكائد ، انه لا يملك فن تلميع خشب الأرض بنعليه ••• ذلك هو الأمر • وشراً ما فى المسألة أن هؤلاء اليسوعيين يتدخلون ••• اليسوعيون ••• لا شأن له بهم الآن • وها هم جميع أولئك الناس الذين كانوا حتى تلك اللحظة يتجولون ويتحدثون ويضحكون ، ها هم أولاء يتوقفون فجأة بما يشبه السحر ، ويصمتون ويتحلقون دائرةً حول السيد جوليا دكين •

أما بطلنا فكأنه كان لا يرى شيئاً ولا يسمع شيئاً ••• كان لا يستطيع أن ينظر اليهم •• لا •• ما كان له أن ينظر اليهم بحال من الأحوال • كان واقفاً هنالك ، مسمراً على قدميه ، مطرفاً الى الارض •

قال فى نفسه « يمينا لأطلقن على رأسى رصاصة فى هذه الليلة •• أما الآن فليكن ما يكون • • • وما كان أشد دهشته وأعمق انشدهاه هو نفسه حين أخذ يتكلم فجأة • بدأ السيد جوليا دكين كلماته بالتهنئات والتمنيات المألوفة •

انطلق يزجى التهنئات بلا مشقة ، ولكنه حين وصل الى التمنيات أخذ يدمدم • وشعر فى ذات نفسه أنه اذا أخذ يجمع بكلام غير مفهوم

فقد فسد كل شيء حتماً • وذلك ما وقع • لقد تخبط لسانه ••• فتوقف  
 عن الكلام ••• غاص في الكلمات ، احمر وجهه ، فقد توازنه ••• رفع  
 عينيه •• طاف بها على الحضور طويلاً •• تفرس في الناس •• انهار •  
 المدعوون من حوله جامدون ، بكم ، ينتظرون النهاية • وأخذت  
 دمدمات تسمع خارج الحلقة • وانطلقت ضحكات • نظر السيد جوليا دكين  
 الى آندره فيليوفتش نظرة مذلة وخضوع • فرد عليه آندره فيليوفتش  
 بنظرة كانت خليقة أن تلقيه على الارض جثة هامدة بدون شك ، لولا أنه  
 كان قد أصبح أقرب الى الموت منه الى الحياة قبل ذلك • وطال الصمت •  
 تتمم السيد جوليا دكين يقول بصوت لا يكاد يسمع ، وهو يشبه أن  
 يكون ميتاً من شدة النعر :

- مرد هذا كله الى ظروف الخاصة ، الى حياتي الخاصة يا آندره  
 فيليوفتش • ليس هذا خطوة رسمية يا آندره فيليوفتش •

أجابه آندره فيليوفتش بصوت أجش :

- ينبغي لك أن تستحي أيها السيد ، ينبغي لك أن تستحي •

كان آندره فيليوفتش في ذروة الاستياء • وتناول يد كلارا  
 أولسوفيفنا وأدار ظهره للسيد جوليا دكين •

- ليس لي أن أستحي يا آندره فيليوفتش • مم أستحي ؟

كذلك تتمم السيد جوليا دكين ، بينما كان عيناه تطوفان على الحفل  
 باحثين بين أفراد هذا الجمهور المتجمد عن وجه معروف ، عن انسان من  
 بيئته ، من منزلته الاجتماعية •

وأردف يقول بصوت ما يزال خافتاً :

— ليس هذا بشيء يا سادتي ، ليس هذا بشيء ، أؤكد لكم ، ما هذا  
بشيء . ذلك أمر يمكن أن يقع لجميع الناس .

وحاول جوليا دكين أن يخرج من الحلقة مترددا متعرا فأفسح له  
ممر . واستطاع بطلنا أن يتسلل بين صفيين من المشاهدين المبهوتين  
المتعلمين المتعجبين . لقد كان قدره يقوده . أدرك السيد جوليا دكين  
ذلك ادراكا كاملا . لا شك أنه كان مستعدا لأن يدفع أغلى ثمن في سبيل  
أن يجد نفسه مرة أخرى في ركنه الصغير ذاك من دهليز سلم الخدم ،  
دون أن يكون عليه من أجل ذلك أن يخالف قواعد الحشمة والأدب .  
ولكن ذلك كان مستحيلا بعد الذي وقع . لذلك وجه جميع جهوده نحو  
الغور على ركن صغير هاديء ، ركن صغير يستطيع أن يندس فيه ، أن  
يلبذ فيه . لو استطاع أن يقع على مثل هذا الركن لمكث هنالك متواضعا  
ساكنا مسالما لا يزعج أحدا ولا يلفت إليه نظر أحد ؛ ولا استطاع بسلك  
لا يأخذ عليه أن يحظى بحسن معاملة المدعويين ورب المنزل .

ولكن جوليا دكين شعر في تلك اللحظة بنوع من دوار . شعر أن  
قواء تخور ، وأنه يوشك أن يسقط . وكان قريبا جدا من الركن الصغير  
المنشود ، فالتجأ إليه واعتصم به ، واستقر هنالك ، ثم لم يلبث أن اتخذ  
وضع مشاهد يلاحظ ملاحظة محايدة . وفي الوقت نفسه اختطفت يدها  
ظهري كرسيين واستولتا عليهما استيلاء حازما ، وأخذت عيناه ، وقد  
استردتا نشاطهما تقتهما أعين أصدقاء كلارا أولسوفينا المتجمعين حوله .  
كان على مقربة منه ضابط فارع القامة قوى الجسم جميل المظهر . فشرع  
جوليا دكين ازاء أنه أشبه بذبابة صغيرة .

— سيدي الملازم ، ان هذين الكرسيين محجوزان ؟ فهذا لكلارا

أولسوفيفنا وهذا للأميرة تشفتشيكانوف ، اللتان ترقصان الآن ، وأنا أحفظهما لهما •

كذلك تمت السيد جوليا دكين بلهجة ضارعة • فلم يجه الملائم ، بل رشفه بنظرة صاعقة ، وأشاح وجهه عنه • واذ شعر بطلنا أنه صد من هذه الجهة وخذل ، جرب حظه فى جهة أخرى ، فاستفرد سيدا خطيرا الشأن يزدان صدره بوسام من درجة عالية ، وهو مستشار دولة ، فكانت النظرة التى رد عليه بها هذا السيد تبلغ من تسيط العزيمة أن أثرها كان أشبه بأثر قادوس من ماء بارد صب على رأسه • فصمت السيد جوليا دكين •

قال لنفسه : « فلنلزم الصمت • لا كلمة بعد الآن • يجب أن يدركوا تمام الادراك أننى واحد كسائر الناس ، أنتى مدعو كسائر المدعويين ، وأن مركزى لا يقل علوا عن مراكزهم » •

فلما اتخذ هذا القرار ثبت نظره على أفقية ردنجاته • ولكن بصره لم يلبث أن انتقل الى سيد ذى مظهر محترم كل الاحترام •

قال لنفسه : « هذا السيد يضع على رأسه شعرا مستعارا ، فاذا نزعته عنه الشعر المستعار لم تجد تحته الا جمجمة عارية ، نعم ، جمجمة لا تقل ملاسة عن راحة كفى » • وما كاد السيد جوليا دكين يقوم بهذا الاكتشاف الخطير حتى اتجه فكره الى الأمراء العرب • قال لنفسه : « يمكن أن تنزع العصبه التى يضعونها على رؤوسهم تيمنا بالنبي العظيم حتى لا تظهر تحتها الا جمجمة ملساء ، جمجمة عارية تماما » •

ثم انتقل فكره ، بتداعى المعانى من غير شك ، عن طريق التفكير فى شئون المسلمين ، الى البوابيح التركية ، فلاحظ أن آندره فيليبوفتش كان يتعل حذاءين هما الى البوابيح التركية أقرب منهما الى الأحذية •



ومهما يكن من أمر فقد بدا على جوليا دكين أنه أخذ يألف وضعه قليلا قليلا • وبرق في ذهنه خاطر : قال لنفسه : ليت هذه الثريا تنفصل عن سلسلتها في هذه اللحظة ، ليتها تسقط ، اذن لهرت أخذت كلارا أولسوفيفنا على الفور • سوف أنقذها عندئذ ثم لا أزيد على أن أقول لها: « لا تجزعي ! ماهذا بشيء • أنا منقذك » • ثم أخذ السيد جوليا دكين يبحث عن كلارا أولسوفيفنا بين الحضور ، ولكنه بدلا من أن يراها ، رأى جيراسيموفتش ، رئيس الخدم العجوز في منزل أولسوفيفنا يفانوفتش • كان الخادم العجوز مقبلا عليه ، وقد لاح في وجهه اشغال البال • ارتعش السيد جوليا دكين • شعر باحساس غريب ، غامض ، لكنه مزعج ازعاجا واضحا على كل حال • جعد السيد جوليا دكين وجهه ونظر حوله • تمنى لو يأفل ، تمنى لو يخرج من القاعة ، خفية ، خلسة ، محاذيا الجدران ، لا يراه أحد ولا يسمعه أحد • تمنى لو يتبخر ••• ولكن كان الأوان قد فات •• فقبل أن يتخذ قرارا ، كان جيراسيموفتش قد أصبح أمامه •

قال بطلنا وهو يتبسم :

— اسمع يا جيراسيموفتش ••• يجب عليك أن ••• أنظر ••• هل ترى تلك الشمعة هناك على الشمعدان الكبير ؟ انها توشك أن تسقط ••• يجب عليك أن تأمر ببدالها يا جيراسيموفتش ، والا سقطت ••• سقطت حتما •

— أية شمعة ؟ ولكنها معدولة ! ••• أما أنت فان شخصا يطلبك هناك •

— من يطلبني يا جيراسيموفتش ؟

— لا أعرف من هو تماما • انه خادم مرسل من ••• سألتني : « هل

ياكوف بتروفتشس جوليا دكين هنا ؟ قل له أن يأتي من فضلك • هناك أمر  
مستعجل وهام جدا • • • • ذلك ما قاله لى •

— لا يا جيراسيموفتشس ، أنت مخطيء ، أنت مخطيء قطعاً •

— أشك فى ذلك •

— لا يا جيراسيموفتشس ، ليس هناك أى شك ، ليس هناك أى شك  
اطلاقاً • لم يطلبنى أحد • لا يمكن أن يطلبنى أحد ، على كل حال • •  
وأنا هنا فى بيتى ، أقصد فى مكانى •

استرد جوليا دكين أنفاسه ونظر حوله • انه يشبهه فى الامر • جميع  
الأعين مصوبة اليه ، جميع الأذان متجهة نحوه • ان كافة هؤلاء الناس  
المجتمعين فى القاعة يظهرون معلقين به ، منتظرين ما سيقع • كأن الحضور  
جميعاً كانوا يشاركون فى الحادث • السيدات يوشوشن قلقات ، وقد  
ابتعدن قليلاً • رب المنزل متلبث على مسافة من جوليا دكين • انه لا يبدو  
مشاركاً مشاركة فعالة فى محن بطلنا • كل شىء يجرى بكثير من اللباقة  
والرهادة على كل حال • ومع ذلك شعر بطلنا شعوراً واضحاً بأن اللحظة  
الحاسمة قد حانت • ان عليه أن يضرب ضربة كبرى • أن له أن يبيد  
أعداءه • كان السيد جوليا دكين مضطرباً اضطراباً عميقاً • وأخيراً واتاه  
الوحى • فيها هو ذا يخاطب جيراسيموفتشس قائلاً بصوت مرتجف لكنه  
حاسم :

— لا يا صديقى ، لا ؛ مامن أحد يطلبنى • أنت مخطيء • أكثر من

ذلك انك منذ هذا الصباح قد أخطأت حين أكذت لى • • • نعم ، حين  
تجرات فأكذت لى ( هنا رفع جوليا دكين صوته ) ان أولسوفى ايفانوفتشس ،  
المحسن الى ، الانسان الذى كان لى منذ زمن طويل بمنابة أب ، قد أوصد

دونى بابه فى هذا اليوم الرائع ، فى هذا اليوم من أياه سعادة قلبه ، قلب  
الأب \*\*\*

تصفح جوليا دكين الحضور • انه يبدو راضيا عن نفسه ، ويبدو فى  
الوقت ذاته منفلا انفعالا عميقا • وظهرت دموع فى أطراف أهدابه •

استأنف يقول :

... أعود فأقول يا صديقى انك قد ارتكبت خطأ لا يفتر •

لحظة مؤثرة • أحس جوليا دكين أنه قد أحدث أثرا محققا • وقف  
وقفة متواضعة ، متجمعا على نفسه ، غاضا بصره ، ينتظر أن تتدفق عليه  
عواطف أولسوفى ايفانوفتش ، أن يعانقه أولسوفى ايفانوفتش • بدا على  
الحضور الاضطراب والانشداد • حتى جيرا سيموفتش الرهيب ، الذى  
لا يرحم ، لاح عليه أن نفسه قد اهتزت ، فهو لا يستطيع أن ينطق بكلمة  
\*\*\* ها هى ذى الأوركسترا ، الأوركسترا اللعينة ، تأخذ على حين فجأة  
تعزف رقصة بولكا •

انقطع السحر • انتهى كل شيء • انتفض السيد جوليا دكين • تقهقر  
جيراسيموف قليلا الى وراء • اندفع جمهور المدعويين يرقص كبحر مائج •  
ان فلاديمير سيمونوفتش هو الذى افتتح الرقص مع كلارا أولسوفيفنا •  
وتبعهما الملازم الجميل يراقص الأميرة تشفتسيكانوف • الذين لم يرقصوا  
أسرعوا يعجبون بأزواج الراقصين الذين اندفعوا يتحركون على أنغام  
البولكا • ما أجمل رقصة البولكا ! انها رقصة حديثة جدا ، متيرة جدا •  
لا شيء مثلها يدير الرعوس • حتى لقد أنست الناس السيد جوليا دكين الى  
حين • غير أن انقلابا كبيرا لم يلبث أن وقع فجأة • اضطرب الناس  
وتزاحموا \*\*\* وتوقفت الموسيقى وسط البلبلة الشاملة • لقد وقع حادث

غريب ليس فى الحسيان • ان كلارا أولسوفيفنا فد تهاوت على أحد المقاعد،  
 مقطعة الأنفاس ، محمرة الخدين ، لاهته الصدر خائرة القوى ••• لاشك  
 أن الرقص هو الذى أتعبها • خفت جميع القلوب لها • وهرع الناس  
 يحشدون حولها • كل واحد منهم يريد أن يظهر اهتمامه بها وقلقه عليها  
 وامتنانه من المتعة الكبرى التى هيأتها لهم جميعا • وفجأة ظهر جوليا دكين  
 أمامها • انه شاحب الوجه ، مضطرب اضطرابا عميقا ، يبدو خائر القوى  
 تماما هو أيضا ••• انه يجبر نفسه جرا ••• وها هو ذا يمد يده نحوها  
 ناظرا اليها نظرة ضارعة • كانت كلارا أولسوفيفنا مصعوقة فلم يتسع  
 وقتها لسحب يدها • ونهضت تستجيب لدعوته كأنها آلة لا تعي ماذا تفعل •  
 اهتر السيد جوليا دكين ، وخطا خطوة الى أمام ، ثم خطوة أخرى ، ورفع  
 ساقه ، وهم بخطوة ثالثة فضرب الارض بقدمه مترنحا فاقدا توازنه •••  
 لقد أراد أن يرقص هو أيضا مع كلارا أولسوفيفنا ••• أطلقت الفتاة  
 صرخة • فهرع أصدقاؤها يخلصون يديها من قبضة يد السيد جوليا دكين •  
 فما هى الا لحظة حتى كان بطلنا مدفوعا ملقى على مسافة عشر خطوات من  
 الجميلة • وسرعان ما تكونت حلقة جديدة حوله • وسمعت صرخات  
 حادة • انهما سيدتان عجوزتان أو شك السيد جوليا دكين أن يقلبهما أثناء  
 تفهقره المفاجيء • وعمت فوضى شديدة • الناس يسائل بعضهم بعضا ،  
 ويتناقشون ، ويزمجون • الاوركسترا صمتت تماما • السيد جوليا دكين  
 يتحرك وسط الحلقة التى احتشدت حوله ويدمدم كالآلة وهو يتسم  
 ابتسامه ضعيفة قائلا : « نعم ••• ولم لا ؟ البولكا فى رأبى رقصة حديثة •  
 هى رقصة شائعة ، وجدت لمتعة هاته السيدات ••• ولكننى أرضى أن  
 أجربها أنا أيضا ، بسبب الظروف ••• » •

ولكنهم لم يحفلوا برضاه • فما هى الا لحظة حتى أحس بطلنا بيد  
 تمسك ذراعه ، وأخرى تتناوله من ظهره ، فى كثير من الرفق مع ذلك •

وأحس أنه 'يدفع في اتجاه معين + وسرعان ما لاحظ أنهم يقودونه 'قدما نحو الباب + أراد السيد جوليا دكين أن يقوم بإشارة ، أن يقول كلمة + ولكن لا + + + لقد أصبح لا يريد شيئا البتة + أصبح يكتفى بأن يضحك ضحكا ضعيفا ، كأنه آلة لا ارادة لها + وشعر أخيرا بأنهم يلبسونه معطفه ، وينطلسون رأسه في قبعته حتى العينين + وأدرك بعد ذلك أنه صار على فسحة السلم ، في البرد والظلام + + + وأنه أخذ يهبط السلم + زلت قدمه + خيل إليه أنه يسقط في هاوية + أراد أن يصرخ + ولكن كان قد أصبح في فناء الدار + شعر بنسمة طرية تهب على وجهه + توقف هنيهة + وفي تلك اللحظة نفسها ترامت الى أسماعه أصوات رقصة جديدة + لقد عادت الاوركسترا تعزف + فتذكر السيد جوليا دكين كل شيء فجأة + بدا أنه يسترد قواه + انتزع نفسه من المكان الذي كان ثاويا فيه حتى ذلك الحين كالمسمر تسميرا + وثب + طار + ظل يركض لا يلوى على شيء + الى أين كان ذاهبا ؟ الى أي مكان + + + الى أي مكان يوجد فيه هواء + + + يوجد فيه حرية + + +



## الفصل الخامس

الساعة تدق منتصف الليل في جميع أبراج سان بطرسبرج ، حين وصل السيد جوليا دكين الى رصيف نهر فوتناكا قرب جسر اسماعيليو فسكى . كان خارجا عن طوره . انه يهرب من أعدائه



وما يوهونه فيه من ضروب الاضطهاد . يهرب من وابل الضربات التي يسطرونه بها ، يهرب من حركات النساء العجائز المذعورات ، ومن نظرات اندية فيديوفتش القائلة . كان السيد جوليا دكين ميتا ، متلاشيا ، بأوسع ما بين اللمعة . واذا كان لا يزال الآن قادرا على أن يركض ، فما ذلك الا بسبب جزمه ، بسبب جزمه لا يكاد يصدقها هو نفسه . وكانت الليلة رهيبية ، رطبة ، يملؤها الضباب والمطر والثلج ، وتموج فيها أنواع الزكام والرشح والحمى ، ليلة مقلقة بجميع هبات شهر نوفمبر في سان بطرسبرج . الريح تزداد في الشوارع المقفرة ، وتجعل مياه نهر فوتناكا السوداء تنب الى مستوى أعلى من مستوى سلاسل الضفة ، وتأتي تناكد المصاييح الضئيلة المنثورة على ( ٢١ و ٢٢ ) دوستويفسكى

الرصيف ، فتستجيب المصابيح لزيورها المشؤوم بصريير نحيل حاد . أصوات شاكية موجة الأنين ، ألحان لا نهاية لها يعرفها جميع سكان العاصمة حق . المعرفة . المطر والثلج يهطلان في آن واحد معا . والماء تحمله هبات الريح ، فيتساقط خطوطا كيفية تكاد تكون أفقية ولا تقل غزارة عن الماء المنهمر من مضخة . وكانت القطرات تضرب وجه المسكين جوليا دكين ضربا شديدا وتمزقه تمزيقا ، حتى لكأن ألوانا من الابري والدبابيس تنفذ في جلده .

وفي وسط ظلام الليل ، الذي تخترقه قرعات العربات البعيدة ويخترقه زفير الريح وصرير المصابيح ، كانت تسمع ضجة متصلة مشؤومة هي ضجة الماء المتساقط على الأرض من الأسطح والأفاريز والمزاريب . وما من انسان يرى في الطريق ، وهل يمكن أن يرى في الطريق انسان . في مثل هذه الساعة المتأخرة وفي مثل هذا الجو الرهيب ! كائن السيد جوليا دكين وحده يكردح على رصيف الفوتكاكا بخطى صغيرة سريعة . انه يستعجل الوصول بأقصى سرعة الى بيته الواقع في الطابق الرابع من عمارة بشارع « الدكاكين الست » . كان الثلج والمطر والريح وجميع عناصر الطبيعة التائرة في سماء تشرين الثاني ( نوفمبر ) بسان بطرسبرج ، على ميعاد في هذه الليلة الفظيعة ، تهاجم جوليا دكين البائس من كل صوب بلا هوادة ، بعد أن هدته مصائبه الخاصة هذا كافيا ، فهي تنفذ الى عظامه . وتعمى بصره ، وترجحه وترنحه وتجعله يتعثر ويخرج عن طريقه ، وتسلبه في الوقت نفسه آخر ما بقي له من عقل . كأن تحالفا قد قام بين قوى الطبيعة وبين أعدائه بغية افساد نهاره ومسائه وليله افسادا كاملا .

ولكن من الغريب أن السيد جوليا دكين كان يبدو غير مكترث أى اكثرث بشيء مما كان يصيبه به القدر من أهوال شديدة في ذلك الأوان .



خان ما جرى له قبل لحظات في منزل مستشار الدولة بيرنديف كان قد قلب نفسه رأسا على عقب وهد روحه هدا • فلو رآه في هذه اللحظة مشاهد محايد ، ورأى كيف كان المسكين يهرول على الرصيف ، اذن لأدرك على الفور مدى التوازل التي انصبت عليه منذ حين ؛ ولأدرك أن السيد جوليا دكين لم يكن ينشد في تلك اللحظة الا شيئا واحدا هو أن يهرب ، أن يختبئ ، أن يهرب من نفسه ، أن يختبئ عن نفسه • نعم ، ذلك ما كان ينشده السيد جوليا دكين في تلك اللحظة • بل نستطيع أن نقول أكثر من ذلك • ان السيد جوليا دكين لم يكن يحاول بكل ما أوتى من قوة أن يهرب من نفسه فحسب ، بل كان كذلك مستعدا لأن يبذل كل شيء في سبيل أن يتلاتى ثلاثيا تاما ، في سبيل أن يصير الى رماد فورا • هو الآن لا يلوى على شيء ، ولا يلتفت الى شيء ، ولا يدرك شيئا • انه يبدو غير حافل اطلاقا بجميع الجواجز التي تنتصب أمامه في تلك الليلة المشئومة ، غير حافل لا بطول الطريق ، ولا بقسوة الجو والمطر .  
والثلج والرياح •

وعلى رصيف نهر الفوتناكا سقط الجرموق الذي كان يغطي حذاءه الأيمن ، وبقي غاطسا في الوحل والثلج ، فلم يلاحظ السيد جوليا دكين ذلك ، ولا خطر بباله لحظة أن يعود أدراجه باحثا عنه • كان السيد جوليا دكين من شدة اشغال البال وشروذ الذهن أنه رغم الاعصار توقف عدة مرات وظل على حافة الرصيف مسمرا كالوتد متجمدا بلا حراك ، يتذكر جميع تفاصيل ذلك السقوط القاسي الذي عاناه • كان يحس أنه يموت • وما هي الا ثانية واحدة حتى كان يستأنف ركضه المسعور ، هاربا من عدو خفي لا يرى ، محاولا أن يفلت من مصائب جديدة أشد هولاً • كانت حاله رهية حقا ••  
ووقف السيد جوليا دكين أخيرا خائر القوى ، فاتكأ على سور رصيف

النهر ، فى وضع انسان أخذ أنفه يرغف فجأة ؛ وراح السيد جوليا دكين يتأمل مياه الفوتناكا السوداء العكرة • لا نستطيع أن نقول كم من الزمن لبث على هذه الحال • ولكن الأمر المحقق هو أنه قد بلغ غاية الحزن واليأس والارهاق ، حتى كاد يختنق • لقد نسي كل شيء ، كل شيء ، جسر اسماعيلوفسكى ، وشارع « الدكاكين الستة » ، ومصائبه الأخيرة ••• وأصبح لا يبالي شيئا ولا يحفل بشيء • لقد انتهت القضية ، وصدر الحكم ، وأبرم ••• ولا حيلة له فى دفع ما حدث •

وفجأة ••• فجأة ••• ارتعش جسمه كله من قمة الرأس الى أخمص القدم • وها هو ذا يتقهقر اخطوتين الى وراء ، بوثبة غريزية ، ويجعل يلقي نظرات على ما حوله وهو فريسة فلق لا يقالب • ولكن ليس هنالك شيء خاص ، ليس هنالك أحد ••• ومع ذلك ، مع ذلك ، كان السيد جوليا دكين قد اعتقد فى هذه اللحظة أنه لمح شخصا كان موجودا هناك ، قريبا جدا منه ، متكئا على سور الرصيف • والغريب أن هذا الشخص قد خاطبه ، وكلمه بصوت سريع منقطع • ان السيد جوليا دكين لم يدرك تماما معنى أقواله ، ولكن لا شك أن أقواله كانت تدور على شيء يتصل به اتصالا وثيقا •

« ما هذا ؟ هل حلمت ؟ » كذلك تساءل السيد جوليا دكين وهو يجيل بصره من جديد على ما حوله ••• « ولكن أين أنا فى الواقع ؟ آه ••• آه ••• » بهذا ختم هتافه وهو يهز رأسه • ومع ذلك أخذ يتفحص الفضاء الممطر البارد الذى يحيط به وقد تملكه قلق شديد ، بل رعب قوى • حاول أن ينفذ بصره فى الظلمات التى يملؤها البخار من حوله • ولكنه لم ير شيئا • بدا له كل شيء على حاله لم يتغير • وتكاثر هطول الثلج غزارة وكثافة • فلا يستطيع المرء أن يميز شيئا أبعد من

عشرين خطوة • وكان صريف المصابيح قد اشتد أيضا ؛ وكانت الأغنية الحزينة الشاكية التي تغنيها الريح قد ازدادت كذلك حزنا وشكاة ••• فكأنها ضراعات شحاذ عاد يكرر استعطاءه مصرا على أن ينفخ ما يسد به رمقه • « آه ••• ماذا جرى لي ؟ » ، كذلك تساءل السيد جوليا دكين وهو يستأنف سيره في طريقه بعد أن أنعم النظر فيما حوله مرة أخيرة • وفي أثناء ذلك ظهر شعور جديد في نفس السيد جوليا دكين • لم يكن هذا الشعور قلقا ولا رعبا ••• ان قشعريرة متشنجة تسرى الآن في جسمه كله ••• لحظة أليمة ••• أحساس لا يطاق •

« لا ضير •• ليس هذا بشيء ••• قد لا تكون لهذا أية نتائج ، وقد لا يسىء الى شرف أحد • لعل الأمور كلها تجري على أحسن وجه ••• لعل جميع المسائل ستحل مع الزمن ، فلا يقول أحد بعد ذلك شيئا ، ويبرر بعد ذلك كل شيء » • كذلك تابع السيد جوليا دكين يقول لنفسه دون أن يفهم هو نفسه معنى أقواله • شعر السيد جوليا دكين ببعض العزاء حين راودت نفسه هذه الخواطر • فانتصب قليلا ، ونفض ثيابه ، وأسقط الثلج الذي كانت طبقة كيفية منه تنطفي قبعته وياقته ومعطفه وربطة عنقه وحذاءيه • ولكنه لم يستطع أن يتخلص من ذلك الشعور الغريب الحاد ، من ذلك الغم الهائل ••• ودوت طلقة مدفع في مكان ما ، بعيد جدا •

قال بطلنا :

« يا له من جو غريب ! ان طوفانا يوشك أن يحدث • يظهر أن الماء قد ارتفع ارتفاعا كبيرا » • فما ان عبر عن هذه الفكرة ، بل قل ما ان تصورها حتى رأى أمامه شخصا مقبلا عليه • لعله عابر آخرته ظروف طارئة ، كالسيد جوليا دكين تماما • فلا شيء في هذا خارق للعادة فيما

يبدو • ولكن السيد جوليا دكين اضطرب اضطرابا شديدا وذعر ذعرا قويا ، لسبب تجهله ••• لا لأنه خشى أن يكون هذا العابر رجلا سيء الأخلاق ••• قال السيد جوليا دكين لنفسه : « قد يكون وجود هذا الرجل المجهول هنا مصادفة من المصادفات لا أكثر ••• ولكن قد يكون لاقباله على سبب ، فهو يريد أن يقطع طريقى وأن يتحرس بى ••• ، والحق أن السيد جوليا دكين لم يعبر عن هذه الفكرة تعبيرا واضحا جدا ؛ فلعلها لم تكن أكثر من حدس خاطف يصاحبه احساس أليم • ثم ان أوان التفكير والشعور باحساسات كان قد فات • فالرجل قد أصبح على مسافة خطوتين من السيد جوليا دكين • فسرعان ما عمد السيد جوليا دكين ، على عادته التى يحرص عليها ، الى اصطناع وضع خاص جدا ، وضع يعبر تعبيرا بليغا عن أنه ، هو جوليا دكين ، موجود هنا عرضا ، ماض فى طريقه انسانا طيبا مسئلا ، لا يفكر فى أى شر ولا يخطر بباله أى سوء ، وأن الطريق عريض يتسع لجميع الناس ، أما هو ، جوليا دكين ، فليس فى نيته أن يستنز أحدا أو أن يتحدى أحدا • وفيجأة توقف جوليا دكين متجمدا كأن صاعقه نزلت عليه • والتفت بغتة ليتفحص عابر السبيل الذى تتجاوزته منذ هنيهة • لكأن حركته قد أحدثها نابض أدار رأسه الى الوراء كما تدير الريح كف المعدن التى تدل على اتجاهه • وكان الرجل المجهول قد غار بسرعة فى اعصار الثلج • كان يبدو هو نفسه مستعجلا أيضا • وكان هو نفسه غارقا فى معطفه حتى الرأس كذلك ، مثل جوليا دكين تماما ، وكان يكردح هو أيضا على طول رصيف الفونتاكا بخطى صغيرة سريعة متقطعة بعض التقطع •

« ما هذا ؟ ما معنى هذا ؟ » • كذلك تمتم السيد جوليا دكين وهو يتسهم ابتسامته شك وحذر ، بينما كانت تسرى فى جسمه كله قشعريرة تهزه هذا ، وبينما أصبح ظهره كالجليد صقيعا • كان الرجل المجهول

قد غاب ، حتى أن وقع أقدامه أصبح لا يسمع • ومع ذلك ظل السيد جوليا دكين مسمرا في مكانه لا يتحرك محمداً بصره في الاتجاه الذي سار فيه عابر السيل • وأخيراً تاب السيد جوليا دكين الى رشده قليلاً قليلاً ، فقال لنفسه متحسراً : « ماذا دهاني ؟ أتراني أصبحت مجنوناً ؟ » • ثم التفت واستأنف سيره معجلاً ومضاعفاً خطاه ، محاولاً أن يخلى دماغه مما يغلي فيه ، حتى أنه أغمض عينيه في سبيل أن يحقق هذا الهدف • وفجأة ، وسط زفير الريح وهممة العاصفة سمعت أذناه مرة أخرى وقع أقدام تقترب منه ، فارتعش ، وفتح عينيه ، فإذا هو يرى أمامه من جديد ، على مسافة عشرين خطوة ، شكلاً إنسانياً • كان الشكل يتقدم نحوه سريعاً • كان الرجل يبدو مستعجلاً • وكانت خطواته قوية منقطعة • ان المسافة التي تفصل بينهما تناقصت تافصاً سريعاً • أصبح السيد جوليا دكين يستطيع أن يميز فسمات وجه هذا العابر المتأخر تميزاً واضحاً • وها هو ذا ينفرس فيه ••• فيطلق صرخة قوية من فرط الانشداء والرعب • اصطكت ركبته • ان العابر هو ذلك الرجل نفسه الذي التقى به جوليا دكين قبل عشر دقائق ، يظهر الآن له فجأة من جديد • على أن ظهور هذا الرجل مرة أخرى على هذا النحو الذي يثير وحده الحيرة والاضطراب لم يكن مع ذلك هو السبب الوحيد في انشداء السيد جوليا دكين • وقد بلغ السيد جوليا دكين من شدة الاضطراب أنه جمد في مكانه وتخنخ بصوت أجش ، وأراد أن يقول شيئاً ، ثم أسرع فجأة يلاحق الرجل المجهول معولاً ، ربما ليحاول أن يوقفه بأقصى سرعة ممكنة • وتوقف الرجل المجهول فعلاً ، ولبث على مسافة عشر خطوات من بطلنا • كان ضوء المصباح القريب ينيره كله • التفت نحو السيد جوليا دكين وتهاياً للاستماع الى كلامه مهموم الوجه نافذ الصبر •

قال بطلنا بصوت مرتجف :

## - معذرة • لعلى أخطأت •••

كان واضحاً أن الرجل المجهول قد ضاق ذرعاً بإيقافه ، فلم يلبث أن أدار ظهره وابتعد مسرعاً ، كأنه يريد أن يتدارك التواني التي أضاعها في صحبة السيد جوليا دكين • أما بطلنا فكانت أنسجة جسمه كلها ترتجف ، وكانت ركباها ترتنحان ، ثم خارت قواه فنهاوى على نصب على حافة الرصيف وهو يئن • يجب أن نذكر أن لانفعاله هذا سبباً • ذلك أنه قد أحس أنه يعرف الرجل المجهول • بل يجب أن نقول أكر من ذلك • نعم لقد كان يعرفه • هو على يقين من أنه يعرفه • لقد سبق أن رآه مراراً • فى أية مناسبة ؟ أمس ؟ ولكن ليس الأمر الهام أنه رآه مراراً قبل الآن • ان هذا الرجل ليس فيه ما يمكن أن يلفت الانتباه من أول وهلة • انه رجل كسائر الرجال ، رجل ذو مظهر لائق كمظهر سائر الرجال • ولعله يمتاز بمزايا كبيرة • رجل طيب على وجه الاجمال ، لا يريد بأحد أذى •

ان السيد جوليا دكين لا يحمل له أية عداوة ، لا يكن له أى بغض ، بل لا يظمر له أى شعور من مشاعر الكره • بالعكس • ومع ذلك - وهذا ما يبدو لنا على جانب عظيم من خطورة الشأن - فان السيد جوليا دكين لا يريد بأية حال من الأحوال أن يلقى هذا الرجل ، ولا سيما فى الظروف الراهنة • نعم ، ان السيد جوليا دكين يعرف هذا الرجل معرفة تامة • بل انه يعرف اسمه واسم أسرته • ومع ذلك فانه لو أعطى ذهب العالم بأسره لما أراد أن يناديه بهذا الاسم ، ولا أن يعترف بأن هذا الرجل يسمى بهذا الاسم فعلاً • أما كم قضى السيد جوليا دكين من الوقت على هذه الحالة من الانشداء والانصعاق قاعداً على النصب ، فذلك ما لا أستطيع أن أحده على وجه الدقة • كل ما أعرفه أنه بعد أن تاب أخيراً الى صوابه

نهض عن النصب فجأة وأخذ يركض كمنجنون ، بكل ما أوتي من قوة ، حتى تقطعت من الركض أنفاسه • وفي أثناء ذلك بارحه أحد حذائه تاركا الحذاء الثاني يتيما • لكن ركضه أخذ يتباطأ شيئاً فشيئاً ليستطيع أن يتنفس • ونظر فيما حوله فلاحظ أنه قد قطع رصيف الفوتاكاكه دون أن يشعر بذلك ، وأنه عبر جسر آينتسكوف ، وخلف وراءه جزءاً كبيراً من شارع نفسكى • انه الآن فى ناصية شارع ليتانيايا • فسار فى هذا الشارع •

كان عندئذ فى وضع انسان وافق على حافة هاوية : الارض تحت قدميه تنفتت ، تهتز ، تتحرك ، تدحرج نحو قاع هوة تجر المسكين الذى أصبح لا يملك لا من القوة ولا من الشجاعة ما يمكنه من أن يشب وثبة الى الوراء ، ومن أن يحول بصره عن اللجة الفاعرة • ان الهوة تجذبه • انه يشب فيها ، معجلاً بنفسه لحظة ضياعه • كان السيد جولادكين يحس ، يعرف ، يوقن أنه مقبل على مصيبة جديدة ما ، كأن يلتقى بالرجل المجهول مرة أخرى مثلاً • ومن الغريب مع ذلك أنه كان يتمنى هذا اللقاء ، ويعده أمراً لا معدى عنه ولا مناص منه • انه لا يشنهي الا شيئاً واحداً : أن يمرغ من هذا كله فى أقرب فرصة ، وأن يوضح هذا الوضع أخيراً بأية وسيلة ، ولكن بأقصى سرعة ممكنة • وهو ما يزال يركض ، ما يزال يركض كأنما تحركه قوة غريبة غير منظورة • كان جسمه قد ضعف وتخدر • أصبح لا يستطيع أن يفكر فى شيء ، ومع ذلك فان أفكاره تتعلق بكل شيء كأنها العوسج • وهذا كلب صغير تائه مبلل حتى العظام ، مرتعس من تده البرد ، يقتفى خطى بطلنا • انه يركض حذاه ، جاعلاً ذنبه بين قائميه ، لاصقاً أذنيه برأسه ، ملقياً على السيد جولادكين ، من حين الى حين ، نظرات تفيض خوفاً وعطفاً • وها هى ذى فكرة بعيدة ، كان بطلنا قد نسيها منذ زمن طويل ، فكرة دارسه من بقايا حادث قديم

ولا شك ، تعود الآن الى ذهنه • لم يستطع السيد جوليا دكين أن يتخلص من هذه الفكرة • انها تمسك بخنقه ، تطرق دماغه طرقا ، تعذبه تعذبا شديدا • « آه ••• يا للكلب الحقيير القذر ؟ » • كذلك كان يردد السيد جوليا دكين دون أن يفهم معنى كلماته • وأخيرا لمح الرجل المجهول عند ناصية شارع ايطاليا • ولكن الرجل المجهول لم يكن مقبلا عليه في هذه المرة • كان يركض هو أيضا في الاتجاه الذى يركض فيه بطلنا ، متقدما عليه بضعة أمتار • وهكذا وصل الرجلان الى شارع « الدكاكين الست » • كانت أنفاس السيد جوليا دكين مقطوعة • توقف الرجل المجهول أمام المنزل الذى يسكنه السيد جوليا دكين • وسُمع صوت رنين الجرس ، ثم 'سمع صوت صرير المزلاج الحديدى ، و'فتح الباب ، فانحنى الرجل المجهول وتسلسل وغاب • ووصل السيد جوليا دكين الى الباب فى تلك اللحظة نفسها تقريبا ، فوثب اليه سريعا كالسهم ، واندفع الى الفناء غير حافل بهمهمات البواب ، فسرعان ما لمح رفيقه الغالى الذى غاب عن بصره هنيهة •

كان الرجل المجهول متجها نحو السلم المؤدى الى بيت السيد جوليا دكين • فوثب بطلنا يتعبه • ان السلم مظلم رطب وسخ ، وعلى فسحاته تترامى أكوام من الخرق البالية ونفايات البيوت ، فمن كان غريبا عن هذا المكان لا يعرفه ، فلا بد أن يتوه فى الظلام وأن يقضى نصف ساعة فى صعود درجات السلم ، متعرضا عند كل خطوة لأن تنكسر ساقاه ، مدمرا من السلم بهاجر القول تدمره من أصدقائه الذين ساءت عقولهم السخيفة أن تسكن فى عمارة كهذه العمارة • ولكن الرجل المجهول كان كمن أُلّف المكان واعتاد عليه ، فهو يصعد درجات السلم بخفة ورشاقة ، دون عناء ، عارفا كل موضع من مواضعه •



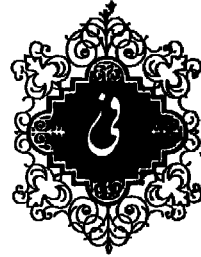
وأوشك السيد جوليا دكين أن يدركه ، حتى أن حافة معطف الرجل المجهول قد لظمت أنف بطلنا عدة مرات • كان قلب بطلنا لا يكاد يخفق •

وتوقف الرجل السرى أمام باب بيت جوليا دكين ، فطرقه ، فما لبث بتروشكا أن فتحت الباب ، وذلك أمر كان يمكن أن يثير دهشة بطلنا في أى ظرف غير هذا الظرف • لم يكن بتروشكا قد نام • لكأنه كان ينتظر هذه الزيارة انتظارا خاصا • دخل الرجل المجهول وتبعه الخادم حاملا سمعنه بيده • اندفع بطلنا في الدهليز خارجا عن طوره ، واجتاز الممر الضيق دون أن ينضو معطفه أو أن يخلع قبضه ، ووقف على عتبة غرفته مصعوقا مشدوها كأن صاعقة نزلت عليه • لقد تحققت جميع نبوءاته التي أوحى بها اليه احساسه • ان كل ما خشيته ، وكل ما قدره فكره هو الآن بسبيل التحقق في الواقع • لقد انقطعت أنفاسه ، وأصاب رأسه دوار • كان الرجل المجهول جالسا أمامه ، على سريره هو ، يتسّم له ، ويغمز بعينه ، ويحرك له رأسه بإشارات صداقة ومودة • انه هو أيضا لم يخلع معطفه وقبعته • أراد السيد جوليا دكين أن يصرخ ، ولكنه لم يستطع • أراد أن يحتج ، ولكنه لم يقو على ذلك • انتصب شعره فوق رأسه • جلس دون أن يشعر أى شعور بما يفعل ، فكأنه ميت ذعرا ورعبا • وكان هنالك ما يدعو الى الذعر والرعب على كل حال • لقد عرف رفيق ليثنه معرفة تامة آخر الأمر • ان رفيقه ذاك لم يكن الا هو نفسه • نعم ، انه هو نفسه ، هو جوليا دكين بشخصه ، هو جوليا دكين ثان ، لكنه شبيه به نسبها مطلقا ، مماثل له تماما ، أو قل بكلمة واحدة انه ما يطلق عليه اسم « المثل » ، هو « مثل » السيد جوليا دكين من جميع النواحي •

• • • • •  
• • • • •



## الفصل السادس



الساعة الثامنة تماما من الغداة استيقظ السيد جوليا دكين في سريره • فما لبنت الأحداث الحارقة التي وقعت له أمس ووقعت له في الليلة البارحة ، ففي تلك الليلة المضطربة التي لا يصدقها عقل ، تلك الليلة الحافلة بمغامرات لا يتصورها خيال ، أقول ما لبثت تلك الأحداث أن غزت ذاكرته وخياله بكل ما فيها من تعقد مروع • ان ذلك الجث كله وذلك الشر كله وتلك القسوة الجهنمية كلها ، وذلك الكره كله ، من جانب أعدائه ، ولا سيما آخر مظهر من مظاهر ذلك الكره ، قد جمدت بطلنا حتى لكأنه الجليد صقيعا • ثم ان كل شيء كان يبلغ من الغرابة ومن البعد عن المعقول ، ومن الشذوذ ، ومن الاستحالة أن بطلنا لا يكاد يستطيع أن يصدقه • حتى لقد كان السيد جوليا دكين مستعدا لأن يعزو ذلك كله الى كابوس نادر ، الى اختلال طرأ على خياله حيناً ، الى جنون أصاب عقله فجأة • غير أن خبرة طويلة مرة بالحياة كانت قد علمته أن الكره يمكن أن

'يحنق البشر الى أبعد حد ، وأن يدفعهم الى أنواع من القسوة ليس لسوتته نهائية ، انتقاما لكرامة مطعونة أو نارا لطموح خائب • ثم ان ما يحسه من ألم في أطرافه وصداع في رأسه وأوجاع في كليته وزكام شديد يدل دلالة بليغة على أن نزهة الأمس ومحن الليلة البارحة أقرب الى الصدق • هذا الى أن السيد جوليادين كان يعلم منذ زمن طويل أن شيئا ما يدبر هنالك ، عندهم ••• وأنهم يتآمرون على أحد • فماذا عليه أن يفعل ؟ وبعد أن فكر السيد جوليادين في الأمر تفكيرا طويلا ناضجا قرر أن يذعن ، أن يخضع ، أن لا يرفع صوته بأى احتجاج في هذا الأمر ، حتى « اشعار » آخر على الأقل •

« أليس من الجائز في الواقع أن لا يكونوا قد قصدوا الا الى تخويني ؟ لذلك فانهم متى رأوا أتى لا أرد ، ولا أحتج ، بل أخضع . خضوعا تاما ، وأتحمل كل شيء بمذلة ، تراجعوا أول المتراجعين من تلقاء أنفسهم • • »

تلك هي الخواطر التي دارت في ذهن السيد جوليادين ، حين كان متمددا على فراشه يتمطى ويحاول أن يخفف آلام أعضائه المحطمة ، ويتنظر ظهور بتروشكا على عادته •

انه ينتظر منذ ربع ساعة • وها هو ذا يسمع أصوات حركة بتروشكا الكسول وراء الحاجز بسبيل اعداد السماور • ومع ذلك قرر أن لا يناديه • أكثر من ذلك أن السيد جوليادين كان يخشى في هذه الساعة أن ينفرد بخادمه بتروشكا • كان يقول لنفسه : « ما عسى يدور في خلد هذا الوغد الآن حول هذه القضية كلها ! صحيح أنه صامت لا يتكلم ، ولكن هذا لا ينفي أنه يفكر » • وظهر بتروشكا حاملا بيديه طبقا • ألقى عليه السيد جوليادين نظرة وجلى • كان السيد جوليادين ينتظر أن يرى

أفعال بتروشكا وأن يسمع أقواله نافذ الصبر \* « أترأه يجيء على ذكر أحداث أمس ؟ » ولكن بتروشكا لم ينبس بكلمة واحدة ، حتى لقد كان أعمق سمنا وأكثر عبوسا وأشدّ تجمها منه في العنادة \* كان واضحا أنه منزعج \* ان عينيه المخفوضتين تفيضان اشمتزازا \* لم يلق على مولاه نظرة واحدة ؛ ولندكر عابرين أن هذا قد ساء بطلنا قليلا \*

وضع بتروشكا الطبق على المائدة ، ثم استدار وانصرف الى ما وراء الحاجز سامتا كأنه أخرس \* تمتم السيد جوليا دكين يقول وهو يصب الشاي لنفسه : « انه يعرف ، انه يعرف ، انه مطلع على كل شيء ، هذا الكسول \* \* \* »

ومع ذلك تحاشى السيد جوليا دكين أن يلقى على خادمه أى سؤال ، رغم أن الخادم عاد الى الغرفة عدة مرات لشئون تتعلق بخدمة مولاه \* كان بطلنا قلقا غاية القلق \* وكان ينقبض صدره أشد الانقباض حين يتصور أن عليه أن يذهب الى مكتبه \*

كان يوجس أن الأمور هنالك ليست على ما يجب أن تكون \* وهو يقول لنفسه : « لو ذهبت الى المكتب لعرضت نفسى لمتاعب جديدة ، أفليس من الأفضل أن أتريت قليلا ، أن أصبر قليلا ؟ ليفعلوا ما يحلو لهم أن يفعلوه \* أما أنا فمن مصلحتى أن أفضى نهارى هنا لأسترد فواى ، ولأبلى قليلا من مرضى ، ولأفكر فى هذه القضية كلها ولو قليلا \* وبعد ذلك أختار اللحظة المناسبة ، فأسقط عليهم سقوط حبات البرد على الرعوس \* \* \* بذلك تنجح مكيدتى وأخرج من الأمر ظافرا \* \* \* وكان السيد جوليا دكين أثناء استرساله فى هذه التأملات يدخن غليوننا بعد غليون ؟ والزمن يتقضى ، حتى سارت الساعة هى التاسعة والنصف \*

قال السيد جوليا دكين لنفسه : « الساعة التاسعة والنصف ؟ لقد فات

أوان الذهاب الى المكتب • ثم اتى مريض ، نعم ، مريض ، مريض فعلا • من يستطيع أن يدعى غير ذلك ؟ ولست أبالى على كل حال ! فليجيئوا . مستطلعين اذا أرادوا ! ليرسلوا طيبيا يتحقق من مرضى ! لست أبالى قط • ان فى ظهري أوجاعا شديده ، وأنا أسعل ؛ ان بى زكاما • ثم اتى . لا أستطيع الخروج فى مثل هذا الجو السيئ • ذلك مستحيل ، مستحيل . تماما •• والا فقد يصيبنى مرض خطير •• قد أموت •• نعم •• لم لا ؟ ما أكره الذين يموتون فى هذه الأزمان ! •••• « •

هذه الخواطر هدأت ضمير السيد جوليا دكين تهدئة كاملة ، وأمدته فى رأيه بتسويغ للتفريح الذى لا بد أن يوجهه اليه آندره فيليوفتش . لوماً له على قلبه نشاطه ونقص همته • يجب أن نذكر أن السيد جوليا دكين كان يحرص حرصا مطلقا ، حين يوجد فى ظروف كهذه الظروف ، على أن يبرر نفسه أمام نفسه بحجج لا سبيل الى دحضها • فلما وصل فى هذه المرة أيضا الى تبرير كامل ، تناول غليونه فحشاه وأخذ يدخنه • ولكنه ما ان تشق منه بضعة أنفاس حتى وثب عن سريره فجأة ، ورمى غليونه بعيدا ، ومضى يغسل وجهه ويحلق ذفنه ويمشط شعره ويلبس رداءه الرسمى ؛ حتى اذا فرغ من ذلك جمع بعض الأوراق ، وهرع يمضى الى مكتبه راكضا •

دخل السيد جوليا دكين مكتبه وهو يشعر بخجل شديد ووجل قوى • ان قلبه يخفق خفقانا محموما بانظار أن يقع له حادث مشؤم • كان ذلك فى نفسه احساسا غامضا لا شعوريا ، ولكنه فى الوقت نفسه احساس مزعج • استقر فى مكانه المؤلف خائفا ، قرب رئيسه فى العمل أنطون أنطونوفتش سيتوتسكين • ولم يلبث أن غرق فى الأوراق الموضوعه أمامه لا يرفع بصره ، ولا يدع لنفسه أن يذهل عن عمله • كان قد فرر جازما وآلى على نفسه أن يتحاضى ، بكل ما أوتى من قوة ، أى احتكاك أو أى تحريض من

شأنه أن يعرضه لسوء بأسئلة وقحة أو أمازيح أو غمزات تتناول مغامرة  
الأمس ؛ حتى لقد عزم أمره على أن يتجنب الملاحظات المعتادة من أسئلة  
وأجوبة عن الصحة يتبادلها مع زملائه • ولكن المحافظة على هذا الوضع لم  
تكن بالأمر السهل كثيرا •

أضف الى ذلك أن السيد جوليا دكين ، حين يواجه حادثا أليما ،  
لا تعذبه نتائج هذا الحادث بقدر ما تعذبه الشكوك ويعذبه القلق والخوف  
والهم • لذلك لم يستطع أن يفنى بالمهد الذي قطعه على نفسه وهو أن  
يتحاشى أى احتكاك أو أى تحريض ممكن •

فها هو ذا يرفع رأسه من حين الى حين خلصة ، متصصحا وجوه  
زملائه ، محاولا أن يكشف علامة من شأنها أن تطلعه على حادث جديد  
خاص يتعلق به ، وأن تطلعه على مؤامرة جديدة تحاك له •

كان يحاول أن يربط بين أحداث الأمس وسلوك من هم حوله الآن •  
وانتهى آخر الأمر ، وقد استبد به قلق شديد ، الى أن يتمنى نهاية لهذا  
الموقف الذى لا يطاق ، نهاية سريعة ، ولو أدى ذلك الى أسوأ النمايم  
وأخبث الاشاعات ! انه لا يبالي ! ولم يلبث القدر أن استجاب لرغبته • فما  
كاد السيد جوليا دكين يعرب عن أمنيته هذه ، حتى تبددت شكوكه على  
أعرب نحو يمكن أن يخطر ببال •

لقد 'فتح باب العرفة المجاورة فجأة بصريير ضعيف وجل يدل على  
أن الداخل شخص لا قيمة له • وهذه قامة يعرفها بطلنا حق المعرفة تمر  
أمام منضدته خرقاء متحيرة ، فلا يرفع السيد جوليا دكين رأسه ، وانما يكتفى  
بأن يلتقى على هذا الشخص الجديد نظرة خاطفة ، فاذا هو يعرف كل  
شئ ، ويفهم كل شئ ، بأدق التفاصيل دفعة واحدة • شعر بالعار يرضنيه ،

فأغرق المسكين رأسه في أوراقه ، تماما كما تفعل النعامة التي تخفي  
رأسها في الرمل المحرق حين يطاردها صياد •

انحنى القادم الجديد أمام آندره فيليوفتش ، ولم يلبث أن سمع  
صوت آندره فيليوفتش رسميا ملاطفا كالصوت الذي يعمد الى اصطناعه  
رؤساء العمل عادة في مخاطبه مرعوسيهم الجدد • قال آندره فيليوفتش  
وهو يشير الى طاولة أنطون أنطونوفتش : « اجلس هنا ، أمام السيد  
جوليادكين • سيعهد اليك بعمل فورا » • وختم آندره فيليوفتش كلامه  
باشارة موجزة وقورة تحمل للقادم الجديد معنى التشجيع ، ثم استغرق في  
قراءة كدسة الأوراق الضخمة التي كانت أمامه •

رفع السيد جوليادكين عينيه أخيرا • ولئن لم يسقط مغشيا عليه  
فورا ، فما ذلك الا لأنه كان قد أوجس هذا المشهد • كان قد تنبأ في  
الواقع بكل شيء ، وكان قد حزر جميع نيات القادم الجديد • ان أول  
حركة قام بها السيد جوليادكين هي أنه ألقى نظرة حواله ليرى هل أخذ  
الموظفون يتهايمسون في الأركان ، وهل أخذت مزحة من الأمازيح المألوفة  
في المكب تطوف في القاعة ، وهلا فتر أحد الأفواه ذهولا وانشدها ،  
وهلا تهاوى أحد الحضور تحت الطاولة ذعرا ورعبا • فما كان أشد  
دهشة حين لم يلاحظ شيئا من ذلك البتة ! لقد أدهشه وضع زملائه  
ادهاننا كبيرا ، وبدا له هذا الوضع غير معقول • انخلع قلب السيد  
جوليادكين هلما من هذا الصمت المطبق الخارق • ما هذا الصمت والوقائع  
ظاهرة واضحة كل الوضوح ! •••

أمر غريب ، شاذ ، قاس ! ••• سيء يبعث في الجسم قشعريرة ! ••• هذه  
هي الخواطر التي مرقت في ذهن السيد جوليادكين سريعة كالبرق • كان  
السيد جوليادكين يحترق • وهناك ما يدعو الى ذلك • ان القادم الجديد



الذي كان في تلك اللحظة جالساَ أمام السيد جوليا دكين ، هو بعينه ذعر السيد جوليا دكين ، هو بعينه عار السيد جوليا دكين ، هو بعينه الكابوس الذي وافى السيد جوليا دكين في ليلته تلك : انه السيد جوليا دكين نفسه . صحيح أنه ليس جوليا دكين الذي كان في تلك اللحظة جالسا على كرسيه ، فاعرأ فاه ، حاملا قلمه . صحيح انه ليس جوليا دكين الذي يقوم بوظيفة مساعد لرئيس مكتبه ، والذي يجب أن يمحي ، أن يذوب في الجمهور ، والذي يعبر سلوكه كله تعبيرا واضحا عن أن لسان حاله يقول : « لا تمسوني ولن أمسكم » أو يقول : « لا تمسوني فانتى لا امسكم ... » لا . لا . ليس هو جوليا دكين ذاك . . وانما هو جوليا دكين آخر ، جوليا دكين آخر تماما ، ولكنه مع ذلك مثل الأول ، له قامة الأول نفسها ، وله جسم الأول نفسه ، وله صلعة الاول نفسها ، وهو يرتدى الملابس نفسها التي يرتديها الاول . . فلا شيء يتقص هذا التشابه الكامل وهذا التماثل التام . فلو وضع أحدهما الى جانب الآخر لما استطاع أحد في العالم أن يدعى أن في وسعه أن يميز بين جوليا دكين الصادق وجوليا دكين المزيف ، أن يميز بين القديم والجديد ، أن يميز بين الأصل والصورة .

كان بطلنا في تلك اللحظة - وليسمح لنا بهذا التشبيه - في وضع انسان جاءه مازح خيبت فأمرَّ أمام وجهه مرآة لناكدته وازعاجه . قال جوليا دكين لنفسه : « ماذا جرى ؟ أنا في حلم ؟ أنا في حالة يقظة أم أنه كابوس الأمس يستمر الآن ؟ كيف يكون هذا ممكنا ؟ بأي حق يفعلون هذا ؟ من ذا الذي أذن باستخدام هذا الموظف الجديد ؟ نعم ، من ذا الذي أصدر الأمر بذلك ؟ أنا نائم ؟ أنا أحلم ؟ » ومن أجل أن يمتحن السيد جوليا دكين حالته قرص نفسه . . . حتى لقد نوى على الفور أن يقرص أحد زملائه . . . ليس هناك أي ريب ! لا . . . ما هو بنائم . أحس السيد جوليا دكين بالعرق يتصبب منه قطرات كبيرة . . . أدرك أن

شيئا خارقا يحدث له ••• شيئا لم يُر له نظير من قبل ، شيئا هو- لذلك على جانب رهيب من الخطر ، وتلك مصيبة المصائب ••• أحس جوليا دكين وأدرك جميع سيئات هذا الموقف الجديد ، موقف المهزلة التى هو الآن بطلها الأول ونموذجها •

وشيئا فشيئا أخذت تراوده شكوك حول وجوده نفسه ، ورغم أنه كان مستعدا لكل شيء ، راعبا فى أن يرى تبدد جميع هذه الشكوك بصورة من الصور آخر الأمر ، فقد كان يحس أن ظرفا يعادل تعقده المفاجأة التى ليست فى الحسبان كان قد تجاوزه • انه مرهق معذب • ان قلنا رهيبا يهد نفسه هدا ، حتى ان فكره وذاكرته يبارحانه تماما فى بعض اللحظات • فلما تاب الى رشده بعد احدى هذه الغيوبات لاحظ أنه كان يسييل الجرى بقلمه على ورقة من الأوراق على نحو آلى لا شعورى ؛ فسرعان ما أخذ يعيد قراءة ما كتبه ، لفقدانه ثقته بنفسه ، فلم يستطع أن يفهم شيئا مما كتب بطبيعة الحال •

وفجأة نهض جوليا دكين الثانى الذى كان جالسا أمام بطلنا جلسة هادئة الى تلك اللحظة ، نهض ومضى الى المكتب المجاور ، ربما لطلب بعض المعلومات • نظر السيد جوليا دكين حواليا • ان كل شيء هادىء • ليس يُسمع الا صرير الأفلام خفيفا ، والا حفيف الأوراق تُقلب ، والا همسات قليلة فى الأركان البعيدة عن طاولة آندره فيليبوفتش • رفع السيد جوليا دكين عينيه نحو أنطون أنطونوفتش • لا شك أن تعبير وجهه الذى يفصح أفصاحا أمينا عن حالته النفسية وعن الهموم التى تسببه لها الاحداث الراهنة ، قد بدا غريبا لرئيسه ، لأن أنطون أنطونوفتش الشهم لم يلبث أن وضع فلمه ، وسأله عن صحته فى كثير من العطف والشفقة •

ثأثأ جوليا دكين يقول :

- صحتي جيدة جدا يا أنطون أنطونوفتش • الحمد لله يا أنطون  
ثأثأ أنطونوفتش • صحتي الآن حسنة يا أنطون أنطونوفتش •••

كذلك أخذ السيد جوليا دكين يكرر متبھيا ، مرددا اسم رئيسه لدى  
كل كلمة يقولها •

لما يجرؤ بعد على البوح لأنطون أنطونوفتش بما في نفسه •

- ها •• طيب •• كنت أحسب أنك تشكو ألما ما •• ولا غرابة في  
هذا على كل حال ، لا سيما في هذه الآونة التي تكاثر فيها الأمراض  
السارية ••• هل تعلم أن •••

- نعم يا أنطون أنطونوفتش ، نعم ، أعرف أن هذه الأمراض  
موجودة ••• ولكن يا أنطون أنطونوفتش ، ليست هذه هي المسألة  
( كذلك أضاف يقول السيد جوليا دكين وهو يتفرس في محدثه محذفا )  
••• لا أدري يا أنطون أنطونوفتش كيف أستطيع ••• أعني لا أعرف  
تماما من أين أبدأ يا أنطون أنطونوفتش •••

- لا أفهم ماذا تقول •• أعترف لك بأنني لا أفهم ماذا تريد أن  
تقول ••• عليك أن تشرح ما تريد قوله بمزيد من الوضوح •

واذ لاحظ أنطون أنطونوفتش شدة اضطراب السيد جوليا دكين  
والذي امتلأت عيناه بالدموع ، ارتبك هو أيضا ، فأضاف يسأله :

- قل لي ما الذي •••

- الحقيقة يا أنطون أنطونوفتش ••• يوجد هنا ••• يا أنطون

ثأثأ أنطونوفتش ••• موظف •

- نعم \*\*\* صحيح \*\*\* يوجد موظف هو سميك \*\*\*

صاح السيد جوليا دكين :

- ماذا ؟ هو سميى ؟ هل اسمه أيضا جوليا دكين ؟

- نعم \*\*\* هو سميك \*\*\* اسمه أيضا جوليا دكين \*\*\* أليس هو

أخاك ؟

- لا يا أنطون أنطونوفتش ، أنا \*\*\*

- غريب \*\*\* خيل الى أنه لا يد أن يكون أحد أقربائك \*\*\* هل

تعلم أن بينك وبينه بعض الشبه ؟ لكأنكما من أسرة واحدة \*\*\*

ظل السيد جوليا دكين متجمدا من الدهشة \* حتى لقد عقل لسانه  
بضع لحظات ، فلم يستطع أن يقول شيئا \* وهناك فى الواقع ما يدعو الى  
ذلك \* ماذا ؟ كيف يمكن لأنطون أنطونوفتش أن ينظر بهذا القدر من  
فلة الاكترات وعدم المبالاة الى ظاهرة غريبة هذه الغرابة كلها ، ظاهرة  
فريدة حقا فى نوعها ، ظاهرة لا بد أن تخطف بصر أى مشاهد عادى ؟  
كيف يمكن لأنطون أنطونوفتش أن يتحدث بصدده هذه الظاهرة عن تشابه  
كالتشابه الذى يكون بين أفراد أسرة واحدة ؟ ان الأمر أمر تماثل كامل  
بل وحدة تامة ، كالوحدة بين انسان وصورته فى المرآة \*

أردف أنطون أنطونوفتش يقول :

- اسمع يا ياكوف بتروفتش ! أحب أن أسدى اليك بنصيحة \*

عليك أن تذهب الى طبيب ، فتستشيره فى أمر صحتك \* انك لا تبدو فى  
حالة طبيعته تماما \* ولاسيما عينك \*\*\* ان لهما تعيرا غريبا \*\*\*

- لا يا أنطون أنطونوفتش \*\*\* طبعا أنا لا أشعر بأننى \*\*\* أعنى

\*\*\* أريد أن أسألك عن هذا الموظف \*

- هه ؟

- ألم تلاحظ فيه شيئا غير عادى يا أنطون أنطونوفتش ؟ شيئا  
مميزا على نحو خاص ؟

- مثلا ؟

- مثلا ، أريد أن أسألك يا أنطون أنطونوفتش : ألم تلاحظ أن فيه  
شبهها غربيا بأحد .. بى أنا مثلا ؟ لقد ذكرت منذ هنيهة أنه يشبهنى كما  
يشبه أفراد الأسرة بعضهم بعضا ... ذكرت هذا عرضا دون الحاح ...  
ولكن هل فى علمك أنه يوجد أحيانا شخصان يتشابهان تشابها كاملا  
كشابه قطرتى ماء ، حتى ليستحيل تمييز أحدهما عن الآخر ؟ ... ذلك  
ما أحبت أن أحدثك فيه ...

قال أنطون أنطونوفتش بعد لحظة من تفكير ، وكأنه يدرك لأول مرة  
طاهرذ لها هذه الحظورة :

- نعم ... صحيح ... ان تشابهكما ينير الدهشة حقا ، ورأيتك  
فى محله تماما ان من الممكن فعلا أن يخلط المرء بينكما فلا يميز أحدكما  
عن الآخر (كذلك قال أنطون أنطونوفتش وهو يحملق مزيدا من الحملقة)  
بانه تشابه يشبه أن يكون معجزة ... تشابه خرافى يا ياكوف بتروفتش ،  
كما يقال أحيانا ... انه ملك تماما • حقا انه مثلك تماما • هل لاحظت  
ذلك يا ياكوف بتروفتش ؟ ولقد كان فى نيتى أن أحدثك فى هذا الأمر  
من تلقاء نفسى ، ولكن يجب أن أعترف لك أنتى فى البداية لم أول هذه  
القضية كبير اهتمام • هذه معجزة ... معجزة حقا ... بالمناسبة يا ياكوف  
بتروفتش : أظن أنك لم تولد هنا ، أليس كذلك ؟

- نعم لم أولد هنا •

- هو أيضا لم يولد هنا ، لعلكما كلاكما من اقليم واحد ؟ هل أستطيع أن أسألك أين كانت تقيم والدتك فى العادة ؟

- قلت ... يا أنطون أنطونوفتش ... قلت انه ليس من هنا .

- نعم ليس من هنا .

وتابع أنطون أنطونوفتش المهذار الذى يفرح لكل ثرثرة ، تابع يقول :

- حقا انها لمعجزة . حقا ان فى الأمر ما يثير الدهشة . كثيرا ما يتفق لنا أن نصادف هكذا أشياء جديدة بالاهتمام ، فنلامسها ونصطدم بها ثم لا نلاحظها . ليس عليك أن تضطرب كثيرا على كنى حال . فتلك أمور تحدث . لذلك سأقص عليك قصة مشابهة وقعت لاحدى خالاتى : انها هى أيضا قد رأت نفسها متلين قبيل وفاتها .

- معذرة اذا قاطعتك يا أنطون أنطونوفتش ... ولكننى أريد أن أعرف يا أنطون أنطونوفتش كيف استطاع هذا الموظف ... أقصد كيف تدخل الى هنا ؟

- انه يحل محل المرحوم سيميون ايفانوفتش . لقد شغرت الوظيفة بوفاة سيميون ايفانوفتش ، فبحثوا عن محل محله ، ثم عينوه هو . بالمناسبة : هل تعرف أن سيميون ايفانوفتش ، هذا الشهم ، قد خلف فيما يقال ثلاثة أطفال صغار ؟ لقد ارتمت زوجته المسكينة عدة مرات على قدمى صاحب السعادة متوسلة ضارعة . يقال مع ذلك انها تمثل ، فهى تملك مالا ولكنها تخفيه ...

- ولكننى أريد أن أعود الى موضوعنا يا أنطون أنطونوفتش ...

- أى موضوع ؟ ها ... نعم ... ولكن لماذا تهتم بهذه المسألة هذا

بالاهتمام كله ؟ ... أعود فأقول لك : لا تصدع رأسك • ذلك كله موقت • ثم ماذا آخر الأمر ؟ ليس الذنب ذنبك • ان الله هو الذى دبّر الأمور على هذا النحو • هى مشيئة الله • والاحتجاج على مشيئة الله اثم • حكمه الله العظمى هى التى أرادت ذلك • أما أنت يا ياكوف بتروفتش فما أحسب أنك مسئول عن هذا كله فى شىء • المعجزات فى هذا العالم كثيرة • ان أمنا الطيبة كريمة سخية • • • • • ولن يحاسبك أحد على نبى يوما • • • • • بالمناسبة : أظن أنك قد سمعت عن ذينك الأخوين ال • • • • • ماذا يسميان ؟ ها • • • • • نعم • • • • • ذينك الأخوين السياميين اللذين ولدا ملتصقن الظهرين ، فهما يعيشان هكذا معا • يظهر أن ذلك يدر عليهما مالا كثيرا •

- اسمح لى يا أنطون أنطونوفتش • • • • •

- أنا أفهمك • • أنا أفهمك • • طيب • • ماذا أخيرا ؟ ليس الامر يندى بال • أعود فأقول لك اننى بعد أن فكرت فى المسألة مليا لا أرى ما يوجب أن تصدع رأسك • ماذا تريد ؟ هو موظف كأى موظف آخر ، وهو فيما يظهر رجل شيط • لقد قدم نفسه قائلا ان اسمه جوليسادكين ، وانه قادم من اقليم آخر ، وانه كان يعمل كاتباً فى احدى دوائر الدولة • وقد تمت بينه وبين صاحب السعادة مقابلة خاصة •

- وصاحب السعادة ؟ -

- جرت الأمور على خير نحو • قدم لصاحب السعادة شروحا كافية • قال : « ذلك هو وضعى على حقيقته يا صاحب السعادة • ليس لى ثروة شخصية • وأحب أن أعمل ، لا سيما تحت الأوامر النيرة التى يصدرها صاحب السعادة » ، وهلم جرا • • • • • وتدقق يكيل المديح لصاحب السعادة يكثر من الحذف والبراعة • ولا شك أنه كان يحمل توصية على كل حال ، والا لما تم تعيينه طيبا •

- ومن الذى أوصى به ؟ ... أقصد من الذى وضع يده فى هذه القضية المخجلة ؟

- يظهر أنه كان يحمل توصية جيدة جدا • حتى أن صاحب السعادة وآندره فيليوفتش قد ضحكا قليلا فيما يقال •

- صاحب السعادة وآندره فيليوفتش ضحكا قليلا ؟

- نعم • • أقصد • • ابتسما ، وقالا له ان هذا يبدو لهما كافيا • وانهما من جهتهما موافقان تماما ، شريطة أن يعمل بصدق واخلص • • •  
- ثم ؟ وبعد ذلك ؟ اننى متحير قليلا يا أنطون أنطونوفتش • أكمل • أرجوك أن تكمل • • •

- معذرة • • • مرة أخرى ، أنا لا أفهمك • • • قلت لك ليس فى الأمر كله شيء خارق • أعود فأقول : عليك أن لا تصدع رأسك • ليس فى هذه القضية ما يهددك •

- ليس هذا هو الموضوع • وانما أردت أن أسألك يا أنطون. أنطونوفتش ألم يصف صاحب السعادة الى ذلك بضع كلمات • • • عنى أنا. مثلا ؟

- نعم ؟ طبعاً • • • حتما • • • ولكن ليس هناك شيء ذو بال • فى وسعك أن تكون مطمئنا كل الاطمئنان • هى مصادفة غريبة ، أسلم لك. بذلك • لاحظ أنتى لم أتبه الى الأمر من أول نظرة فى البداية • لأدرى كيف لم ألاحظ هذا الشبه قبل أن تبهنى اليه • على كل حال ، تستطيع أن تطمئن كل الاطمئنان • لم يقولا شيئا ذا خطر ، لم يقولا شيئا من ذلك البتة ( كذلك أضاف يقول أنطون أنطونوفتش اللطيف وهو ينهض عن كرسية ) •



— أريد أيضا يا أنطون أنطونوفتش \*\*\*

— اعذرني \*\*\* لقد أفرطت في الثرثرة حتى الآن ، بينما هنالك عمل مستعجل هام جدا يجب أن أقوم به ، ثمة معلومات يجب أن أحصل عليها \*

وفجأة انطلق صوت آندره فيليوفتش العذب ينادى قائلا :

— أنطون أنطونوفتش ! صاحب السعادة يطلبك \*

— حالا ، حالا يا آندره فيليوفتش ، أنا ذاهب اليه فوراً \*

تناول أنطون أنطونوفتش كدسة من الأوراق ، فهرع أولا نحو طاولة آندره فيليوفتش ، ثم مضى الى مكتب صاحب السعادة \*

« ها \*\*\* هذه هي المسألة اذن ، تلك هي اللعبة التي يدبرونها في هذه اللحظة \*\*\* الآن أرى الاتجاه الذي تسير فيه الرياح \*\*\* ليس هذا كله بالأمر السيء \*\*\* ان الأمور تجري مجرى حسنا ، \* كذلك قال السيد جوليا دكين لنفسه وهو يفرك يديه احديهما بالأخرى \* لقد بلغ من الفرح أنه أصبح لا يحس بوجود الكرسي تحته \* « انهم يعدون قضيتنا مسألة عادية \* كل شيء يغدو اذن ترهات وسفاسف \*\*\* وفملا لا أرى أحداً يحتاج \* \* ان جميع هؤلاء الأوغاد غارقون في أعمالهم \* عظيم \* عظيم \*\*\* اننى لأحبهم جميعا هؤلاء الناس الطيبين \*\*\* ولقد أحييتهم دائما \*\*\* اننى مستعد لأن أقدرهم وأن أحترمهم \*\*\* ومع ذلك يبدو لى \*\*\* حين أفكر في الأمر مليا \*\*\* هذا الأنطون أنطونوفتش \*\*\* من الخطر أن أبوح له بما فى نفسى \*\*\* لقد أثقلته السنون \*\*\* وأفرط شعره فى المشيب \*\*\* على كل حال ، فالأمر الأساسى الهام فى الموضوع أن صاحب السعادة لم يقل كلمة واحدة فى هذه المسألة \*\*\* عظيم \*\*\* أنا أريد ذلك \* ولكن ما شأن آندره فيليوفتش فى هذا كله هو وضحكاته

الصغيرة ؟ فيم يتدخل ؟ باللحية العتيقة ! ... انه دائما في طريقك -  
هذا الرجل . انه مؤهب في كل لحظة لأن يجتاز الطريق أمامك ، كقطعة  
سوداء ... نعم ... دائما أمامك ووراء ظهرك ! ... »

مرة أخرى أجال السيد جوليا دكين بصره في القاعة . ومرة أخرى  
شعر بالأمل يملأ نفسه . ومع ذلك كان ثمة شيء ينقص عليه صفوه .  
هو فكرة بعيدة ، فكرة تنذر بشؤم . فرر في لحظة من اللحظات أن يستبق  
الأمور ، أن يبادر الى شيء ، أن يسائل بعض زملائه بطريقة من الطرق .  
ان في وسعه أن يفعل هذا عند الخروج من المكتب مثلا ، بل في وسعه  
أن يفعله هنا ، بحجة الاستفسار عن أمر من الأمور التي تتصل بالعمل .  
في وسعه مثلا أن يدس بين جملتين قولا كهذا القول : « أمر عجيب .  
هل رأيتم الى هذا التشابه الغريب ؟ محاكاة كاملة ! » . فاذا تظاهر بأنه  
يمزح هو نفسه ، استطاع أن يقدر مدى الخطر . « يجب على المرء دائما  
أن يخشى الماء الصافي ، قرب شيطان يثوى فيه ! » . تلك هي النتيجة التي  
خلص اليها بطلنا . ومع ذلك تدارك نفسه في الوقت المناسب ، فلم تنتقل  
نياته الى حيز التنفيذ . لقد أدرك أنه ان فعل ذلك كان يمضي بعيدا جدا .  
قال لنفسه وهو يلطم جبينه لطمه خفيفة : « تلك هي طبيعتك : ما ان  
تدخل اللعب حتى تتحمس . نفس ظمأى الى العدل ! لا ... الأفضل  
أن تنتظر قليلا يا ياكوف بتروفتش . يجب أن تتريث قليلا ولو تحملنا  
في سبيل ذلك بعض العذاب . » . ورغم هذه النتيجة التي خلس اليها  
فقد شعر بالأمل يملأ نفسه . خيل اليه أنه يبعث من بين الموتى .

قال لنفسه : « تحسنت حالي الآن . لكأن ثقل طنين قد أزيح عن  
صدرى . غريب . لقد كان كل شيء بسيطا كتحية . فتح الصندوق من  
تلقاء نفسه . كان كريلوف على حق ... يا لكريلوف هذا من ماكر  
حيث يحسن تأليف القصص ... أما القادم الجديد فليعمل ... فليعمل

ما شاء أن يعمل ، شريطة أن لا يجور على أرض غيره ، وأن لا يسيء الى أحد • نعم ، هو كذلك ••• أنا موافق على أن يعمل ، أنا أؤيد ذلك تأييدا تاما ••• •

كانت الساعات أثناء ذلك تقضى ••• كانت تطير طيرانا • هي الساعة الرابعة منذ الآن • المكاتب تغلق • تناول آندره فيليوفتش قبته ، وحذا جميع الموظفين حذوه كالعادة • تأخر السيد جوليا دكين قليلا ، من أجل أن يخرج آخر الخارجين •

تفرو الموظفون ومضى كل منهم الى منزله • فلما صار السيد جوليا دكين فى الشارع أحس أنه سعيد كما لو كان فى الجنة • حتى لقد شعر برغبة فى أن يقوم بجولة قصيرة ، فى أن يتنزه بشارع نفسكى •

قال لنفسه وهو يسير : « ما أعجب المقادير ! ••• لقد تغير الوضع تغيرا جذريا على حين فجأة ••• حتى الجو تحسن تحسنا واضحا • هذه هى الزلاقات وهذا هو الجليد ! ••• الجليد يناسب الروس • وأنا أحب الروس ••• لو شاهد صياد هذا لهتف يقول : هذه طلائع البرد والليج ••• يجب على أن أصطاد أرنباً طيباً على هذه الثلجة الاولى ••• يمينا ليس ثمة ما يزعج ••• كل شيء يجرى مجرى حسنا ••• • هكذا تجلت حماسة جوليا دكين • ومع ذلك كان هنالك شيء ما يزال يدغدغ داخل رأسه • أهو قلق ؟ أهو خوف ؟ لا ••• غير أن قلبه لا يزال فيه من الفزع ما يجعله عاجزا عن التغلب على نفسه • قال : « لا داعى الى التعجل على كل حال • فلننتظر المستقبل ••• صبر من ظفر ••• يضحك جيدا من يضحك أخيرا • وما هى المسألة فى الواقع ؟ هلا فكرنا قليلا ! هلا حللنا قليلا ! نعم علينا أن نحلل يا صديقى الشاب ، علينا أن نحلل • أنا رجل مثلك ، نعم ، أنا رجل شبيه بك ، شبيه بك

من جميع النواحي • طيب • ثم ماذا؟ هل فى هذا ما يدعونى الى الشكوى والنواح؟ هل فى هذا ما يدعونى الى البكاء؟ أى ضمير فى هذا كله؟ اتنى بعيد عن هذه القضية كلها ، أغسل منها يدى وكفى ! ••• لقد قررت ، لقد اتخذت قرارا حاسما الى الأبد •••

« أما هو فليؤمّن عمله • يقولون انها معجزة ، يقولون انها ظاهرة عجيبة ••• يشبهونها بظاهرة الأخوين السيامين ••• لماذا يستشهدون بالأخوين السيامين؟ هما توأمان طبيعا ••• ولا كذلك نحن ••• ثم ان الحياة مليئة بالغرائب ، حتى لدى عظماء الرجال • فالتاريخ يروى أن سوفوروف الشهير نفسه كان يفتنى كما يفتنى ديك ••• صحيح انه يدعى أن هذا كان من فييل الدبلوماسية ••• ولكن ما القول فى كبار القادة؟ ••• اتنى ، من جهتى ، أسير فى طريقى هادئا مسالما ، أظل فى ركنى ، لا أريد أن أعرف شيئا عن الآخرين ، أحب أن أكون بريئا كل البراءة ••• لا أحفل بعدوى ••• لست بمن يدبر المكائد ويضع المؤامرات ••• وأنا بهذا فخور • اتنى طاهر تقى ، مهذب ، دمت ، لا أعرف الحق •••»

وفجأة صمت السيد جوليا دكين ، وتوقف مختلجا مرتجفا كورقة فى فى مهب الريح •• حتى لقد أغمضت عيناه بضغ لحظات • ومع ذلك تأمل أن يكون الشيء الذى أثار رعبه سرايا ووهما من أوهام الحواس ، ففتح عينيه وألقى نظرة وجللى على يمينه ••• لا ••• لم يكن ما رآه سرايا أو وهما ••• فالى جانبه كان يكردح الرجل الذى رآه فى صبيحة ذلك اليوم • انه يتسم له ، ويتفرس فيه بوقاحة ، وكأنه ينتظر فرصة مواتية ليجرى معه حديثا • ولكن الفرصة تأخرت •••

وهكذا ظل الرجلان يسير أحدهما الى جانب الآخر قرابة خمسين

خطوة •

ان طاقة السيد جوليا دكين منصبه كلها على هدف واحد : هو أن يغطس في معطفه أكمل غطس وأعمق غطس ، وأن ينزل قبعته على رأسه حتى تصل الى عينيه • ولكنه رأى فجأة - وتلك غاية الوقاحة - أن معطف صاحبه وقبعته كمعطفه وقبعته هو تماما •

تمتم بطلنا أخيرا يقول وهو يحاول أن يتكلم بصوت خافت دون أن ينظر الى صاحبه :

- أحسب أيها السيد أن طريقتنا مختلفان ••• بل أنا موقن من ذلك ( أضاف هذا بعد لحظة صمت ) • ثم اننى أعتقد أنك فهمتني حق الفهم ( هكذا ختم كلامه بلهجة قاطعة ) •

فدمدم صاحب السيد جوليا دكين يقول أخيرا :

- كنت أود ••• كنت أود ••• رجائى من كرمك أن يغفر لى ••• أن يسامحنى •• اننى لا أعرف أحدا أتجه اليه هنا •• فوضعى •• آمل أن تعفو عن جرأتى ووقاحتى •• لقد بدا لى أنك تعطف علىّ ، أنك أظهرت شيئاً من الاهتمام بى فى هذا الصباح ••• ولقد شعرت أنا أيضا بشيء من الانجذاب نحوك •• اننى ••

هنا تمنى السيد جوليا دكين لزميله الجديد أن ينور تحت الأرض الى الأبد •

استأنف صاحبه يقول :

- ليتنى أستطيع أن آمل يا ياكوف بتروفتش أن تصغى الىّ فى تسامح ورحابة صدر •

فأجابه السيد جوليا دكين قائلا :

– هنا؟ نحن؟ هنا؟ نحن؟ لا .. لا .. لا .. لنذهب الى بيتي ...  
 لنقطع أولاً شارع نفسكى ، فنكون فى الجهة الأخرى أكثر ارتياحا ، ثم  
 نمضى فى الشارع الصغير ♦

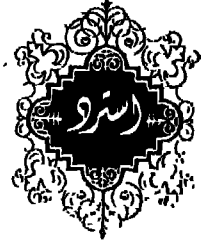
قال صاحب السيد جوليا دكين طيعا خائفا :

– طيب ♦ لنسر فى الشارع الصغير ♦

كان واضحا من لهجته أنه بسبب وضعه يرى أن لا فائدة من  
 المناقشة ، وأن الشارع الصغير يكفيه ♦

أما السيد جوليا دكين فكان لا يفهم شيئا مما يجرى اطلاقا ♦ انه لم  
 ينب الى رشده بعد ♦ انه يشك فى حواسه وفى عقله ♦

## الفصل السابع



السيد جوليا دكين بعض صوابه وهو يصعد السلم • حتى اذا وصل أمام باب بيته قال لنفسه : « ألا ما أصغر عقلي ! لكأنه عقل عصفور ! ••• لماذا أجيء به الى هنا ؟ اننى أضع الجبل فى عنقى  
ينفسى ؟ ما عسى يقول بتروشكا حين يرانا معا ؟ ما عسى يظن هذا الجرو بعد اليوم وهو كثير الظنون والشكوك منذ الآن ؟ ••••• ولكن الندم قد فات أوانه • وطرق جوليا دكين الباب فانفتح ، وأخذ بتروشكا يساعد السيد جوليا دكين وصاحبه فى خلع معطفيهما •  
وجازف السيد جوليا دكين بنظرة مختلسة على خادمه محاولاً أن ينفذ الى وجهه وأن يحزر ما يجول فى خاطره • فما كان أشد دهشته حين لاحظ أن خادمه لم يظهر أى استغراب • حتى لكأنه قد أعد نفسه لهذا الاحتمال اعداداً تاماً • كانت هيئته على عاداتها ، هيئه ذئب جائع ، موارب النظرة ، متأهب فى كل لحظة للاقتضاض على أول قادم واقتراسه • قال ( ٢٣ و ٢٤ ) دوسنويسكى

بطلنا لنفسه : « لا شك أنهم قد ألقى عليهم اليوم جميعا سحر ؛ لا شك أن ان جنياً قد مر من هنا • نعم هذا اليد • لا شك أنهم جميعا قد ومع نهم شيء خاص في هذا اليوم • لعنهم الله ! ••• يا للورطة ! ••• » • تلك كانت أفكار السيد جوليا دكين وخواطره لحظة كان يدخل ضيفه الى الغرفة ويدعوه الى الجلوس ملاطفا • كان يبدو على صاحبه أنه مرتبك ارتباكاً شديداً ، وجل وجل واضحا ، فهو يحاول أن يختطف نظرات السيد جوليا دكين عسى أن يقرأ فيها ما يجول في ذهنه • كانت حركاته وإشاراته تنبئ عن الحيرة والخشية والمذلة • وكان مظهره في تلك اللحظة مظهر رجل ارتدى ثياب غيره لأنه لا يملك ثياباً لنفسه (وليفسر لنا هذا التشبيه) ، فأكامه قصيرة حتى لتكاد تصل الى كوعيه ، وهو يحاول في كل لحظة أن يعدل صدرته المسرفة في القصر ؛ وهو تارة يدور في مكانه ويمحى ويحاول أن يختفى ، وتارة يتفحص نظرات من يحيطون به ويصيح بسمعه ، ويحاول أن يلتقط أحاديثهم ليعرف هل هم يتحدثون عنه ، وهل هم يضحكون منه ••• صفوة القول أن الرجل كان على نار ، فهو يحمر ، ويفقد سيطرته على نفسه ، ويقاسى من مذلة كبريائه مقاساة رهيبية •

وضع السيد جوليا دكين قبعته على حافة النافذة ، فأسقطتها حركة مفاجئة ، فهرع الضيف يلتقطها ، وأخذ ينفض عنها الغبار ، ثم أعادها الى موضعها ، تاركا قبعته هو على الأرض ، قرب الكرسي الذي جلس على طرفه خجلاً وجللاً • ان هذا الحادث الصغير قد أزال القشاة عن عيني السيد جوليا دكين ، فأدرك أن الرجل خاضع لمشيئته ، فلا حاجة به الى أن يكلف نفسه عناء ، لا حاجة به الى أن يبحث عن موضوع حديث ، وإنما يترك الأمر للضيف يحمل تبعته •

وكان الضيف من جهته لا يجروء أن يشرع في شيء ، فهو ينتظر أن يقوم رب البيت بأخطوات الأولى • نرى أكان هذا خجلاً أم خفراً أم



أدبا؟ انه ليصعب أن نجيب عن هذا السؤال اجابة قاطعة • وفي أثناء ذلك عاد بتروشكا • انه الآن واقف على العتبة ، متجه بصره الى عكس الجهة التي كان فيها مولاه والضيف ، وها هو ذا يسأل بصوت أبح ولهجة مهملة: « هل على أن أمر بعشائين؟ » • وهذا جوليا دكين يدمدم مترددا : « أنا •• أنا •• لا أدري •• نعم ، يا صديقي نعم ، مر لنا بعشائين •• »

غاب بتروشكا • وتصفح السيد جوليا دكين وجه ضيفه خفيه • فاحمر وجه الضيف حتى الأذنين • ان السيد جوليا دكين رجل طيب • لذلك سرعان ما انتهى بفضل طيبة قلبه الى هذه النتيجة : « مسكين هذا الرجل • لقد تسلم وظيفه في هذا الصباح ، وكان قبل ذلك يعيش حياة قاسية من غير شك • ولعل كل ما يملكه هو هذا الرداء الذي يستر به جسمه • أترأه يملك ما يدفعه ثمن وجبة طعام؟ مسكين هذا الرجل ! ان وجهه مهدم منهار يدل على المذلة • ولكن لا ضير ••• فلربما كان هذا أفضل ••• »

قال يخاطب صاحبه :

- اسمح لي • هل يمكنني أن أعرف اسمك؟

- يا ••• يا ••• يا كوف بتروفتش •

كذلك تتمم الضيف يقول وقد لاح في وجهه الاضطراب والحنجل ، حتى لكأنه يهم أن يعتذر عن كونه يحمل اسم السيد جوليا دكين نفسه •

فردد بطلنا يقول وهو عاجز عن السيطرة على اضطرابه :

- يا كوف بتروفتش؟

فأجاب الضيف الطبع بقوله :

- نعم ، هذا هو اسمي • أنا سميتك •

وهمّ الضيف أن يرسم على شفتيه ابتسامه ، وأن يجازف بقول كلمة طيبة ، ولكنه لم يلبث أن توقف عن ذلك ، مصطنعا هيئة الجد ، مرتبكا بعض الارتباك ، حين لاحظ أن محدثه لا يرغب في شيء من المزاح في هذه اللحظة .

قال السيد جوليا دكين :

— هل لي أن أعرف السبب الذي شرفني ب . . . .

فبادر الضيف يقاطعه بصوت خجول وهو ينهض قليلا عن كرسيه .:

— انتى وقد عرفت عظمه نفسك ، وكرم روحك قد أذنت لنفسى ان

أتجه اليك . . . . ملتصقا صدافتك . . . . وحمایتك .

هكذا ختم الضيف عبارته ، وكان واضحا أنه مرتبك بالعشور على الكلمات المناسبة التى لا تكون مسرفة فى التملق والتزلف ، ولا تكون مسرفة فى اذلال كرامته ، ولا تكون كذلك مفرطة فى رفع الكلفة بحيث تعبر عن تكافؤ فى غير محله . كان منله فى التصرف كمثل سحاذ يرتدى رداء رسميا مرفعا ويحمل فى جيبه وئائق مشرفة ، ولكنه سحاذ لما يتسع وقته بعد لمدّ البد فى طلب الصدفة .

أجابه السيد جوليا دكين وهو ينقل بصره بين ضيفه وجدران غرفته

ونفسه :

— انك تخرجنى . . . . فكيف . . . . أقصد فيم أستطيع أن أنفعك ؟

— لقد سعرت ، يا ياكوف بتروفتش ، بانجذاب نحوك منذ لقيتكم

أول مرة . . . . فليكن كرمك شفيعى عندك فتغفر لى . . . . نعم ، لقد عقدت

بعض الآمال . . . . لقد تجرأت فأملت يا ياكوف بتروفتش . . . . أنا رجل

نازح عن وطنه يا ياكوف بتروفتش ، أنا رجل فقير قاسى ماقاسى يا ياكوف

بتروفنش •• وأنا هنا غريب • ولقد عرفت أنك تحصل ، عدا المزايا  
الكبيرة التي فطرت عليها نفسك العظيمة ، نفس الاسم الذي أحمله أنا ••

قطب السيد جوليا دكين حاجيه • وأضاف الضيف يقول :

– لقد علمت أنك سمى ، وأنتك من نفس الاقليم الذي أنا منه •  
لذلك فررت أن أتجه اليك أعرض عليك وضعى المربك •

فأجابه السيد جوليا دكين بصوت مضطرب :

– طيب طيب • ولكننى لا أدرى حقا ماذا أقول لك ••• مستحدث  
فى هذا كله بعد الغداء •••

انضى الضيف ممتلا • وكان الغداء قد حضر • فقد وضع بتروشكا.  
المائدة • فأخذ الرجلان يأكلان كمن يقوم بواجب من الواجبات المعروضة •  
لم يدم الغداء طويلا • كانا كلاهما متعجلين • ان السيد جوليا دكين غير  
مرتاح • انه خجل من هذه الوجبة الفقيرة التي يقدمها لضيفه ، خجل من  
ناحيتين : الأولى أنه كان يود لو يولم له وليمة لائقه ، والثانية أنه كان  
يحب أن يظهر له انه لا يعيش حياة شحاذ •

وكان صاحبه غير مرتاح كذلك ، وكان يبدو خجلا الى أبعد حدود  
الخجل • انه بعد أن تناول وأكل قطعة من الخبز لم يجزؤ أن يعد يده  
لتناول قطعة أخرى ؛ وكان متحرجا كذلك من تناول قطعة كبيرة ؛ وكان  
يردد فى كل لحظة أنه ليس بجائع قط ، وأن الغداء فاخر ، وأنه راض  
كل الرضى ، وأنه سيظل شاكرا مدى الحياة • فلما انتهى الغداء أشعل  
السيد جوليا دكين غليونه ، واقترح على ضيفه اشعال غليون آخر يحتفظ  
به للأصدقاء خاصة • جلس الرجلان أحدهما أمام الآخر ، وأخذ الضيف  
يروى مغامراته •

دام كلام جوليا دكين الثانى ثلاث ساعات أو أربعا • والحق أن ماروام.

لم يكن الا سلسلة من أحداث تافهة عادية . تحدث عن عمله فى ادارة حكومية بالأقاليم ، وعن قضاة تحقيق ، وعن رؤساء محاكم ، وعن مكائد مألوفة فى دوائر الدولة . وتحدث كذلك عن فساد أحد الموظفين المرتشين ، وعن وصول مفتش من المفتشين ، وعن تغيير رئيس الادارة ، وعمّا أصابه هو من مصائب لا يستحقها . وأشار أيضا الى العمّة العجوز بيلاجيا سيموتوفنا ، ثم أفاض فى الكلام تفصيلا على آخر ما بقى من متاعب : ضياع وظيفته على أثر مكائد دبرها له أعداؤه ، مجيئه الى سان بطرسبرج سيرا على القدمين ، الشدائد والمكاره التى عاناها ، صنوف البؤس وألوان الشقاء التى قاسى منها فى العاصمة ، مساعيه الطويلة العقيمة فى البحث عن وظيفه . لقد أنفق آخر قرش مما كان قد ادخره ، حتى أصبح مضطرا الى أن يعيش فى الشارع فعلا ، يأكل خبزا يابسا مبللا بدموعه ، وينام على الأرض . ومن حسن حظه أن وجد رجل محسن عنى بأمره ، وأوصى به خيرا ، فاستطاع أن يحصل على هذه الوظيفة آخر الأمر . وكان أثناء كلامه يبكى ويجفف دموعه بمنديل أزرق مخطط يمكن أن يحسبه الناظر قماشاً مشمعا . وفى الحتام فتح قلبه تماما للسيد جوليادين ، فاعترف له بأنه لا يملك الآن أى مورد من أجل أن يعيش ويسكن ، ولا من أجل أن يكسب . حتى أنه لم يستطع أن يجمع مبلغا يكفيه لشراء حذاءين . أما الرداء الرسمى الذى يرتديه فقد استأجره بضعة أيام .

تأثر السيد جوليادين تأثرا شديدا من سماع هذه القصة ، ورق قلبه لصاحبه وأشفق عليه اسفاقا عميقا . صحيح أن قصة الرجل كانت من القصص العادية المألوفة الى أبعد حد ، غير أن كل كلمة من كلماته قد استقبلها قلب السيد جوليادين كأنها كلام الله ، كأنها القران المقدس . لقد تبددت جميع الشكوك التى غزت نفسه فى الساعات الأخيرة . فقلبه الآن حر طليق يفيض فرحا . حتى لقد عد السيد جوليادين نفسه

غيا ، فكل شيء يبدو طبيعيا ، ولم يكن ثمة ما يوجب أن يعذب نفسه وأن يخاف ذلك الخوف كله في غير طائل • صحيح أن في الأمر نقطة شائكة •• هي هذا التشابه ••• ولكن لماذا يعد هذا التشابه كارثة من الكوارث • ليس الانسان مسئولا عما تفعله الطبيعة • وليس في هذا التشابه ما يحطم حياة انسان ، أو ما يلطخ شرف انسان ، أو ما يعيب سمعة انسان • زد على ذلك أن ضيفه يلتمس منه الحماية • وهو يبكي ويندب ويشكو مصيره؛ ولا يبدو مؤذيا ، بل هو رجل مسكين تافه مبرأ من الكره والمكر • وكان يبدو هو نفسه خجلاً من هذا التشابه الخارق ، ولو لأسباب قد تكون مختلفة • ليس في وضعه ما يمكن أن يؤخذ عليه • انه لا يطلب الا أن ينال رضى صاحب البيت الذى قدم له غداء • ان له نظرة انسان يعذبه ضميره ، انسان يحس أنه آثم في حق آخر • كان أثناء الحديث يعود فيوافق السيد جوليا دكين على رأيه ، متى دار الكلام على موضوع يمكن أن يتير خلافا في الرأي • فاذا اتفق له ، عن سهو أو غفلة ، أن وجد نفسه يناقض مخاطبه مناقضة واضحة ، لم يلبث أن تدارك خطاه وصحح رأيه ، واندفع في شروح جديدة مؤكدا أن رأيه يتفق ورأى السيد جوليا دكين من جميع النواحي وفي جميع النقاط ، وأنه يفكر كما يفكر السيد جوليا دكين تماما ، وأنه ينظر الى الامور نظرتة اليها : لقد نان يفعل كل مايسنطيع أن يفعله من أجل أن يكون على وفاق مع السيد جوليا دكين • وقد خلص السيد جوليا دكين من هذا كله الى أن الرجل لطيف محبب الى القلب من جميع الوجوه • وفي أثناء ذلك جىء بالشاى • وكانت الساعة قدتجاوزت الثامنة • فكان السيد جوليا دكين يشعر بارتياح كبير ، وقد طابت نفسه وأشرق مزاجه •

انه الآن متعش يفيض قلبه حماسة ، فلم يلبث أن أخذ يسترسل مع صاحبه في حديث حار متدفق • ان من عادة السيد جوليا دكين حين

يطيب يومه أن يحب الكلام كثيرا على الأمور الشائعة • فكذلك كان في هذا المساء : تحدث عن العاصمة ، عن ألوان الجمال التي تتمتع بها ، عن ضروب التسلية التي تحفل بها ، عن النوادي ، عن آخر لوحة رسمتها بريشة برولوف • وروى قصة دينك الانجليزيين اللذين جاءا من لندن الى سان بطرسبرج خصيصا من أجل أن يعجبا بجمال سور « حديقة الصيف » ، ثم لم يلبثا أن غادرا سان بطرسبرج بعدئذ على الفور • وتحدث بعد ذلك عن عمله في الدائرة ، وعن أولسوفى ايفانوفتش وعن أندره فيليوفتش ، ثم أعلن أنه يرى أن روسيا تسير في طريق التقدم من ساعة الى ساعة ، واستشهد في هذا الصدد بهذا البيت من الشعر :

### في كل يوم تزهو الآداب

وذكر كذلك واقعة أخرى كان قد قرأها أخيرا في جريدة « نحلة الشمال » ، وتكلم عن أفعى من أفاعى اليتون بالهند تملك قوة خارقة ، وتكلم عن البارون برايبئوس ، النخ ••• الخلاصة أن السيد جوليا دكين كان راضيا كل الرضى في ذلك المساء ؛ أولا لأنه كان ينعم بهدوء كامل وطمأنينة تامة ، وثانيا لأنه أصبح لا يخشى أعداءه ، حتى لقد أصبح يحس أنه متأهب لأن يواجههم في معركة حاسمة ، وأخيرا لأنه كان هو نفسه في ذلك المساء في موقف الحامى والمحسن •

ومع ذلك فلقد كان يحس في قرارة نفسه بأن هذه السعادة ليست كاملة تماما في تلك اللحظة ؛ كان يحس في قرارة نفسه بوجود سوس ينخر فيها ، سوس صغير طبعاً ، لكنه سوس نشيط ؛ وكان هذا السوس يأكل قلبه في تلك اللحظة • كانت ذكرى السهرة التي انقضت في الليلة البارحة عند أولسوفى ايفانوفتش تعذبه • لقد كان مستعداً لأن يضحى بأشياء كثيرة في سبيل أن لا تقع بعض الاحداث التي وقعت أثناء تلك

السهرة • قال لنفسه أخيرا وقد عزم عزمًا قاطعًا على أن يسلك في المستقبل سلوكًا لا يأخذ عليه ، وأن يتحاشى ارتكاب أخطاء كمثل الأخطاء : « ليس الأمر بذى بال على كل حال ••• ، واذ شعر عندئذ بتحسّن حاله النفسية حتى ليشبهه أن يكون سعيدًا ، أحب السيد جوليا دكين أن يتمتع بالحياة قليلًا • فجاء بتروشكا يحمل زجاجة من خمر الروم ، فصنع منها شرابًا ، فأفرغ الرجلان في جوفيهما منه كأسًا ، ثم كأسًا أخرى ؛ فازداد الضيف تلطفاً وتودداً ، حتى لقد برهن غير مرة على انطلاق سجيته وسعادة مزاجه ، وشارك السيد جوليا دكين انشراحه ومرحه ، وبدا عليه أنه شديد الابتهاج بفرح جوليا دكين ، وأنه يعده صديقه الوحيد الحق •

وتناول قلما وورقة على حين فجأة ، وأخذ يكتب طالبا إلى السيد جوليا دكين أن لا ينظر إليه • حتى إذا فرغ من الكتابة مدّ إلى صديقه ما أنجته قريحته • هي رباعية عاطفية بعض الشيء ، لكنها رائعة من ناحية الشكل والخط • وقد نظمها صاحب اللطيف بنفسه طبعًا • وهذه هي :

وهبك نسيت عهد الود لن أنسى لك الودا  
صروف الدهر ألوان ولكن لا تخن عهدا

فعانق السيد جوليا دكين ضيفه والدموع في عينيه من فرط التأثر ، وأخذ يفضى إلى صديقه الجديد بأخفى أسراره ، فأسار مرارا إلى أندره فيليبوتش وإلى كلارا أولسوفيفنا ، وما فتىء يكرر له قوله : « آ ••• لسوف ترى يا ياكوف بتروفتش ••• سوف تفاهم أحسن تفاهم أنا وأنت • سوف نعيش كما يعيش أخوان حقا ••• كالأسماك في الماء ••• وسنمكر ، يا أخى ، سنمكر • سنكيد لهم ، نعم سندبر لهم مكيدة على طريقتنا ••• وياك خاصة أن تتق بهم أو أن تطمئن اليهم أو أن تسر لهم بشيء • أنا أعرفك يا ياكوف بتروفتش ••• أنا أعرف طبعك ••• قد

لا تتورع عن أن تقص عليهم كل شيء ، لأنك انسان حساس النفس  
 مستقيم الخلق • فاجعلهم دائما على مسافة منك يا أخى ••• • وافق  
 الضيف السيد جوليا دكين موافقة تامة ؛ وأجزل له الشكر حارا ، حتى  
 لقد ذرف بضع عبرات • وأردف بطلنا يقول بصوت مرتجف ضعيف :  
 « اسمع يا ياشا ، اسمع ، تعال فاسكن معى الى حين أو الى الأبد •  
 سنسعد بالسكنى معا • ما رأيك أيها الأخ ؟ ثم لا تعبأ بهذا التشابه بيننا ،  
 لا تحفل بهذه المصادفة الغريبة ! لا تعذب نفسك بهذا الأمر ، ولا تتر  
 عليه ! انها الطبيعة ••• والتمرد كفر • ان أمتنا الطبيعة سخية كريمة ،  
 فافهم هذا حق الفهم يا أخى ياشا • أقول لك ذلك عن حب ، عن حب  
 أخوى • سوف يكيدون لنا يا ياشا • ولكننا سنعرف كيف نمد لهم الشباك ،  
 وكيف نوقعهم فى الفخ ••• سوف ترى ••• •

وكان الرجلان قد وصلا من الشراب الى الكأس الرابعة • وكان  
 يسيطر على السيد جوليا دكين شعوران : فأما الأول فهو أنه لا يستطيع  
 الوقوف على قدميه ، وأما الثانى فهو سعادة ليس لها حدود •

وكان طبيعيا أن يدعو صاحبه الى المبيت فى مسكنه • فكذلك فعل •  
 وأمكن اعداد سرير للضيف يضم صفيين من الكراسى كيفما اتفق • وقال  
 السيد جوليا دكين الجديد ان المرء ليحلو له أن يبيت عند صديق ولو  
 افترس الأرض ، وانه مستعد لأن ينام فى أى ركن ساكرا ممتاء وأضاف  
 يقول انه يشعر الآن أنه فى الجنة ، بعد سلسلة طويلة من المكاره والمصائب  
 والآلام • آه ما أكر ما رأى وما فاسى ! ولعل المستقبل ما يزال يخبىء له  
 آلاما أخرى أيضا ! فرأى جوليا دكين الأكبر أن يحنج على هذه المزاعم  
 احتجاجا قويا ، وأن يبرهن لصاحبه على ضرورة الايمان بعدالة الله •••  
 فأمن صاحبه على قوله مطنبا مسهبا فى القول ، وأعلن هو أيضا أن « عدالة



الله لا نظير لها ، ، ، ، وبهذه المناسبة ، استشهد جوليادكين الأكبر بالأثرak  
فأثلا انهم على حق حين يتهلون الى الله حتى أثناء النوم •

وخالف بطلنا آراء كثير من العلماء الذين يتكرون للنبي « التركي » .  
محمد ، فقال انه يعده رجلا عظيما • ولم يلبث السيد جوليادكين أن انتقل  
من الكلام على الأثرak الى الكلام على « صالون » جزائري من صالونات  
الحلاقة ، فوصفه وصفا حيا جميلا كان قد قرأه في أحد الكتب • وضحت  
الرجلان طويلا من سداجة الأثرak ، ولكنهما لم ينسيا أن يشيدا بتعصبهم  
الذي يزيد الأفيون قوة وحرارة • وأخذ الضيف يخلع ملابسه •  
فانسحب السيد جوليادكين الى ما وراء الحاجز • فهو يخشى أولا أن  
لا يكون قميص ضيفه لائقا ، فمن المستحسن أن يغيب حتى لا يشعر  
بشيء من المذلة ؟ وهو يريد ثانياً أن يتأكد من سلوك بتروشكا ، أن يسبره  
قليلا ، أن يبت في نفسه شيئا من الفرح اذا أمكن ذلك ، أن يلاطفه بعض  
الملاطفة • كان السيد جوليادكين يرغب رغبة قوية في أن يسود السلم  
وأن تسود السعادة في بيته هذا المساء • ولناحظ أيضا أن وضع بتروشكا  
كان ينعم دائما بالقدرة على جعل السيد جوليادكين قلقا غير مرتاح •

قال بطلنا بصوت عذب رخيم وهو يدخل الحجرة المخصصة لخادمه :  
- عليك أن تنام الآن يا بطرس • ارقد الآن وأيقظني غدا في الساعة  
الثامنة • هل فهمت يا بتروشكا ؟

كان في لهجة السيد جوليادكين عنوية قصوى ورقة عظمى ، ولكن  
بتروشكا ظل أخرس لا يتكلم ، وظل يتحرك مشغولا حول سريره ، ولم  
يتنازل حتى أن يلتفت نحو مولاه ، وذلك أيسر مظهر من مظهر  
الاحترام •

تابع السيد جوليادكين يقول :

– هل سمعتى يا بتروشكا ؟ ارقد الآن يا بتروشكا ، وفى غد صباحا ، أيقظنى فى الساعة الثامنة • هل فهمت ؟

فدمدم بتروشكا يقول متململا :

– فهمت فهمت • هل هذا سحر يصعب فهمه ؟

– طيب طيب يا بتروشكا • أنا ما قلت لك هذا كله الا من أجل راحتك وسعادتك • نحن الآن سعداء ، وقد أردت أن تكون أنت أيضا سعيدا • وأنا الآن أتمنى لك ليلة طيبة • نم جيدا يا بتروشكا ، نم جيدا • العمل مقسوم علينا جميعاً ••• واياك خاصة ياعزيزى أن ينصرف ذهنك الى تخيل أشياء •••

. قال السيد جوليا دكين ذلك ثم توقف فى منتصف جملة مسائلا .  
نفسه : « ترى ألم أسرف فى القول ؟ ألم أبالغ ؟ أنا دائما هكذا ••• أتجاوز الحدود • » • ثم انصرف تاركا حجرة بتروشكا ، مستاء من نفسه بعض الاستياء • ثم انه كان عدا ذلك منزعا من فظاظه خادمه وانخلاقه • فال لنفسه : « يا للوعد الحقير ! ••• يشرفه مولاه بمخاطبته متلظفا هذا التلطف ، ثم هو لا يحس ذلك ولا يشعر به ••• على أن هذا سجية عامة فى جميع هؤلاء الخدام • » • وعاد السيد جوليا دكين الى غرفته وهو يترنح قليلا ، فلما رأى ضيفه مضطجعا جلس لحظة قربه •

بدأ يقول بصوت خافت وهو يرجع رأسه :

– اعترف يا يا شيا ، اعترف بأنك مذنب فى حقى أيها الحبيث •  
أأنت ••• ياسميتى ••• أنت ••• لا داعى الى الكلام ! • » •

قال ذلك بلهجه مرحة فى غير كلفة ؟ ثم مضى الى غرفته بعد أن تمنى لصاحبه ليلة هائلة بكثير من المودة والصدافة • ولم يلبث أن اضطجع

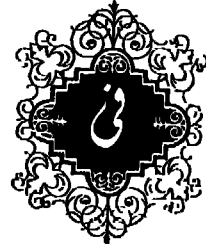
هو أيضا ، مبتسما يخاطب نفسه : « أنت اليوم سكران يا عزيزي  
ياكوف بتروفتش ، أنت سكران أيها اللثيم . . . آه منك أيها الوغد  
يا جولبادكين . . . نعم ذلك هو الاسم الذي تستحقه . . . أنت الليلة  
فرحان . . . ولكن لماذا ؟ لسوف تسكب في غد دموعا أيها البكاء . . .  
لا أمل فيك ! » .

وأحس بطلنا في هذه اللحظة بشعور غريب واخبر هو مزيج من  
الندم والشك . قال لنفسه : « أتراني أسرفت في الحماسة ! أنا الآن  
سكران . ان في رأسي دوارا . . . آه . . . اتى لم أعرف كيف أضبط  
نفسى . . . ان أنا الا أبله . . . ولا شك أتى قلت سخافات كثيرة . . .  
كثيرة كجبل . . . يا لى من شخص تافه . . . صحيح أن الغفران ونسيان  
الاساءة هما من الفضائل الحميدة . . . ولكن هذا لا ينفي أتى أخطأت .  
ذلك واضح وضوح ماء الصخر » . قال السيد جولبادكين ذلك ثم نهض  
فتناول شمعة واتجه نحو سرير ضيفه سائرا على رعوس الأصابع . كان  
يريد أن يلقي نظرة أخيرة على وجهه . فظل مائلا عليه مدة طويلة يتفرس  
فيه غارقا في تأمل عميق . ودمدم يقول لنفسه أخيرا : « منظر لا يسر . . .  
محاكاة مضحكة ، محاكاة مضحكة لا أكثر ولا أقل . . . »

وعاد السيد جولبادكين الى سريره فرقد في هذه المرة رغم كل  
نعى . وما لبث رأسه أن أصبح مقر صخب حقيقي : ان أنواعا من فرقه ،  
ورنين ، وصرير تغزو دماغه . وفقد شعوره بالأشياء قليلا قليلا . . . أراد  
أن يسرد وعيه ، أراد أن يتب فكره على نقطة بعينها ، أراد أن يتذكر  
أمرا يتعلق بمسألة ذات شأن هام خطير ، مسألة حرجة دقيقة الى أبعد  
حدود الحرج والدقة . . . ولكنه لم يظفر بذلك . لقد استولى الكرى على  
رأسه المسكين فنام . . . نام كما ينام رجل لم يألف الشراب ثم شاءت له  
المصادفة في ليلة صدافة أن يفرغ في جوفه خمس كتوس .



## الفصل الثامن



الغداة ، استيقظ السيد جوليا دكين في الساعة الثامنة على عادته • فلم تلبث أحداث الليلة البارحة أن عادت الى ذهنه • صعر وجهه • قال لنفسه وهو ينهض عن سريره وينظر نحو ضيفه « لقد تصرفت أمس تصرف أحمق • • • ولكن ما كان أشد دهشه حين لاحظ أن ضيفه والسرير الذي لا بد أن ضيفه كان نائما عليه قد تبخرا ! • • • فلم يكذ يستطيع أن يمتنع عن اطلاق صرخة تعجب ! قال لنفسه : « ما هذا ! ما معنى هذه الظاهرة الجديدة ؟ » • كان بطلنا يتأمل المكان الخالي مشدوه العقل فاغر الفم • صرَّ الباب وظهر بتروشكا حاملا صينية الشاي • تتم بطلنا بصوت لا يكاد يسمع وهو يشير بأصبعه الى المكان الذي كان يحتله بالأمس سرير صاحبه : « أين هو ؟ أين هو اذن ؟ » • فلم يجب بتروشكا في أول الأمر بشيء ؛ حتى أنه لم يتنازل أن يرفع عينيه الى مولاه ، وانما اتجه ببصره الى ركن من الغرفة على يمينه ، فلم يسمع السيد جوليا دكين

الا أن يحدق بصره الى ذلك الركن هو أيضاً وأخيراً بعد صمت طويل،  
أجاب بتروشكا يقول بصوت أجش فظ : « ليس مولاي في البيت » •

قال جوليا دكين بصوت لاهت وهو يلتمهم خادمه بنظرته التهاما :

— أنا مولاك يا غيبى !

فلم يجب بتروشكا ، ولكنه ألقى على مولاة نظرة لم يملك مولاة  
ازاءها الا أن يحمر احمرارا شديدا حتى الأذنين • كانت نظرته منقلة  
بامتياء جارح يعدل اهانة مباهرة • وسقطت ذراعا السيد جوليا دكين ، على  
حد التعبير الرائج • وأخبره بتروشكا أخيراً أن الثاني قد انصرف منذ  
ساعة ونصف ساعة ، وأنه لم يشأ أن ينتظر • بدا قول بتروشكا جائزاً  
ومعقولاً ، فلا داعى الى الشك فى صدقه • أما نظرته المهينة ، واستعماله  
تعبير « الثاني » فهما من النتائج المحتومة لهذه المصادفة العجيبة ، لهذا  
الشابه المذهل •

أدرك السيد جوليا دكين ، ولو فى غموض وابهام ، أن الأمور لن  
تقف عند هذا الحد ، وأن القدر ما يزال يدخر له مفاجآت لن تكون  
سارة •

قال لنفسه : « طيب طيب • سوف نرى • سوف نرى كل نىء فى  
حينه ، فنعرف أين نحن وماذا يجب أن نفعل ••• » ثم أردف يدمدم  
بصوت مختلف كل الاختلاف ، بصوت متأوه هو الى الأيمن أقرب : « آه  
يا رب ! لماذا دعوته ؟ لماذا أنا هكذا ؟ لأى هدف فعلت هذا كله ؟ ألا انتى  
لأدس رأسى فى الشوطة التى هياها لى هؤلاء المجرمون قطاع الطرق •  
نعم ، انتى أعقد الجبل على عنقى بنفسى • آه منى ، آه من عقلى ، عقل  
المجانين ! انك يا جوليا دكين لا تستطيع أن تقاوم شهوة ارتكاب الخطأ ،  
لا تستطيع أن تقاوم الرغبة فى أن تكذب كتلميذ ، ككاتب فى الدواوين ،

كفندلفت تافه ••• ان أنت الا خرقة رخوة عفتة ••• ان أنت الا ثنثار  
 ••• ان أنت الا امرأة مهذار ••• ذلك أنت ••• آه يا رب ! ولقد نظم  
 الوجد أشعارا أيضا ! ••• أعرب لى عن صداقته • سأعرف كيف أريه  
 الباب اذا تجاسر أن يعود • سأقول له مثلا : أنظر يا صاحبي ••• ان  
 مرتبى ضئيل ••• أو لعننى أستطيع أن أخيفه اذا قلت له : لما كانت  
 حالتى العامة على ما ترى ، فيجب أن أذكر لك أنك لا بد أن تدفع نصف  
 أجر المسكن ونصف نفقات الطعام ••• وأن تدفع المبلغ مقدما • آه •••  
 لا ••• يا للفكرة السخيفة ! لا ••• هذا مستحيل ••• هذا يسىء الى  
 سمعتى ، هذا فظاظة ••• لعننى أستطيع أن أحاول وسيلة أخرى •••  
 أن أوحى الى بتروشكا مثلا بأن يكون وقحا فى معاملته ، بأن لا يظهر له  
 شيئا من الاحترام ، بأن يندفع غاضبا فى وجهه على نحو من الأنحاء  
 بفظاظة ••• نعم يمكن طرده بهذه الطريقة • هذا ما يجب أن يُعمل •  
 ولكن أأدعهما يصطرعان هما الاتين ؟ ••• لا ••• ليس هذا باللائق  
 أيضا ••• ليس هذا باللائق أبدا ••• ليس هذا بالحير ••• واذا لم يعد ؟  
 لن يكون هذا خيرا كذلك • آه ••• لقد أسرفت فى الحديث معه أمس •••  
 آه ••• الأمور لا تجرى كما يجب أن تجرى ••• انها تجرى مجرى  
 سيئا • ما أخف عقلى ! ما أشد حماقتى ! اننى عاجز عن تحقيق شيء من  
 الترتيب فى أفكسارى ••• عاجز عن تحقيق شيء من النظام فى رأسى  
 المسكين ••• وماذا اذا عاد ليرفض ما عرضته عليه ؟ آه ••• ليته يعود •••  
 لسوف يسرنى كثيرا أن يعود ••• « ١٥ »

كان السيد جوليا دكين غارقا فى هذه الخواطر وهو يتلمع الشاى  
 ويراقب ساعة الحائط فى الوقت نفسه •

« هى الساعة التاسعة الا ربعا الآن • آن لى أن أذهب • ما الذى  
 سيقع لى ؟ ما الذى سيقع لى ؟ وددت لو أعرف ماذا يحاك لى الآن من

المكائد ! ما هي خطتهم ؟ ما هي نياتهم ؟ ما هي وسائل عملهم ؟ نعم يحسن أن يعرف المرء على وجه الدقة الى أين يريد أن يصل هؤلاء السادة من ذلك كله ، وما هي الخطوات الأولى التي سيقومون بها ! « « « « »

نفذ صبر السيد جوليا دكين • فيها هو ذا يرمى غليونه الذي لا يزال مملآن الى النصف ، ثم يسرع فيرتدى ثيابه ، ويهرع الى مكتبه راکضاً ، يريد أن يجنب ما يمكن اجتنابه ، أو يريد على كل حال أن يتحفظ بنفسه مما سيجرى • الخطر قائم لا محالة ؟ هو لا يجهد ذلك • « ها هنا ، سننفذ الى السر حالاً ، سنوضح الأمر كله قريباً ، » كذلك كان يردد السيد جوليا دكين في الدهليز وهو ينضو معطفه ويخلع جرموقيه • لقد قرر بطلنا أن يباشر العمل ، فيها هو ذا يعدل ثيابه ويصطنع وضعاً لا تقا مهيباً • وفيما هو يهم أن يدخل المكتب ، اذا به يجد نفسه ، عند عتبة الباب ، أمام صاحب الليلة البارحة ، صديقه الجديد ، وجهاً لوجه ، أنفاً لأنف • بدا على السيد جوليا دكين الأصغر أنه لا يتعرف السيد جوليا دكين الأكبر ، رغم أنهما متقابلان • كان الموظف الجديد مشغول البال جداً ، على عجلة من أمره ، نافذ الصبر ، يكفي أن يرى المرء وجهه حتى يقول لنفسه على الفور : « لا شك أن الرجل مكلف بمهمة خاصة « « « « »

قال بطلنا ، وهو يتشبث بيد ضيف الليلة البارحة :

— ها « « « هذا أنت يا ياكوف بترفتش !

فصاح السيد جوليا دكين الأصغر يقول متملصاً :

— بعد قليل ، بعد قليل ، معذرة ، ستقول لي هذا كله فيما بعد •

— اسمح لي مع ذلك يا ياكوف بترفتش ، يخيل الى يا ياكوف

بترفتش أنك كنت تنوى أن « « « « »



– ماذا تقول ؟ اسرع في ذكر ما تريد أن تذكره . . . .  
لقد توقف ضيف السيد جوليا دكين وهو ظاهر الانزعاج والتملل  
والتبرم • وجعل أذنه عند أنف محدته • .

– يجب أن أعترف لك يا ياكوف بتروفتش بأننى مستغرب أن  
تستقبلنى هذا الاستقبال . . . . لقد كان من حقى أن أتوقع منك موقفا غير  
هذا الموقف . . . .

– لكل طلب أصول معينة لا بد من التقيد بها • فاذهب الى سكرتير  
صاحب السعادة ثم قدم عريضة مستوفية الشروط الى السيد مدير مكتبه •  
ان لك طلبا ، أليس كذلك ؟

– لست أفهمك يا ياكوف بتروفتش • انك تذهلنى يا ياكوف  
بتروفتش • ألسنت تعرفنى ؟ أم أن ذلك مزاح يتفق ومزاجك المرح ؟  
قال السيد جوليا دكين الأصغر وكأنه لم يتعرف السيد جوليا دكين  
الأكبر الا فى هذه اللحظة :

– آ . . . . هذا أنت ؟ هذا أنت ؟ . . . . قل لى اذن : هل نمت نوما  
طيبا ؟

قال الموظف الجديد ذلك ثم حرك شفقيه بإتسامة رسمية مؤدبة ،  
ولكنها لا محل لها فى الظروف الراهنة ، ما دام لدينا للسيد جوليا دكين  
بالفضل ، حتى هذه اللحظة فى أقل تقدير • وسُفح إتسامته الرسمية  
المهدبة بكلمه قصيره أعلن فيها لمخاطبه أنه يسره أن يعرف أنه نام نوما  
طيبا ؟ ولم يلبث أن انحنى انحناء خفيفة ، وتحرك فى مكانه ، ونظر مرة  
الى يمين ومرة الى شمال ، ثم خفض عينيه ، وحدق الى باب قريب ، وتمتم  
يقول انه مكلف بمهمة خاصة مستعجلة جدا ، وهرع يدخل الى الترفة  
المجاورة سريعا كومض البرق •

قال السيد جوليا دكين بصوت بهيم وقد صقع لحظة : « قصة عجيبه  
 ... قصة عجيبه حقا ... أهذا هو الامر اذن ؟ » \* وهنا شعر السيد  
 جوليا دكين برعدات تجتاح جسمه كله \* تابع يناجى نفسه ، وهو يتجه  
 نحو مكتبه : « على أتى قد أوجست هذا كله منذ زمن طويل ... انه  
 مكلف هنا بمهمة خاصة ... هذه هي المسألة \* أمس ، لا أكثر ، قلت  
 ان هذا الرجل موجود هنا للقيام بمهمة خاصة عهد به اليها أحدهم » \*  
 - هل أنهيت نسخ نص الأمس يا ياكوف بتروفتش ؟ أهو معك  
 الآن ؟

كذلك سأله أنطون أنطونوفتش بينما كان السيد جوليا دكين يجلس  
 على كرسيه \*

فأجابه السيد جوليا دكين مدمبما وهو يلتقى على رئيسه نظرة مهدمة :  
 - نعم هو معى !

- طيب ... لقد سألتك عنه لأن آندره فيليوفتش قد طلبه مرتين  
 حتى الآن \* وأحسب أنه لا بد أن يطلبه بعد قليل ...

- النص جاهز على كل حال ...

- طيب طيب ... عظيم !

- أحسب يا أنطون أنطونوفتش أتى قد فمت يواجبى دائما  
 باخلاص ، وائتى انجزت دائما الاعمال التى يعهد بها الى رؤسائى  
 بحماسة ونشاط \*

- أكيد ... ولكن ماذا تريد أن تقول بهذا ؟

- أنا ؟ ... لا شىء يا أنطون أنطونوفتش ... وانما أردت أن  
 أنشرح لك يا أنطون أنطونوفتش ... أقصد ... أردت أن أنبهك الى

أن الشر والحسد ، وهما الرذيلتان الساعيتان أبدا في طلب رزقهما اليومي الكريه ، لا يوفران أحدا \*\*\*

- اعذرني \*\*\* لست أفهم عنك تماما • الى من تشير في هذه

اللحظة ؟

- أريد أن أقول بهذا يا أنطون أنطونوفتش اننى فى هذه الحياة قد اتبعت الطريق القويم دائما ، واتنى أكره الطرق المتوية ، واتنى لست بالشخص الذى يدبر المكائد \*\*\* وذلك أمر أستطيع أن أعتر به ويمكننى أن أبرهن عليه اذا أتحت لى الفرصة •

- نعم ، هذا جائز ، بل اننى اذا فكرت فى الأمر مليا أستطيع أن أوافقك على صدق ما تقول موافقة تامة كاملة • ولكن اسمح لى يا ياكوف يتروفش أن ألفت نظرك الى أن المجتمع الراقى لا يتسامح دائما فى حق غمزات عنيفة تتناول شخصيات مرموقة • أنا من جهتى قد أغفر لأحد الناس أن يقول عنى سوء من وراء ظهري - وما أكثر ما يقول الناس من وراء الظهر ! \*\*\* - أما أن يواجهنى أحد بوقاحات ، فذلك أمر لا يمكن أن أسمح به أبدا أيها السيد ! لقد شاب شعري فى خدمة الدولة أيها السيد ، ولست أسمح لأحد أن يهيننى فى هذه السن الوفور •

- ليس هذا ما أفصده يا أنطون أنطونوفتش • ليس هذا ما أفصده يا أنطون أنطونوفتش • • • يخيل الى يا أنطون أنطونوفتش أنك لم تفهم عنى حق الفهم • • • أنا من جهتى يا أنطون أنطونوفتش لا يمكن الا أن أتصور أن من الشرف • • •

- وأرجو أن تعذرنا نحن أيضا • لقد نشأنا وتربينا على الطراز القديم • وقد فاب الأوان الآن ، فلا نستطيع أن تبئنى أساليبكم الجديدة • ويخيل الى من جهة أخرى أننا قد أظهرنا قدرا كافيا من حسن الفهم

وسداد الرأى فى خدمة الوطن • وأنت لا تجهل أيها السيد أننى أحمله  
وساما ، جزاء ما قدمت من خدمات خلال خمسة وعشرين عاما فى العمل  
موظفا فى الدولة •

- أعرف هذا يا أنطون أنطونوفتش ، وأنا من جهتى أشاركك  
شعورك مشاركة كاملة • ولكننى كنت أتكلم عن شىء آخر ••• كنت  
أتكلم عن القناع يا أنطون أنطونوفتش •••

- عن القناع ؟

- أقصد ••• أخشى أن تفسر كلامى تفسيراً خاطئاً مرة أخرى ••  
ان معنى ما أقوله يتفق وآراءك كل الاتفاق يا أنطون أنطونوفتش • أنا  
لا أزيد على أن أفصل القول حول الفكرة الرئيسيه ، ابرازا لها ، وهى  
أن لابسى الأتعة ليسوا فله فى زماننا هذا يا أنطون أنطونوفتش ، حتى  
أصبح يصعب على المرء أن يتعرف الشخص وراء القناع •••

- لا ••• ليس يصعب هذا كثيرا ، حتى لقد يكون فى بعض  
الأحيان سهلا سهولة كافية ، فما يحتاج المرء الى المضى بعيدا •••

- عموك يا أنطون أنطونوفتش ••• اننى أتكلم الآن عن حالتى  
الخاصة • فأنا مثلا يا أنطون أنطونوفتش لا أضع على وجهى قناعا الا حين  
تقضى الظروف ذلك ••• كأن أحضر عيد كرنفال ••• أو أن أحضر  
اجتماعات مفرحة من هذا القبيل ••• هذا بالمعنى الحقيقى لا المعنى المجازى  
طبعا • أما فى علاقاتى اليومية بالناس فأنا لا أضع على وجهى قناعا قط ،  
هنا بالمعنى المجازى ، بالمعنى الرمضى • ذلك ما أردت أن أقوله لك يا أنطون  
أنطونوفتش •

- طيب طيب ، ولكن دعنا من هذا كله الآن • ثم ان وقتى لا يتسع  
للمناقشة •

قال أنطون أنطونوفتش هذا وهو ينهض عن كرسيه ويجمع الأوراق اللازمة للتقرير الذي كان عليه أن يقدمه لصاحب السعادة ؛ ثم أردف :  
 - أما عن حالتك الخاصة ، فسوف يوضح لك الأمر قريبا ، فتعلم عندئذ من هو الذي يجب أن تحمّله التبعة ، من هو الذي يجب أن تهممه .  
 وعلى هذا فأنا أرجوك ملحا أن تعفيني في المستقبل من الشروح الخاصة والنثرات التي تسيء الى العمل •

اصفر السيد جوليا دكين ، وجمعهم يقول :

- لا يا أنطون أنطونوفتش ••• لم يكن في نيتي يا أنطون أنطونوفتش •••

ولكن رئيسه كان قد ابتعد • فلما صار السيد جوليا دكين وحيداً استمر يناجي نفسه في خياله سائلا : « ما الذي يحدث هنا ؟ ما هذه الرياح التي تهب الآن هنا ؟ ما معنى هذه الغمزة الجديدة ؟ » •

أصبح صاحبنا أقرب الى الموت منه الى الحياة ، وراح يتأهب لحل هذه المشكلة الجديدة ، حين سمع ضجة تقوم في الغرفة المجاورة على حين فجأة • وفتح الباب ، وظهر آندره فيليوفتش على العتبة نافذ الصبر • كان قد ذهب الى مكتب صاحب السعادة قبل برهة قصيرة لبعض الأعمال • صاح آندره فيليوفتش ينادى السيد جوليا دكين • واذ كان السيد جوليا دكين يعرف الأمر سلفا ولا يريد أن يضطر آندره فيليوفتش الى الانتظار ، فقد هب واثبا عن كرسيه ، وأخذ يتحرك مسرعا ، فتناول الملف المطلوب منه ، فنفض عنه الغبار مداريا اياه مدلا له • وفيما كان يتأهب للسير وراء آندره فيليوفتش الى مكتب صاحب السعادة متأبطا ملفه ، اذا به حين صار قرب آندره فيليوفتش الذي كان ما يزال واقفا عند فتحة الباب ، يفاجأ بظهور السيد جوليا دكين الأصغر بفته • لقد تسلل هذا الى الغرفة تسللا ، وكان

يبدو مشغول البال متقطع الأنفاس ، غارقا فى الأعمال • وها هو ذا يصطحب هيئة وقورة رسمية ، ويقبل قدما نحو السيد جوليا دكين الأكبر الذى كان على بعد مائة فرسخ من توقع مثل هذا الهجوم •

— الأوراق يا ياكوف بتروفتش ، الأوراق ••• لقد شرفنا صاحب السعادة بسؤالنا عن أوراقك هل هي جاهزة ؟ ان آندره فيليوفتش ينتظرك !

كذلك هذر بصوت خافت وسرعة كبيرة ، الصديق الجديد للسيد جوليا دكين • فأجابه السيد جوليا دكين يدمم بصوت خافت وسرعة كبيرة أيضا :

— لست فى حاجة الى أن أعرف أنه ينتظرني •

— ليس هنا ما أردت أن أقوله يا ياكوف بتروفتش ، لا ، ليس هنا ما أردت أن أقوله ، ليس هنا أبدا • أنا معك يا ياكوف بتروفتش ، أنا معك بكل قلبي •••

— أرجوك أن تعفينى من هذا ••• اسمح لى ، اسمح لى •••

— عليك طبعا أن تحرص على أن تضع الملف فى غلاف يا ياكوف بتروفتش • ولا تنس أن تضع سريطة صغيرة فى الصفحة الثالثة • اسمح لى يا ياكوف بتروفتش •••

— وبعد ؟ ••• بل اسمح لى أنت •••

— ولكن ها هنا بقعة حبر يا ياكوف بتروفتش ! هل لاحظت أن ها هنا بقعة حبر ؟

وفى هذه اللحظة صاح آندره فيليوفتش ينادى السيد جوليا دكين مرة ثانية •

— أنا آت يا آندره فيليوفتش ، فورا ؛ هناك شيء صغير على أن ••  
وأخيرا أيها السيد ، ألا تفهم الرومية ؟

— خير طريقه أن تحك البقعة بموسى ، يا ياكوف بتروفتش •  
صدقنى ••• هذا أفضل ••• ودع هذا لى أنا يا ياكوف بتروفتش •••  
تق بى ••• سأحك البقعة بموسى حكا بسيطا •  
وصاح آندره فيليوفتش ينادى السيد جوليا دكين مرة ثالثة •  
— ولكن أرجوك ••• أين ترى بقعة هنا ؟ يخيل لى أنه لا أثر  
لأية بقعة هنا •

— بل توجد بقعة •• بقعة كبيرة •• انظر •• هى ذى •• اسمح  
لى •• هنا رأيت البقعة ، أنظر •• هل تسمح ؟ هات الملف قليلا يا ياكوف  
بتروفتش ••• لا يحتاج الأمر الى أكثر من حك قليل بالموسى ••• أنا  
أفعل عنك ذلك حبا بك يا ياكوف بتروفتش ••• أفعله بطيب خاطر •••  
أحك البقعة قليلا بالموسى ، وينتهى كل شيء •

وهنا وقع نىء لم يكن فى الحسبان ، ولا كان يمكن أن يخطر ببال •  
ان السيد جوليا دكين الأصغر الذى استطاع أن يتغلب على بطلنا فى هذه  
المنافسة الصغيرة التى تسببت بينهما ، فد استولى على الأوراق التى كان يطلبها  
صاحب السعادة ، استولى عليها رغم مقاومة السيد جوليا دكين ؛ ولكنه بدلا  
من أن يحك بقعة الجبر المزعومة بموسى حبا بخصمه كما ادعى ذلك كذبا  
ونفاقا ، طوى الأوراق بسرعة ، ووضعها تحت ابطه ، ومضى يدرك آندره  
فيليوفتش بوثنين • ان آندره فيليوفتش لم يلاحظ مناورات السيد  
جوليا دكين الأصغر • وهرع الاثنان الى مكتب المدير •

لبث بطلنا مسمرا فى مكانه ممسكا بيده الموسى التى كان يتأهب  
لاستعمالها فى حك بقعة الجبر فيما يبدو • انه لم يفهم بعد كل ما جرى •

انه لما يتب الى رشده • لقد تأثر بهذه الضربة الأخيرة تأثرا شديدا ، ولكنه ما يزال يعتقد أن المسألة مسألة سوء تفاهم • واستبد به قلق رهيب لا يوصف ، فاذا هو يتزع نفسه من مكانه انتزعا ، ويسير مسرعا نحو مكتب المدير • وكان وهو يجرى نحو مكتب المدير يسأل الله العلى القدير مخرجا موقفا من هذا المأزق •••

وفى القاعة الأخيرة ، قبل مكتب المدير ، التقى بطلنا وجها لوجه بآندره فيليوفتش وسميه • لقد كانا عاندين من مكتب صاحب السعادة • امحى السيد جوليا دكين • كان آندره فيليوفتش يتكلم مرحا وهو يتسهم • وكان السيد جوليا دكين الأصغر يتسهم أيضا ، ويتنخج متزلفا ، ويسير بخطى قصيرة على مسافة من آندره فيليوفتش من فيل الاحترام ، ويوشوشه من حين الى حين مشرو الوجه فيجيبه آندره فيليوفتش هازا رأسه بكير من الملاطفة • يجب أن نقول ان عمله ( كما علم بذلك فيما بعد ) قد أرضى صاحب السعادة كثيرا ، حتى لقد تجاوز الآمال التي كان يعقدها صاحب السعادة ، فهو قد أنجز العمل فى المهلة المحددة ، وصاحب السعادة مرتاح الى هذا كل الارتياح ، راض عنه كل الرضى • بل يظهر أن صاحب السعادة قد كال المديح للسيد جوليا دكين الأصغر ، وشكر له صنيعه شكرا حارا ، وأضاف الى ذلك أنه سيحسب حساب هذا فى المستقبل ، وأنه لن ينساه قط •

كان طبيعيا أن تكون أول حركة يقوم بها بطلنا هي أن يحتج ، أن يحنج بكل ما أوتى من قوة ، فى حدود الامكان • لذلك أسرع نحو آندره فيليوفتش ، وقد امتنع لون وجهه حتى صار فى صفرة الموتى ، وهو لا يكاد يعى ما يصدر عنه من أفعال • ولكن آندره فيليوفتش ، ما ان علم أن المسألة التي كان السيد جوليا دكين الأكبر يريد أن يحدثه فيها



مسألة شخصية خاصة ، حتى رفض أن يصنى اليه ، وحتى نبهه بقسوة الى أنه لا يملك لحظة من فراغ يقفها على الاهتمام بشئون شخصية •

وقد بلغت لهجة الرفض من الخسونة والجفاف أنها أهدت في بطلنا تأثيرا عميقا • فقال لنفسه : « ربما كان من مصلحتي أن أجيء اليه مواربا ، عن طريق أنطون أنطونوفتش مثلا • • • ولكن شاء سوء حظ بطلنا أن كان أنطون أنطونوفتش غائبا • فلقد نودى هو أيضا ، فهو في هذه اللحظة مشغول •

قال بطلنا لنفسه : « لقد كان على حق حين طلب الى أن أعفيه من الشروح والترترات • نعم ، ذلك ما كان يقصد اليه هذا الفاسق • طيب ••• لم يبق عليّ والحالة هذه الا أن أمضى أتوسل الى صاحب السعادة •»

وتهاوى السيد جوليدكين على أحد الكراسي ، وهو ما يزال ممتنع اللون ، مضطرب العقل ، نهبا للشكوك ، لا يدري ماذا يفعل ••• وكان ما ينفك يردد في ذهنه قائلا لنفسه : « لا شك أن من الأفضل أن لا يكون لهذا كله أى دلالة • فالحق أن وضعا كهذا الوضع أمر لا يصدقه العقل من أية ناحية نظرت اليه • هذه ترهات حتما ••• ذلك مستحيل قطعا • لا ••• لا شك أن هذا كان رؤيا ••• لا شك أنني ذهبت بنفسى الى المدير ••• ثم حسبت نفسى شخصا آخر ••• على كل حال ••• هذا كله مستحيل •»

وما كاد السيد جوليدكين ينتهى الى استحالة هذه القضية أساسا حتى ظهر سميّه فى المكتب بغتة ، وهو يحمل تحت ذراعه وفى يديه مقدارا كبيرا من الملفات •

وفيما كان يمر أسرفا الى اندره فيليوفتش بوضع كلمات لاشك أنها كانت ضرورة لا غنى عنها ، وتبادل بضعة أقوال مع موظف آخر ، ولاطف هذا قليلا ، ومازح ذاك شيئا • كان واضحا أن وقته لا يتسع لمشاغل

تأفبه • و شاء حظ بطلنا أن جوليا دكين الأصغر ، بينما كان يهيم أن يجتاز عتبة الباب ليخرج من المكتب ، استوقفه موظفان أو ثلاثة موظفين شباب دخلوا الغرفة فأخذوا يتحدثون معه • فما كان من السيد جوليا دكين الا أن هرع نحوه • ولكن السيد جوليا دكين الأصغر أدرك حيله بطلنا فورا ، فلم يلبث أن أخذ يبحث عن مخرج ليتملص من الحديد وهو قلق النظر • غير أن بطلنا كان قد أمسك بكمه • ابتعد الموظفون الذين كانوا على مقربة من صاحبنا يرقبون نتائج الأحداث مستظلمين •

كان السيد جوليا دكين يعرف حق المعرفة أن جميع عواطف المودة كانت متجهة نحو خصمه ؟ وكان يدرك أن مكيدة قد دبرت له • وذلك سبب آخر يدعو إلى تأكيد حقوقه • لقد كانت اللحظة حاسمة •

قال سميئه وهو يرشقه بنظرة تفيض احتقارا :

- نعم ؟

وكان السيد جوليا دكين الأكبر لا يكاد يستطيع التنفس • بدأ يقول :

- لا أدري ، أيها السيد ، كيف أفسر سلوكك الغريب معي •

فأجابه السيد جوليا دكين الأصغر وهو يلقي نظرة حوله ، ويشفع النظرة بنمزة للموظفين الذين يحيطون به ، كأنما لينبههم إلى أن التمثيلية الهزلية ستبدأ :

- طيب ، أكمن كلامك •

- ان ما يظهر في أساليك من وقاحة واستهتار واستخفاف يدinanك مزيدا من الادانة في الحالة المراهنة ••• يدinanك ادانة يعجز عنها ما قد

أقوله أنا من كلام ... لا تعقد آمالا كثيرة على حيلك فهي خرفاء لا تنطلي  
على أحد \*

– دعك من هذا الكلام يا ياكوف بتروفنش ! أليس الأخرى أن  
تقول لي كيف نمت البارحة ؟

كذلك فال السيد جوليا دكين الأصغر لمحدثه وهو يحدق في عينه \*  
فأجابه بطلنا وقد نفذ صبره وأصبح لا يكاد يستطيع الوقوف على  
ساقيه من فرط الاضطراب :

– لا تنس نفسك أيها السيد ، وآمل أن تغير لهجتك ...

فقال له جوليا دكين الأصغر وهو يصعر وجهه تصعيرة استفزاز :

– ها ... يا عزيزي ...

– ثم اذا هو يقوم بحركه مفاجئة لا يمكن أن يدفع أى شيء على  
التنبؤ بها \* فيمسك باصبعيه الخد اليمنى الربلة من وجه بطلنا ، على  
سبيل المداعبة \*

اشتمل بطلنا غيظا \* انه الآن أخرس من شدة الحنق ، أحمر اللون  
كالجنبرى ، مرتعد الأعضاء جميعا \* أدرك خصمه أن بطلنا عيل صبره  
فهو يوشك أن يهجم \* لذلك سارع يسبقه الى ذلك على أوفح صورة ،  
فها هو ذا يربت على خده اليمنى مرتين ، ويدغدغه مرتين ، علاعبا خصمه  
الجامد من الذهول ، الطائش اللب من الحنق ، مرضيا بذلك من كانوا  
يحيطون بالرجلين من الموظفين الشباب ؛ ثم ها هو يمضي الى قمة العطرسة  
فيلكز كرنس خصمه ويقول له وهو يتسم ابتسامه نقيض لؤما وغمزا :  
« يا لك من ماكر يا عزيزي ... لسوف ندبر لهم مكائد يا ياكوف  
بتروفنش ، نعم سوف ندبر لهم مكائد ... » \* ثم ها هو ذا ، دون أن

يدع لبطلنا فرصة الأوبة الى رشده بعد هذه الهجمة الجديدة ، يتسليم  
 ابتسامة جديدة على المشهد ، ثم ما يلبث أن يصطنع هيئة رسمية ، هيئة  
 رجل مشغول جدا ، فيخفض عينيه ، ويتقلص ، ويدمدم بقوله مسرعا :  
 « هناك مهمة مستعجلة يجب أن أقوم بها » ، ثم يحرك ساقيه القصيرتين  
 منسلا الى الغرفة المجاورة ♦

لبت بطلنا على حاله مبهورا مشدوها ♦ انه لا يصدق عينيه ، ولا  
 يستطيع التخلص من انفعالاته ♦♦♦

وثاب أخيرا الى صوابه ♦ فسرعان ما أدرك أنه قد ضاع ، أنه قد  
 صار أضحوكة ، أن شرفه قد تلتخ ، أن العار أصبح يجعله ♦ لقد  
 استهزىء به على مرأى من الناس ، والشخص الذى استهزأ به هو الرجل  
 الذى كان يعده فى الليلة البارحة خير صديق له ♦ لقد ساءت سمعته الى  
 الأبد ♦

واندفع السيد جوليا دكين يلحق بصدوه ، لا يحفل بمن شهدوا  
 الاهانة ولا يعبا بهم ♦ قال يردد لنفسه : « انهم متواطئون ، يسرون جميعا  
 يدا بيد ، ولا يفكر أحد منهم الا فى تحريض الآخر على .. » ♦ ومع ذلك  
 ما كاد السيد جوليا دكين يقطع عشرة أمتار حتى أدرك أن كل ملاحقة  
 باطلة لا طائل تحتها ولا خير منها ، فعاد أدراجه ♦

قال يخاطب غريمه بينه وبين نفسه : « لن تفلت منى ♦ سوف تقع  
 فى فخى عاجلا أو آجلا ♦♦♦ سوف 'يسأل الذئب عن دموع الحمل .. » ♦  
 ووصل الى كرسيه فجلس عليه وهو يفيض حقدا باردا وتصميما قويا ♦  
 « لن تفلت منى ! » كذلك ردد السيد جوليا دكين ♦ لم يبق الأمر  
 عنده أمر دفاع ، بل أصبح أمر هجوم ♦

لو رأى أحد السيد جوليا دكين فى هذه اللحظة ، وقد احمر وجهه

من الغضب وأصبح لا يكاد يستطيع أن يسيطر على انفعاله ، لو رآه يغمس ريشه في الحبر ويأخذ يكتب حاتفا ، لقال حتما ان القضية لن تقف عند هذا الحد ، وان بطلنا لن يكتفى قط بحل مبتذل بسيط . ان فرارا جازما قاطعا قد فام في أعماق نفسه . ولقد حلف ليضعه موضع التنفيذ لاجالة . . . الحق أنه لما يعرف تماما أى سلوك يجب عليه أن يسلك ، أو قل انه لا يعرف ما الذى يجب عليه أن يفعله أصلا . ولكن لا ضير . . . « لا ياسيدى ، ان الاغتصاب والوقاحة لا ينبججان فى هذا الزمان . الاغتصاب والوقاحة سوف يوصلانك الى القوة لا الى السعادة يا سيدى . ان جريشكا أوتريسيف وحده قد وصل الى أغراضه باغتصاب اسم ولقب . لقد خدع شعبا أعمى ، ولم يخدعه زمنا طويلا على كل حال . . »

ورغم هذه الاعتبارات قرر السيد جوليا دكين ، حتى يرد ، أن ينتظر اللحظة التى تسقط فيها جميع الأقنعة من تلقاء ذاتها ، فتتكشف عندئذ حقيقة الناس والأشياء . وكان عليه أولا أن ينتظر ساعة انتهاء العمل ، فلا يشرع فى سىء قبل ذلك . هناك اجراءات معينة عليه أن يتخذها عند الخروج من المكتب . حتى اذا اتخذ هذه الاجراءات أصبح يعرف الحطة التى يجب عليه أن يتبعها لتحطيم هذا الصنم الومج ، لسحق هذه الأفعى التى تقضم الحجة ، هذه الأفعى التى تحقر الضعفاء . ومهما يكن من أمر ، فإن السيد جوليا دكين لن يسمح أبدا بأن يعامل كخرفة بالية لا تصلح الا لتنظيف الأحذية المتسخة ؛ انه لن يسمح أبدا بهذا ، ولا سيما فى الظروف الراهنة . لولا هذه الوقاحة الأخيرة ، لكان يمكن لبطلنا أن يقرر ضبط نفسه وكبح جماحه ، ولكان يمكن أن يلتزم الصمت وأن يتجه الى المصالحة دون أن يصر على احتجاجات صاحبه كثيرة . . . ولكن يمكن أن يكتفى بمنافسه قصيرة يؤكد بها حقوقه التى لا تجحد : كان يسكن عندئذ أن يقبل بعض التنازلات فى أول الأمر ، وأن يقبل تنازلات أخرى

بعد ذلك ، وأن ينتهى أخيرا الى قبول تسوية كاملة ، اذا اعترف أعداؤه  
صراحة بأنه على حق •

ويميناً انه ليكون مستعداً بعدئذ لمصالحة تامة ، حتى لقد يرفق قلبه  
قليلاً • ومن يدري ، فقد يكون هذا بداية صداقة جديدة ، صداقة وطيدة  
حارة ، أقوى وأوسع من صداقة الليلة البارحة أيضا • وفى وسع هذه  
الصداقة الجديدة أن تمحو السيئات الناشئة عن هذا التشابه المشؤم بين  
شخصيهما محوا تاما ؛ وفى وسعها أن تحمل السعادة الى هذين الموظفين  
الذين يستطيعان أن يعيشا عندئذ فى سلام وطمأنينة مائة سنة و...  
أكثر من ذلك أن السيد جوليا دكين قد أخذ يندم على تدخله دفاعا عن  
حقه تدخلا كان لا بد أن تكون له عواقب سيئة •

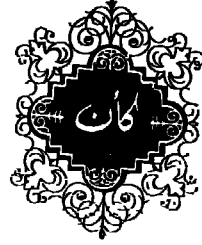
قال السيد جوليا دكين لنفسه : « يكفى أن يتراجع ، يكفى أن يعترف  
أن هذا كله لم يكن الا سفاكساف ، حتى أعفر له وأعفو عنه ... لا سيما  
اذا أعلن ذلك جهارا على رعوس الأشهاد • ولكننى لن أسمح أبدا بأن  
أعامل كخرقة بالية • اننى لم أسمح بذلك لأحد فى حياتى : لم أسمح به  
حتى لأشخاص أقوى منه ، فكيف أحتمل مثل هذه الاهانة من رجل فاسد  
مثله • لست خرقة بالية أيها السيد ، لست خرقة بالية • • • ويمكن  
تلخيص النتيجة التى انتهى اليها السيد جوليا دكين فى جملة هى التالية :  
أنت ، أيها السد ، المسئول الآثم الوحيد عن حالة الامور هذه كلها • • •  
لقد قرر السيد جوليا دكين الآن أن يحتج ، أن يدافع عن نفسه ، بجميع  
الوسائل ، الى النهاية القصوى • ذلك طبعه • انه لا يستطيع الرضوخ  
للاهانة • انه لا يقبل أن يداس كما تداس خرقة بالية • انه لا يقبل هذا ،  
ولا سيما من شخص جدير بالاحترام كهذا الشخص • قد يقبل مثل هذا  
من شخص يريد بل يعزم عزمًا أكيدا على أن يعامل السيد جوليا دكين  
معاملة أتان ، ويتوصل الى ذلك بدون كبير مقاومة منه ، وبدون كبير خطر

على كل حال • هذا أمر كان السيد جوليا دكين يقبله هو نفسه أحيانا • كان في وسع الرجل أن يجعل من بطلنا خرقة بالية ، خرقة يرثي لها ، خرقة متسخة ، ولكنها خرقة يمكن أن يكون لها مع ذلك شيء من كرامة ، ومن حماسة ، ومن عواطف : هي كرامة صغيرة طبعاً ، وهي طبعاً عواطف فقيرة مكبوتة في التاي العميقة المتسخة من الحرفة البالية النعيسة أيضا ••• ولكنها عواطف على كل حال •••

وكانت الساعات تجرى بطيئة بطئاً يبعث في النفس الحزن واليأس • ودفعت الساعة الرابعة أخيراً • فما هي الا لحظات حتى أخذ الموظفون ينهضون ويتركون المكتب وراء رؤسهم ليمضي كل منهم الى منزله • اندس السيد جوليا دكين بين الجمهور • كانت عينه ترقب الشخص الذي كان عليه أن لا يدعه يفلت منه • ورأى بطلنا سميته يتجه نحو حراس المعاطف • كان السيد جوليا دكين الأصغر يترنر على عادته الكريهه مع الحارس بانتظار أن يأخذ معطفه • انها لحظة فاصلة • واستطاع السيد جوليا دكين أن يشق لنفسه طريقاً بين الجمهور ، لأنه لا يريد أن يكون بعيداً عن غريمه ، وطلب معطفه هو أيضا ؛ ولكن صديقه ، صديق الليلة البارحة ، أعطى معطفه قبله • لا شك أن صاحبه قد عرف كيف يتسلل الى الحارس ويتزلف اليه ويتملقه خفية ، بما عهد فيه من خسة وصغار •

ارتدى الغريم معطفه بسرعة ، وألقى على السيد جوليا دكين نظرة ساخرة • ذلك تحد سافر واستفزاز مباشر على رموس الأشهاد • ثم ألقى نظرة على ما حوله ، بالنظرسة المألوفة فيه ؛ وأراد أن يحتفظ بما حصل من تفوق على خصمه أمام جميع الناس ، فأسرع يختلط بالموظفين ، يقول لهذا كلمه ، ويوشوس ذاك لحظة ، ويزجى الى الثالث ملاطفة ، ويتجه نحو الرابع بإبتسامه ، ويصافح يدا من الأيدي ، ثم يهبط السلم خفيفاً مرحاً • هرع بطلنا يجرى في أثره ، فما كان أشد اغتباطه حين استطاع

## الفصل التاسع



جميع الناس متواطئون على السيد جوليا دكين ،  
وكان الطبيعة نفسها متواطئة عليه • ولكن السيد  
جوليا دكين ظل واقفا لا يريد أن يعترف بالهزيمة •  
لا ••• انه لم يهزم ••• انه لم يغلب ••• ذلك  
شيء يحسه ••• وهو مستعد لأن يصارع ••• ولقد بلغ من القوة  
والحماسة في حرك يديه احديهما بالآخرى ، بعد انقضاء لحظة الذهول  
الأولى ، انه يكفي المرء أن يرى وضعه حتى يصبح على يقين من أنه لن  
يذعن بحال من الأحوال • ولقد كان الخطر واضحا مع ذلك • ان السيد  
جوليا دكين يدرك هذا حق الادراك •

وكيف كيف السبيل الى تفاديه ؟ هذا هو السؤال • ولعل في رأسه  
فكرة في لحظة من اللحظات : « أليس الأفضل أن يدع الأمور تجري  
على أعتها ، وأن يتراجع لا أكثر ولا أقل ؟ لماذا ؟ ولماذا لا ؟ أبعد •••



أن يدركه عند آخر درجة من درجات السلم ! ... وها هو ذا يمسكه من ياقة معطفه ... بدا على السيد جوليا دكين الأصغر غير قليل من الحيرة والارتباك ، ونظر فيما حوله نظرة مروعة ؛ ثم دمدم أخيرا يقول بصوت منطمى :

- ما معنى هذا ؟

فقال بطلنا :

- أيها السيد ، اذا كنت رجلا محترما ، فعليك أن تتذكر ما كان بيتنا من علاقات الود والصداقة بالأمس •

- ها ... نعم ... بالمناسبة ، هل نمت نوما طيبا ؟

لم يستطع السيد جوليا دكين أن ينطق بكلمة واحدة من شدة حنقه وغيظه • ثم قال :

- نعم ... لقد نمت نوما طيبا جدا ... ولكن اسمح لى أن أنبهك

أيها السيد الى أن لعبتك مرتبة ارتباكا فظيحا •

- من ذا الذى يدعى هذا ؟ ان أعدائى هم الذين يقولونه ...

كذلك أجاب الرجل الذى سمي نفسه للناس جوليا دكين • وبحركة

مفاجئة عنيفة تملص من قبضة بطلنا الضعيفة •

ولم يلبث أن وثب الى الشارع بسرعة ، وأخذ ينظر هنا وهناك ،

فلما لمح عربة جرى نحوها مسرعا ، واختفى عن عيني السيد جوليا دكين

الأكبر • بقى بطلنا وحيدا ، مهجورا من جميع الناس ، فريسة غم شديد

وحزن رهيب • نظر فيما حوله ، ولكنه لم يبصر أية عربة • أراد أن

يركض ولكن ساقيه ترنحتا • استند بجسمه الى عمود من أعمدة الغاز ،

منقلب الرأس ، فاغر الفم ، متقلص الظهر ، خائر القوى • ولبث على هذه

الحال فى وسط الرصيف لحظات طويلا • كان يبدو للسيد جوليا دكين أن

كل شىء قد ضاع •

كأن الأمر لا يعنينى فى شىء... أترك القضية تجرى من تلقاء ذاتها ، فلا أتدخل... الأمر لا يعنينى وكفى !... ولعله يرضخ ويدعن هو أيضا... يدور كما يدور الخدروف ، هذا الفاسق ، ثم يدور ويدور ، ثم يتوقف راضحا مدعنا... نعم ، هو كذلك ، سأنتصر عليه بالاذعان . ولكن أين الخطر فى الواقع ؟ أى خطر هنالك ؟ ليت أحدا يقول لى أين يوجد الخطر !... قضية تافهة... قضية مضحكة... لا أكثر » .

هنا توقف السيد جوليا دكين • جمدت الكلمات على لسانه • أنب نفسه أشد التأنيب على هذه الخواطر • وسرعان ما اتهم نفسه بالحقارة والجبانة • ولكن هذا لا يقدم أموره خطوة واحدة • كان يحس احساسا واضحا بأنه لا بد فى هذه اللحظة من اتخاذ قرار • وكان يحس أيضا بأنه مستعد لأن يدفع أى ثمن لمن يرشده الى حل • ولكن كيف يستطيع أن يجد هذا الحل بنفسه ؟ ثم ان وقته لا يتسع للبحث عن هذا الحل • وها هو ذا يستأجر عربة ويأمر سائقها بأن يقوده الى بيته ، حتى لا يضيع كثيرا من الوقت سدى • سأل نفسه : « والآن ، كيف حالك ؟ كيف حالك فى هذه اللحظة يا ياكوف بتروفتش ؟ ما الذى ستفعله ؟ ما الذى تنوى أن تفعله الآن أيها الجبان ، أيها الرعديد ؟ لقد صنعت كل شىء حتى وصلت الى ما وصلت اليه ، وهاءنت ذا تأخذ تباكى وتشكى ! » • هكذا كان السيد جوليا دكين يستهزئ بنفسه بينما كانت رجات عربته العتيقة تهزه وتقاذفه يمنة ويسرة • ان هذه الاستهزاءات المرة الكاوية التى تنكأ جروحه تحدث الآن فى نفسه أقوى لذة بل أكبر متعة •

قال يخاطب نفسه : « تصور لحظة أن ساحرا ظهر أمامك الآن فجأة - ساحرا أو أى انسان آخر يملك قدرات فوق الطبيعة - فقال لك : اعطنى اصبعاً من أصابع يدك اليمنى يا جوليا دكين فأسوى لك الأمور ، فلا يكون هنالك بعدئذ جوليا دكين آخر ، وتعيش سعيدا بغير اصبع... »

ألا انتى مستعد لأن أعطيه الاصبع التى يطلبها ••• لسوف أعطيه اياها  
 حتما ••• لسوف أعطيه اياها دون أن تطرف لى عين ••• •  
 وصاح الموظف المسكين أخيرا يقول وقد أخذ منه اليأس كل مأخذ:  
 تبا لهذا كله ••• لماذا هذه المصائب جميعها؟ لماذا يجب أن يقع لى كل  
 هذا ، لماذا يجب أن يقع لى هذا بعينه ، لا أى شىء آخر غيره؟ وكان كل  
 سىء يجرى على ما أحب قبل ذلك ••• كنت راضيا وكنت سعيدا •••  
 فهل كان لا بد أن يقع لى ما وقع؟ ••• مهما يكن من أمر فلن نصل الى  
 شىء بالأقوال وحدها ، وانما يجب أن تقرن الأقوال بأفعال • • •

وبينا هو يهيم أن يتخذ فرارا دخل الى مسكنه ، فتناول غليونه دون  
 أن يضع لحظة واحدة ، وأخذ ينشق بكل ما أوتى من قوة ، نافقا سحائب  
 الدخان فى كل اتجاه هنا وهناك ، سائرا فى الشرفة جيئه وذهابا ، وقد  
 تملكه انفعال شديد • وفى أثناء ذلك أخذ بتروشكا يعد المائدة • فما هى  
 الا لحظات حتى كان بطلنا قد اتخذ قراره الحازم الذى لا رجعة عنه •  
 فرمى غليونه ، وأسرع يرتدى معطفه ويخرج من المنزل قائلا لحادمه انه  
 لن يتعدى اليوم فى البيت • وفيما كان يهبط السلم أدركه بتروشكا  
 لاهنا وهو يمد اليه قبعته التى نسي بطلنا أن يأخذها من فرط تعجله •  
 فتناول جوليا دكين القبعة وأراد أن يقول بضع كلمات عرضا من أجل أن  
 يبرر هذا النسيان حتى لا يظن بتروشكا الظنون فى تعليل اضطرابه ،  
 ولكن بتروشكا لم يتنازل أن يلقي عليه نظرة واحدة ، بل عاد أدراجه •  
 فلم يسع السيد جوليا دكين الا أن يضع القبعة على رأسه مستغنيا عن أى  
 تبرير ، وأسرع يهبط السلم وهو يدمدم بأن كل شىء يمكن أن يسوى  
 على أحسن وجه • وكان يحس مع ذلك برعدات تسرى فى جسمه كله  
 من الرأس الى القدمين • واستوقف حوذا وأمره أن يمضى به الى منزل  
 آندره فيليوفتش •

قال لنفسه فجأة وهو يهم أن يشد حبل جرس منزل آندره فيليوفتش : « ولكن أليس الأفضل أن أرجىء هذه الزيارة الى الغد؟ » ثم معسني قائلاً له ؟ ليس نمة شيء ذو بال أقوله له ... ماذا أقول له ؟ المسألة تافهة في الواقع ، المسألة تافهة لا قيمة لها ... هي مسألة تافهة تافهة مطلقاً ... هي مسألة صغيرة حقيرة ليست بذات شأن ... أو لا يكاد يكون لها شأن ... وما هي بالمسألة الخطيرة على كل حال ... »

وفجأة سجد السيد جوليا دكين حبل الجرس . فسمع صوت الجرس يرن في داخل البيت ، ثم سمع وقع خطوات تتجه نحو الباب . لعن السيد جوليا دكين نفسه على هذا التعجل وهذا التهور . وسرعان ما تذكر مشكلاته الأخيرة ومشاداته الأخيرة مع آندره فيليوفتش ، التي كانت قد انتقلت الى المحل الثاني من اهتمامه ، بسبب وجود ما هو أشد منها لاجحة عليه . ولكن أوان الهروب كان قد فات ، فيها هو ذا الباب يفتح . وشاء حسن حظ بطلنا أن يقال له ان آندره فيليوفتش لما يعد من المكتب ، وانه لن يتعدى اليوم في المنزل . قال صاحبنا يخاطب نفسه هاذيا من شدة الفرح : « أنا أعرف أين يتعدى . لا شك أنه يتعدى قرب جسر اسماعيلوفسكى . » وسأله الخادم هل من رسالة ينقلها منه الى مولاه ، فأجابه جوليا دكين بقوله : « لا يا صديقي ، شكراً ، ليس هناك شيء ... سأعود مرة أخرى ... » . قال جوليا دكين ذلك وأسرع يهبط السلم فرحاً كل الفرح .

حتى اذا صار في الشارع نقد الحوذى أجره وطلب اليه أن ينصرف فطالبه الحوذى بزيادة قائلاً : « لقد انتظرت مدة يا سيدي ، ولم أرجم حصاني في سبيل خدمتك » ، فكافأه السيد جوليا دكين بخمس كوبكات مبهيجا ، ومضى يسير على قدميه .

قال لنفسه وهو في الطريق : « المسألة حرجة ... ولا يسع المرء

أن يهملها • ولكنني اذا فكرت في الأمر مليا أرى أنه من غير المفيد أن أفلق نفسي الآن • ما فائدة أن أجتز الحكاية نفسها فأعكر صفوى وأحق نفسي ؟ ما فائدة هذا العذاب وهذا الاضطراب وهذا الألم أسيه لنفسي ؟ ما جدوى أن أمزق قلبي ؟ ما كان فقد كان ••• ولا حيلة لى فى العوده عنه ••• ولا فائدة من الرجوع اليه •• هلا فكرت قليلا : هذا انسان ••• أقول هذا انسان حمل رسائل توصى به خيرا •• وهو فيما يقال من معدن طيب خليق بأن يجعله موظفا ناجحا ••• وسلوكه لا غبار عليه • وهو الى ذلك فقير ••• قاسى فى حياته آلاما كثيرة ، ولقى متاعب يجمه من كل نوع • والفقر ليس بعيب • فما شأنى أنا فى الأمر ؟ ••• ••

« وما هى القضية فى الواقع ؟ لقد شاعت نزوة من نزوات الطبيعة أن يكون بنى وبين هذا الانسان تشابه كبير كتشابه قطرتى ماء ، حتى لكأنه نسخة منى حقا ؟ فهل يرفضون توظيفه لهذا السبب ؟ اذا كان القدر ، نعم اذا كان القدر الأعمى هو المسئول عن هذا التشابه ، فهل يداس الرجل كما تداس خرقة باليه ، وهل يمنع من حق العمل ؟ ••• أين العدالة فى هذا ؟ ••• انه رجل فقير مهجور أعزل ، ينفطر القلب لرؤيته • فالبر والاحسان والمجبة توجب حمايته وتأمير برعايته • نعم ، ذلك هو الأمر تماما • هل على رؤسائنا أن يفكروا فى القضية على نحو ما فكرت أنا فيها من قبل ؟ يا لغياي ! يا لحماقتى ! ألا اتى حيوان كعشر حيوانات بلاهه ••• من حسن الحظ أن رؤساءنا قد أحسنوا عملا فضموا الفقير المسكين ••• لأفرض أننا توأمان ، نعم ، لأفرض أننا أخوان توأمان منذ الولادة ، وكفى ! ••• هل فى هذا شىء خارق للمألوف ؟ أبدا ••• ومن الممكن تعويد الموظفين الآخرين على هذه الفكرة ••• أنا واثق أنه اذا دخل الى مكتبنا شخص غريب لما رأى فى هذا التشابه ما يسىء الى الكرامة أو يجرح الشعور ••• حتى لقد يكون فى ذلك جانب يبعث على المجبة ،

وذلك على أساس الفكرة التالية : لقد أرادت مشيئة الله أن تخلق مخلوقين متشابهين تشابها كاملا فأحدهما « مثل » الثاني •• والرؤساء الكرام فهموا مشيئة الله فضموا التوأمين في كفهم ومنوا عليهما بالرعاية والحماية •• ، واسترد جوليا دكين أنفاسه ، ثم عاد يقول وقد خفض صوته قليلا : « صحيح أنه كان من الأفضل أن لا يقع شيء من هذا أصلا ••• لا تلك المصادفة التي تثير عاطفة المحبة ، ولا قصة التوأمين هذه ••• ما كانت حاجتنا الى كل هذا ؟ لقد كان في الامكان أن يستغنى عن القضية كلها أساسا ••• رباہ ! ما هذه الورطة التي أفحمتنا فيها هؤلاء الجبن ، هؤلاء الشياطين ! ويجب الاعتراف على كل حال أن سلوكه لا يدل على شيء من خلق كريم ••• ثم انظر الى وجهه الباش الذي ينم عن النفاق ••• انه لاسان ماكر حقا ••• انسان متجسس ، عبد متزلف حقير ، هذا اجوليا دكين ! ••• انه لن يتورع عن تلطيخ شرفي بسلوكه اندنيء ، هذا الوغد ! ••• يجب على أن أراقبه ! يا لهذا العمل من سخرة ! ••• وليس هل هذا مفيد حقا ؟ انه حتما غير مفيد ••• هو رجل نذل ما في ذلك ريب ••• أما أنه نذل فهو نذل ••• وسيظل نذلا • ولكن الآخر رجل شريف • طيب •• فليبق هو نذلا ولا يبق أنا شريفا • سيفول الناس : جوليا دكين هذا نذل جبان فلنشج عنه ولا نخلطن بينه وبين الآخر ! أما جوليا دكين داك فهو شريف فاضل دمث مسالم فيمكن الاعتماد عليه في العمل ، ويستحق ترقية من غير شك • هذه هي المسألة ••• ولكن ••• ماذا لو خلطوا بيننا ! هو لا يتورع عن شيء ••• هو لا يتورع عن اتحال شخصية رجل آخر ••• نعم هو لا يتورع عن ذلك أبدا ••• وهو لا يتورع عن احالة ذلك الرجل الآخر الى خرقه بالية ••• آه ••• يا رب ! يارب ! ما هذه النازلة ! ••• ••• »

وفيما كان السيد جوليا دكين ممثلاً بهذه الخواطر كان يضرب في

الارض على غير هدى ، لا يعرف الى أين تفوده قدماء • ولم ينب الى رنده الا حين صار في شارع نفسكى • وكان لابد أن يثوب الى رنده في الواقع ، لانه اصطدم بأحد المارة اصطفاً. اما غنياً ، فتمتم ببضع كلمات اعتذار دون أن يرفع رأسه وكان الرجل الذي اصطدم به قد ابتعد بعد أن نطق ببعض الشتائم • رفع السيد جوليا دكين رأسه ونظر فيما حوله • فلاحظ عندئذ أنه على مقربة من المطعم الذي استراح فيه فيل ذهابه الى تلك السهرة في منزل أولسوفى ايفانوفتش • فسرعان ما أحس بقرصات في معدته ، فتذكر أنه لم يتناول غداءه بعد ؛ واذ كان من جهة أخرى غير مدعوا الى الغداء عند أحد فقد أسرع بصعد درجات سلم المطعم وقد قرر أن يأكل لقمة على عجل •

الأسعار غالية قليلاً ، ولكن غبنا يسيراً كهذا ليس من شأنه أن يوقف السيد جوليا دكين ، فلا قيمة لمل هذه السعاسف عنده في لحظات كهذه اللحظات • في قاعة تتلألاً فيها الأنوار كان حشد كبير من الزبائن يزدحم حول البسطة التي مدت عليها ألوان من المقبلات ترضى أشد الأذواق رهاقة • وكان القيم على البسطة غارقاً في العمل لا يكاد يستطيع خدمه الزبائن جميعاً ، فهو يسكب الشراب ، ويقدم الأطباق ، ويتقاضى الأثمان ، ويرد البواقي • اتخذ السيد جوليا دكين مكانه في الصف ، حتى اذا جاء دوره مد يده الى فطيرة صغيرة فتناولها ، ثم مضى الى أحد الأركان يأكلها بشهيه كبيرة مديراً للحضور ظهره • فلما فرغ من التهامها عاد الى البسطة فردّ الطبق • واذ كان يعرف الأسعار فقد أخرج قطعة من النقد بعشره كوبيكات ووضعها على البسطة وهو يبحث بنظره عن البائع ليدله على أن هذه الكوبيكات العشرة هي ثمن فطيرة صغيرة أكلها •

فهمهم البائع يقول بين أسنانه :

— عليك روبل وعشرة كوبيكات •

فدهش السيد جوليا دكين دهشة شديدة .

– أتخطبني أنا ؟ يخيل الىّ أنتى لم آخذ الا فطيرة واحدة •  
فقال البائع مؤكدا :

– بل أخذت احدى عشرة فطيرة •

– ماذا تقول ؟ •••• يخيل الى أنك على خطأ •••• فانتى واثق تقريبا  
من أنتى لم آخذ الا فطيرة واحدة •

– عددت الفطائر التى أخذتها • لقد أخذت احدى عشرة فطيرة •  
على الانسان حين يتناول طعامه بنفسه أن يعرف كيف يدفع ثمن ما أخذ •  
حسن لا نقدم هنا هدايا ! ••••

• صق السيد جوليا دكين •

وساءل نفسه : « أتراى سحرت ؟ »

وكان البائع فى أثناء ذلك ينتظر قسرا بطلنا • وكان الناس فد  
أخذوا يتحلقون حوله • فدرس يده فى جيبه وأخرج منها قطعة فضية  
بروبل واحد ، مقررأ أن يدفع على الفور ، حتى لا يتعرض لارتكاب  
خطيئة ••••

قال لنفسه وقد احمر وجهه حتى صار بلون الجنبى : « طيب ••  
فلأدفع نمن احدى عشرة فطيرة ما دام يصير على ذلك •••• لا غرابة فى  
أن يأكل امرؤ احدى عشرة فطيرة •••• هنيئاً مرءياً •••• ومهما يكن من  
أمر فليس فى هذا ما يتير الدهشة أو يبعث على الضحك •••• »

وفجأة ساور السيد جوليا دكين حدس سريع • فما ان رفع عندئذ  
بصره حتى فهم كل شىء ، وأدرك سر السحر •••• تبددت الشبهات كلها  
دفعة واحدة •••• فعلى عتبة الباب المؤدى الى الغرفة المجاورة ، وراء ظهر



البائع ، أى أمام بطلنا تماما ، عند فرجة الباب الذى كان السيد جوليا دكين يظنه حتى ذلك الحين مرآة . . . . هنالك كان يقف رجل قصير لا شك فى أنه السيد جوليا دكين نفسه . . . . لا جوليا دكين الأصلي ، لا جوليا دكين القديم ، بطل هذه القصة ، بل جوليا دكين الآخر ، جوليا دكين الجديد . وكان واضحاً أنه مبتهج جداً . انه يتسم ابتسامة وحة ، ويتجه الى بطلنا بإشارات من رأسه وغمزات من عينيه . وهو يتحرك فى مكانه متهيئاً للهروب الى الغرفة المجاورة عند أول بادرة ، وللانسلاخ من هنالك الى الخارج عن طريق سلم الخدمة ، فستحيل عندئذ مطاردته . . . . وكان يمسك بيده آخر قطعة من الفطيرة العاشرة ، وها هو ذا يلتهمها على مرأى من بطلنا مقطعا بلسانه تعبيرا عن البسطة والجور . . .

قال السيد جوليا دكين لنفسه وقد احمر وجهه احمرارا شديدا ، واحترقت نفسه شعورا بالحجل والعار : « استغل الحخير الشاب بيتنا ولم يستح أن يفعل هذا أمام الناس . . . . أتراهم أدركوا ذلك ؟ أتراهم يبصرونه ؟ يظهر أن أحدا لم يشعر بهذا الانتحال . . . . » . . . . قدف السيد جوليا دكين قطعة النقد الفضية على البسطة كما لو كانت تحرق أصابعه ، ثم انسل من خلال الحشد وخرج ، حتى دون أن يلاحظ الابتسامة الوقحة التى ظهرت فى وجه البائع ، وهى ابتسامة تعبر عن ظفوره وتشهد بسيطرته الهادئة على نفسه .

قال جوليا دكين لنفسه : « هو سعيد لأنه لم يذهب بكرامتى تماما . نعم ، يجب أن أشكر لهذا اللص وان أشكر للقدر أن الأمور قد سويت أخيرا . صحيح أن هذا البائع كان فظاً . ولكن يجب الاعتراف بأنه كان على حق . ان له روبلا وعشرة كوبات حقا . هذا طبعى . . . . ما من أحد يعطى شيئا بالمجان فى بلادنا . ومع ذلك كان فى وسعه أن يكون أكثر دماثة ، هذا المتحذلق ! . . . » . . .

بهذا كان السيد جوليا دكين يحدث نفسه وهو يهبط السلم • حتى اذا بلغ الدرجة الأخيرة من درجات المدخل توقف على حين فجأة متجمدا • صعد الدم الى وجهه ، وظهرت في عينيه الدموع • كان في ذروة الألم والنسور بالدل • وظل جامدا على هذه الحال فرابة نصف دقيقة ، ثم قرع الأرض بقدمه قرعة قوية ، وقفز الى الرصيف بوثة واحدة ، وأخذ يركض كمنجنون لا يلتفت الى وراء ولا يلوى على شيء • ركض نحو بيته في شارع « الدكاكين الست » لاهتا دون أن يشعر بالتعب ، فما ان وصل حتى جلس على الديوان وتناول محبرة وريشة وأخرج ورفه وأخذ يكتب بيد ترتعش انفعالا ( فعل ذلك قبل أن يخلع معطفه ، خلافا لعاداته اللطيفة ، وقبل أن يحشو غليونه ) • واليك الرسالة التي حررها •

السيد المحترم ياكوف بتروفتش ،

« ما كان لي أن أتناول القلم لولا أن الظروف الراهنة بالاضافة الى سلوكك يا سيدى تجبرنى على ذلك اجبارا • فصدقنى اذا قلت لك ان الضرورة وحدها هي التي تلزمنى بأن أدخل معك في شروح كهذه ؛ لذلك أرجوك أولا أن لا تعد عملي هذا جوابا على ما بدر منك من اهانات ، جوابا فكرت فيه مليا ثم عزمت عليه أخيرا ، بل نتيجة لا معدى عنها للظروف التي تحيط بمصيرنا المشترك » •

قال السيد جوليا دكين لنفسه وهو يعيد قراءة ما كتب : « يبدو لي أن هذا جيد جدا • فهو محتشم ومهذب ، ولا يخلو مع ذلك من قوة وصلابة ••• لا شيء فيه يؤذى الشعور أو يهين الكرامة فيما يخيل الى •

ثم ان هذا من حقى •••

واستأنف يتم كتابة رسالته :

« ان ظهورك المفاجيء الغريب فى تلك الليلة العاصفة التى كنت أنا فيها ضحية هجوم وحشى وعدوان آثم من أعدائى الذين أترفع عن ذكر أسمائهم الآن اخفقرا لهم ، كان نواة جميع أنواع سوء التفاهم القائمة بيننا الآن ...»

« ثم ان اصرارك يا سيدى على أن تتركب رأسك وعلى أن تتدخل عنوة فى حياتى ، العامة والخاصة ، أمر يتجاوز الحدود التى تفرسها أبسط مبادئ الأدب وأدق قواعد التعامل بين الناس فى هذه الحياة • من نافل القول أن أذكرك بما فعلت يا سيدى حين اغتصبت أوراقى وحين غششت وخادعت على حساب سمعتى ، بهدف الحصول على رضى رؤسائنا وهو شئ لا تستحقه البتة • ومن نافل القول أيضا أن أفيض فى الكلام على أسلوبك المهين المقصود الذى عمدت اليه للتهرب من مفاتحتك فى الامر مفاتحة كان لا بد منها •

« ولا أريد أخيرا أن أشير الى تصرفك الغريب فى المطعم - أقول الغريب حتى لا أقول الشاذ - ولست أحب طبعاً أن أندب روبلا لا قيمة له عندى ، ولكنى لا أستطيع أن أكظم استيائى حين أتذكر تلك الطعنة التى وجهتها الى شرفى يا سيدى ، وذلك بحضور أشخاص لا شك فى أنهم أناس ينتمون الى بيئة راقية رغم أننى لم أترف بمعرفتهم ...» •

قال جوليا دكين يخاطب نفسه : « أترانى لم أسرف ؟ أترانى لم أبالغ ؟ هذه الانساره الى البيئه الراقية ، أليس لها وقع مهين ؟ ...» ولكن لا بأس ... فلا بد من اظهار شئ من الحزم والصلابة • ومع ذلك أستطيع لتخفيف وقع ذلك فى نفسه أن أدس فى آخر الرسالة ملاطفة من الملاحظات تتملقه وترضيه • فلنر ماذا نستطيع أن نفعل من أجل هذا •» •

« ما كنت لأسمح لنفسى أن أزعجك برسالتى هذه يا سيدى لولا

اقتاعى العميق بأن نبل عواطفك واستقامة خلقك سيمليان عليك الاجراءات  
التي ينبغي لك اتخاذها اصلاحا لما أفسدت حتى تعود الأمور الى ما كانت  
عليه في الماضي •

« واني ، والأمل يملؤني ، لأسمح لنفسي أن أعتقد أنك لن ترى  
في رسالتي هذه ما يؤذي شعورك أو يخذش كرامتك ، وأنتك لن تضن  
عليّ برسالة تبعث اليّ بها مع خادمي شارحا الأمر •  
« وابتظار جوابك يشرفني يا سيدي أن أكون خادمك المخلص  
جدا :

### ي جوليا دكين

ما ان فرغ جوليا دكين من كتابة رسالته حتى قال لنفسه : « عظيم !  
سويت المسألة ••• وصلنا في الأمر الى مرحلة المراسلة • ذنب من هذا ؟  
هو ذنبه طبعاً ! انه هو الذي أُلجأني الى ضرورة مفاتحته كتابة • أنا على  
حق ••• »

وأعاد السيد جوليا دكين قراءة رسالته مرة أخيرة ، ثم طواها ووضعها  
في ظرف ، ونادى بتروشكا • دخل الخادم متورم العينين من النعاس على  
عادته • وكان يبدو عليه أنه منزعب انزعاجا شديدا •  
قال له مولاه :

– سوف تحمل هذه الرسالة يا صديقي ••• هل تفهم ؟

ولكن بتروشكا ظل أبكم لا ينطق •

– سوف تأخذ هذه الرسالة فتحملها الى القسم الذي أعمل فيه من  
المكتب ؟ وهناك سوف تسأل عن الحاجب المناوب ، وهو اليوم فاخرامايف  
••• هل تفهم ؟

- أفهم •

- أفهم ••• ألا تستطيع أن تقول : نعم أفهم ياسيدي ؟ طيب •••  
ستسأل اذن عن المستخدم فاخرا مايف ، فتقول له ، اسمع : ان  
مولاي يبعث اليك بتحياته ويرجوك ضارعا أن تبحث في دفتر العناوين  
الموجود في دائرتنا عن المكان الذي يسكن فيه الموظف جوليا دكين •  
ظل بتروشكا أخرس لا ينبس بحرف • وخيل الى السيد جوليا دكين  
أنه رأى ابتسامة تلم بشفتيه ••

- طيب • اذن ستسأله عن عنوان ذلك الموظف الجديد الذي يسمى  
جوليا دكين •

- حاضر •

- ستسأله عن هذا العنوان ، فمتى حصلت عليه مضيت تحمل الرسالة  
الى ذلك العنوان الذي سيذكره لك • هل تفهم ؟

- أفهم •

- فاذا وصلت الى المكان •• أقصد المكان الذي حملت اليه الرسالة ،  
فرايت أن السيد الذي عليك أن تسلمه الرسالة ••• أعني جوليا دكين  
هذا ••• مالك تضحك يا أبله ؟

- لست أضحك • ليس هناك ما يدعو الى الضحك • ذلك أمر  
لا يعنيني • لا شأن لي أنا • لا شيء في نظري بمضحك ••

- طيب ••• في هذه الحالة ، اذا رأيت أن ذلك السيد قد أخذ  
يسألك عن مولاك كيف حاله ، أقصد كيف صحته ••• أعني اذا ألقي  
عليك أسئلة من هذا النوع ••• فلا تجبه بشيء ، وحسبك أن تقول له :  
« مولاي بخير ••• وهو يرجوك أن تبعث اليه بجواب مكتوب • • » • هل  
فهمت ؟

— فمهمت •

— الأمر واضح اذن • تقول له : « مولاي بخير ••••• صحته جيدة ••••• وهو يتهيأ لزيارة بعض الأصدقاء ، و ينتظر منك جوابا مكتوبا • • «  
 ••••• وهو يتهيأ لزيارة بعض الأصدقاء ، و ينتظر منك جوابا مكتوبا • • «  
 فهمت ؟

— اذن فاذهب • آه من هذا الأبله كم يتعبنى ! انه يقضى وقته مستهزئا ••••• مم يضحك ؟ ألا اننى فى مأزق رهيب ! أنا حقا فى مأزق رهيب ! على كل حال ، قد تكون الخاتمه حسنة ••••• ان هذا الوجد سينفق ساعتين كاملتين متسكعا فى الطريق ••••• لا شك أنه سيتوقف فى مكان ما ••••• يستحيل على المرء أن يعهد اليه بمهمة • آه ••••• ما هذه المصيبة ، ما هذه المصيبة التى تسقط على رأسى ! •••••

كان بطلنا شاعرا بجميع المصائب التى نزلت عليه ، فقرر أن يهدى روعه قليلا ، خلال ساعتين على الأقل ، بانتظار عودة بتروشكا • وظل يضطرب فى الغرفة ساعة برمتها : دخن غليونا ثم تركه ، وحاول أن يقرأ ، واضطجع أخيرا على الأريكة وتناول غليونه مرة أخرى ، ثم استأنف طوافه المسعور فى الغرفة • ودَّ لو يتأمل ، لو يفكر ، ولكنه در عاجزا عاجزا مطلقا عن تركيز ذهنه • كان وضع الانتظار هذا أسبه باحتضار • فقرر أن يغير خطته • قال لنفسه : « ان بتروشكا لن يعود قبل انقضاء ساعة • فأستطيع أن أضع المفتاح عند بواب العمارة ، وأن أستفيد من هذا الوقت فى القيام بتحريات ••••• فى القيام بتحريات أتولها بنفسى • • • ثم لم يلبث ، لرغبته فى القيام بهذه التحريات على وجه السرعة دون أن يضيع لحظة من وقت ، لم يلبث أن تناول قبعته وخرج الى فسحة السلم فأغلق الباب بالمفتاح دورتين ، ومضى الى البواب فأودعه

المفتاح وأعطاه مع المفتاح « بقشيشا » عشر كويكات • يجب أن تذكر في هذه المناسبة أن السيد جوليا دكين قد أصبح في هذه الآونة الأخيرة كريما كرما لم يعهد منله فيه • وخرج السيد جوليا دكين الى الشارع وانطلق الى الهدف الذى رسمه لنفسه • سار أولا نحو جسر اسماعيلوفسكى فلما بلغه بعد نصف ساعة ، دخل بغير تردد الى فناء العمارة التى كان يعرفها حق المعرفة ، ورفع عينيه نحو نوافذ مسكن مستشار الدولة بيرندييف \*\*\*

كانت جميع النوافذ مظلمة الا ثلاثا تحجبها ستائر حمراء • فقال بطلنا لنفسه : « ليس لدى اولسوفى ايفانوفتش مدعوون فى هذا المساء ، والأسرة كلها باقية فى المنزل • • • »

لبث السيد جوليا دكين لحظة طويلة فى فناء العمارة مترددا لا يدري ماذا يفعل • وأوشك أن يتخذ قرارا لكنه غير رأيه فى آخر لحظة ، فحرك يده بإشارة تدل على التملل ، وغادر المكان • قال لنفسه وهو فى الفناء : « لا • • • ما الى هنا يجب أن أجيء ! ما عسانى فاعلا هنا ؟ • • • الأفضل أن أمضى أقوم بتحرياتي بنفسي • • • » • فلما اتخذ هذا القرار اتجه نحو مكتبه • كان عليه أن يسير مسافة طويلة ساقية فى الوحل • وكان الثلج المبلل يتساقط أسناخا كبيرة • ولكن بطلنا كان فى ذلك اللحظة لا يبالي العقبات • لقد تبلل حتى العظام ، وتلوث بالطين ، ولكنه لم يكن يعبأ بذلك كله • « المهم أن أبلغ الهدف المرسوم » ، كذلك كان يردد لنفسه • وكان السيد جوليا دكين يقترب من غايته فعلا • فيها هو ذا يبصر من بعيد أمامه تلك الكتلة القاتمة ، ذلك المبنى الضخم الذى تشغله الادارة العامه • قال لنفسه : « قف • • الى أين أنا ذاهب ؟ ما عسانى فاعلا هنا ؟ • • • هبنى عرف العوان ! • • • ان بتروشكا سبكون أثناء هذا الوقت قد عاد الى

البيت حاملاً جوابه ••• فأنا اذن أضيع وقتنا ثمينا ••• لقد بددت وقتى  
سدى ! على كل حال ، لا ضير ••• ما زلت أستطيع أن أتدارك كل شىء  
••• ولكن ألا يكون من المفيد حقاً أن أذهب الى فاخرامايف ؟ ••• لا  
••• لا داعى الى ذلك •• سأذهب اليه فى آن آخر •• اه •• لم يكن بى  
أية حاجة الى الخروج من البيت •• هذه خصلة فى طبعى •• دائماً  
متعجل ، سواء أكان هناك ضرورة أم لم يكن هناك ضرورة •• دائماً  
متعجل الى استباق الأحداث ••• همم •• كم الساعة الآن ؟ انها تقارب  
التاسعة ولا سنك •• فماذا اذا عاد بتروشكا فلم يجد أحداً ؟ حقاً لقد  
ارتكبت بالخروج حماقة ••• آه ••• ما كان أغناني عن هذه المغامرة !  
بعد هذا الاعتراف الصادق بأن سلوكه كان حماقة ، أخذ بطلنا  
يركض نحو مسكنه فوصل اليه لاهتاً يكاد يخفق ، فأعلمه الخفير أنه لم  
ير حتى الآن أثراً لبتروشكا •

قال بطلنا لنفسه : « تماماً ••• هنا ما توقعته ••• ومع ذلك فالساعة  
الآن هى التاسعة ! •• يا للوغد الدنيء ! •• انه لا ينفك يسكر ! رباه  
رباه ! ما هذه الأقدار ! يا لهذا اليوم من يوم ! •• » •

وصعد السيد جوليا دكين السلم ممتليء الرأس بهذه الخواطر وهذه  
النسكاوى ، ففتح باب بيته ، وأشعل شمعة ، وخلع ملابسه ، ثم اضطجع  
على الديوان جاثماً مرهقاً مكدوداً محطماً الأعضاء ، ينتظر عودة بتروشكا •  
الشمعة تسكب ضياءها الشاحب على الجدران ••• لبث السيد جوليا دكين  
زماً طويلاً يفكر وينظر حوالبه ، الى أن نام آخر الأمر نوما كالرصاص  
تقلاً •

ثم لم يصح من نومه الا فى ساعة متأخرة • كانت الشمعة قد ذابت  
تقريباً فهى الآن تدخن وتوشك أن تنطفئ • نهض السيد جوليا دكين



بوثة ، وشخف وانتفض ، فسرعان ما تذكر كل شيء ، نعم كل شيء •  
 انه يسمع شخير بتروشكا قويا من وراء الحاجز • وهرع نحو النافذة •  
 ما من ضياء في الأفق • وفتح كوة من الكوى • ان كل شيء صامت •  
 المدينة نائمة ، كأنها مينة • لا شك أن الساعة هي الثانية ، وربما الثالثة  
 ••• وانطلقت ساعة الحائط تدق دقتين • أسرع السيد جوليا دكين الى  
 حجرة خادمه •

فاستطاع بعد جهود كثيرة أن يوظفه ويوقفه • وكانت الشمعة قد  
 انطفأت أثناء ذلك • فأنفق السيد جوليا دكين ما يزيد على عشر دقائق في  
 البحث عن شمعة أخرى وفي اشعالها • فلما عاد الى بتروشكا وجده قد  
 نام من جديد •

« وغد دنيء ، خليع حقير •• هلا صحوت ؟ هلا قمت ؟ » كذلك  
 أخذ يردد السيد جوليا دكين وهو يحاول أن يوظف بتروشكا • واستطاع  
 بعد نصف ساعة من جهود متصلة أن يوظفه آخر الأمر • فنقله الى غرفته ،  
 فلاحظ عندئذ أنه منطفيء سكرًا ، لا يكاد يستطيع الانتصاب على ساقيه :  
 - يا كسلان ، يا وغد ، يا لص ! هل تعرف أنك تطعن قلبي ، هل  
 تعرف أنك تقتلني قتلًا ؟ آه يا رب ! ترى ماذا صنع برسالتى يارب ! ماذا  
 صنع بها ؟ ولماذا كتبت أنا هذه الرسالة ؟ ماذا كانت حاجتى الى كتابتها ؟  
 اندفعت مرة أخرى فى حماسة لا داعى اليها ! غرورى هو الذى حضنى !  
 غرورى هو الذى ورطنى ••• ماذا صنعت برسالتى يا لص ؟ لمن  
 أعطيتها ؟

- ما أعطيتها لأحد ••• ثم لم يكن معى رسالة •••

عض السيد جوليا دكين يديه من شدة خنقه ؛ ثم قال لخادمه :  
 ••• استمع الى يا بطرس ! أنت سكران ؟

- سأسمع \*

- الى أين ذهبت ؟ أجبنى !

- الى أين ذهبت ؟ ... ذهبت الى عند أناس طيبين ... ليس هذا

عيا ...

- رباه رباه ! ولكن فل لي الى أين ذهبت أولا؟ هل مررت بالادارة؟

... استمع الى يا بطرس ! أنت سكران ؟

- أنا ، سكران ؟ أب .. أب .. أبدا ... فلأمت اذا كنت أكذب !

- لا .. لا .. لا مانع أن تكون سكران .. أنا ألقيت عليك هذا

السؤال عرضا ، بل حسن أن تكون سكران .. ليس عيا أن تكون سكران

يا بتروشكا .. ليس عيا أبدا .. لا شك أنك نسيت الآن مؤقتا .. ولكنك

ستذكر .. قل لي : هل تتذكر أنك ذهبت الى الموظف فاخرامايف ؟

هل ذهبت اليه ؟ نعم أم لا ؟

- لا .. لم أذهب اليه ... لم أضع قدمي عنده ... وهذا الموظف

لا وجود له .. أنا مستعد لأن ..

- لا يا بطرس ، أقول لك : لا .. اسمع يا بطرس .. أنا لست

غاضبا منك .. أنت ترى أنني لست غاضبا .. ما الذى حدث ؟ لا شك

أن الجو بارد ورطب فى الخارج ، لذلك شربت قليلا ... لا مانع ...

أنا لست غاضبا .. أنا أيضا شربت قليلا يا أخى .. هيا ... ابذل بعض

الجهد ... حاول أن تتذكر ، قل لي كل شيء يا أخى .. هل ذهبت الى

الموظف فاخرامايف ؟

- طيب ... ما دام الأمر كذلك ... فأنا أحلف لك بشرفى أنني

ذهبت اله .. وأنا مستعد لأن ..

– طيب •• طيب جدا يا بتروشكا ••• حسن جدا أنك ذهبت اليه  
 •• أنا لست غاضبا •• أنت ترى أنني لست غاضبا •• هيا •• هيا (كذلك  
 تابع بطلنا يخاطب خادمه ، مظهرا ثقته به ، مبتسما له ، رابتا على كتفه )  
 هيا قل لى ، اعترف لى •• لقد شربت قليلا يا عقريت ••• قليلا فقط ••  
 سريت بعشرة كوبكات لا أكثر •• آه منك يا شيطان • طيب •• لا بأس •  
 أنت ترى أنني لست غاضبا • لست بزعلان يا أخى ، لست بزعلان  
 أبدا •••

– لا •• أنا لست شيطانا •• أؤكد لك •• وأنا ذهبت الى أناس  
 طيبين •• أنا لست شيطانا •• ولم أكن شيطانا فى يوم من الايام ..

– ولكن لا •• يا بتروشكا •• اسمعنى يا بطرس •• أنا لم أقصد  
 سوءا • واضح أنني لم أقصد سوءا • ليس شتيمه أن يوصف امرؤ بأنه  
 شيطان • أقول لك هذا لأطمئنك • أنت تعلم يا بتروشكا أنه يقال لأحد  
 الناس فى بعض الأحيان انه شيطان أو لثيم أو خيبت من قبيل المدح  
 لا الذم •• معنى هذه الصفات عندئذ هو أنه حاذق ، هو أنه لا يستطيع  
 أحد أن يخدعه • بعض الناس يحبون هذا النوع من التعابير • هيا هيا  
 ليس هذا بشيء • هيا قل لى الآن يا بتروشكا ، قل لى باخلاص وصدق ،  
 دون أن تخفى شيئا ، هل ذهبت الى الموظف فاخرامايف ، وهل أعطاك  
 العنوان المطلوب ؟

– نعم أعطانى العنوان • انه رجل طيب • ثم لقد قال لى : «مولاك  
 رجل شريف ، رجل شهيم جدا • أبلغه تحياتى •• أبلغ مولاك تحياتى  
 وقل له اننى أحبه وأحترمه • هو رجل شهيم يا بتروشكا ، وأنت كذلك  
 يا بتروشكا ، أنت فتى شهيم حقا • هذا ما قاله لى ••

صاح السيد جوليا دكين بصوت محتق :

- آه يا رب يا رب ! والعنوان .. العنوان يا يهوذا ؟
- العنوان ؟ أعطاني العنوان ..
- أعطاك العنوان ؟ طيب .. فأين يسكن اذن جوليا دكين هذا ...
- أين يسكن هذا الموظف جوليا دكين ؟
- قال لى : « جوليا دكين يسكن فى شارع « الدكاكين الستة » ، على اليمين فى هذا الشارع ، بالطابق الثالث . هناك يسكن جوليا دكين ... »
- أعول جوليا دكين صائحا وقد خرج عن طوره من فرط الخنق :
- يا لص ، يا مجرم .. عنى انما تتكلم أنت ، عنى أنا . أما أنا فأكلمك عن شخص آخر ، عن جوليا دكين آخر يا لص !
- كما تحب . أنا لا فرق عندى . لك ما تشاء .
- والرسالة ؟ ماذا فعلت بالرسالة يا قليل الحياء ؟
- الرسالة أعطيتها ، أعطيتها ... وقال لى : « بلغ مولاك تحياتى .. »
- ان مولاك رجل شهيم .. أبلغه سلامى ... » .
- من قال لك هذا ؟ أهو جوليا دكين ؟
- صمت بتروشكا لحظة ، ثم ابتسم كاشفا عن جميع أسنانه ، وتفرس فى مولاة محذقا .
- قال جوليا دكين وهو يخنق حقا :
- اسمع يا لص .. أجبني .. ماذا فعلت ؟ ما صنعت بى ؟ لقد قتلتنى يا شقى ، قتلتنى .. دقت عنقى .. ذبحتنى يا يهوذا !
- قال بتروشكا بلهجة حازمة وهو يتراجع خلف الحاجز :
- كما يحلو لك .. أنا لا فرق عندى .
- تعال هنا .. ارجع الى هنا يا لص .

– لا لن أرجع ، لا داعى الى الرجوع • أفضل أن أذهب الى عند  
ناس طيبين •• ناس طيبين يعيشون عيشة شريفة •• ناس طيبين لا يفشون  
ولا يزيفون •• لا يزدوجون •• لا يصبح أحدهم اثنين •• لا يصبح  
مثلين ••

• هنا أحس السد جوليا دكين بأن يديه وقدميه تجمدت كالجليد •

أصبح لا يستطيع أن يتنفس • وتابع بتروشكا يقول :

– تماما •• لا يزدوجون •• لا يصبح أحدهم اثنين •• لا يصبح

أحدهم مثلين • لا يسيئون الى الله ولا الى البشر الثرفاء •

– أنت سكران يا حقير •• نم الآن يا لص • وغدا أؤدبك •

كذلك دمدم جوليا دكين بصوت لا يكاد يسمع • أما بتروشكا فكان

يجمعهم بأفوال لا تفهم •

• سمعه بطلنا يضطجع على سريره • لقد صرت نوابض السرير •

تابع بتروشكا تناؤبا طويلا ذا صوت ، وتمطى ، وغط أخيرا فى نوم

عميق شاخرا •

ان السيد جوليا دكين أقرب الى الموت منه الى الحياة • ان سلوك

خادمه وتلميحاته الغريبة – وهى فى الحق أغمض وأبعد من أن تسبب

هذا الغضب كله لدى السيد جوليا دكين، لاسيما وأنها صادرة عن سكران–

فد قلبت نفسه رأسا على عقب • لا شك أن الأمر أخذ يجرى مجرى

سيئا •

دمدم السيد جوليا دكين يقول لنفسه بينما كان جسمه كله يرتعد

بتأثير احساس غريب مزعج : « ماذا دهانى حتى أيقظته هكذا فى قلب

الليل ؟ ماذا دهانى حتى مضيت أشاجر مع رجل سكران ؟ ما عسى ' ينتظر

من رجل سكران ؟ انه يكذب فى كل لحظة • ولكن الى ماذا كان يلمح  
هذا اللص ؟

« آه ••• يا رب ! ولكن فل لى يا جوليا دكين ! لماذا كتبت هذه  
الرسالة ؟ انك أنت قاتل نفسك • ألم يكن فى وسعك أن تصمت ؟ هل  
كان حتما عليك أن تخطىء ؟ أما من وسيلة لديك للاستغناء عن ارتكاب  
الخطأ تلو الخطأ ؟ انك على مسافة اصبعين من ضياعك ؟ أو شكت أن تصير  
الى خرقه بالية ، وهأنت ذا لا تزال تنهض محاولا أن تؤكّد غرورك • لقد  
أساءوا الى شرفك ، فما بالك لا تحاول أن تنقذ شرفك يا قاتل  
نفسه ؟ •••• »

بهذا كان السيد جوليا دكين يخاطب نفسه جالسا على أريكته لايجرؤ  
من رعب أن يتحرك • وفجأة جذب عينيه شىء سرعان ما رأى أنه جدير  
بأكبر انتباه وأعظم اهتمام ؛ فاضطرب اضطرابا شديدا ومدّ يده الى هذا  
الشىء وهو يمتلىء آملا وخوفا وحيرة • ترى ألم يكن هذا سرايا ؟ ألم  
يكن مجرد وهم من أوهام الحواس ؟ ألم يكن ثمرة كاذبة من ثمرات  
الخيال ؟ ••• لا لم يكن هذا سرايا • لم يكن هذا وهما • هى رسالة ،  
رسالة حقا ، رسالة مرسله اليه شخصيا • تناول السيد جوليا دكين الرسالة ،  
خافق القلب حتى ليكاد قلبه ينخلع •

قال لنفسه : « لاشك أن هذا اللص هو الذى أتى بها • لا شك  
أنه وضعها على الطاولة ثم نسيها • نعم لا شك أن هذا هو ما حدث ،  
لا شك أن هذا بعينه هو ما حدث •••• »

كانت الرسالة من الموظف فاخراماييف ، وهو زميل شاب كان فى  
الماضى صديقا لبطلنا •

« لقد تبنّيت بهذا كله ، كما أتبأ الآن بما تضمنه هذه الرسالة » .  
قال جوليا دكين هذا لنفسه وأخذ يقرأ :  
عزيزى السيد ياكوف بتروفتش ،

ان خادمك سكران ، ولا يمكن أن يتفاهم المرء مع سكران . لذلك  
أوتر أن أرد عليك كتابة . وأسارع فأؤكد لك أن المهمة التي كلفتني بها ،  
أعنى اوصول الرسالة الى الشخص المرسله اليه بواسطتي ، ستفقد بأمانة في  
الموعده المطلوب . وهذا الشخص الذى تعرفه أنت حق المعرفة هو الان  
أحد أصدقائي . لن أسميه لأنني لأحب أن أسئ الى انسان برىء كل  
البراءة . ان هذا الشخص هو الآن واحد من رفاقنا فى بنسيون كارولين  
ايفانوفنا ، يسكن فى العرفه التي كان ينزلها ، أيام كنت واحدا منا ،  
ضابط المدفعية ذاك الآتي من تامبوف . وأذكر لك عرضا أنك سنطيع أن  
تلقى هذا الشخص حيسا يوجد آناس شرفاء مخلصون ، وتلك من الحاصل  
التي لا يوصف بها جميع البشر . ثم اتنى قد عقدت النية جازما على أن  
أقطع كل صلته بك منذ هذا اليوم . فانه ليستحيل بعد الآن أن نحفظ بما  
كان بيننا فى الماضى من لهجة الود وعلاقات الصداقة .

« لذلك أرجوك ، ياسيدى ، أن تبعث الى فور استلام هذه الرسالة  
بما لى عليك من دين ، وهو مبلغ روبلين هما نعمن موسى الحلافة المستورده  
من الخارج التي بعثك اياها دينا منذ سبعة أشهر . آمل أن تتذكر هذا  
من عهد سكنانا معا عند كارولين ايفانوفنا التي أحترمها من كل قلبي .  
والسبب الذى يدعوني الى سلوك هذا المسلك معك هو أنك فى رأى جميع  
الناس العقلاء قد فقدت كل معنى من معاني الشرف والكرامة ، وأن  
صحبتك أصبحت خطرا على أخلاق الناس الأسوياء الأبرياء . ان فى  
الحياة أشخاصا يعيشون بعيدين عن مبادئ الحق والخير ، فكل كلمة من

كلماتهم كذب وكل موقف من مواقفهم نفاق مشبوه • أما الدفاع عن شرف كارولين ايفانوفنا الفاضلة التي لا غبار على سلوكها ، والتي هي فتاة بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة ، رغم أنها تقدمت فى السن ، والتي هي سليلة أسرة أجنبية محترمة ، فسيبقى هنا لك أناس يتولونه فى كل زمان ومكان ؛ وقد رجاني بعض أصدقائي أن أذكر لك ذلك فى رسالتي ، وأنا أتحمل تبعه ما يقولون •

« ومهما يكن من أمر فستعلم بهذا الأمر فى حينه اذا كنت لم تعلمه بعد • وقد بلغنى من ذلك المصدر نفسه على كل حال أن المجد يكلك فى هذه الآونة الأخيرة فى مختلف أحياء العاصمة ، لذلك افترض أنك أصبحت تعرف منذ الآن رأى الناس فيك • ولا يسعنى فى ختام رسالتي هذه ، يا سيدى ، الا أن أبلغك أن الشخص الذى تعرفه والذى أغفل ذكر اسمه فى رسالتي عن عمد حياءً يحظى بتقدير عظيم من جميع كرام الناس ؛ فهو يجمع الى دماثة الخلق وبشاشة الطبع نشاطا كبيرا وهمة فضاء فى العمل ، لذلك يقدره رؤساؤه وسائر خيار القوم الذين يعيش بينهم • انه مخلص لما يقول ، وفى للصدّاقه ، لا يسمح لنفسه يوما أن يغتاب أولئك الذين تربطه بهم صلوات الصداقة على علم جميع الناس •

« وفى الختام ، أظل خادمك المخلص •

ن • فاخمارايف

حاشية : يجب عليك أن تصرف خادمك • انه سكير ، ولا شك أنه يسبب لك متاعب كثيرة • استخدم فى مكانه أوستاس الذى كان يخدمنا فى الماضى وهو الآن بغير عمل • ان خادمك ليس سكيّرا فحسب ، بل هو لص أيضا • فى الاسبوع الماضى باع كارولين ايفانوفنا رطلا من قطع



السكر بسعر بخس ، وهذا يحمل على الاعتقاد بأنه قد اختلس هذا السكر من بيتك قليلا قليلا كلما سنحت فرصة •

« أذكر لك هذا حرصا مني على مصلحتك • فلست كبعض الناس الذين لا يهمهم الا أن يهتوا وأن يخدعوا من يحيطون بهم ، ولا سيما الشرفاء الذين لا يسيئون الظن بل يسارعون الى التصديق وتنطلي عليهم الأكاذيب ؛ لست كبعض الناس الذين لا ينفكون يفتابون هؤلاء ويسيئون اليهم خفية ، بدافع واحد هو الغيرة منهم وشعورهم بالعجز عن أن يكونوا مثلهم •

### ن•ف•

ظل بطلنا ساكنا على أريكته لحظة طويلة بعد قراءة رسالة فاخرامايف • ان ضياء جديدا ينفذ الآن الى الضباب الكثيف العجيب الذي يلفه منذ يومين • أخذ يرى رؤية واضحة ••• أراد أن ينهض ، أن يسير بضع خطوات عسى أن ينعش فكره ويجمع خواطره ويركزها على نقطة وحيدة ، ويتخذ هكذا في الهدوء قرارا •

ولكنه ما ان همَّ أن يقوم حتى عاد يتهاوى على مكانه نفسه مهدود القوى عاجزا •

« لقد تنبأت بكل شيء •• هذا أكيد •• ولكن ماذا يريد أن يقول في رسالته ؟ ما هو المعنى الحقيقي الذي يكمن في هذه الرسالة ؟ الحق أنتى أعرف هذا المعنى • ولكن الى أين يقودنا هذا ؟ لو قد قال لي بوضوح افعل كيت أو كيت •• لو قد أعلن لي بوضوح : ' يطلب منك هذا أو يطلب منك ذلك ، اذن لأطعت ••• ألا ان المسألة أخذت تجري مجرى مزعجا •

« آه ... ليتنى فى الغد ... وددت لو أصل الى حل العقدة بأقصى  
سرعه ممكنة . اننى أعرف الآن ماذا يجب علىّ أن أفعل . سأقول لهم  
ما يلى : اننى موافق على آرائكم ، ولكننى أرفض أن أضيع شرفى . . اما  
الآخر . . فسئرى . . ثم كيف أمكن لهذا الآخر ، لهذا الشخص المشكوك  
فيه ، أن يكون له فى هذه المسألة ضلع ؟ ما الذى أحمله فى هذه الفضية ؟  
آه . . تعال أيها الغد ! انهم الان يغتابونى ويتواطئون علىّ ويحاولون  
أن يدهورونى . . المهم ألا اضيع الوقت سدى . . يستحسن فيما اظن ان  
أكتب رسالة على الفور ، أن اظهر بعض التسامح ، أن أقدم بعض التنازل  
. . ثم أبعث بالرسالة فى أول ساعة من ساعات الصباح ، وأتخذ من جهتى  
ما يجب أن أتخذه من اجراءات . . نعم ، ذلك ما ينبغى أن أفعله . . سأشن  
حملة مضادة وسيرون النتائج ، هؤلاء الطيور . . . والا فلسوف يجرونى  
فى الوحل وينتهى أمرى . . » .

تناول السيد جوليا دكين ورفا وقلما ، وحرر الرسالة التالية جوابا  
على رسالة السكرتير الحكومى فاخرامايف :

#### عزيزى السيد نستور اجناتيفتش !

« قرأت رسالتك بدهشة عميقة وحزن صادق . فقد أدركت أنك  
حين كنت تلمح الى أشخاص أسرار منافقين انما كنت تقصدنى أنا . اننى  
لأشعر بمرارة صادقة حين أرى أن النميمة سرعان ما مدت جنورها  
الطويلة الكثيرة فأفسدت هدوئى وأساءت الى شرفى وسمعتى . وانه  
ليحزتنى ويحز فى نفسى أن أدرك أيضا أن الشرفاء من الناس ، أن أولئك  
الذين يملكون أنبل المشاعر وأسمى الأفكار ، ويتصفون باستقامة الخلق  
والطبع ، يتخلون عن مؤازرة الشرف والفضيلة ويتراحمون بكل قواهم  
وبكل ما أوتوا من مزايا حول الغدر المؤذى الذى ما ينفك ينتشر ويمتد

بمزيد من القوة في هذا الزمان القاسى العاسد ، وا أسفاه ! أما عن دينك على ، فانتى أرى أن من واجبي المقدس أن أرد اليك هذين الروبلين • وأما عن تلميحاتك ، يا سيدى العزيز ، عن تلميحاتك المتصله بشخص من الجنس اللطيف ، وكذلك عن النيات والأهداف والمطالب التى تنسبها اليه ، فانتى أعلن لك يا سيدى أنها ما تزال غامضة فى ذهنى لم أستطع الى فهمها سيلا ، فاسمح لى ، يا سيدى العزيز، أن أربأ بسمعتى المحترمة وبعواطفى الرفيعة أن تلتطخ • وانى مع ذلك لمستعد أن نتكاسف فى الأمر بالتخاطب كلاما متى شئت ؛ فذلك فى نظرى خير من تبادل الرسائل • وانى لمستعد أيضا لقبول أية خطوه فى سبيل المصالحة شريطة أن تتوافر النية الصادقة المخلصة من الطرفين •

« ومن أجل ذلك أرجوك ياسيدى أن تبلغ الشخص المذكور موافقى على أن يقوم ببنى وبينه حديث شخصى خاص ؛ وأنا أدع له أن يحدد لاجتماعنا الزمان والمكان اللذين يناسبانه •

« وقد قرأت بكثير من المرارة يا سيدى ما ألمت اليه من أنه كانت لى معك مواقف تزعم أن فيها اهانة لك أو اساءة اليك • وكأنك تعتب على أنى خنت صداقتنا القديمة وأننى اغتبتك وقلت فيك سوءا • اننى أعتقد أن مرد هذه الاتهامات الى سوء تفاهم ، أو فل الى سعايات دينيه وائى الغيرة والكره لدى أولئك الدين يحق لى ، واعيا كل الوعى ، أن أعدهم من أعدائى الألداء العتاة • ولا شك عندى فى أن هؤلاء يجهلون أن البراءة تحمل قوتها فى ذاتها ، وأن الدناءة والوقاحة والاستهتار النير لدى بعض الناس لا بد أن تلقى عقابها احتقارا عاما فى يوم من الأيام ؛ وسيهلك هؤلاء الناس يومئذ جزاء ما جنت أيديهم من سيئات وما حملته قلوبهم من شر • لذلك أرجوك يا سيدى أن تبلغ هؤلاء الأشخاص أن أطماعهم

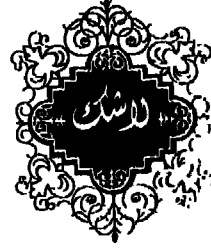
الغريبة ورغباتهم الدينية العجيبة في أن يفتصبوا بالقوة المكان الذي يحتله غيرهم حقا من حقوقه ، لا يستحقون الا الاستغراب والاحتقار والاشفاق ، ولا يستحقون خاصة الا أن يحجزوا في مستشفى من مستشفيات المجانين •

« وأضيف الى هذا أن محاولات من هذا القبيل ممنوعة بحكم القوانين ، وذلك في رأيي أمر سليم له ما يسوغه ، لأن على كل انسان ان يقنع بالمكان الذي خصص له • ان لكل شيء حدودا ، واذا كان الأمر في الحالة الراهنة أمر مزاح ، فاني أؤكد لك أنه مزاح كرهه يدل على سوء ذوق صاحبه ، بل يدل على سوء خلقه • وفي وسعي أن أؤكد لك ، يا سيدى العزيز ، أن المعانى التي عبرت لك عنها منذ هنيهة بشأن المكان المخصص لكل انسان ، مشتقة من أنبل مبادئ الأخلاق •»

« وفي الختام ، يشرفنى أن أبقى خادمك المطيع :

ي • جوليا دكين

## الفصل العاشر



في أن أحداث اليومين الاخيرين قد أحدثت في نفس السيد جوليا دكين اضطرابا عميقا . كان نومه في تلك الليلة قلقلها . والحق أنه لم يستطع أن يغمض جفنيه أكثر من خمس دقائق . لكن

«.. حبا حبيبتنا قد نثر على سريريه شوكا . قضى ليلته بين اليقظان والوسنان ، يتقلب على سريريه بغير انقطاع من جنب الى جنب ، ويئن ويدندن ، فما يكاد يغمض لحظة حتى يستيقظ . انه نهب غم شديد وخوف هائل ، ماتتفك تحاصره ذكريات غامضة ورؤى عجيبة .»

انها ليلة « كوايس » لا ينقصها شيء . فتارة يتراءى له وجه أندره فيليبوفتش في ظلام سرى ، متجهما قاسيا ، عينه النظرة ، لا يرحم ، وعلى سفتيه تقريع خشن بارد يهيم أن ينطلق . . . . فيريد السيد جوليا دكين أن يقترب منه محاولا أن يبرىء نفسه بطريقة من الطرق ويحاول أن يبرهن له على أنه ليس كما يصوره أعداؤه ، وأنه انسان كسائر الناس ، بل وأنه يملك عدا ذلك مزايا كثيرة كبيرة فطر عليها . . . . وفيما هو كذلك

إذا بوجه آخر يتراءى له على حين فجأة، وجه يعرفه بسهولة من فرجه فمه  
الوفحة ، وإذا بهذا الوجه يدمر جميع محاولات بطلنا فى لحظه واحدة ،  
متوسلا الى ذلك بحيله من الحيل الحفيرة الدنيئه ، فهو ياخذ يلطخ سمعه  
بطلنا على مرأى منه ومسمع ، وهو ياخذ يسيء الى كرامته ، ويجبره فى  
الوحد ، ويقتصب فى آخر الامر مكانه فى الوظيفة وفى المجتمع . . . .  
وتاره يشعر بطلنا بأكال فى جمجمته ، نتيجة لطمة بالاصبع أصابه بها  
أحدهم ؛ والمشهد يجرى على مرأى من الناس ؛ وربما فى مكاتب الادارة  
نفسها ؛ وهو عاجز عن دفع الاهانة . . . . وفيما يحضر بطلنا فى دماغه  
محاولا أن يفهم سبب عجزه عن الاحتجاج على مثل هذه الاهانة ؛ اذا  
بذكرى اللطمة تتخذ شكلا جديدا ، شيئاً بعد شيء . \*

فهو الآن ذكرى جبانة من الجبانات تحاصر ذهنه ، جبانة تافهة أو  
ذات بال . . . . وهو لا يعرف تماما هل الأمر أمر شيء شهده أو أمر شيء  
حدثه عنه . ولكن لعل هذه الجبانة قد صدرت عنه هو ، ولعلها تصدر  
عنه كثيرا ، مرة تلو مرة ، لأغراض حقيرة وأهداف مخجلة . . . . أو لعلها  
تصدر عنه مصادفة بغير سبب ، عن حياء أو عن عجز . . . . فلماذا صدرت  
عنه هذه الجبانة ، نعم لماذا ؟ . . . . الحق أن السيد جوليا دكين كان يعرف  
حق المعرفة لماذا . \*

وهنا يحمر السيد جوليا دكين وهو نائم ، ويحاول أن يسكت خجله ،  
فيؤكد متمتما « أن عليه أن يظهر شيئا من قوة الارادة ، أن عليه أن يظهر  
كثيرا من قوة الارادة . . . . نعم . . . عليه ذلك . . . ولكن ما معنى قوة  
الارادة الآن ؟ . . . » . ولكن الشيء الذى يحق السيد جوليا دكين حقا  
سديدا الآن هو أن ذلك الشخص الكريه نفسه يعود الى الظهور فى تلك  
اللحظة نفسها . هل دعى الى ذلك ؟ هل جاء من تلقاء نفسه ؟ أليس الأمر

مدبرا ؟ المهم أنه يظهر مرة أخرى بفرجة فمه الكريهة ، ويأخذ يدمم هو أيضا قاتلا بابتسامة وحة : « ما قوة الارادة هذه ؟ هل نملك شيئا من قوة الارادة أنا وأنت يا ياكوف بتروفتش ؟ » • • • • •

ورأى جوليا دكين نفسه بعد ذلك فى صحبة أناس عرفوا بذكائهم ورقة شعورهم ورهافة ذوقهم • ورأى نفسه لامعا مرموقا بتهديبه الراقى وبديهته الحاضرة • لقد ملك على الحفل فلوبهم • حتى لقد استطاع أن يفتن عقول عدد من أعدائه الذين كانوا حضورا فى الحفل ، فسره ذلك سرورا عظيما • كان سيد السهرة غير منازع • • • • • وبلغ السيد جوليا دكين ذروة المجد حين سمع رب البيت يمدحه لأحد المدعويين على انفراد • • • • • فطار صوابه فرحا بذلك • ولكن سرعان ما ظهر ذلك الشخص الكريه القاسى مرة أخرى على حين فجأة • فما هى الا لحظة حتى كان السيد جوليا دكين الأصغر يقلب الوضع رأسا على عقب • فذهب ما حصله بطلنا من انتصار ومجد أدراج الرياح • ان سميته يكسف نجمه ويمرغه فى الوحل • وأسوأ من ذلك أنه يجعله فى نظر الناس نسخة هو أصلها اللامع ، ويبرهن جازما على أن بطلنا ليس ذلك الرجل الذى قد توهم به المظاهر ، وأن من الواجب ابعاده اذن من كل مجتمع لامع راق • وقد جرى هذا المشهد بسرعة بلغت من الشدة أن بطلنا لم يتسع وقته لأن يفتح فمه بكلمة • كان شبيهه الدنيء قد استولى على عقول المدعويين استيلاء كاملا ، فاذا هم يتأون عن السيد جوليا دكين المسكين باحتقار شديد • لم يستطع أحد منهم أن يقاوم سحر الغاصب • لقد استأثر بهم جميعا ، واحدا بعد آخر ، من ألمهم الى أتفههم • كان هذا الشخص المزيف الصلف يعرف كيف يتملق الناس للوصول الى مآربه • كان من النعمة والحذق فى التملق أن مخاطبه ما يلبث أن يرق قلبه وتهتز عاطفته فاذا هو يأخذ ينشج ساكبا دموع الانفعال دليلا على عمق رضاه وقوة انشراحه • وذلك

كله يتم في لحظة كومض البرق • ان ما يتصف به تأثير هذا الشخص الحيت الماكر من سرعة لأمر يذهل العقل • فما ان يفرغ من الالتفاف على أحد الناس وأسرره بالزلفى حتى تراه ينتقل الى آخر ، فما هي الا بضع كلمات من تملق تكافئها ابتسامة ودود ، اذا هو يشب بساقيه القصيرتين الصلبتين نحو ثالث ، وهكذا دواليك : مزيد من عبارات التزلف وجديد من مظاهر الود ؟ فما يكاد المرء ينشق نسمة هواء حتى يكون صاحبنا قد التفت على رابع فظفر به • لكأن الأمر سحر •• ان جميع الناس يستقبلونه باشين فرحين ، ويعطفون عليه ويميلون اليه ، ويحملونه الى السحب • وهم جميعا يعلنون على رعوس الأشهاد أنه بأدابه الرفيعة وروحه الفكهة وفكره النقاد يتفوق على السيد جوليا دكين الأصلي تفوقا عظيما • لقد أذل بطلنا المسكين ، بطلنا البريء ، وأهانته خصمه وسامه سوء العذاب • ان الناس الآن ينذون هذا الانسان الذى يفيض قلبه رحمة ومجبة لأخيه الانسان ، ويرهقونه ، ويمطرونه بوابل من اللططات بأطراف سباباتهم •

ويسرع بطلنا المسكين هاربا الى الشارع وهو يرتعد خوفا ورعبا وحقا • وها هو ذا يبحث عن عربة • انه يريد أن يطير فورا الى صاحب السعادة يشكو اليه أمره ، فان لم يجده فليطر الى آندره فيليبوفتش • ولكن ما من حوذى يرضى أن يقله وا أسفاه ••• فالحوذيون جميعا يقولون له : « لا يا سيدى ••• يستحيل علينا أن نقل رجلين متشابهين تشابها مطلقا ••• وما ينبغى لرجل شريف يريد أن يعيش حياة شريفة ، ما ينبغى أن يكون له منل ••• » • وينظر السيد جوليا دكين حواليه وهو يهذى من فرط الغيظ ، فيلاحظ أن الحوذيين وبتروشكا الذى كان منضمما اليهم هم جميعا على حق ما فى ذلك ريب • ذلك أن شيهه الدنىء كان على مسافة خطوتين منه ، يتهاى لمقارفة وقاحة جديدة على عادته المقيته •



نعم ، ان هذا الدجال الكريه الذى يتظاهر فى كل مناسبة بأدبه الجم وعواطفه النيلة سيرتكب الآن فعلا حقيرا لا يدل حتما على شىء من حسن التهذيب ورهافة الذوق •

فما كان من بطلنا المسكين - السيد جوليا دكين الأصيلى - الا أن فر هاربا وقد امتلأ قلبه شعورا بالعار والحزن ••• انه يركض الآن قدما على غير هدى لا يدرى أين يذهب • ولكنه كلما خطا خطوة وكلما قرعت قدمه أسفلت الرصيف مرة ، انبجس الى جانبه عدو جديد كأنه يخرج من بطن الأرض ، انبجس جوليا دكين جديد ، انبجس ذلك الدجال نفسه رهيبا حقيرا باعنا على التفرز والاشمئزاز كما كان • ويأخذ هؤلاء الأشخاص ، المتشابهون جميعا ، يأخذون يركضون واحدا وراء آخر ، فكأنهم سرب من الأوز يطارد بطلنا ويلاحقه • أصبح بطلنا لا يعرف الى أين يهرب • أصبح لا يعرف كيف ينجو من هؤلاء الجوليا دكين الذين يجرون وراءه • تقطعت أنفاس بطلنا المسكين • وسرعان ما حاصره هؤلاء الأشخاص المتشابهون من كل جهة • انهم ألوف • انهم مبثوثون فى كل مكان • انهم يجتاحون جميع شوارع العاصمة • وهذا رجل من رجال الشرطة يرى نفسه مضطرا أمام هذا التراكم الفاضح الى أن يمسك بتلابيبهم فيقبض عليهم ويحبسهم فى مركز مجاور من مراكز الشرطة • واستيقظ بطلنا وقد تجمد من الخوف والذعر وتخذرت أعضاؤه ••• فاذا ••• فاذا هو يرى أن الواقع ليس خيرا من المنام •• ان حلقه يختنق •• خيل اليه أن أحدا يريد أن يلتهم قلبه •• وأصبح السيد جوليا دكين عاجزا عن احتمال هذا العذاب مزيدا من الاحتمال •

« لا •• لن يتم هذا ، ، كذلك أعول يقول عن اقتناع ، وهو ينتفض ناهضا على سريره ، فما ان صاح هذه الصيحة حتى استيقظ من نومه تماما ••

الوقت يبدو ضحى • الضوء يغمر الغرفة على غير عادة • أشعة كبيرة من الشمس تسلك من زجاج النوافذ الذى تشقق جليده عن أشدال كأشكال الأزهار ، وتنتشر فى الحجرة • دهش السيد جوليا دكين • انه لم يالف ان تزوره الشمس قبل الظهر ، ولا يذكر أنها خالفت هذه القاعدة اراما له فى يوم من الأيام ، اذا صدقت ذاكرته • وما ان راودته هذه الدهشة حتى سمع ساعة الجدار ينفلت نابضها الذى يؤذن بأنها ستدق • فقال لنفسه وهو يتربح دقائق الساعة مغموما : « ما ها •• سنعرف الآن كم الساعة » • فما كان أشد دهشته حين لم تدق الساعة الا دقة واحدة • صاح بطلنا وهو ينب عن سريره قائلا : « ما هذا ؟ » • وكأنه لم يصدق أذنيه ، فما هو ذا يهرع الى ما وراء الحاجز ، حتى دون أن يتدثر بشيء : كان عقرب الساعة يشير فعلا الى الواحد ••• ألقى السيد جوليا دكين نظرة على سرير بتروشكا ••• فلم يجد أثرا لخادمه لا على السرير ولا فى الغرفة • كان السرير مرتبا • ولم يجد السيد جوليا دكين حذاءى خادمه ، وذلك دليل على أن الخادم قد خرج • مضى السيد جوليا دكين نحو باب المدخل مسرعا ، فوجده مقفلا ، فأخذ يردد بصوت خافت وقد تملكه انفعال شديد وأخذت أعضاؤه جميعها ترتعش : « ولكن أين بتروشكا ؟ » • وانه كذلك اذا بفكرة مفاجئة تومض فى ذهنه كالبرق ، فيسب نحو الطاولة ، فيفتشها وينبش كل ركن من الأركان • نعم ، لقد صدق ظنه • ان الرسالة التى كتبها فى الليل الى فاخمارايف قد اختفت ••• وبتروشكا غائب ••• وعقرب الساعة يشير الى الواحدة ••• ثم ان الرسالة التى تلقاها أمس من فاخمارايف تشتمل على نقاط غامضة هاهى ذى تضح الآن ••• لم يبق أى شك فيما يتصل بخادمه بتروشكا : لقد رشوه ••• لقد رشوه حتما ••• رشوه ما فى ذلك ريب •

« ها ••• هذه هى عقدة القضية كلها اذن » ، كذلك صاح السيد

جوليادكين وهو يلطم جبينه • أصبح الآن يرى الأمور رؤية أوضح •  
« اذن في مقارة هذه الألمانية الفادرة انما تدبر جميع المؤامرات • الآن  
فهمت • فحين حنتى نحو جسر اسماعيلوفسكى انما كانت تقوم اذن  
بمناورة تضليل ، فهي تموه الأمور ، وتحرف انتباهى ، وتمد الفخاخ فى  
أثناء ذلك • يا لها من ساحرة غدارة ! نعم ، هذه هى المسألة • كل شىء  
يصبح واضحا تماما متى نظرنا الى الأمور من هذه الزاوية • وظهور هذا  
الوعد يصبح واضحا أيضا • الأشياء مترابطة • كانوا يدخرونه منذ زمن  
طويل ، كانوا يهيونه ويعدون له للخروج فى اللحظة المناسبة • نعم ، أصبح  
لكل شىء تعليل ••• أصبح كل شىء مفهوما •• هذه هى المسألة اذن •  
طيب •• لا ضير •• لم يضع بعد كل شىء ، لم تفت كل فرصة •• ما يزال  
فى الوقت متسع •• •• •• وهنا ، فى هذه اللحظة تماما ، تذكر بطلنا  
مدعورا أن الساعة قد تجاوزت الواحدة بعد الظهر : « ما عسى يكون الحال  
اذا كان وقتهم قد اتسع منذ الآن ل ••• » ، كذلك قال السيد جوليادكين  
لنفسه وأفلت من صدره أنين • فقال يطمئن نفسه : « لا ••• انهم يكذبون  
••• لما يتسع وقتهم بعد •• سوف نرى على كل حال •• » • ثم أسرع  
يرتدى ملابسه ، وتناول ورقة وريشة ، فحرر الرسالة التالية :

#### السيد المحترم ياكوف بتروفتش !

اما أنا واما أنت • يستحيل أن نكون كلانا فى وقت واحد معا !  
لذلك أعلن لك أن دعواك الغريبة ، المضحكة ، المستحيلة التحقيق فى  
الوقت نفسه ، أعنى أن تظهر بمظهر الأخ التوأم لى وأن تستغل هذا  
الطرف ، فذلك لن يزيد فى آخر الأمر على أن يلطخ شرفك بالعار وعلى  
أن يضيعك • لذلك أناشدك ، فى سبيل مصلحتك أن تسحب ، وأن تخلى  
المكان للناس الشرفاء العقلاء حقا ! والا رأيتنى مضطرا الى اتخاذ اجراءات

قصوى • وعلى هذا أضغ قلمى منتظرا جوابك ••• وأظل تحت تصرفك  
فى جميع الأمور - ومنها المسدسات •

ى • جوليا دكين

فلما انتهى بطلنا من رسالته فرك يديه بقوة ، ثم ارتدى معطفه على  
عجل ، ولبس قبعته ، وفتح بات بيته بالمفتاح ، ومضى نحو مكتبه •

حتى اذا بلغه تردد عن الدخول • كانت الساعة هى الثانية والنصف •  
لقد فات الأوان • غير أن حادثا لا يدل ظاهره على أن له قيمة لم يلبث أن  
ذهب بتردده • ففى ركن من مبنى الادارة ظهر شخص لاهت أحمر  
الوجه يمشى ملامسا الجدار مشية فأر ثم يتسلل الى درجات المدخل ،  
ويتسلل من هناك الى الدهليز • انه كاتب المحكمة أوستافياف • ان السيد  
جوليا دكين يعرفه حق المعرفة • فهو رجل يمكن الانتفاع به ، مستعد لكل  
شئ فى سبيل عشرة كوبكات •

ان السيد جوليا دكين لا يجهل هذا الوتر الحساس فى أوستافياف  
الذى لا شك أن تعييه القصير الذى حمله عليه ظمأ قاهر قد زاد ميله الى  
التقود الرنانه • واذ قرر بطلنا أن يبذل كل ما يجب أن يبذله من  
تضحيات ، وثب الى درجات المدخل وتوغل فى الدهليز يلاحق أوستافياف  
وناداه ، ثم انتحى به ركنا مظلما وراء مدفأة ضخمة ، وقد لاح فى وجهه  
السر ، حتى اذا صار الرجلان هنالك أخذ السيد جوليا دكين يسائله :

- هيه يا صديقى ••• ماذا يحدث فوق ؟ هل أدركت ما أريد أن  
أقول ؟

- أنا أصغى اليك يا صاحب النبالة ، وأتمنى لصاحب النبالة صحة

جيدة •

- حسن جدا يا صديقي ، حسن جدا ، سأكافئك يا صديقي . والآن  
قل لى يا صديقي ماذا يجرى هنالك فوق !

قال كاتب المحكمة وهو يخفى بيده قليلا فمه الذى أوشك أن  
ينفرج :

- ما هو السؤال الذى تشرفنى بالقائه على ؟

- أنا ؟ طيب .. اسمع .. أسألك عن .. ولكن اياك أن يذهب  
بك الظن الى أشياء خارقة .. بالمناسبة : هل آندره فيليبوفتش هنا ؟  
- نعم هو هنا .

- والموظفون الآخرون ؟

- هم هنا ، كالعادة .

- وصاحب السعادة .

- صاحب السعادة أيضا .

قال كاتب المحكمة ذلك ، وعاد يغلظ فمه بيده . وخيل الى بطلنا  
أن أوستايفاف يتفرس فيه بنظرة غريبة تفيض استطلاعا وتعجبا .

- اذن يا صديقي لا شيء خارقا يحدث هنالك فوق ؟

- لا .. لا شيء البتة .

- طيب يا صديقي ، ألم يأت أحد على ذكرى بشيء ؟ ... هه ؟  
ولو عرضا .. أنت تفهم عنى يا صديقي ؟

- لا .. حتى الآن لم أسمع شيئا .

ومرة أخرى وضع كاتب المحكمة يده على فمه ، وشفع هذه الحركة

بنظرة غريبة ألقاها على مخاطبه • وكان السيد جوليا دكين يتفرس هو أيضا في وجه أوستافيا ، محاولا أن يلتقط أية علامة تكشف عما يخفيه رأس الرجل من أفكار • لا شك في أن هناك سرا • ثم ان لهجة أوستافيا قد تغيرت • فبينما كان الحديث يجرى في أول الأمر بتودد ظاهر ولطف واضح أصبحت لهجة أوستافيا الآن خشنة متكبرة • كان يبدو أنه غير حافل بمصالح السيد جوليا دكين •

قال بطلنا لنفسه : « هذا من حقه • ما أنا عنده ؟ لعله أخذ مكافأة من الطرف الآخر • • فتغيب من أجل أن • • هذه قوة قاهرة • • يجب على أن أعطيه أنا أيضا • • » •

وأدرك السيد جوليا دكين أن ساعة الكويكات قد دقت .

- خذ • • هذا لك • • يا صديقى •

- أشكر لك كرمك من كل قلبى يا صاحب النبالة •

- سأعطيك المزيد •

- أنا تحت أمرك يا صاحب النبالة •

- سأعطيك اليوم مزيدا ، وسأعطيك أيضا حين تسوى هذه القضية

كلها • هل تفهم ؟

وكان كاتب المحكمة ، المتصلب كأنه وتد ، يتفرس في السيد

جوليا دكين صامتا •

- والآن تكلم • • هل سمعت شيئا يتناولنى ؟

- يخيلى الى أنتى حتى الآن • • أفصد • • حتى الآن لم أسمع

شيئا •

كان أوستافيف يجيب على الأسئلة مقطرا كلامه كما كان يفعل السيد جوليا دكين ، محتفظا بهيئة السر ، محركا حاجبيه ، مطرفا الى الأرض ، باحثا عن التعبير المناسب ؛ أى أنه كان يجهد بجميع الوسائل أن يستحق المكافأة الموعودة ، معتقدا أن المال الذى تلقاه قد أصبح منذ الآن ملكا له لا يمكن أن ينازع فيه ♦

سأله السيد جوليا دكين :

– ولم يتخذ أى قرار حتى الآن ؟

– حتى الآن ♦♦ لم يتخذ أى قرار ♦

– طيب ♦♦ اسمع ♦♦ قد نعرف شيئا بعد قليل ♦

– سنعرف شيئا بعد قليل ما فى ذلك ريب ♦

قال السيد جوليا دكين لنفسه : « الأمور تجرى مجرى سيئا ♦♦ » ♦

وأردف يخاطب صاحبه :

– خذ ♦♦ خذ هذا لك أيضا يا صديقى ♦

– شكرا من كل قلبى يا صاحب النبالة ♦

– هل كان فاختاراييف موجودا مساء أمس ؟

– نعم ♦♦ كان موجودا ♦

– ولم يكن أحد معه ؟ ♦♦ حاول أن تتذكر يا صديقى ♦

غرق كاتب المحكمة دقيقة طويلة بين ذكرياته ، ولكنه لم يظفر

بطائل : لم يستطع أن يتذكر شيئا خاصا ♦

– لا ♦♦ لم يكن هناك أحد غيره ♦

- ههههه ••

• وأعقب ذلك صمت •

- اسمع يا صديقى •• خذ هذا لك أيضا • والآن قل لى الحقيقة ••  
الحقيقة كلها •

- أنا تحت أمرك •

لقد تأتس أوستافيف الآن • وهذا ما كان يتمناه بطلنا •

- والآن قل لى يا صديقى : كيف يعاملونه الآن ؟

- معاملة عادية ، معاملة جيدة جدا •

بهذا أجاب كاتب المحكمة وهو يلتهم مخاطبه بعينه التهاما •

- ماذا تعنى بقولك جيدة جدا ؟

- أعنى •• أقصد ••

ومرة أخرى أخذ أوستافيف يحرك حاجبيه • الحق أنه أصبح  
يشعر بأنه محاصر فى طريق مسدود محاصرة ما تنفك تضيق ، فهو  
لا يعرف بماذا يجب ليخرج من هذه الطريق •

قال جوليا دكين لنفسه : « الامور تتجرى مجرى سيئا » •

- ألا تعتقد أنه يدبر شيئا مع فاخمارايف ؟

- طبعا ••• كالعادة •

- فكر جيدا •

- يقال انهما يدبران شيئا •



– ماذا يدبران ؟ قل •• أسرع ••

وعاد كاتب المحكمة يضع يده على فمه من جديد •

– أليس ثمة رسائل مرسلة الى من هناك ؟

– لقد ذهب الخفير ميخايف في هذا الصباح الى فاخمارايف •••  
نعم ••• في البنسيون الألماني • لذلك سأمضى أسأله بعد قليل اذا شئت •

– نعم اذهب يا صديقي • قدم لي هذه الخدمة ••• أرجوك •••  
ناشدتك الله •• أقول هذا هكذا •• فلا يذهبن بك الظن الى أى شىء غير  
عادى • فلت هذا عرضا •• اتفقنا اذن يا صديقي •• اسأله •• حاول أن  
تعرف هل يدبر شىء ضدى هناك • ماذا يهينى هو ؟ ذلك هو ما يهمنى  
أن أعرفه • اذهب وسأعرف كيف أكافئك بعد ذلك يا صديقي ••

– أنا تحت أمرك يا صاحب النبالة • ان ايفان سيمونوفتش هو الذى  
حل محلك في المكتب هذا الصباح •

– ايفان سيمونوفتش ! ها •• نعم •• هل هذا ممكن ؟

– آندره فيلييوفتش هو الذى أمره بأن يحل محلك ••

– أهذا ممكن ؟ ولكن لماذا ؟ حاول أن تعلم يا صديقي •• ناشدتك  
الله •• حاول أن تعلم يا صديقي •• حاول أن تعلم ، وأنا سأعرف كيف  
أكافئك يا عزيزى • ذلك هو ما يهمنى •• ولكن اياك خاصة أن يذهب  
بك الظن يا صديقي الى •••

– تحت أمرك •• تحت أمرك •• سأذهب اليه حالا •• ولكن أليس

في نيه صاحب النبالة أن يدخل المكتب اليوم ؟

– لا يا صديقي •• لا •• لقد جئت الى هنا عابرا ، لا لشىء غير أن

ألقى نظرة يا صديقى • اذهب وسأعرف كيف أكافئك فى المستقبل ؟  
هيا يا رئيسى •

- تحت أمرك ••

قال كاتب المحكمة ذلك ثم اندفع يصعد السلم وقد امتلأ همة  
ونشاطا • وبقي السيد جوليا دكين وحده •

قال لنفسه : « الأمور تجري مجرى سداً ، سيئاً جداً ، آه ! ان  
وضعا معرض للخطر • ماذا يعنى هذا كله ؟ ترى ماذا كان المعنى الدقيق  
للك التلميحات التي قالها هذا السكران ؟ من هو المسك بالأسلاك فى هذه  
القضية ؟ •• آ •• الآن عرفت من هو المسك بالأسلاك • الآن فهمت  
القضية كلها • لا شك أنهم علموا •• و •• عندئذ أحلوه محلي •• لقد  
أحلوه هناك ، وبعد ذلك ؟ ان آندره فيليوفتش هو الذى أحل ايفان  
سيمونوفتش محلي • فلأى غرض ؟ لا شك أنهم علموا •• هذا من فعل  
فاخمارايف •• لا بل هو من فعل غيره •• ان فاخمارايف غيبى ، قليل  
الذكاء ، بليد ! انهم هم أطلقوا على هذا الكلب المسعور ، للأسباب نفسها  
•• هم الذين دفعوا تلك الامانيه العوراء الى رفع شكوى على •• ولقد  
تبأت دائما على كل حال بأن هناك أسبابا خفية تحملهم على تدبير هذه  
المكيدة كلها ، وأن نمه سيئا يحاك وراء هذه النثرات التى تشبه نثرات  
العجوز الشمطاء ••• لقد قلت لكريستيان ايفانوفتش ، قلت له انهم ألوا  
على أنفسهم أن يفتالونى ، بالمعنى المجازى لهذه الكلمة طبعاً ، وانهم  
يستخدمون فى سبيل ذلك كارولين ايفانوفنا • ان المرء يشعر بأن هناك  
يد معلم فى هذه القضية يا سادة • لا ••• ليس هو فاخمارايف • سبق  
أن قلت ذلك : ان فاخمارايف غيبى ، أما ••• أنا أعرف من يدبر هذا  
كله لهم •• انه ذلك الوغد الحقيق ، ذلك الدجال المخادع • وهذا ما يفسر

تأثيره فى الناس ونجاحه بينهم • الحق أن من المهم أن أعرف دوره وامتيازاته على وجه الدقة •• وأن أعرف على أى قدم يعامل هناك ؟ ولكن لآى سبب أخذوا ايفان سيميونوفتش ؟ ما حاجتهم الى ايفان سيميونوفتش؟ ألم يكن فى وسعهم أن يجدوا أحدا غيره ؟ النتيجة واحدة على كل حال ، سواء أخذوه أم أخذوا غيره • الشئ المحقق أننى أشبه منذ زمن طويل فى ايفان سيميونوفتش هذا • اننى أراقبه منذ مدة طويلة • يا له من عجوز رهيب ، عجوز يبعث على الاشمئزاز والتقزز ! يظهر أنه يقرض بالربا وأنه جنى أرباحا كبيرة كأرباح يهودى ! ولكن الدب هو الذى يدبر ذلك كله من وراء ! هو روح المؤامرة • كذلك بدأت المسألة •• بدأت من جسر اسماعيلوفسكى •• نعم لقد انطلق كل شئ من هناك ! » •

جعد السيد جوليا دكين خده كأنه عض قشرة ليمونة • لا شك أن ذكرى مزعجة قد استيقظت فى ذاكرته • قال لنفسه : « أوه •• على كل حال •• ليس لهذا كله كبير شأن • لنعد الى أعمالنا • لماذا تأخر أوستافيا ؟ لا شك أن أحدا قد استوقفه • أحسب أن من حقى أن أمكر أنا أيضا ، وأن أنصب بعض الشباك • يكفى أن أعطى أوستافيا بضعة نقود أخرى •••• فينجاز الى جانبى • ومع ذلك يجب أن أعرف هل هو حقا فى جانبى •••• لعلهم رشوه هو أيضا •• ربما كان ضالعا فى المؤامرة منذ الآن ! ان هيئته هيئة لص ، لص عريق • انه يخفى لبعته هذا الوغد ! ما ينفك يقول لك : « لا •• لا يوجد شئ قط •• أشكرك من كل قلبى يا صاحب النبالة •• لك كل امتنانى •• » • آه •••• يا له من لص عريق ! » •

وفجأة سمع السيد جوليا دكين وقع خطوات • فأسرع يלטو وراء المدفأة • نزل أحدهم على السلم ، وخرج الى الشارع • تساءل بطلنا :

« من عساه يخرج فى هذه الساعة ؟ » • وبعد بضعة لحظات سمع مرة أخرى وقع خطوات على السلم • فلم يستطع أن يصبر ، بل جازف فمدّ أنفه •• لكنه لم يلبث أن سجد كأن ابرة وخزته • ان الرجل الذى كان هابطا على السلم ليس الا ذلك الوغد الحقيق ، ذلك النصاب المقتصب ، ذلك الفاجر المكار ! كان يتقدم بخطاه القصيرة المعهودة ، بمشيته الوفحة المكروحة ، رافعا قائمته القصيرتين عاليا ، كمن يريد أن يضرب بهما أحدا • دمدم بطلنا يقول : « سافل •• دنى » • ولكن بطلنا لم يفقه ان يلاحظ أن « السافل الدنى » كان يتأبط المحفظة الخضراء الضخمة ، محفظة صاحب السعادة • قال السيد جولياكين لنفسه : « وهذه مهمه خاصة أخرى » ، قال ذلك وقد احمر وجهه غضبا ، وأقا مزيدا من الاقماء • وما كاد الوغد يختفى ، دون أن يخطر بباله أن يكون بطلنا حاضرا ، حتى سمع بطلنا وقع خطوات على السلم مرة ثالثة •• انه كاتب المحكمة • لقد شعر السيد جولياكين بذلك فورا • وما هى الا لحظة حتى ظهر خلفه وجه مدهش هو وجه كاتب آخر من كتاب المحكمة اسمه بيسارنكو • صعق السيد جولياكين من ذلك • قال لنفسه : « لماذا يقتحم فى هذه القضية ! آه من هؤلاء الهمج ! •• لا حرمة عندهم لشيء ! •••• » •

ثم قال يخاطب بيسارنكو :

- هيه يا صديقى ، هل من جديد ؟ من ذا أرسلك يا صديقى ؟
- جئت من أجل قضيتك الصغيرة • حتى الآن ما من نبأ جديد • وسنبغك متى جاءنا نبأ جديد •
- وأوستايفاف ؟

– يستحيل أن يتغيب يا صاحب النبالة • لقد قام صاحب السعادة  
بجولة على المكاتب مرتين • ثم ان وقتي لا يتسع أنا أيضا •••

– شكرا يا عزيزي شكرا ، ولكن قل لي ••••

– ليس في وقتي متسع ، أحلف لك ••• انهم ينادوتنا في كل  
لحظة ••• ابق هنا لحظة •• فاذا علمنا شيئا جديدا يتصل بقضيتك •••  
أبلغناك •••

– طيب يا صديقي طيب • اقترحك جيد جدا يا صديقي العزيز •  
والآن شيء آخر : اليك هذه الرسالة يا صديقي ، وسأكافئك يا عزيزي •  
– تحت أمرك •

– حاول أن توصلها الى السيد جوليا دكين •

– جوليا دكين ؟

– نعم الى السيد جوليا دكين يا صديقي •

– حاضر • متى انتهيت من الأعمال المستعجلة ، سأحمل الرسالة  
اليه • أما أنت فابق هنا الى حين • ما من أحد يمكن أن يراك هنا •••

– ولكن يا صديقي لا تصدق هذا •• أنا لا أبقى هنا حتى لا يراني  
أحد • لا يا صديقي ، لن أنتظر هنا ، بل في الشارع الصغير ، على جانب •  
يوجد هناك مقهى • فسأنتظر فيه فاذا بلغك شيء فلا تتأخر عن نقله الى •  
هل فهمت ؟

– طيب ، فهمت • والآن دعني أنصرف •

– وسأكافئك يا عزيزي

كذلك هتف جوليا دكين يقول لكاتب المحكمة الذى تملص وابتعد .  
قال بطلنا لنفسه وهو يخرج من وراء المدفأة : « ان هذا الوغد يصبح أكثر  
وقاحة . . آ . . ان وراء الأكمة ما وراءها . . هذا واضح . فى أول  
الأمر لم يكن هناك الا شئ من كتمان . . . على كل حال ربما كان  
مستعجلاً حقاً . لا شك أنه مشغول كثيراً . اذن لقد تفقد صاحب السعادة  
المكاتب مرتين . . لماذا ؟ . . لا بأس . . قد لا يكون لهذا كبير شأن .  
نتظر فترى . . . »

وهم السيد جوليا دكين أن يفتح الباب ليخرج ، ولكنه سمع فى هذه  
اللحظة فرقة عربية تقف أمام المدخل . انها عربية صاحب السعادة . ولم  
يكذ السيد جوليا دكين يتوب الى رشده حتى كان باب العربة قد فتح ،  
فاذا برجل ينزل من العربة ويصير على درجات المدخل بوثة واحدة .  
ولم يكن هذا الرجل الا جوليا دكين الأصغر نفسه ، الذى كان قد غادر  
الوزارة منذ عشر دقائق . تذكر بطلنا عندئذ أن منزل صاحب السعادة  
قريب من الوزارة ، على مسافة خطوتين منها .

قال بطلنا لنفسه : « هى مهمة خاصة . ذلك واضح لاريب فيه » .  
ولكن الدجال كان قد فتح باب المدخل بعد أن أصدر الى الحوذى بعض  
الأوامر . انه ما يزال يتأبط المحفظة الضخمة الخضراء ، محفظة صاحب  
السعادة ، مع أوراق أخرى . وحين فتح الباب أوشتك أن يصدم بطلنا ،  
ولكنه تظاهر بأنه لم يلاحظ وجوده ، فكان هذا اهانة جديدة لبطلنا .  
واندفع يصعد السلم راكضاً .

قال بطلنا لنفسه : « الأمور تجرى مجرى سيئاً . . ان وضعى  
معرض للخطر . . أما هذا . . آه يا رب ! . . » وظل بطلنا ساكناً  
فى مكانه نصف دقيقة . ثم لم يلبث أن اتخذ قراراً ، فاذا هو يجرى

صاعدا السلم ملاحقا سميته • كان قلبه يخفق خفقانا شديدا • وكان يحس برعدات تسرى في جميع أعضائه • « لا بأس ••• من لم يجازف بشيء لم يظفر بشيء • ثم اتى في هذه القضية كلها لست الا مشاهدا ••••• كذلك كان يردد السيد جوليا دكين وهو يخلع قبعته ومعطفه وجرموقيه في حجرة المدخل •

كان العسق يرين على جو المكتب ، حين دخل السيد جوليا دكين • لم يبصر لا آندره فيليبوتش ولا أنطون أنطونوفتش • كانا كلاهما في اجتماع بمكتب المدير • وكان المدير من جهته يستعجل الذهاب الى صاحب السعادة فيما يظهر • وكان معظم الموظفين ، ولا سيما الشباب منهم ، قد استغلوا فرصة هذا الغياب وهذه العتمة ، ففعدوا عن العمل واستسلموا للفراغ بانتظار ساعة اغلاق المكاتب • وقد تألفت منهم جماعات تترثر وتتمازح وتضحك • حتى أن بعض الموظفين الشباب ، وهم أدناهم رتبا ، قد أخذوا يلعبون قرب النافذة لعبة « الطرة والنقش » في غمرة هذه الفوضى العامة • وهذا بطلنا الذي يعرف شئون الادارة حق المعرفة ، ويرغب في التقاط بعض المعلومات النافعة ، يقترب من عدد من الموظفين هم الذين بينه وبينهم مودة ، محاولا أن يسلم عليهم • فما كان أشد دهشته وأقساها حين لاحظ ما في لهجة أجوبتهم من غرابة وتهرب ! •• لقد بدا له وضعهم باردا جافا بل قاسيا • لم يمد أحد له يده • واكتفى بعضهم برد التحية مختصرة ثم ابتعد عنه ، ولم يزد بعضهم الآخر على أن رد التحية بحركة صغيرة من الرأس • حتى أن أحد زملائه أشاح بوجهه عنه دون أن يرد التحية أصلا • ثم كانت الاهانة الكبرى ، وهي أن عددا من الصبيان السعاة المقترين الذي ليس لهم رتب البتة والذين لا يجيدون تسًا غير لعبة « الطرة والنقش » وغير النسكح في الأماكن المشبوهة على حد تعبير السيد جوليا دكين قد تجمعوا حوله ثم أحاطوا به احاطة تامة فلا

يستطيع أن يخرج من النطاق الذى أحكموا ضربه عليه ، وأخذوا  
يتفرسون فيه باستطلاع وتعجب واحتقار •

ذلك نذير سيء • لقد أدرك السيد جوليا دكين ذلك ، فقرر أن  
لا يوليه أى انتباه • غير أن حادثا لم يكن فى الحسبان قط ، جاء يفسد  
عليه خطه فجأة ، ويبدد آماله كلها جملة •

فمن جمع الشبان الموظفين الذين تحلقوا حول بطلنا فى هذه اللحظة  
المشؤمة ، لم يلبث أن ظهر له سميته على حين بغتة • كان السيد جوليا دكين  
الأصغر مرحا فرحا نشيطا على عادته • نعم ، كان كثير الحركة ، متوالب  
الخطي ، ساخر اللهجة ، شديد التملق ، حاضر البديهة ، سريع الجواب ،  
خفيف الساقين ، على عهده به ، على ما كان دائما ، ولا سيما أثناء تلك  
الجلسة التى ما يزال بطلنا يحتفظ منها بذكرى كاوية جدا • انه يدور  
ويطير مبتسما ابتسامة تكشف عن أسنانه ، ابتسامة تحيي الجميع • فما  
هى الا نوان حتى كان فى وسط الجماعة يصفح الأيدي ويربت على  
الأكتاف ، يمسك بذراع هذا بينما هو يشرح لذلك المهمة التى عهد بها  
إليه صاحب السعادة • تكلم عما قام به من مساع وما بذله من نشاط وما  
حصل عليه من نتائج • حتى لقد مضى به الأمر الى حيث قبّل أحد الموظفين  
على شفتيه ، وهو خير أصدقائه ولا شك • • • الخلاصة أن كل شئ جرى  
على نحو ما رآه السيد جوليا دكين فى منامه • وبعد هذه الأنواع من الرياء  
المتصنع والسلام الكاذب والتقييل المتملق مع جميع الناس ، بدا للسيد  
جوليا دكين الأصغر ، على حين فجأة ، أنه نسي أن يحيى أقدم أصدقائه ،  
عن سهو بدون شك ، فسرعان ما مد يده الى بطلنا مسلما ، وسرعان ما تناول  
بطلنا هذه اليد ، عن سهو بدون شك أيضا ، لأنه كان قد استطاع خلال  
ذلك الوقت كله أن يلاحظ مكائد هذا الرجل الدجال ، أقول سرعان  
ما تناول بطلنا هذه اليد التى 'مدت إليه فجأة على غير توقع ، تناولها



بشراة ، وصافحها بقوة ، وأقبل يرد التحية بعاطفة قوية وصدقة خالصة .  
لقد صافح بطلنا يد صاحبه باندفاع روحى وحنان قلبى . أترأ فعل مافعل  
لأن هذه البادرة من صديقه الوقح قد خدعته ، أم لأنها فاجأته سرعتها ،  
أم لأنه شعر فى هذه اللحظة بعجزه لا أكثر من ذلك ولا أقل ؟ من  
الصعب على أن أقطع فى هذا برأى . وانما المهم أن السيد جوليا دكين ،  
بكامل صحوه وملء ارادته ، قد صافح مصافحة قوية ، على مرأى من  
الناس ، يد ذلك الانسان الذى كان يعد عدوه اللدود .

فما كان أشد الدهول والحنق ، والهول والعار الذى شعر به بطلنا  
حين رأى خصمه ، حين رأى عدوه اللدود يغير موقفه فجأة . لقد أدرك  
الدجال الكريه الخطأ الذى ارتكبته ضحيته المسكينه البريئة ، فاذا هو  
ينتزع يده من يد بطلنا بحركة مفاجئة فظة متعجرفة ، وبرود كامل لاتخالطه  
أية عاطفة من عواطف الرحمة الانسانية ، ثم اذا هو ينفض يده كمن يريد  
أن يطهرها من رجس علق بها نتيجة للامسة تثير الاشمئزاز والتفرز ،  
واذا هو يشفع هذه الحركة ببصقة على الارض وبحركة كريهة وقحة ،  
واذا هو يزيد على ذلك فيخرج مندبلة ويأخذ يمسح به أصابع يده التى  
صافحها بطلنا . وكان المنصب الدنىء يشفع هذه الحركات كلها بنظرات  
يجيلها حوله على عادته ، كأنه يريد أن يتخذ من الحضور شهودا على  
سلوكه الحقير ، وهو يتفرس فى الأعين كأنه يريد أن ينفخ فيها الكره  
والاحتقار للسيد جوليا دكين . غير أن هذا الموقف المستفز المتحدى الذى  
وفه هذا الشخص المقيت بدا أنه أثار استنكار الحضور واستياءهم ،  
فقامت هنا وهناك دمدمات واحتجاجات . وسمع السيد جوليا دكين هذه  
الضجة . ولكن الدجال لم يلبث أن طلع على الحضور بمزحة فكهة  
موفقة ، فاذا بالمزحة تحطم وتبدد آخر آمال بطلنا . لقد مالت كفة الميزان  
مرة أخرى الى جهة عدوه القاسى الحقير .

« انظروا الى فوبلاس الروسى ، الى فوبلاسنا القومى • اسمحوالى  
 أن أقدم اليكم ، أيها السادة ، الفتى فوبلاس • • • كذلك دوى صوت  
 الغاضب رنانا وقحا على عادته المألوفة ، وهو يتطاير وسط الموظفين مشيرا  
 الى جوليا دكين الأصلى ، الواقف ساكنا متجمدا • ثم أضاف الى ذلك يقول  
 بلهجة ألفة لا نطق ، وهو يتقدم نحو الشخص الذى يستهزى به : «هيا  
 تتعاق يا حبيبي • • • ووجدت مزحة هذا الشخص الدنىء صدى حسنا  
 لدى بعض المشاهدين ، لا سيما وأنها تومىء ايماء مباشرة وقبحا الى حادث  
 يبدو أن جميع الناس يعرفونه •

أحس بطلنا بيد أعدائه ثقيلة على كتفيه • فلم يلبث أن اتخذ قرارا ،  
 فاذا هو ، وقد اتقدت عيناه ، واصفر وجهه ، وانفجرت شفتاه فى جانب ،  
 يتصلص من الجمهور على نحو من الانحاء ويتجه نحو مكتب صاحب  
 السعادة بخطى مترجحة صغيرة • فلما وصل الى حجرة المدخل وجد نفسه  
 وجها لوجه أمام آندره فيليوفتش الذى كان خارجا من مكتب المدير •  
 كان فى الحجرة عدد من الأشخاص ليس لهم أى شأن بهذه القضية ،  
 ولكن ذلك لم يؤثر فى صاحبنا ، فسرعان ما عزم أمره ، وجمع شجاعته  
 ( وهو يكاد يدهش من جرأته ويغبط نفسه عليها ) ، واتجه الى آندره  
 فيليوفتش الذى بهتته هذه الهجمة التى لم تكن فى الحسبان •

سأله آندره فيليوفتش دون أن يصغى الى كلامه المضطرب :

- ها ••• هذا أنت ••• ماذا تريد ؟

فقال بطلنا بصوت واضح رصين وهو يتحدث الى مخاطبه صامدا :

- آندره فيليوفتش ••• أريد ••• هل أستطيع أن ألتمس حديثا

خاصا مع صاحب السعادة يا آندره فيليوفتش ؟

- ماذا تقول ؟ ••• طبعاً ••• لا •

ونظر آندره فيليوفتش الى بطلنا من رأسه حتى قدميه :

- أقول لك ذلك يا آندره فيليوفتش لأنه يدهشني أنه لما يحسر أحدا حتى الآن القناع عن وجه الدجال الحقير !

- كيف ؟

- أقول : الحقير ، يا آندره فيليوفتش !

- من تعنى ؟

- أعنى شخصا بعينه يا آندره فيليوفتش ، أعنى شخصا بعينه يا آندره فيليوفتش ••• وأنا على حق ••• أعتقد يا آندره فيليوفتش أن رؤساءنا لا بد أن يشجعوا مثل هذه المبادرات ( أضاف جوليا دكين ذلك خارجا عن طوره ) ••• وأنا على يقين من أنك تفهم معنى مبادرتي هذه الكريمة الشريفة ••• ان علينا كما يقال أن نمد رئيسنا أباً لنا يا آندره فيليوفتش • وأنا أحب أن يكون هذا الرئيس العادل بمثابة أب لي أضع مصيرى بين يديه يتصرف فيه كما يشاء • سوف أقول له ••• ( هنا أخذ صوت السيد جوليا دكين يرتجف ، واحمر وجهه ، وسقطت دمعان من عينيه ) •••

بهت آندره فيليوفتش من أقوال السيد جوليا دكين ، وبلغ من الدهشة والذهول أنه تراجع خطوتين على غير شعور منه ، وأخذ ينظر حوالبه خائفا قلقلًا •

كان يصعب على المرء أن يتصور لهذا المشهد مخرجا ••• ولكن باب مكتب صاحب السعادة فتح فجأة ، وظهر صاحب السعادة فى العتبة يصحبه عدد من الموظفين • هب جميع الحضور واقفين • ونادى صاحب

السعادة آندره فيليوفتش • وترك الرجلان الحجره سائرين جنباً الى جنب متحدثين فى شئون تتصل بالعمل • وتبعهما الآخرون • فلما بقى السيد جوليادين وحيداً استرد شعوره وثاب الى رشده ، ثم مضى يلطو خاضعاً طائماً تحت جناح أنطون أنطونوفتش الذى كان يسير فى آخر الموكب مهدم الهيئة متجههم الوجه •

قال السيد جوليادين لنفسه شاكياً : « آ • • • لقد أخطأت مرة أخرى • • • غلطت مرة أخرى • • • على كل حال ، لا ضير • • • » ثم قال يخاطب أنطون أنطونوفتش مدمداً بصوت ناعم مرتجف من الانفعال بعض الارتجاف :

– آمل أن لا ترفض أنت على الأقل أن تستمع الى كلامى وأن تنظر الى حالتى بعين الاعتبار • اتنى حتى الآن لا أستطيع أن أفهم أقوال آندره فيليوفتش • فهلا شرحتها لى يا أنطون أنطونوفتش اذا كان ذلك فى وسعك !

فأجابه أنطون أنطونوفتش بلهجة قاسية وهو يفصل كلماته :

– سيعرف كل شىء فى حينه •

أدرك السيد جوليادين أن رئيس دائرته لا يجب أن يواصل الحديث معه • وأضاف أنطون أنطونوفتش قوله :

– على كل حال ، ستكون على علم بالأمر قريباً • ستبلغ رسمياً فى هذا اليوم نفسه •

– ماذا تعنى بقولك « رسمياً » يا أنطون أنطونوفتش ؟ لماذا تقول : « رسمياً » ؟

كذلك سأل السيد جوليادين خائفاً وجلاً •

– ليس لنا أن نناقش في قرارات رؤسائنا يا ياكوف بتروفتش \*\*\*  
 – ما علاقة الرؤساء بهذا الأمر يا أنطون أنطونوفتش؟ ما شأنهم في  
 هذه القضية؟ اننى لأرى أى داع الى ازعاج رؤسائنا يا أنطون أنطونوفتش؟  
 أتراك تقصد حوادث أمس يا أنطون أنطونوفتش؟

– لا \*\*\* ليس الأمر أمر ما جرى بالأمس • ان فى قضيتك شيئاً  
 آخر يعرج !

– ما الذى يعرج يا أنطون أنطونوفتش؟ يخيل الىّ يا أنطون  
 أنطونوفتش أنه ما من شيء يعرج !

قاطعهُ أنطون أنطونوفتش يقول بلهجة خشنّة :

– مع من كان فى نيتك أن تتأمر؟

فقد السيد جوليا دكين رباطة جأشه ، وارتعش ، واصفر وجهه  
 اصفراراً شديداً • قال :

– طبعاً يا أنطون أنطونوفتش \*\*\* اذا لم يُستمع الا الى وشايات  
 الأعداء ، دون الاصغاء الى أقوال المتهم ، فمن الطبيعى عندئذ \*\*\*

كذلك تمتم السيد جوليا دكين بصوت مخنق ، وأردف يتمّ كلامه :

– نعم من الطبيعى فى هذه الحالة يا أنطون أنطونوفتش أن يُدان  
 برىء وأن يتألم ظلماً وعدواناً •

– ها •• وما قولك فى فعلك الدنىء مع فتاة شريفة أوشكت أن  
 تدنس سمعتها؟ فتاة غمرتك أسرتها الكريمة السخية التى يجمع الناس  
 على احترامها بأنواع الخيرات \*\*\*

– عن أى فعل تتكلم يا أنطون أنطونوفتش؟

– ها... ولا شك أنك تريد أن تنكر أيضا الأذى الذى ألحقته  
بفتاة أخرى ، متواضعة المركز الاجتماعى طبعاً ، ولكنها من أسرة أجنبية  
محترمة !

– اسمح لى يا أنطون أنطونوفتش... اصغ الى كلامى من فضلك  
يا أنطون أنطونوفتش !

– وما قولك فى موقفك الدنىء من شخص آخر ، فى وشاياتك  
عليه ، فى اتهاماتك اياه بأفعال أنت وحدك مقترفاها ؟ هه ؟ ما قولك فى  
هذا ؟

تمتم بطلنا مبهورا لاهتا :

– أنا يا أنطون أنطونوفتش ؟ ولكننى لم أطرده أبدا من بيتى ...  
لم آمر بتروشكا أبدا ... أقصد لم آمر خادمى أن يطرده .. لقد أكل  
من خبزى يا أنطون أنطونوفتش ... استفاد من ضيافتى ( أضاف السيد  
جوليا دكين ذلك بصوت أجش يفيض انفعالا ، وكانت ذقنه ترتعش ،  
وامتلأت عيناه مرة أخرى بالدموع )

أجاب أنطون أنطونوفتش ساخرا :

– تلك حكايات يا ياكوف بتروفتش !

فهزت لهجته الساخرة السيد جوليا دكين هذا عميقا •

– اسمح لى يا أنطون أنطونوفتش أن ألقى سؤالا أخيرا : هل  
صاحب السعادة على علم بهذه القضية كلها ؟

– طبعاً ... والآن دعنى ... لا أملك من الوقت ما أضيعه معك •  
سوف تَبْلُغ اليوم كل ما يتصل بك •

– ناشدتك الله يا أنطون أنطونوفتش ••• أتوسل اليك ••• دقيقة  
واحدة أخرى •••

– سيتسع وقتك لقص كل شيء •

– لا لا يا أنطون أنطونوفتش ••• أنا ••• استمع الى ••• أرجوك  
يا أنطون أنطونوفتش ••• أنا لا أناصر الأفكار الهدامة ••• أنا أتحنني  
الأفكار الهدامة • أنا مستعد كل الاستعداد لأن أسلم بأن ••• حتى لقد  
أعلنت رأيي قائلًا •••

– طيب طيب ••• لقد سمعت هذا •••

– لا لا • هذا لم تسمعه يا أنطون أنطونوفتش • لا ••• أقصد هنا  
شيئا آخر يا أنطون أنطونوفتش ، شيئاً حسناً ، حسناً جداً ، يسرُّ سماعه  
••• لقد أعلنت رأيي يا أنطون أنطونوفتش ، وشرحته قبل الآن • اليك  
رأيي الذي أعلنته وشرحته : قلت ان الله قد شاء أن يخلق شخصين  
متماثلين تماثلاً كاملاً مطلقاً ، فأحدهما عين الآخر تماماً ، وان رؤساءنا  
الكرام الذين يملكون البصيرة الصادقة قد أدركوا مشيئة الله ، فشملوا  
برعايتهم وحمايتهم التوأمين كليهما ••• هذه فكرة حسنة يا أنطون  
أنطونوفتش ••• أنت ترى أنها فكرة حسنة يا أنطون أنطونوفتش • انى  
بعيد عن الأفكار الهدامة ، كما ترى • وأعتقد أن قلوب رؤسائي تفيض  
محبة ورأفة كقلوب الآباء • هذا هو رأيي : فهناك من جهة أولى رؤساء  
تفيض قلوبهم كرماً ورأفة ، وهناك من جهة أخرى شاب يحتاج الى عمل  
••• كن لى عوناً وسنداً يا أنطون أنطونوفتش • دافع عني واجمعي  
يا أنطون أنطونوفتش • أنا لم أفعل سوءاً يا أنطون أنطونوفتش • أرجوك  
••• دعني أقول كلمة أخرى يا أنطون أنطونوفتش •••

رأى أنه قد أصبح فى الدهليز الكبير وسط سائر الموظفين • انها ساعة انصراف الموظفين واغلاق المكاتب • لم يكن السيد جوليا دكين قد شعر بذلك أبدا ، لا ولا فهم ما هى الظروف التى جعلته الآن موجودا فى الدهليز ، لابساً معطفه منتعلاً جرموقيه حاملاً قبعته بيده • كان الموظفون جامدين ساكنين ينتظرون فى وضع يدل على الاحترام • ذلك أن صاحب السعادة كان واقفاً فى أسفل السلم ينتظر عربته ، ويتحدث فى كثير من الحماسة مع اثنين من مستشارى الدولة ومع آندره فيليوفش • وعلى بضع خطوات من تلك الجماعة كان يقف أنطون أنطونوفش مع اثنين أو ثلاثة من الموظفين يتسمون وهم يرون صاحب السعادة ضاحكاً مازحاً ، وكان سائر المستخدمين المحتشدين فى أعلى السلم يتسمون هم أيضاً ويرصدون كل ضحكة جديدة يطلقها صاحب السعادة • كان هنالك رجل لا يتسم: انه البواب الضخم فيدوستش • انه واقف وقفة التأهب العسكرى ، قابض على مقبض الباب ، ينتظر بفارغ صبر أن ينال نصيبه اليومى من المتعة • وكانت متعته هى هذه : أن يفتح أحد مصراعى الباب عريضاً بدفعة واحدة ثم يدع لصاحب السعادة أن يمر وقد خنى هو ظهره كالفوس احتراماً واجلالاً ••• أما الشخص الذى كان يشعر بأكبر فرح أثناء هذا الانتظار العارض ، فلا شك أنه ذلك العدو الكريه الفاجر اللدود ، عدو السيد جوليا دكين •

كان فى هذه اللحظة لا يعرف أحداً من سائر الموظفين • كان فى هذه اللحظة لا يتوآب بينهم ولا يدور ، على عادته المقيته الحقيمة • كان لا يحاول أن ينتهز الفرصة المواتية للتجيب اليهم وكسب مودتهم • هو الآن أبصاراً وأسماع كله •• انه متجمع على نفسه فى وضع غريب ، ليرهف السمع من غير شك • انه يلتهم صاحب السعادة بعينيه ؛ ولا تظهر



ولكن أنطون أنطونوفتش كان قد ابتعد • أما بطلنا فقد أصبح لا يعرف أين هو ، ولا يعرف ماذا يسمع ، ولا ماذا يصنع ، ولا ماذا 'يصنع به ، ولا ماذا سيصنع به ••• لقد اضطربت نفسه اضطرابا عميقا مما سمعه ومما وقع حتى الآن ••

أخذ يبحث في جمهرة الموظفين عن أنطون أنطونوفتش ، بنظرة ضارعة متوسلة • كان يريد أن يبرىء نفسه فى نظره • كان يريد أن يقول له بضع كلمات أخرى ، كلمات جميلة بريشة طاهرة ، كلمات يمكن أن تدل على نبل نيانه •

وفى أثناء ذلك كان شعاع جديد يتسلل شيئا فشيئا الى قلب هذا الاضطراب فى عواطف بطلنا ، شعاع جديد رهيب يكشف له فجأة عن آفاق فسيحة لأحداث ليست فى الحسبان ، أحداث لم يكن بطلنا قد تصور أنها ممكنة حتى الآن •

وفى هذه اللحظة صدمه أحدهم فى خاصرته •

فالتفت فرأى أمامه بيسارنكو •

— هذه رسالة لك يا صاحب السعادة •

— ها ••• لقد أوصلت اذن رسالتى ؟

— لا بل جىء بهذه الرسالة الى هنا فى الساعة العاشرة من الصباح •

ان الخفير سرجى ميكاييف هو الذى حملها من السكرتير فاخمارايف •

— طيب يا صديقى ، طيب جدا ، سوف أكافئك يا عزيزى •

قال السيد جوليا دكين هذه الكلمات ودس الرسالة فى جيب رذنجوته عاقدا أزراره بكثير من العناية • ونظر حوالبه ، فما كان أند دهشته حين

على وجهه الا بضع جعدات تشنجية من حين الى حين تكشف عما فى قرارة نفسه من حركات عميقة خفية •

قال بطلنا لنفسه : « يا للوغد ! انه يصطنع هيئة من له حظوة ! يا له من لص ! ••• وددت لو اعرف اسباب نجاحه بين الناس • انه لا يملك شيئاً ، لا فكراً ولا ثقافة ولا خلفاً ولا ارادة ولا عاطفة ••• انه محظوظ هذا الفاسق ! رباه رباه ! ما أعجب ما يمكن أن يحصل عليه انسان من نجاح سريع ومن ثقة كبيرة ! ولسوف يمضى فى هذا الطريق قدما • بينما انه سوف يمضى فى هذا الطريق قدما ، هذا الوغد ••• لسوف يحقق هدفه • ان الحظ معه ، هذا اللص ! ليتنى أعرف بماذا كانوا يتهامسون منذ هنيهة ! ما هى الأسرار التى بينه وبين الآخرين ؟ بماذا كانوا يتهامسون خفية ؟ رباه ! ما عساي أصنع ؟ ما عساي أفعل ؟ ••• أأمضى أقول له : « لقد تبت ••• اتنى أعترف بخطئى ••• فى زماننا هذا لا بد لرجل شاب من أن يعمل يا صاحب السعادة ••• ولست أشعر بخجل من هذه المصادفة التى تبعث الاضطراب فى النفس • أعدك بأن لا أرفع صوتى بعد الآن باحتجاج • أعدك بأن أحتمل بعد الآن كل نبيء طائفا صاغرا صابرا • ترى أهذا ما يجب أن أفعله ؟ ••• لا ••• ان هذا لا يجدى مع شخص فاجر كهذا الشخص • ليس للكلمات من تأثير فى نفسه • يستحيل رد عقل غبى كعقله الى سبيل الصواب والرشاد • ولكن فلنحاول • قد تواتبنى فرصة مناسبة • لماذا لا أجرب حظى ؟ ••• » •

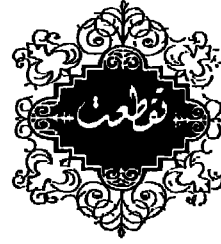
أحس السيد جوليا دكين ، وهو فيما هو فيه من حيرة واضطراب وقلق أنه لا يستطيع أن يلبث فى مكانه هذا على هذه الحال • أحس أن اللحظة الحاسمة تقترب ، فلا بد له أن يكشف أحدا بالأمر • وشيئاً فشيئاً أخذ يشق لنفسه طريقاً الى المكان الذى يقف فيه ذلك الرجل الدنيء العجيب الذى كان رفيقه فى ذات مساء •

ولكن قرعته عربية تقف لم تلبث أن سمعت في هذه اللحظة نفسها •  
 انها العربية التي كان صاحب السعادة ينتظرها منذ مدة طويلة • شد  
 فيدوستش الباب ، وفتح الطريق لصاحب السعادة منحيا كالقوس •  
 وأسرع الموظفون الآخرون نحو الباب في الوقت نفسه • فانفصل السيد  
 جولياكين عن سميته في غمرة هذا الاندفاع •

انسل السيد جولياكين في صفوف الجمهور مرددا لنفسه دون أن  
 يحول بصره عن الرجل الذي يريد أن يدركه « لا ••• لن تفلت مني » •  
 وتبشر الجمهور أخيرا ••• فأصبح بطلنا حرا طليقا ، فأسرع يطارده  
 عدوه •



## الفصل الحادى عشر



أنفاس السيد جوليا دكين فى صدره • كان يطير ،  
كأن له جناحين ، ملاحقا عدوه الذى يتعد سرىما  
•• ان بطلنا يشعر بحماسة عظيمة وحميا شديدة •  
ومع ذلك فان كل شىء يحمل على الاعتقاد ، رغم  
هذا الاندفاع القوى ، أن فى وسع ذبابة أن تقبله على الأرض بسهولة اذا  
هى لطمته بجناحها لطمة صغيرة ، هذا اذا وجد ذباب فى بطرسبرج فى مثل  
هذا الفصل من السنة • كان السيد جوليا دكين يحس بأنه عاجز عن  
مواصلة السير ، وكان يحس فى الوقت نفسه أن قوة غريبة مستقلة عن  
جسمه استقلالا تاما كانت تجره جرا ، فلولا هذه القوة الغريبة عن جسمه  
لا استطاع أن يخطو أيسر خطوة ، لأن ساقه كاتتا تصطكان وترفضان أن  
تسعفا • وظل يتابع جريه متقطع الأنفاس وهو يردد لنفسه كالألة :  
« ما يزال يمكن أن يسوى كل شىء على أحسن وجه ، نعم على أحسن  
وجه ، أو على أسوأ وجه ••• »

« ومهما يكن من أمر فقد ضاعت قضيتى ، ما فى ذلك ريب •••  
لقد دمرت •• دمرت تماما •• هذا أكيد •• محقق •• لا عفو ولا غفران  
•• ليس فى الامكان اجراء أى تغيير •• » • ومع ذلك ففى اللحظة التى  
استطاع فيها بطلنا أن يمسك بحافة معطف عدوه ، أحس كأنه يبعث بعنا  
جديدا دفعة واحدة • لكأنه حقق نصرا عظيما • لقد نادى العدو الحقير  
عربة ، وهم أن يركبها ، فصاح بطلنا يقول : « سيدى ، سيدى ، آمل  
منك أن ••• » • فأجابه عدوه القاسى الذى وضع احدى قدميه فى  
العربة :

- لا ••• لا تأمل منى شيئا ، أرجوك •••

فلما حاول أن يتقل الى العربة قدمه الثانية ، حركها فى الهواء  
مضطربا ، ولم يستطع أن يحافظ على توازنه الا فى كثير من العناء ، وكان  
فى الوقت نفسه ، يحاول أن يتملص من تشبث جوليا دكين به ، ولكن  
بطلنا تمسك بمعطف خصمه بكل ما وهبته الطبيعة من قوى •

- ياكوف بتروفتش ، عشر دقائق فقط ••

- آسف •• ليس فى وقتى متسع •

- أرجوك يا ياكوف بتروفتش ، أرجوك ، أتوسل اليك ••• من  
فضلك يا ياكوف بتروفتش •• من فضلك •• هى مفاتيحة صريحة •••  
بلا موارد •• بلا لف ولا دوران •• لحظة واحدة يا ياكوف بتروفتش •

- ليس فى وقتى متسع يا صديقى العزيز جدا •

كذلك أجاب الدجال المرائى المنافق •

وكان تلمطه المتصنع يكشف عن مودة وفضاظة كلتاهما جارحة •

وأردف يقول :

- دع هذا ليوم آخر \* \* صدقني \* \* سيسرنى أن أستمع بقلب مفتوح \* \* احلف لك \* \* أما اليوم فمستحيل فعلا \*

قال السيد جوليا دكين لنفسه : « ما أجبنه ! » \* ثم أعول يقول وقد فاض قلقا وخوفا :

- يا كوف بتروفتش ، يا كوف بتروفتش ، أنا لم أكن عدوك في يوم من الايام \* ان ألسنة سوء قد انهمنتني ظلما \* \* أما انا فستعد لأن \* \* يا كوف بتروفتش ، هلا دخلنا لحظة الى هذا المقهى فتكاشفنا بصراحة ، بقلب مفتوح على حد تعبيرك الصحيح جدا \* سنتكلم لغة صريحة رفيعة \* \* وسوف ترى : سوف يصبح كل نبيء واضحا \* نعم يا يا كوف بتروفتش ، سوف ترى ، سوف يتضح كل شيء حتما \*

- فى هذا المقهى ؟ موافق \* \* ولم لا أوافق ؟ لندخل هذا المقهى \* ولكننى أضع شرطاً ، شرطاً واحداً ، يا عزيزى ، هو أن يتضح كل شئ آخر الأمر ، مرة واحدة \* نعم ، مرة واحدة الى الأبد ، يا صديقى اللطيف \*

كذلك قال جوليا دكين الأصغر وهو ينزل من العربة ويلطم كتف بطلنا بدون حياء \* وأضاف يقول :

- آه منك أيها الرفيق القديم ، اتى مستعد فى سيبك لأن أسير فى هذا الطريق الضيق ، كما افترحت على هدا فى المساء الأول ، هل تتذكر ؟ \* \* آه ما أخبت هذا الياكوف بتروفتش ! انه يصنع بى مايشاء ( هذا ما أضافه الرفيق المنافق المرائى ، وهو يتبسم ابتسامه خفيفة ، ويدور حول بطلنا ويلتف ) \*

كان المقهى يقع فى زقاق صغير بعيد عن الشوارع الكبرى بالعاصمة . فلما دخله كان خاليا خلوا كاملا ، الا من المانية سمينه ظهرت لهما وراء البسطة حين سمعت زنين فتح الباب • مضى السيد جوليا دكين ورفيقه الشرير الى الغرفة المجاورة حيث كان هناك صبي بدين حليق شعر الرأس يتحرك حول المدفأة محاولا أن يؤجج النار بقبضة من نشارة • وجيء للزبون بقدرحين من الشكولاته تنفيذا لطلب السيد جوليا دكين • قال جوليا دكين الأصغر لصديقه وهو يغمز غمزة خبيثة :

— امرأة بضه شهية •• هه ؟

فاحمر وجه بطلنا وحاذر أن يجيب •

— ها ••• معذرة •• لقد نسيت تماما •• أنا أعرف ذوقك • نحن من عشاق الألمانية النحيلات الرشقات يا سيدى • نعم يا عزيزى الشهم ياكوف بتروفتس ، نحن ، أنا وأنت ، ميا لون الى الألمانية النحيلات ، شريطة أن لا يعوزهن شئ من فتنه واغراء طبعها : نستاجر فى بيوتهن غرفا ، ثم نعويهن ، وفى مقابل أطباق الطعام الصغيرة التى يقدمنها لنا ، وفى مقابل صحون الحساء باليرة وصحون الحساء باللبن التى نطعمها عندهن ، نعطين قلبنا وبضع سندات •• هذه طريقتنا فى العمل • آه منك أيها الغاوى الذى يسحر قلوب النساء ويفتن عقولهن ! آه منك يا فوبلاس !

قال السيد جوليا دكين الأصغر هذه الغمزات واللمزات الموجهة الوقحة مصحوبة بإبتسامات لطيفة ومداعبات • وكان هذا المناق ييسط عواطف الصداقة ويعرب عن فرحته بوجوده مع السيد جوليا دكين • ولكن بطلنا لم يكن من الغباء والسذاجة وقلة الخبرة بحيث تنطلى عليه هذه الأحابل ، فلما لاحظ صاحبه المقيت الكريه ذلك أسرع يبدل أسلوبه



ويلعب بأورافه مكشوفة • فما ان نطق الدجال الحفير بتلك الكلمات  
الديئة حتى يادر يضع يده على كتف جاره طويلا غير متخرج أى تخرج،  
رافعا الكلفة الى حد يثير الحفيظة ويبعث على السخط والحق؟ ثم لم يكفه  
ذلك فاندفع فى أمازيح أخرى غليظة بديئة ، ثم أراد أن يكرر فعلته  
الكريهة التى فعلها أمس حين فرص وجه بطلنا ، رغم ما أظهره بطلنا من  
مقاومة وأعلنه من احتجاج واستياء • فغلى الدم فى عروق بطلنا ازاء هذه  
الوفاحة • ومع ذلك كبج جماح نفسه ولزم الصمت •• كان ينتظر  
ساعته •

أجاب بصوت مضطرب بعض الاضطراب ، ولكنه ما يزال مسيطرا  
على نفسه :

– هذه مزاعم أعدائى •

وفى هذه اللحظة نفسها ألقى بطلنا نظرة قلقة نحو الباب • كان  
يخشى أن لا يندفع مخاطبه الذى كان واضح المرح والارتياح فى مزاحة  
مزعجة ثقيلة فى مكان عام ، مزاحة لا يمكن احتمالها فى مجتمع محترم  
على كل حال •

أجاب الدجال على قول السيد جوليا دكين وهو يضع قدحه الذى  
أفرغه فى جوفه بشرهة لا حياء فيها :

– فى هذه الحالة أوافق • فى هذه الحالة أوافق ، ولم يبق ما يقوله  
أحدنا للآخر •• كيف صحتك الآن يا ياكوف بتروفتش ؟

قال بطلنا بهدوء ووقار :

– لن أقول لك الا شيئا واحدا يا ياكوف بتروفتش ، هو أنتى لم  
أكن عدوك فى يوم من الأيام •

- هممم... هذا شيء يجب التثبت منه ! وبتروشكا ؟ ما اسم ذلك القرد ؟ بتروشكا ، أليس كذلك ؟ نعم هو كذلك • كيف هو الآن ؟ أحسب أن حالته جيدة ! أهو على ما كان عليه دائما ؟  
قال السيد جوليا دكين مدهوشا بعض الدهشة :

- حالته حسنة ، ملما كان دائما يا يالوف بتروفتش • لا أدرى ماذا يجب ان افعل يا ياكوف بتروفتش ••• ولكننى من جهتى ••• بكل صدق وبكل صراحة •• أخيرا أنت تعرف يا ياكوف بتروفتش •  
قال السيد جوليا دكين الاصغر بصوت شجىٍ معبر ، مصطنعا هيئة انسان حزين اعمق الحزن ، تادم أشد الندم ، هيئة انسان جدير بالاشفاق والرثاء والرحمة :

- ولكنك تعلم أنت نفسك يا ياكوف بتروفتش ، تعلم أنت نفسك أن هذا الزمان صعب •

ثم أضاف وقد عقد النية واضحة على أن يتملق بطلنا :

- انظر يا ياكوف بتروفتش ، سوف أشهدك أنت نفسك : انك رجل ذكى تستطيع أن تحكم حكما منصفًا •• هل الحياة سهنة ؟ ••• لا يا ياكوف بتروفتش •• ليست الحياة لعبا •• انك تعرف ذلك حق المعرفة يا ياكوف بتروفتش •

بهذا ختم الماكر المنافق كلامه بلهجة سيد ذكى مقف ، أهل لأن يناقش أخطر مشكلات الحياة وأرفع مسائل الوجود •

قال بطلنا بحماسة :

- سوف أخاطبك من جهتى يا ياكوف بتروفتش بلفه صريحة

جريئة لا احاول ان الف وان ادور . ساقول لك يا ياكوف بتروفتش ، بكل صدق واخلاص واستقامه وشرف ، اتى برىء كل البراءة . . . . نعم يا ياكوف بتروفتش ، اؤكد لك ذلك . تم انك تعرفه بنفسك يا ياكوف بتروفتش . المسألة ، فى حياتنا نحن ، يا ياكوف بتروفتش مساله سوء نصحهم متبادل - و دل سىء ممدن فى هذه الحياه - سوء تفاهم فافتمه احكام المجتمع ، احلام اناس رعاع عمى عيب . . . . أنا أكلمك بصراحة يا ياكوف بتروفتش : اعود فاقول لك ان كل شىء ممكن فى هذه الحياه . . . . و أضيف الى ذلك أنا اذا ارتضينا أن ننظر الى القضية كلها نظرة صادقه رفيعة ساميه ، كان فى وسعى أن أؤكد لك ، بغير خجل زائف ، أنه يكاد يسرنى أن أعترف لك ببعض ما ارتكبت من أخطاء وما وقعت فيه من ضلالات . . . . نعم ، ولسوف يبهجنى أن أكشف عن هذه الأخطاء والضلالات . أنت انسان ذكى شريف . وانك لتدرك بنفسك حق الادراك كل ما اعترفت لك به . نعم أنا أؤكد لك أنتى مستعد لأن أبوح بكل شىء ، لأن أعترف بكل شىء ، اعترافا شريفا صادقا لا يخالطه حياء كاذب ولا خجل زائف .

هكذا ختم بطلنا كلامه وقد لاحت فى وجهه رفعة ونباله ووقار .  
 - مصير ! قدر ! ياكوف بتروفتش . . . . دعنا من هذا كله الآن .  
 ولنستعمل هذه اللحظات القصار التى تهبأت لنا فى حديث أمتع وأفيد .  
 ذلك أليق بزميلين . . . . ثم انك لم تتح لى أن أقول كلمتين طوال هذه المحادثة . . . . وليس الذنب فى هذا ذنبى يا ياكوف بتروفتش .

فقاطعه بطلنا يقول بحماسة :

- ولا هو ذنبى ، ولا هو ذنبى . . . . أشهد على ذلك قلبى يا ياكوف بتروفتش . . . . قلبى يؤكد لى أنى غير مسئول عن هذه القضية كلها .

ثم أضاف يقول بلهجة المصالحة :

– فلنحمل القدر تبعة ذلك كله •

وكان صوته ما ينفك يزداد ضعفا •

قال المناقق بصوت رقيق عذب :

– ماذا بك ؟ وكيف حالك عامةً في هذه الأيام ؟

قال السيد جوليا دكين بصوت أرق وأعذب أيضا :

– أعانى من سعال قليل •

– يجب أن تحاذر • هذا أوان الأمراض المعدية • ماأسرع ما يصاب

المرء بالتهاب فى الحلق فى هذه الأيام ! أنا من جهتى لا أكتمك أنتى

ألبس قميصا داخليا من صوف •

– أنت على صواب يا ياكوف بتروفتش • ما أسرع ما يصاب المرء

بالتهاب فى الحلق !

وأضاف بطلنا بعد صمت قصير :

– ياكوف بتروفتش ، انى أدرك الآن أخطائى ••• وأتذكر بكثير

من الحنان تلك اللحظات الجميلة التى سعدت بقضائها معك فى مسكنى

الذى أصفه بأنه متواضع ولكننى أتجراً فأصفه أيضا بأنه مضياف •

فأجابه مخاطبا بلهجة فيها شىء من العنب ، المسوخ على كل حال :

– ليس هذا ما عبرت عنه فى رسالتك •

( والواقع أن السيد جوليا دكين الأصغر كان فى هذه اللحظة ، فى

هذه اللحظة فقط ، صادقا كل الصدق منصفا كل الانصاف ) •

– كنت مخطئاً يا ياكوف بتروفتش ... اننى أرى اليوم بوضوح  
 أننى كنت مخطئاً حين كتبت لك تلك الرسالة اللعينة • اننى أستحي أن  
 أنظر اليك الآن يا ياكوف بتروفتش • أقسم لك •• اسمع •• أعد الى  
 تلك الرسالة •• سوف أمزقها أمامك يا ياكوف بتروفتش •• اقرأها  
 معكوسة ، معكوسة تماما ، أقصد حملها معانى صداقة ومودة ، أفهم كل  
 كلمة من كلماتها على غير معناها ، أفهم كل كلمة من كلماتها بصد معناها •  
 لقد أخطأت خطأ كاملاً ، خطأ قاسياً يا ياكوف بتروفتش •

قال صاحب المرائى وقد لاح فى وجهه ذهول وعدم الكراث :

– ماذا تقول ؟

– أقول اننى قد أخطأت خطأ كاملاً يا ياكوف بتروفتش ، واننى  
 مستعد ، بغير حياء زائف أو خجل كاذب ، لأن •••

– آ •• نعم •• صحيح •• لقد أخطأت أنت •• صحيح جدا •

كذلك قال جوليا دكين الأصغر بلهجة خشنة •

قال بطلنا بوقار وصدق دون أن يدرك الازدواج الرهيب فى سلوك

صاحبه الوقح :

– حتى لقد خطرت ببالى فكرة يا ياكوف بتروفتش •• نعم خطرت

ببالى الفكرة التالية : « لقد خلق الله انسانين متماثلين تماثلاً مطلقاً •• » •

– آ •• أهذه هى الفكرة ؟

قال الشخص الحقيق ذلك ثم نهض متاولاً قبعته • ونهض السيد

جوليا دكين أيضاً • انه لم يدرك المناورات الوقحة التى يقوم بها عدوه •

كان يتسم فى نبل ومودة • كان البرىء يحاول أن يلاطف عدوه ، أن

يواسيه ، أن يعقد بينه وبينه صلوات صداقة جديدة •••

صاح الدجال فجأة يقول :

- وداعا يا صاحب السعادة \*

ارتجف بطلنا حين رأى في وجه عدوه ذلك التعبير المسعور الساخر،

المعربد \*

ومن أجل أن يتخلص السيد جوليا دكين من هذا الشعور وضع في اليد التي مدها إليه الشخص الكريه \* وفي هذه اللحظة .. اللحظة تجاوزت وفاحة السيد جوليا دكين الأصغر كل الحدود . ذا يقبض على الأصبعين ، ويضغطهما ، ثم ما يلبث أن يكرر مزاحته امام بطلنا مرة أخرى بسرعة \* هنا نفذت مدخرات جميع الصبر ، ، \*

أعاد جوليا دكين الأصغر الى جيبه المنديل الذي مسح به يديه ، - سرج .. واسترد السيد جوليا دكين أخيرا صوابه ، فاسرع يلحق بعدوه \* ولكن عدوه كان قد انسل على عادته ، فأصبح في الحجره الأولى \* انه الآن واقف قرب البسطة ، مرتاحا ، يلتهم بعض الفطائر في غير اضطراب ، ويتحدث مع الالمانية بائنة الفطائر بلطف وأدب \*

قال بطلنا لنفسه : « لا داعي الى فضيحة أمام سيده .. » \* واقتراب هو أيضا من البسطة منفعلا أشد الانفعال \*

قال جوليا دكين الاصغر :

- حما ان هذه المراه اللطيفة لا بأس بها .. ما رأيك ؟

وعاد يكرر مزاحاته البذيئة معتمدا على صبر بطلنا \*

كانت الألمانية السمنة تنظر الى زبونها بعينين شهاولين لانبران عن

شيء ، مع ابسمه نودد و لطف • وكان واضحاً انها لا تفهم الروسيه •  
 نفذ صبر بطلنا ، وأصبح من فرط استيائه من كلمات الدجال الوقحة  
 لا يستطيع كبح جماح نفسه ، فاسرع نحو صاحبه ملتهب الوجه حقاً ،  
 يريد أن يمزقه ارباً وأن يجهز عليه مرة واحدة • ولكن الشخص الجبان  
 كان قد ابتعد على عادته في الكيد والحيلة • لقد وثب فجأة فأصبح الان  
 على درجات المدخل • ذهل السيد جولياكين ولكنه لم يلبث أن أفاق من  
 ذهول اللحظة الأولى ، فهرع يجرى وراء الشخص الذي أهانه جرياً  
 سريعاً • ولكن خصمه لم يلبث أن ركب عربة كانت واقفة في الشارع •  
 لا شك أن حوزى العربة كان متواطئاً مع الرجل المخادع الدجال •

وفي هذه اللحظة نفسها اطلقت الالمانية البدينه ، وقد رات زبونها  
 يهربان ، اطلقت صرخه حادة وهزت جرس الباب بكل ما أوتيت من قوة  
 فالتفت السيد جولياكين الى خلف وهو يركض ، فرمى اليها مالا بمن  
 ما سرب هو وصاحبه ، وتابع ركضه نحو العربة دون أن ينتظر أن ترد  
 اليه البقية ؛ واستطاع رغم تأخره أثناء ذلك أن يدرك خصمه من جديد ،  
 وقد تحركت العربة •

تشبث السيد جولياكين بجناح العربة بكل فواه ، وظل يجرى  
 معها على هذه الصورة محاولاً أن يتسلق الى داخلها ، حيث كان عدوه  
 يجهد أن يصده بكل ما أوتى من قوة أيضاً • وفي أثناء ذلك كان الحوزى  
 يستحث فرسه الضعيفة الهزيلة بضربات من سوطه والزمام والقسم ،  
 وكذلك بشتائم وسباب ؛ فاذا بالفرس الضعيفة الهزيلة تأحد تعدو عدوا  
 سريعاً على غير توقع ، عاضة زمامها رافسه بقائمتها • واستطاع بطلنا  
 أخيراً أن يصعد الى العربة ، فأصبح أمام عدوه وجها لوجه ، مديراً ظهره  
 لمقعد الحوزى • تداخلت ركب الرجلين ، وأمسك السيد جولياكين

ايفانوفتش • فتملكه اضطراب لا يوصف ، وهمَّ أن يلاحق عدوه الدجال ولكنه توقف في الوقت المناسب لحسن الحظ • ودفع للحوذى أجره ، وخرج الى الشارع ، وأطلق ساقيه للرياح يجسرى قدما ولا يلوى على سىء • الثلج ما يزال يتساقط أسناخا كثيفة • والجو مظلم رطب يملؤه الضباب • ان السيد جوليا دكين يطير طيرانا ، فيصدم المارة ، ويقلب الفلاحين والنساء والأطفال ، ويتلقى بدوره صدمات تلو صدمات ••• ومن حوله ، ووراءه ، ترتفع صرخات ، وتعلو صيحات زعر ، ويقوم عياط وشياط ••• ولكن السيد جوليا دكين لا يريد أن يرى شيئا ، ولا يريد أن يفهم شيئا ••• فلما صار قريبا من جسر سيميونوفسكى استرد صوابه وثاب الى رشده بعد أن صدم باثنتين وما تعرضان ، فقلبهما على الأرض ، وانقلب معهما في الوقت ذاته • قال لنفسه : « ما هذا بشيء ••• كل أمر يمكن أن يسوى على أحسن نحو ••• » ودس يده في جيبه باحسا عن روبل يعوض به للباثنتين ما فقدناه من فطائر وتفاح وجوز وغير ذلك من بضائع انسفحت على الارض • غير أن نورا جديدا ظهر في دماغه عندئذ على حين فجأة • لقد مست يده الرسالة المغلفة التي حملها اليه كاتب المحكمة في ذلك اليوم •

وسرعان ما تذكر السيد جوليا دكين أن هناك ، غير بعيد عن المكان الذى هو فيه ، مطعما حقيرا يعرفه حق المعرفة • فأسرع يمضى الى المطعم ثم أسرع يجلس الى احدى موائده التي تضيئها شمعة ملطخة ، دون أن يضع من وقته لحظة واحدة •

كان لا يشعر بما حوله ، حتى أنه لم ينتبه الى الخادم الذى جاء يسأله عن طلبه ؟ فض غلاف الرسالة بسرعة ، وأخذ يقرأ مشدوه الفكر مذهول اللب أعمق الدهول :



بيده اليمنى ياقة الفراء المهترىء من المعطف الذى كان يرتديه خصمه  
بعانى الدنى ••

العربة تعدو بسرعة شديدة • والحصان التماسكان صامتان  
لا يتكلمان • الشارع محفر فالركبة تهتز، ويوشك بطلنا أن ينكسر ظهره  
فى كل لحظة • وعدوه ، من جهته ، لا يعترف بأنه غلب ، فهو يستमित  
فى سبيل أن يدحرج السيد جوليا دكين الى الوحل • ومن تمام المصيبة  
ان الجو كان رهيبا • فاللج يتساقط أسناخا كبيرة ، ويتسرب الى داخل  
معطف صاحبنا • ولم يكن فى وسع المرء أن يرى شيئا من شدة كثافة  
التلج والضباب • كان يستحيل على المرء أن يعرف الشارع الذى تجرى  
فيه العربة سريعة سرعة شديدة • وفجأة شعر السيد جوليا دكين بذلك  
الشعور الذى يحس صاحبه أنه « سبق له أن رأى ما يراه الآن » •••  
فظل بضغ لحظات يحاول أن يتذكر •

ترى ألم يوجس هذا كله فى الليلة البارحة ، فى الحلم متلا ؟ •••  
وأخذ فلقه يزداد شدة بغير انقطاع • هو الآن فى ذروة القلق • انه  
يحتضر • أراد أن يصرخ وهو منشبت بعدوه الذى لا يرحم ••• ولان  
صرخته فبنت على شفقيه ••• ثم جاءت لحظة نسيان كامل • شعر السيد  
جوليا دكين شعورا غامضا بأن كل ما يقع له أمر لا سبيل الى فهمه •••  
أمر لا فائدة منه •• أمر لا طائل تحته •• أمر لا شأن له به •• باطل  
وسخف أن يحتج •• وفى هذه اللحظة ، حدثت رجفة شقية فغيرت وجه  
الأشياء •• سقط بطلنا كسقوط كيس طحين ، وتدحرج فى الوحل وهو  
يردد لنفسه أن كل شىء باطل ، وأنه أخطأ حين تحمس •

فلما نهض أبصر أن العربة كانت تقف فى فناء منزل من المنازل •  
وأدرك من أول نظرة أنهم الآن فى فناء المنزل الذى يسكنه أولسوفى

« آيها الانسان النليل ، العزيز على قلبى الى الأبد ،

« أنت يا من تتألم فى سبيلى !

« انتى اتالم ، انتى اتعذب ، انتى أموت عذابا ، فاتقذنى •• ان رجلا  
محنلا ، رجلا ناما ، رجلا معروفا بغروره وتفاهته فد أحاطنى بشباكه •  
نصب لى فضا ، فوقعت فى الفخ • لقد ضعت • ولكننى أكرهه وامقته ••  
أما أنت •• لقد باعدوا بيننا •• وحجزوا الرسائل التى كنت أكتبها اليك •  
وذلك كله من صنع الانسان الدنيء الذى استغل ميزته الوحيدة ، وهى  
أنه يشبهك •

« أنا أعلم على كل حال أن فى وسع انسان غير جميل أن يقطن  
بسمو فكره وكرم عواطفه ورفعة أخلاقه وآدابه •

« لقد سقطت •• انهم يزوجوننى رغم ارادتى •• وان أبى ، نعم ،  
أبى ، مستشار الدولة ، أولسوفى ايفنوفتش ، هو الذى يفود الامر كله •  
أهى الرغبة فى أن يستفيد من مكانى فى المجتمع ، ومن علاقاتى بعله  
القوم ؟ » •

« ولكننى قد عزمت أمرى ، وسأحتج بكل ما أوتيت من قوة معتمدة  
على جميع الوسائل الممكنة • انتظرنى هذا المساء ، ابتداء من الساعة  
التاسعة فى فناء المنزل ، تحت نوافذ مسكننا تماما • سيقام احتفال راقص  
عندنا • وسيأتى ضابط ملازم جميل • سأنسل من الاحتفال ، وأجىء  
اليك ، فتهرب معا • ان فى بلادنا وظائف كافية ينفخ المرء فيها وطنه •  
وفوق هذا كله يجب أن تتذكر يا صديقى أن البراءة تستمد قوتها من  
ذاتها • الى اللقاء • انتظرنى فى الفناء هذا المساء مع عربة • سأتى أحمى  
بذراعيك فى الساعة الثانية تماما •

« وسأظل لك حتى الممات »

### كلارا أولسوفينا

بعد أن فرأ بطلنا هذه الرسالة ظل برهة طويلة مشدوه الغفل ذاهلا عن نفسه • ثم أخذ يذرع الحجره جيئة وذهابا مضطرب النفس فلقا ممتقع اللون ، ممسكا الرسالة بيده •

ومن تمام سوء الحظ انه لم يلاحظ ان الانتظار جميعها اصبحت متجهه اليه • لانت ملابسه فوضى ، وكان انفعاله ظاهرا ؟ وكان دل ما يراه الناس فيه ، من مشيته فى القاعة او فل ركضه فى أرجائها ، الى حركات يديه ، الى الللمات الغريبه القليله التى .كانت نقلت من سفنيه على غير شعور ، كل ذلك كان لا يهيبى الناس لان ينظروا اليه نظرة حسنه • حتى الخادم كان يتأمله مرتابا محاذرا •• فلما باب الى رنده ، لاحظ أنه كان فى وسط القاعة ، وأنه كان يحدو فى رجل عجوز نصير وقور المظهر تحديقا غير لائق ، أو تحديقا لا محل له فى أقل تقدير • كان الشيخ القصير قد فرغ من تناول غدائه ، وانحنى أمام الآيقونه ، فهو الآن جالس على كرسيه لا يحول بصره عن السيد جوليادين • أجال السيد جوليادين عينيه فى أرجاء القاعة حائرا قلقا • فرأى عندئذ أن جميع الأعين كانت مصوبة اليه ، وهى أعين تفيض احتقارا وعداوة • وهذا ضابط متقاعد يرتدى بزة ذات ياقة حمراء ، يأخذ يصيح طالبا أن يؤتى بجريدة « رسول الشرطة » •

ارتعش السيد جوليادين • واحمر وجهه احمرارا شديدا • وخفض عينيه بحركة آلية ملاحظا أن مظهره غير لائق ولا محتشم • ما كان لرجل محترم أن يرتضى لنفسه أن يرتدى هذه الملابس فى بيته

فكيف بين الناس ! كان حذاءه وسرواله وكل الجانب الايسر من رديجوته ، كان ذلك كله ملطخا بالوحل • وكانت التية اليمنى من سرواله منزوعة • وكان الرديجوت ممزقا فى مواضع عدة • فما ان رأى السيد جوليا دكين ذلك كله حتى تملكه خوف كاو ، فأسرع يجلس الى المائدة التى كان جالسا اليها حين قراءة الرسالة • فلم يلبث أن رأى الخادم مقبلا عليه • كان فى وجه الخادم وقاحة وشراسة • فاضطرب بطلنا وتحير وتفرس فى المائدة ، فرأى عليها أطباقا وسخة ، ومنشفة ملطخة ، وسكينا وشوكة وملعقة •

تساءل بطلنا : « من ذا أكل هنا ؟ أنا ؟ أهذا ممكن ؟ آه ••• كل شىء ممكن • لقد تعديت دون أن أشعر • فما الذى يجب أن أفعله الآن ؟ » • ورفع عينيه ، فرأى الخادم واقفا أمامه يهم أن يتكلم •

— كم الحساب يا صاحبي ؟

كذلك سأل بطلنا الخادم • فسمع من حوله قهقهات صاحبة • حتى لقد سمح الخادم لنفسه أن يتسهم • ففهم السيد جوليا دكين على الفور أنه ارتكب غلطة فاحشة ، أنه قارف خطيئة كبيرة • فاضطرب أشد الاضطراب ودس يده فى جيبيه باخنا عن منديل • كان فى حاجة الى أن يفعل شيئا ما ، الى أن يقوم بحركة ما ، رجاء أن يغطى اضطرابه • ولكن ما كان أشد دهشته وما كان أشد دهشة الحضور أيضا حين لم يخرج من جيبيه منديل وانما خرجت زجاجة فيها الدواء الذى وصمه له كريستيان ايفانوفتش منذ بضعة أيام • وهذه فكرة تلمع فى رأسه « جميع الأدوية فى صيدلية واحدة » ؛ وارتعش وهو لا يكاد يستطيع أن يكظم صيحة دعر • لقد أضاء فكره فجأة • ان السائل الذى نضمه الزجاجه كتيب اللون قاتم الحمرة ، تلامأ حزينا أمام بطلنا • وفجأة أفلتت الزجاجة من يديه وتحطمت •

أطلق السيد جوليا دكين صرخة ، ووثب وثبة الى وراء • ان أعضاء  
كلها ترتجف • وان العرق يتقاطر على جبينه وصدغيه • « لا شك أن  
حياتي في خطر » • كذلك قال لنفسه • وكان يسود العرقه صخب  
شديد وصياح قوى • أحاط الناس بالسيد جوليا دكين • كلموه • أمسكوا  
بذراعيه ، بكتفيه • ظل هو ساكنا صامتا ، لا يرى شيئا ولا يسمع شيئا  
ولا يحس بشيء • • وأخيرا انتزع نفسه من مكانه ، وأسرع يخرج من  
المطعم • أرادوا أن يستبقوه • ولكنه أبى ومضى في طريقه يصدم كل  
ما يلقاه أمامه • فلما صار في الشارع ارتعى في عربة من العربات خائر  
القوى على غير وعى ، وأمر الحوذي أن يقوده الى بيته • وفي الدهليز  
صادف ميخايف ، خفير الادارة ، حاملا اليه رسالة عمل • • • تتم بطنا  
يقول له مصعوقا ، بصوت كامد شاك : «أعرف مضمون الرسالة يا صاحبي  
• • • أعرف كل شيء • • • هي تبليغ رسمي » • قال ذلك وتناول الرسالة  
وأعطى الخفير عشرة كوبكات • وكانت الرسالة تتضمن مذكرة رسمية  
فعلا • انها مذيلة بتوقيع آندره فيليوفتشس ، وهي تأمر السيد جوليا دكين  
أن يسلم ايفان سيميونوفتشس جميع الملفات والاوراق التي في عهده •

فلما دخل السيد جوليا دكين بيته رأى بتروشكا منهمكا في تكديس  
ملابسه وخزقه وأسماله • ما من شك البتة • ان بتروشكا يستعد لترك  
مولاه ويتهيا لمغادرة البيت •

لا شك في أن كارولين ايفانوفنا قد أغرته ، وأنه ذاهب اليها يحل  
محل أوستاش •



## الفصل الثاني عشر

بتروشكا مترنحا • كان غير عابده ، وكان في  
وجهه تعبير غريب عن مرح وفرح ، وعن شعور  
فظ غليظ بالانتصار •



واضح أنه كان قد وضع خطته • انه يتصرف الآن  
تصرف انسان حر طليق ، غريب كل الغرابة عن المكان الذي هو فيه ؛ أو  
قل انه يتصرف تصرف خادم لواحد من الناس ليس هو جولدكين ؛ حتما •

قال بطلنا لاهنا :

– هأنذا يا عزيزي ! كم الساعة الآن يا صديقي ؟

ذهب بتروشكا الى ما وراء الحاجز دون أن يجيب ، ثم عاد يقول  
هادئا بلهجة طليقة :

– قريبة من الساعة والنصف •

- آ... طيب... جيد جدا يا صديقي الشهم! • اذن اسمح لي  
أن أقول لك يا صديقي • أخيرا • • أظن أن كل شيء قد انتهى بيننا  
الآن •

لم يجب بتروشكا بكلمة واحدة •

- طيب • • أما وقد انتهى بيننا كل شيء ، فقل لي بصراحة ، قول  
صديق لصديق ، أين كنت يا عزيزي الطيب ؟

- أين كنت ؟ عند أناس طيبين •

- أعرف يا صديقي أعرف • لقد كنت راضيا دائما عن خدماتك  
يا عزيزي ، وسأعطيك شهادة بذلك • • • • • ادن ستعمل بعد اليوم عندهم ؟

- والله يا سيدي • • أنت نفسك تعرف : ما من انسان شريف يفعل  
فعلا سبًا • • هذا معروف •

- نعم ، أعرف يا صديقي الشهم أعرف • الشرفاء قلة في هذا  
الزمان • • ويجب علينا أن نقدرهم حق قدرهم يا صديقي • • كيف الحال  
هناك الآن ؟

- كما كانت دائما • • أما أنا يا سيدي فلا أستطيع أن أبقى في  
خدمتك بعد اليوم • • وأنت تعرف ذلك جيدا على كل حال •

- أعرف يا عزيزي أعرف • أنا أعرف همتك ونشاطك وحماستك  
في العمل • • لقد لاحظت فيك هذه المزايا دائما ، وقدرتها حق قدرها دائما  
يا صديقي • • اننى أقدرك كثيرا يا صديقي • • لقد قدرت دائما الناس الطيبين  
الشرفاء ، ولو كانوا خدما •

- والله هذا شيء معروف • • أنت تعلم أن شيانا مثلنا ليس لهم نظير • •



هكذا • أما أنا يا سيدي فأجد أن من الصعب أن أعيش بدون أناس شرفاء • هذا أكيد •

– حسن جدا يا صديقي الشهم ، حسن جدا • أنا متفق معك في الرأي •• طيب •• اليك أجرك وشهادتك •• والآن فلتعاقب يا صديقي الشهم ولنفترق •• ولكنني سأطلب منك خدمة صغيرة أخرى ، خدمة صغيرة أخيرة ، يا عزيزي ( فال السيد جوليا دكين ذلك بلهجة وقورة ) • ان كل شيء يمكن أن يقع في هذه الحياة يا عزيزي • الشقاء موجود في كل مكان يا صديقي الطيب ، حتى في المساكن المذهبة • ما من أحد يستطيع أن يفلت منه • يخيل اليّ يا عزيزي أنني كنت دائما لطيفاً معك ، أليس كذلك ؟

ظل بتروشكا صامتا لا يجيب •

ردد جوليا دكين يقول :

– لقد كنت لطيفا معك دائما يا عزيزي •• قل لي بالمناسبة يا عزيزي :

كم بقي لي من ملابس ؟

– ملابسك كلها موجودة : سنة فمضان ، ثلاثة أزواج أجربة ،

أربع صدرات ، صديرة من صوف ، وهناك أيضا سروالان داخليان • أنت تعرف هذا كله على كل حال • أما أنا يا سيدي ، فلا آخذ منك شيئا البتة في يوم من الأيام •• انني أحافظ على كل ما يخصك •• وبالنسبة اليك يا سيدي •• على كل حال •• من المؤكد •• لست ألوم نفسي على شيء يا سيدي ، لست ألوم نفسي على أي شيء •• أنت تعرف ذلك يا سيدي •

– أنا أصدقك يا صديقي ، أصدقك •• ما عن هذا أردت أن أتكلم

•• اسمع يا صديقي ••

- هذا معروف يا سيدى •• جميع الناس يعرفونه •• حين كنت فى خدمة الجنرال ستولينناكوف •• كان يمنحني اجازة كلما ذهب الى ساراتوف التى يملك فيها أطيانا •

- لا يا صديقى •• ما عن هذا أريد أن أكلمك •• أنا لا ألومك على سئء •• لا تعبىء رأسك هكذا يا صديقى العزيز •

- هذا معروف تماما : ان اناسا من طبقتنا يسهل انهامهم •• انت تعرف ذلت نفسك يا سيدى •• أما انا فقد أرضيت دائما أسيادى ، وزراء لانوا او جنرالات او اعضاء فى مجلس الشيوخ أو كوتسات •• لقد خدمت فى دل مكان : خدمت فى منزل الامير سفيتشانكين ، وفى منزل الكولونيل بيربوركين ، وفى منزل الجنرال نيدوباروف ، وكان ياخذنى معه الى أملاكه •• هكذا ••

- صحيح يا صديقى •• هذا حسن جدا ، حسن جدا •• والآن فقد جاء دورى أنا للسفر •• لكل انسان طريقه يا عزيزى ، وما من أحد يعرف الطريق التى رسمها له القدر •• طيب •• ساعدنى الآن فى ارتد. نيابى يا صديقى •• ضع بزتى الرسمية مع باقى الأشياء •• وكذلك السراويل ، والمفارش ، والأعطية ، والمخدات •

- هل يجب أن أجعل هذا كله فى رزمة ؟

- نعم يا صديقى ، هذا ما يجب أن تفعله •• تحزم جميع الأشياء فى رزमे •• من ذا الذى يعلم ما يخبىء لنا المستقبل ؟ والآن يا صديقى ، انزل فاستدع لى عربة •

- عربة ؟

- نعم يا صديقى عربة •• استأجرها لوقت طويل ، واحرص على أن

تكون العربية واسعة • ولكن اياك أن تذهب بك الظنون يا صديقي الى  
تصور أشياء •••

– هل تسافر الى بعيد؟

– لا أعرف يا صديقي ••• حقا لا أعرف ••• ومن المستحسن أن  
تضع في العربية لحافا • ما رأيك يا صديقي؟ انى أعتمد عليك  
يا عزيزى •••

– أنت مسافر فورا؟

– نعم يا صديقي نعم •••

– أفهمك يا سيدى • فى الكتيبة التى كنت فيها حدثت هذه المغامرة  
نفسها لللازم أول • خطف ابنة أحد كبار الملاكين •  
– خطف؟ ماذا تقول؟ ولكن يا عزيزى •••

– نعم ، خطفها وتزوجا فى أبرتسيه مجاورة • أعد كل شىء سلفا •  
ولقد لاحقوهما ولكن الأمير ، نعم الأمير المتوفى ، قد تدخل وسوى كل  
سىء •

– اذن تزوجا ••• ولكن كيف علمت يا صديقي الشهم بما عقدت  
عليه النية؟

– الأمر معروف • الاشاعات تسرى سريعة على هذه الأرض • نحن  
على علم بكل شىء ، نعم بكل شىء ••• طبعا ، ما من انسان معصوم من  
الزلل ، مبرأ من الخطايا ••• ولكن يجب أن أقول لك يا سيدى •••  
اسمح لى أن أقول لك ، لأننى خادم طيب ••• ما دامت الأمور قد وصلت  
الى هذه المرحلة الآن ، فيجب أن أقول لك يا سيدى ان لك عدوا ، ان

لك منافسا ، نعم يا سيدي ، ان لك منافسا خطرا يا سيدي •• نعم  
يا سيدي •

- أعلم ذلك يا صديقي ، أعلم • أنت نفسك تعلم يا صديقي •••  
طيب •• على كل حال أنا أعتد عليك • ماذا نفعل الآن يا صديقي ؟  
بماذا تنصحنى ؟

- والله يا سيدي ، أما وقد اخترت هذا الحل فيجب عليك أن  
تشتري أشياء كثيرة •• مفارش ، مخدات ، لحافا آخر لشخصين ، غطاء  
جيذا •• وهذه الأشياء كلها تستطيع أن تجدها عند الجارة •• هناك •••  
تحت •• وعندها أيضا فراء ثعلب جيد • في وسعك أن تراه وأن تشتريه  
فورا • ليس عليك الا أن تنزل اليها •• هو معطف جميل مغطى بالساتان  
وله فروة ثعلب •

- طيب طيب يا صديقي ، أنا موافق ، وأنا أعتد عليك اعتمادا كاملا  
يا صديقي • وأنا موافق أيضا على شراء الفروة يا عزيزي • ولكن أسرع  
أرجوك ، أسرع ، أسرع؛ أنا مستعد لشراء المعطف ، ولكن أسرع أرجوك  
•• لقد اقتربت الساعة من الثامنة • يجب أن نسرع يا صديقي أرجوك  
يا صديقي ، أسرع •

ترك بتروشكا كدسه الملابس والأغطي والمخدات وغير ذلك من  
الأثواب التي كان بسبيل جمعها وهرع يخرج من الغرفة •  
وأخرج السيد جوليا دكين الرسالة مرة أخرى ، ولكنه لم يستطع  
أن يقرأ •

فأسك رأسه المسكين بين يديه وأسند ظهره الى الحائط سارد اللب •  
انه لا يستطيع لا أن يفكر ولا أن يقوم بأية حركة • كان لا يدري هو

نفسه ماذا يحدث في نفسه ... فلما لاحظ أخيرا أن الدقائق تجري ، وأن بتروشكا والمعطف لم يحضرا ، قرر أن ينزل ، ففتح باب المدخل ، فسمع ضجة .. انها أصوات كلام ومناقشة وصياح تحت .. هن الجارات يثرثرن ويعولن ويشتجرون . ان السيد جوليا دكين يعرف حق المعرفة بصدد أى شيء كن يختصمن . وسمع أيضا صوت بتروشكا ، ثم سمع وقع خطوات تصعد السلم .

« آه .. يا رب .. يا رب .. لسوف يصعدون الى هنا بالعالم كله .. كذلك تهتد بطلنا يقول وهو يمض يديه حزنا وكمدا ، ثم أسرع عائدا الى غرفته وارتمى على الديوان داسا رأسه فى المخدة .

أصبح لا يعرف ماذا يفعل . وظل على هذه الحال دقيقة كاملة ، ثم نهض بوثبة واحدة دون أن ينتظر بتروشكا ، فدس قدميه فى جرموقيه وارتندى معطفه ووضع فبعته على رأسه ، وتناول محفظته واندفع يهبط السلم ، فلما صادف بتروشكا على السلم تتمم يقول له : « لست فى حاجة الى شيء يا عزيزى . سأفعل كل شيء بنفسى . لست فى حاجة اليك الآن . ما يزال يمكن أن يسوى كل نبيء على خير وجه .. » . ووصل الى فناء المنزل ، وأسرع الى الشارع . كان قلبه يوشك أن يتوقف عن الحققان .. وهو ما يزال مترددا : ما عساه يصنع ؟ ما الذى يجب عليه أن يقرره ؟ على أى شيء يجب أن يعقد عزمه فى هذه اللحظة الحاسمة ؟ وصاح أخيرا يقول وقد استبد به الكمد واليأس : « ماذا يجب أن أفعل ؟ لكأنه لم يكن فى الامكان الاستغناء عن هذا كله ! .. »

كان ما يزال يجرى قدما بخطى قصيرة لا يلوى على شيء . وتابع يخاطب نفسه : « نعم .. ما كان أغنانى عن هذا كله ! لولا هذه القصة ، نعم لولا هذه القصة لكان يمكن أن يسوى كل شيء .. » كان يمكن أن

يسوى كل تىء دفعه واحده ، كان يمكن ان يسوى كل شىء بضربه  
 فويه محلمه واحده .. قطعت يدي ادا لم يمكن ان يسوى عندئذ لل  
 تىء ، وانا أعرف حق المعرفه لىف دن يمكن ان يسوى عندئذ كل  
 شىء . كنت سانفرد بهذا الرجل فأقول له : « اسمح لى أن أصرح لك  
 يسيدى .. أن المرء ، على وجه العموم ، نعم على وجه العموم ، لا يتصرف  
 هكذا .. نعم يا سيدى نعم .. ما من أحد يتصرف هذا التصرف .  
 الاغتصاب لا ينتج هنا .. وانت امرؤ محتال دجال يا سيدى ، أنت رجل  
 لا قيمة له ولا فائدة منه للوطن . نعم ، هل فهمت هذا الكلام ؟ وكان فى  
 وسعى أن أضيف الى ذلك .. ولكن فىم أضيف الى ذلك شيئاً .. ذلك  
 كل شىء . ماذا أقول ؟ يا لى من أبله ! يا لى من أبله ؟ أأكون اذن قاتل  
 نفسى ؟ لا لا .. بلى بلى .. انت امرؤ مستهتر .. ما العمل الان ؟  
 ما عسأى أصبح ؟ لأى شىء أصلح ؟ نعم ، لأى شىء صلح يا جوليا دكين ؟  
 يا جوليا دكين الدنىء ! والان ؟ يجب استئجار عربة . لقد طلبت منى  
 عربة . اذن لا بد أن تكون العربة مهيأة . فاذا لم يكن هنالك عربة تبللت  
 أهدامنا الصغيرة ؟ من ذا الذى كان يمكن أن يصور هذا ؟ آه ..  
 يا آنسة .. يا آنسة .. ان سلوكك مشين .. ان سلوكك معيب ..  
 ما هذا كله الا ثمره تربية سيئة .. نعم لقد فهمت كل شىء منذ رأيت  
 ما يجرى .. لا شك فى أن هذا كله نتيجة مباشرة لتربية غير أخلاقية ..  
 كان ينبغى أن تستعمل معها الشدة والقسوة منذ طفولتها .. وكان لا بد لها  
 من سوط تجلد به من حين الى حين .. ولكنهم بدلا من ذلك كانوا  
 يحشون فيها بأنواع المرببات والحلوى ! .. وهذا العجوز الذى لا ينفك  
 يتباكى أمامها ويقول لها : آه يا حبيبتى الغالية .. انك فى غاية اللطف  
 والظرف ، انك فى غاية الحسن والجمال .. يمينا لأزوجنك بكونت ..  
 وها هي ذى الآنسة تخرج من الظل وتلقى بأورافها قاتله : الكم لعينى ،

ايها الساده ، فاعجبوا بى ما شاء لكم أن تعجبوا .. انهم بدلا من أن يلزموها البيت وضوعوها فى مدرسه داخلية لدى امرأة فرنسية ، مهاجرة ، امرأة لا يعرف لها أصل يقال لها مدام فالبالا .. فلا غرابه اذا هى لم تسر فى الطريق القويم ! اتحنوا لها أيها الناس ! وما هى النتيجة ؟ هى ما ترون : « انتظرنى فى عربيه ، فى الساعة كذا ، تحت نوافذ بيتنا ، وأنا أتعلم عليك لتغنى لى أغنية عاطفية اسبانية .. انتظرى .. أنا أعرف انك تحببى . سوف نمضى معا . سوف تعيش فى كوخ .. »

« ولكن هذا مستحيل .. نعم يا سيدتى ، هذا مستحيل استحالة مطلقة .. هذا شيء تمنعه القوانين .. ليس من حق انسان أن يختطف فتاة عفة طاهرة من بيت أبيها دون موافقة أهلها . وفيه هذا على كل حال؟ فيم هذا ؟ ما كان عليك الا أن تتزوجى الرجل الذى هياه لك القدر وكفى ! أنا .. ماذا أنا ؟ أنا موظف .. وأنا مهدد بفقد وظيفتى بسبب ذلك كله . نعم يا آنسة .. انتى أعرض نفسى للمنول أمام المحاكم بسببك . فاعلمى هذا يا آنسة .. ان الألمانية هى التى تدبر هذه المكائد .. كل المصائب مصدرها هذه الألمانية الشمطاء .. انها هى التى تضع النار فى البارود . يشون بانسان ، ويسلطون عليه أقاويل ثرثارة تمامه بايعاز من آندره فيليبوفتش ، وتتججج المكيدة . لولا أن الألمانية وراء هذا كله ، أكان يتدخل بترونسكا فى هذه القضية ؟ ما شأنه فى هذا الأمر ؟ ما علاقته بهذه المسألة ، هذا الوغد الحقير ؟! .. لا يا آنسة ، لا أستطيع أن أفعل فى سيملك شيئا ، لا أستطيع قطعا ! .. معذرة هذه المرة يا آنسة .. أرجو أن تسامحيني .. والحق أنك أنت سبب البلاء كله ، يا آنسة ، لا الألمانية ! أنت سبب البلاء رأسا . الألمانية الساحرة امرأة طيبة ، الألمانية الساحرة بريئة من الذنب آنسة .. هذه هى الحقيقة . أنت وضعتنى فى أسوأ ورطة آنسة .. رجل أصبح من ضياعه قاب قوسين .. انه يهوى

الى العدم •• ولا يملك أن ينقذ نفسه •• ثم تيجئن أنت تحدثنه عن  
زواج • كيف يمكن ان ينتهى هذا كله ؟ كيف يمكن ان يسوى هذا  
كله ؟ ليتنى أعلم ذلك ••• •

وفيما كان جوليا دكين يستطرد على هذه الصورة وقد استبد به الحزن  
والكمد ، عاد فجأة الى الواقع ، فلاحظ أنه قد أصبح فى شارع ليتانيايا •  
كان الجو رهيبا : مطر وتلج وجليد يذوب • كل شيء يشبه تماما تلك  
الليلة التى لا تنسى ، تلك الليلة التى بدأت فيها جميع مصائب بطلنا فى  
الظلام • وراح السيد جوليا دكين يجتر خواطره : « الزواج ؟ ألا انها  
نهاية العالم •• أين عساي واجدا عربية ؟ ها •• هاهى ذى عربية •••  
هناك عند الناحية فيما أظن •• فلأذهب الى هناك لأرى عن كيب • آه ••  
يارب يارب ! •• •

اتجه السيد جوليا دكين بخطاه المترنحة صوب ناصية الشارع ، حيث  
حسب أنه أبصر عربية • قال لنفسه : « لا لا •• هذا ما يجب أن أفعله :  
سأذهب الى هناك ، فأخر ساجدا عند قدميه ، قائلًا له : أنظر الى حالتى ••  
اتنى أضع مصيرى بين يديك ، بين يدي رؤسائى •• أتوسل اليك  
يا صاحب السعادة ، أناشدك الله أن تدافع عني ، أن تحمينى • هذه هى  
المسألة •• فعلٌ يحرمه القانون •• لا تتركنى •• لا ترهقنى •• اتنى  
ألجأ اليك كما يلجأ ابن الى أبيه •• أنقذ كرامة انسان شقى ، وشرفه  
وسمته • انقذنى من هذا الرجل العاتى المنحط الذى لا خلاق له •  
نحن ، أنا وهو ، شخصان اثنان يا صاحب السعادة •• هو يعيش على  
هواه ، وأنا من جهتى أحيا حياة بسيطة هادئة يا صاحب السعادة لا أمىء  
الى أحد ولا أودى أحدا ، أوكد لك يا صاحب السعادة اتنى لا أنال أحدا  
بسوء قط •• أنا لا أشبهه ، أنا لا يمكن أن أنسبه ! فأضرع اليك  
يا صاحب السعادة ، رحماك يا صاحب السعادة ، غير لي وظيفتى فنتهى



هذه المشكلة ، ينتهى هذا الاحتيال الوقح وهذا الاغتصاب الدنيء .. حتى لا يكون هذا قدوة سيئة للآخرين يا صاحب السعادة • اننى أعدك أبا يا صاحب السعادة • ان الرؤساء الذين يملكون صدرا رجبا وذمة سامية لا بد أن يشجعوا مثل هذه المبادرات • بل ان فى مبادرتى هذه لروحا فروسية • اننى أتوجه اليه كتوجهى الى أب • • أضع مصيرى بين يديه ، وأعده بأن لا أعترض على ما يتخذه من قرار ، أنصاع لارادته وأمضى أمامه • • هذه هذه المسألة • • •

– قل لى يا عزيزى • • أنت حوذى ؟

– نعم •

– أنت حر طوال السهرة ؟

– هل المسافة طويلة ؟

– أنا أستأجر العربية للسهرة ، للسهرة كلها • لا تسأل عن المكان الذى أقصد اليه • ليس لهذا من قيمة •

– هل فى نيتك الخروج من المدينة ؟

– نعم يا صديقى • هذا ممكن • لا أدرى أنا نفسى بعد • لا أستطيع أن أقطع بذلك يا عزيزى • ومن الممكن أن يسوى كل شىء على خير وجه يا صديقى الشهم • وهذا أفضل يا صديقى •

– طبعا هذا أفضل يا سيدى • أنا أتمنى ذلك لجميع الناس •

– هو كذلك يا صديقى ، هو كذلك • شكرا يا عزيزى • فما هو

الأجر الذى تطلبه يا صديقى الطيب ؟

– أنت مسافر حالا ؟

– نعم حالا • أقصد • • • سوف نذهب أولا الى مكان ما نتنظر فيه

برهة •• يجب أن تنتظر برهة •• برهة قصيرة يا عزيزى ••  
 - اذا كنت تكترى العربى الليلة كلها، فالأجر ستة روبلات • يستحيل  
 أن أرضى بأقل من هذا فى مثل هذا الجو •

- طيب طيب يا صديقى • اتفقنا • وساعطيك مكافأة أيضا يا عزيزى •  
 طيب • والآن هيا بنا يا صديقى •

- اجلس •• بل انتظر لحظة • سارتب بعض الترتيب • هه •••  
 تفضل بالجلوس الآن ! الى أين تأمر بأن أذهب بك ؟  
 - الى جسر اسماعيلوفسكى يا صديقى •

صعد الحوذى الى مقعده ، ولنز الحصانين اللذين لم يمدن انتزاع  
 كيس العلف منهما الا فى عناء • وانجهدت العربيه صوب جسر  
 اسماعيلوفسكى • ولكن السيد جوليادين لم يلبث أن شد الحبل فجاءه ،  
 واستوقف الحوذى وطلب اليه بصوت ضارع أن يثنى الى وراه وأن يقوده  
 الى عنوان آخر عينه له • دار الحوذى • وبعد دقيقتين كانت العربيه تقف  
 أمام العمارة التى يسكن بها صاحب السعادة • نزل السيد جوليادين  
 وطلب من الحوذى بكثير من الالاحاح ، أن ينتظره • ثم اندفع خافق  
 القلب يصعد السلم • فلما وصل الى الطابق الأول ، شد حبل الجرس ،  
 ففتح الباب ، ووجد بطلنا نفسه فى حجرة المدخل •

- هل صاحب السعادة فى البيت ؟

كذلك سأل السيد جوليادين الخادم • فأجابه الخادم وهو ينظر اليه  
 من قمة رأسه الى أخمص قدميه :

- ماذا تريد منه ؟

- انما جئت يا صديقى من أجل ••• أنا اسمى جوليادين •• أنا

موظف ، نعم ، أنا الكاتب جوليا دكين جئت لأشرح لصاحب السعادة بعض  
الأمور . . .

- انتظر لحظة • صاحب السعادة مشغول •

- ولكنني لا أستطيع الانتظار يا صديقي • المسألة هامة لا تحتفل  
أى تأخير •

- من أرسلك ؟ هل تحمل أوراقا ؟

- لا يا صديقي ، فانما جئت في زيارة شخصية . . . أبلغ صاحب  
السعادة أنتي جئت لشرح بعض الأمور • وسأكافئك يا صديقي . . .

- مستحيل • لقد منعت من ادخال أى انسان • هناك ضيوف •  
ارجع غدا في نحو الساعه العاشرة •

- أبلغ عنى يا صديقي . . انتى لا أستطيع الانتظار ، فان لم تبلغ  
عنى كنت مسئولا •

، هيا أبلغ عنه • ماذا يمنعك من ذلك ؟ أنت خائف على نعليك أن  
يهترئا ؟

كذلك صاح خادم آخر كان غائبا في أحد المقاعد ، ولم ينطق قبل  
ذلك بكلمة واحدة •

- المسألة مسألة نعلين حقا ! أنت تعلم أنتي 'منعت من ادخال أحد •  
لا يستقبل أحد الا في الصباح •

- هيا أبلغ عنه • أنت خائف، أن تبلغ لسانك ؟

- طيب سأبلغ عنه • ولن أبلغ لسنى • ولكننى قلت لك انتى منعت  
من ادخال أى انسان ، منعت من ذلك منعا باتا • تعال • ادخل الى هنا •

دخل السيد جوليا دكين الى الحجرة المجاورة • وكان على المنضدة ساعة يشير عقربها الى الثامنة والنصف • خفق قلب السيد جوليا دكين • حتى لقد همَّ أن يخرج ، ولكن الخادم كان قد وقف على عتبة قاعة الاستقبال ، وصاح يعلن بأعلى صوته :

« السيد جوليا دكين » • قال بطلنا يخاطب نفسه وقد تملكه خوف

شديد :

« ما هذا الصوت ؟ ألم يكن فى وسعه أن يبلغ عنى خفية ؟ لقد كان يمكنه أن يقول : ان هذا الرجل يا صاحب السعادة جاء يشرح بعض الأمور متدللاً متوسلاً • • • فهلا تفضلت باستقباله • • • أما الآن فان الأمور تجرى مجرى سيئا • لقد غرقت قضيتى فى الماء • • • على كل حال ، ليس هذا بشيء • • • » • غير أن أوان التفكير قد فات • فهذا هو الخادم يعود فيقول لبطلنا : « أدخل » ، ثم يدخله الى صالون صاحب السعادة •

شعر بطلنا وهو يدخل أنه أصبح أعمى • فهو لا يرى شيئاً • كل ما هنالك أنه أبصر قامتين أو ثلاثاً أمام عينيه • قال لنفسه : « هؤلاء ضيوف ولا شك • • » • واستطاع أخيراً أن يميز نجمة على رداء المراك الأسود الذى كان يرتديه صاحب السعادة • وبعد رؤية النجمة ، رأى الرداء • وأخيراً عادت الى بطلنا قدرته على الابصار • • •

– ماذا هنالك ؟

كذلك سأل صوت يعرفه السيد جوليا دكين جيداً •

– أنا الكاتب جوليا دكين يا صاحب السعادة •

– وبعد ؟

– جئت لأشرح أمرى ؟

- كيف .. ماذا ؟
- جئت لأراك وأشرح لك أمرى يا صاحب السعادة ♦
- ولكن من أنت ؟
- أنا جوليا دكين يا صاحب السعادة ، كاتب فى الإدارة ♦
- طيب .. وماذا تريد ؟
- المسألة يا صاحب السعادة أننى أعدك أبا ♦ أنا لن أثبت وجودى ،  
أنا سأستحجب ♦ فاحمنى أنت من أعدائى يا صاحب السعادة ♦ هذه هى  
المسألة ♦
- ما هذا الذى تقوله ؟
- أصبح معروفا ♦♦♦
- ما الذى أصبح معروفا ؟
- صمت بطلنا ♦ وأخذت ذقنه ترتجف ♦
- سأله صاحب السعادة :
- وبعد ؟
- كان قصدى أن أقوم بإدارة فروسيه يا صاحب السعادة ♦ أنا أرى  
من الفروسية أن يعد المرء رئيسه أبا له ♦♦♦ فأنا أرجوك أن تحمينى ♦♦  
أتوسل اليك ضارعا ذليلا ♦♦ ان بادرات من هذا النوع لا بد أن تشجع ♦♦  
أن تشجع ♦♦♦
- أشاح صاحب السعادة وجهه عنه ♦ اضطربت عينا بطلنا برهته ♦ اختنق  
صدره ♦ أخذ يلهث ♦ بل أصبح لا يعرف أين هو ♦♦ كان يشعر بالحجل

والعار • لقد صعق وانهار • • والله وحده يعلم ماذا حدث بعد ذلك •  
 فلما تاب بطلنا الى رشده سمع صوت صاحب السعادة يتكلم • كان صاحب  
 السعادة يكلم ضيفين من ضيوفه فى حرارة وحماسة • وسرعان ما عرف  
 السيد جوليا دكين أحد الضيفين : انه آندره فيليوفتش • ولكنه لم يستطع  
 ان يعرف الثانى • ومع ذلك فقد بدا له وجهه مألوفاً معروفاً • انه فارغ  
 القامة ، بدين الجسم • وهو يبدو متقدماً فى السن • وله حاجبان كثيفان •  
 نظرتة فاسية معبرة • وهو يحمل وساما يتدلى من عنقه • كان يدخن  
 سيجارا • السيجار لا يترك فمه • وكان هذا الرجل المجهول يهز رأسه  
 فى وفار وهو يلقى على بطلنا نظرة من حين الى حين • سمر السيد  
 جوليا دكين بارتباك شديد • حول عينيه ، فرعان ما لمح ضيفا آخر عجيباً •  
 ففى فرجه الباب التى كان السيد جوليا دكين قد حسيها مرآة حتى ذلك  
 الحين ، تماما كما حدث له ذلك فى المطعم ، ظهر الرجل المعروف جيداً ،  
 الصديق الحميم للسيد جوليا دكين • كان الدجال قد مكث حتى ذلك الحين  
 فى حجرة صغيرة مجاورة ، يكتب تقريراً على عجل • كانوا فى حاجة اليه  
 ما فى ذلك ريب • • • • • وها هو ذا يجىء الآن • انه يحمل ملفاً تحت ابطه •  
 اقترب من صاحب السعادة ؛ وباتظار اللحظة التى يلفت فيها أنظار  
 المتخاطبين اليه ، انضم الى الجماعة بمهارة كبيرة • وقف وراء آندره  
 فيليوفتش تماماً ، الى جانب الرجل المجهول الذى يدخن السيجار • كان  
 يبدو على السيد جوليا دكين الأصغر أنه يتابع الحديث باهتمام كبير • لقد  
 اتخذ وضعا مناسباً ، فهو يهز رأسه علامة الموافقة والتأييد ، ويحرك قدميه  
 وبنسب ولا يتحول بصره عن صاحب السعادة ؛ وكأتمه يتوسل اليه أن  
 يتبع له ، هو أيضاً ، أن يقول كلمة • فالسيد جوليا دكين بينه وبين  
 نفسه وهو يتقدم خطوة الى أمام دون أن يشعر : « يا للحيان ! » • وفى

هذه اللحظة نفسها ، التفت صاحب السعادة ، واتجه نحو بطلنا \* كان يبدو مترددا بعض التردد \*

« طيب ، طيب ، انصرف الآن ، والله يرعاك \* سأدرس حالتك ، وسأمر بأخذك الى \* \* \* » \* قال الجنرال ذلك وألقى على الرجل المجهول نظرة ذات دلالة \* فرد الرجل على النظرة بحركة من رأسه علامة التأييد . أدرك السيد جوليا دكين رأساً أنهم أخطأوا في معرفة شخصه ، وأنهم يعاملونه معاملة غير لائقة به \* قال لنفسه : « لا بد لي من أن أشرح أمرى بطريقة من الطرق \* يجب أن أقول له : يا صاحب السعادة \* \* \* اليك المسألة ! » \* ولكنه تحير وطاش صوابه فنض بصره ، فما كان أشد دهشته حين لاحظ على كل حذاء من حذاءى صاحب السعادة بقعة بيضاء \* قال لنفسه : « هل يعقل أن يكون حذاء صاحب السعادة ممزقين ؟ » \* ولكنه لم يلبث أن أدرك أن ما حسبه بقعة لم يكن في حقيقة الأمر الا تلاًؤاً \* فان الحذائين الملمعين بالشمع كانا يتلاًؤان تلاًؤاً ساطعاً ، وذلك هو سبب خطأ السيد جوليا دكين \* قال بطلنا لنفسه : « هنا ما يسمى حقا بالبريق \* ان الكلمة مستعملة كثيرا في ورشات التصوير \* أما في غير ورشات التصوير فيستعمل اصطلاح آخر \* \* \* » \*

رفع السيد جوليا دكين عينيه ، فأدرك أن عليه أن يتكلم بأقصى سرعة ، والا فان الأمور ستجرى مجرى سيئا \* \* \* فتقدم خطوة الى أمام \*

– اليك المسألة يا صاحب السعادة ، يجب أن أقول لك \* \* ما من أحد يستطيع في أيامنا هذه أن يصل الى نىء بالاحتيال والاعتصاب !  
لم يجب الجنرال ، واكتفى بأن شد جبل الجرس شدا قويا \*  
فتقدم بطلنا خطوة أخرى الى أمام \*

- انه رجل جبان لا خلاق له يا صاحب السعادة ♦  
كذلك قال السيد جوليا دكين وهو يخنق خوفاً وذعرا ، ولا يدري  
ماذا يصنع ♦ وفي الوقت نفسه أوماً باصبعه الى سميّه الذى كان يدور  
حول الجنرال ♦

- نعم يا صاحب السعادة ، انى أقصد بهذا الكلام شخصاً تعرفه ♦♦  
قامت جلبه عامة شاملة ♦ حرك أندره فيليبوفتش والرجل الذى  
يدخن السيجار رأسيهما ♦ أمسك صاحب السعادة بجبل الجرس يشده  
ثم يشده ، وينادى الخادم بلهجة صارمة ♦

وفي الوقت نفسه تقدم السيد جوليا دكين الأصغر وقال : «يا صاحب  
السعادة ، أتوسل اليك متذللًا أن تسمح لى بأن أتكلم » ♦ كانت لهجته  
قاطعة جازمة ♦ لا شك أن هذا الرجل كان يحس أنه يتصرف تصرفاً هو  
حق من حقوقه ♦

وقال متجهاً بالكلام الى بطلنا ، مستبقاً جواب الجنرال :

- اسمح لى أن أسألك : أأنت تعرف فى حضرة من تتكلم هذا  
الكلام ؟ أأنت تعرف أمام من تقف الآن ، وفى غرفة من توجد الآن ؟  
كان الدجال يبدو منفعلاً انفعلاً شديداً ♦ ان وجهه المحمر يشغل  
استياءً وحنقاً وغيظاً ♦ حتى لقد ظهرت فى أهدابه دموع ♦

صاح الخادم ملء حنجرتة وهو واقف على عتبة الصالون يعلن عن  
وصول ضيفين : «السيد والسيدة باسافريوكوف» ♦ فقال السيد جوليا دكين  
لنفسه : « اسم جميل ♦ هى أسرة نبيلة من الأسر الروسية » ♦ وفى تلك  
اللحظة نفسها شعر بيد تحط على كتفه وتضغط عليها بمودة وصداقة ♦  
وما هى الا لحظة حتى كانت يد أخرى تحط على ظهره ♦ كان المحتمل



الوقوف يتحرك أمامه مشيراً للخدامين إلى الطريق التي كانا يدفعان فيها بطلنا. أدرك السيد جوليا دكين أنه يقاد نحو أبواب الصالون. قال لنفسه: « هذا عين ما حدث عند أولسوفى ايفانوفتش » • كان قد وصل إلى الدهليز • التفت فرأى إلى جانبه خادمين من خدم صاحب السعادة و«مثله» المحقير الذي كان يزقزق قائلاً : « المعطف ، المعطف ، هاتوا معطف صديقى ، معطف خير صديق لى • • • • واتزع المعطف من يدي الخادم ، فرماه من قبيل المزاح ، المزاح الدنيء الجبان ، على رأس بطلنا • وسمع السيد جوليا دكين ، بينما كان يحاول التخلص من المعطف ، سمع فههوات الخادمين تدوى واضحة متميزة • ولكنه أصبح لا يحب أن يسمع شيئاً ، وأصبح لا يولى ما يجرى حوله أى انتباه • خرج من الدهليز ، ووجد نفسه على السلم المضاء • وتبعه « مثله » يصيح وراءه :

– إلى اللقاء يا صاحب السعادة •

– جبان •••

• كذلك جمعهم السيد جوليا دكين •

– فلنسلم بأننى جبان •

– فاجر عاهر •

– فلنسلم بأننى فاجر عاهر •••

بهذا أجاب العدو اللدود الدنيء بطلنا المحترم ، وهو يرشقه من أعلى الدرج بنظرة تفيض غطرسة على عاداته • انه يتفرس فيه دون أن يتحرك ، محمداً إلى عينيه ، كأنه يريد بوضعه هذا أن يتحداه وأن يستفزه • فما كان من بطلنا إلا أن بصق احتقاراً واستياءً ، وأسرع يهبط السلم ، وخرج إلى درجات الباب •

كان قد بلغ من الانهيار والانعدام أنه لم يشعر كيف ركب العربة •  
ولا عرف من الذى ساعده فى ركوبها •

فلما عاد الى رصده ، لاحظ أن العربة تسير على طول نهر فوتاكاء.  
قال لنفسه: « لا شك أن الحوذى يفودنى الآن الى جسر اسماعيلوفسكى» •  
وأراد بطلنا فى هذه اللحظة أن يفكر فى شىء ما ، ولكنه لم يستطع •  
وكان هذا الشىء مع ذلك أمرا رهيبا لا يتصوره عقل • فما كان منه الا  
أن خلى من ذلك كله الى أن قال : « لا ضير •• لا بأس •• » • وترك  
للحوذى أن يقوده نحو جسر اسماعيلوفسكى •

## الفصل الثالث عشر



يبدو أنه سينحسن • فالثلج المبتل الذي كان يهطل  
غزيرا حتى ذلك الحين أصبح نادرا شيئا بعد شيء •  
ثم لم يلبث ان انقطع عن الهطول انقطاعا تاما •  
وأصبح المرء يستطيع أن يرى السماء التي تتلأأ  
فيها بضع نجوم هنا وهناك • كل ذلك كان يرهق السيد جوليا دكين الذي  
لا يكاد يستطيع أن يتنفس • ان معطفه المبتل ينقل على كتفيه ويبدو انه يبلل  
أعضائه برطوبة فاترة ؛ وساقاه المنعبتان تشنجان تحت وطأة ملابسه المبتلة •  
ورعشات حمى تسرى في جسمه كله كأنها بعوض ظامئ كاو • وجسمه  
المنهد يفرز عرقا باردا مرضيا • وقد بلغ بطننا من الكمد أنه نسي أن  
يردد جملته الأثيرة بذلك الحزم العوي المعهود : « ما يزال في الامكان  
أن يسوى كل شيء على خير وجه • • » • ومع ذلك استطاع بطننا أن  
يتغلب على انهياره وأن يحتفظ بشجاعته فعاد يقول مدمما : « حتى الآن  
ليس لهذا كله من قيمة » • ومسح وجهه الذي تسيل عليه قطرات الماء

منهمرة فى كل اتجاه من فبعته المدورة التى بلغت من الابتلال انها أصبحت لا تستطيع ان تحجب المطر • « ليس لهذا كله من قيمة » • كذلك ردد يطلنا القول • وجلس على قطعة ضخمة من الخشب كانت قرب كومة من الحطب فى فناء العمارة التى يسكنها اولسوفى ايفانوفتش • لم يبق مجال الآن لاغنيات غرامية اسبانية يحلم بها بطلنا • فانما هو يبحث الآن عن ركن صغير مريح بعض الشيء ان لم يكن دافئا جدا ، ركن صغير مظلم يعتم به • ولنقل عابرين انه كان يعريه كثيرا أن يكون الآن فى تلك الزاوية الصغيرة من دهليز سلم الخدم ، التى لطا فيها قرابة ساعتين ، فى أولى مغامراته ، بين خزانه الملابس والحواجز العتيقة ، وسط أكوام من الأسمال والثياب الرثة والخرق البالية •

ولنذكر أن السيد جوليا دكين ينتظر ههنا منذ أكثر من ساعتين ، فى فناء المنزل الذى يسكنه أولسوفى ايفانوفتش • ولنذكر أيضا أن الركن الصغير المريح الذى سبق أن لطا فيه يشتمل الآن على عيوب لم يكن يشتمل عليها فى الماضى • أول هذه العيوب أنه قد لوحظ واكتشف حتما ، فلا يد أنه محروس حراسة جيدة منذ الفضيحة التى وقعت ليلة الحفلة الراقصة • والثانى أن التجاء بطلنا الى ذلك الركن يبعده عن المكان الذى يجب عليه أن يبقى فيه انتظارا للإشارة التى ستأتى من كلارا أولسوفيفنا •

كان بطلنا على يقين من أنها ستنبهه بإشارة ما • ذلك محقق لا ريب فيه : « ثم اتنا لسنا من آثار هذه القضية كلها ، ولسنا من يجب عليه أن يختمها • » • قال السيد جوليا دكين ذلك لنفسه ثم تذكر جزءا من رواية كان قد قرأها منذ زمن طويل ، وفى ذلك الجزء كان الاتفاق بين بطلة الرواية وحبيبها « ألفرد » ، فى ظروف مماثلة لهذه الظروف مماثلة تامة ، أن تنبهه بإشارة هى شريط وردى اللون تعلقه على النافذة • أما اليوم ،

فى الليل ، مع هذا الطلام وهذه الرطوبة فى جو سان بطرسبرج ، فليس سريط وردى اللون بسارة مناسبة ، بدلت ليس على بطلنا ان يتوقع انه يرى سريطا وردى اللون تعلقه حبيته على النافذة بمثابة اشارة • قال بطلنا لنفسه : « الافضل ان الطوفى ركن من الفناء مظلم محتف ••• •• » واعنصم فعلا فى ركن من الفناء يقع امام النوافذ قرب كومة من الحطب • لا شك أن حركة الذهب والاياب لا تقطع فى هذا الفناء : فثمة حوذيون وخدم يتجولون وسط صرير العجلات وصهيل الخيون ••• ولكن المكان مريح مع ذلك • كان السيد جوليا دكين قابعا فى الظل ، وليس يهمله كثيرا أن يلاحظه أو أن لا يلاحظه حوذيون • كان يستطيع أن يرى كل شىء فى المنزل ، دون أن يراه من أهل المنزل أحد • النوافذ تسطح بالانوار • لا شك أن فى منزل أولسوفى ايفانوفتش سهرة كبرى • ومع ذلك لا تسمع موسيقى • « ما هى حفلة راقصة ، بل اجتماع من نوع اخر » ؟ كذلك قال بطلنا لنفسه فلما • ثم تساءل : ولكن هل الموعد المضروب هو هذه الليلة ؟ أليس ثمة خطأ فى يوم الموعد ؟ ذلك جائز • كل شىء جائز ••• وأغلب الظن أن ما حدث هو النالى : كتبت الرسالة وأرسلت أمس ، ولكننى لم أستلمها الا اليوم ، بسبب اهمال بتروشكا • هذا الوعد الدنىء ••• أو لعل الرسالة كتبت غدا ••• أفصد أن الموعد حدد للنند •• فكان على أن أجيء أنتظرها مع العربية غدا •• •

تجمد الدم فى عروق السيد جوليا دكين حين تصور هذا الاحتمال • ومن أجل أن يتحقق من صدق الافتراض دس يده فى جيبه • فما كان أشد دهشته حين لم يجد فيها الرسالة ! ••• تتمم بطلنا يقول وقد كاد يند : « ماذا جرى ؟ أين عسانى وضعتها ؟ أترانى أضعتها ؟ » ثم أضاف متهدا : « آه •• هذا ما كان ناقصا ! •• وما عسى يحدث لو وقعت فى أيدى أعدائى ؟ لعلها وقعت فى أيديهم وانتهى الأمر ! آه ••• يارب ! •• »

ما الذى سيقع ؟ لسوف يكون هذا فضيحة فظيعة ! آه .. يا للشقاء ...  
 يا للشقاء الرهيب ! ... « .. وسرعان ما خطر بباله « مثله » ، فأخذ  
 يرتعش كورفة فى مهب الريح . لعل عدوه الدنيء ، حين رمى معطفه  
 على رأسه ، قد انتهز فرصة اضطرابه ليسرق الرسالة التى تسرب اليه  
 نبأها بواسطة أعداء السيد جوليا دكين .. فال بطلنا لنفسه : « لا سيما وأنه  
 آلف أن يستولى على الأدلة ... ولكن فيما الأدلة ؟ ... » . وبعد أن  
 اتابته بوبة أولى من الذهول والرعب ازدحم الدم قويا غيفا فى رأس  
 بطلنا . فأطلق صرخة من بين أسنانه ، وأمسك رأسه المحترق بيديه ،  
 وتهاوى على قطعه الحشب الضخمه . وغرق فى التأمل .. دون أن يصل  
 الى تركيز أفكاره . ان وجوها كثيرة تتخاطر الآن أمام عينيه ، غامضة تارة  
 واضحة تارة أخرى ... وأخذت تتخاطر أمام بصره كذلك أحداث كان  
 قد نسيها منذ زمان طويل ، وأخذت تتوافد على ذاكرته ألحان بعض الأغاني  
 التافهة .. كان فى ذروة الخوف والقلق ، كان فى حالة من الخوف  
 والقلق لا سبيل الى وصفها . « آه ... يارب ، يارب ! » كذلك أخذ  
 بطلنا يردد ، عائدا الى رشده ، خانقا نشيجا قويا فى حلقه : « يا رب ..  
 يارب ، هب شيئا من القوة والعزيمة لروحي الغارقة فى هوة من الشقاء  
 ليس لها قرار ! لقد ضعت ، لقد تلاشيت ، ما فى ذلك ريب . هذا من  
 طبيعة الأمور . لا يمكن أن يكون الأمر على غير هذا النحو . لقد فقدت  
 وظيفتى .. فقدتها حتما .. ما كان يمكن الا أن أفقدها . طيب ...  
 فلنفرض الآن أن الأمور يمكن أن تسوى بطريقة من الطرق .. لنفرض  
 أن ما أدخره من مال يكفينى للايام الأولى .. سيكون على أن أستأجر  
 مسكنا آخر ... ولن أستطيع الاحتفاظ بيتروشكا ... طيب .. فى  
 .وسعى أن أستغنى عن هذا الوغد .. سأستأجر غرفة لدى بعض الناس ..  
 ذلك أمر يمكن تدبيره .. وسأستطيع أن أخرج وأن أعود متى شئت .

لن يكون هناك بتروشكا الذى يصغر لى وجهه اذا رجعت فى ساعه متأخرة..  
 هذا ميزة من ميزات السكنى عند آخرين • ذلك شىء معروف • طيب •  
 فلنقل اذن أن الأمور حسنة هكذا • ولكننى ما زلت أتكلم فى شىء آخر،  
 فى شىء آخر تماما ••• « • فى هذه اللحظة برقت فى ذهنه صورة وضعه  
 الراهن • فنظر حوالياه ، فأخذ يئن قائلا : « آه ••• يا رب ، يا رب !  
 آه ••• يا رباه ! ولكن فىم كنت أفكر منذ هنيهة ؟ » • كذلك سأل بطلنا  
 نفسه مرهقا متحيرا ، وهو يضغط بيديه رأسه المحموم •

خاطبه صوت من فوقه يقول :

— هل فى نيتك أن تمضى قريبا ؟

فارتعش السيد جولياكين ، ورفع عينيه ، فرأى أمامه الحوذى •  
 كان الحوذى مبلا هو أيضا حتى العظام ، مرتعد الفرائص • لقد دفعه  
 نفاذ الصبر وفراغ الوقت الى أن يلقي نظرة على السيد جولياكين القابع  
 وراء كومة الحطب •

— لا أعرف لا صديقى •• أنوى أن أمضى بعد قليل ، نعم ، بعد  
 قليل ، يا صديقى •• ولكن عليك بشىء من الصبر ••

انسحب الحوذى وهو يدمدم بكلام بين أسنانه • فسأل بطلنا نفسه  
 دماغ العينين : « ما له يتململ ؟ لقد استأجرت عربة للسهرة بطولها •••  
 ويخيل الى أننى لا أتعدى حفوفى ••• أليس كذلك ؟ لقد استأجرتة  
 للسهرة كلها وكفى ! ••• والأجر واحد. سواء أبقى هنا أم مضى بى الى  
 مكان آخر •• ذلك رهن بارادتى • أنا حر •• اذا شئت مضيت واذا شئت  
 لبنت هنا وراء كومة الحطب •• وهذا لا يعنىك •• ليس من حقت أن  
 تحتج •• مولاك يريد أن يبقى هنا وراء كومة الحطب ••• فليبق ما شاء  
 له هواه أن يبقى ••• انه لا يجوز على حقوق أحد • نعم •• نعم ••

تماما ••• يجب ان يكون هذا ماثلا في ذهنك يا آنسة ••• اما الكوخ فاعلمى يا آنسة انه ما من احد يسكن اكواخا في هذا الزمان • اعلمى هذا • واعلمى أيضا ان التخلي عن الاخلاق لا حظ له من النجاح في عصر النور الذى تعيش فيه • وأنت فيه مثال على ذلك ••• انت على ذلك مثال محزن • لقد قدرت الأنسة أنتى ساعمل في أحد المكاتب ، وأتانا سنعيش على شاطئ البحر •• فاعلمى اذن يا آنسة أنه ما من مكاتب على شاطئ البحر •• أما أن تجبلى منى رئيسا فذلك أمر يجب أن لا تفكر فيه • طيب •• لتصور مثلا أنتى تقدمت بطلب ومضت أقول :

« اليك هذا الطلب يا سيدى ، فميتى رئيس مكتب •• واحمنى من أعدائى » • طيب يا آنسة لسوف يكون الجواب هو التالى : « عندنا عدد كاف من رؤساء المكاتب هكذا •• ، وأما أنت يا آنسة فلست الآن عند مدام فالبالا الذى كانت تلتقنك دروسا في الأخلاق أنت الآن خير مثال حتى محزن عليها •• الأخلاق تقضى يا آنسة أن تبقى في المنزل يا آنسة ، وأن تشرفى أباك وأن لاتسرعى في تشدان الزواج • سيبحث لك عن خطيب متى أن الأوان • يجب أن نعرفى هذا • طعا يجب على الفتاة أن تنمى بعض المواهب • من المستحسن أن تتعلم الفتاة العزف على البيانو ، وأن تتكلم الفرنسية ، وأن تعرف التاريخ والجغرافيا بعض المعرفة ، وأن تعرف تاريخ الكنيسة وأن تتعلم الحساب - هذا أمر لا جدال فيه ••• ولكن لا ينبغي للفتاة اكثر من ذلك •• ها •• هناك أيضا مسألة المطبخ • ان فن المطبخ يجب أن يكون جزءا من تربية كل فتاة لاتفق • والآن فلنعد الى مشروعاتنا • أولا لن يدعوا لك أن تسافرى يا آنستى انجمله • واذا هربت فسيلاحقونك • وبعد ذلك يحجرون عليك ، ويضعونك في دير من الأديرة • فماذا عساك تأمريننى عندئذ ؟ هل يجب على فى هذه الحالة ، على غرار بعض أبطال الروايات السخيفة ، أن أتى كل يوم أتأمل من



فعل - أعلى أحد التلال المجاورة جدران سجنك المتجمدة؟ وهل يجب على آزاء هذا المنظر ان انفجر باكيا ، كما تفعل شخصية من شخصيات احد أولئك الشعراء والروائيين الألمان السخفاء؟ أهذا ما تريدني يا آمنة؟ فاسمحي أن الفت نظرك يا آمنة ، على مودة وصدقه ، أولا الى آن القصص التي من هذا النوع لم يبق لها رواج عندنا ؛ وثانيا الى أنك أنت وأبويك تستحقون بضع ضربات جزاء هذه الرويات الفرنسية التي قرأتموها والتي أعطيت لك من أجل أن تقرئها .. اعلمى أن هذه الرويات الفرنسية لا تعلم شيئا خيرا .. فليس فيها الا سم .. ليس فيها الا سم زعاف يا آمنة . لعلك تصورين أن في وسعنا ان نهرب فلا ينالنا عقاب ، وأن نمضى نعتصم في كوخ على شاطئ البحر .. حتى اذا صرنا هنالك أخذنا نهدل هديل الحمام ، وتتساقى عواطف الحب ، وقضينا حياتنا سعيدين يغمرنا الفرح وتشيع في قلوبنا البهجة .. وربما تصورت الى ذلك أن يولد لنا فرخ صغير ، عصقور جميل .. فنمضى نقول لأبيك ، مستشار الدولة أولسوفى ايفانوفتش : « هذا عصقورنا الجميل ، فاس غضبك علينا وباركنا يا ابتاه ! » .. لا يا آمنة .. أعود فأقول لك : لا يا آمنة ما هكذا يكون التصرف السليم ! .. أما أحاديث الهوى والغرام فلا تعولى عليها يا آمنة . الزوج فى أيامنا هده سيد يا آمنة . وعلى الزوجة الشريفة التي أحسن تأديبها أن تحاول جعل حياته ناعمة رضية بجميع ما تملك من وسائل . فى عصر التقدم الذى نعيشه الآن لا يحرص أحد على مظاهر العاطفة الرقيقة والحنان الشديد يا آمنة . لقد ولى عصر جان جاك روسو . عصرنا غير ذلك العصر . الرجل فى عصرنا يعود من عمله فاذا كان جائعا قال لزوجته : « يا عزيزتى أحب أن أكل لقمة أسكت بها جوعى ، أحب أن أكل قطعة من السمك المدخن مثلا ، مع قدح من الفودكا . » . فليلك اذن يا آمنة أن تكونى متأهبة فى كل لحظة لتقديم

شئ من السمك المدخن ومن الفودكا لزوجك متى طلب اليك ذلك •  
وهذا زوجك يقبل على طعامه يأكله حتى دون أن يرمقك بنظرة يا آنسة  
واتما هو يكتفى بأن يقول لك : « هيا اذهبي الى المطبخ ، فحضري طعام  
الحشاء يا عزيزتي • • » • سبقك مرة في الأسبوع ، ولن يكون في قلبه  
كثير من الهوى المتأجج يا عزيزتي • ذلك ما يحدث اليوم يا آنسة • نعم ،  
أعود فأقول لك : هي قبلة قصيرة ليس فيها هوى متأجج • هذا ما سيحدث  
لك ، اذا نحن أردنا أن نحسن التفكير ، اذا نحن أردنا أن نرى الأشياء  
كما هي • وما شأنى أنا في هذا كله ؟ لماذا تجعلينى شريكا لك في نزواتك  
الخيالية يا آنسة ؟ أنت تدعين طبعاً أنى « رجل كريم مخلص عزيز على  
قلبك • • • » • ولكن اعلمى أولاً يا آنسة أنى لم أخلق لك • فما أنا  
بالرجل الحاذق فى فن الملاطفة والمجاملة ، وأنت تعرفين ذلك حق المعرفة  
• • انى أكره السفاسف المعطرة الصغيرة التى يزوجها الرجال للسيدات  
• • انى لا أصلح لأن أمثل دور العاشق الموله •

« ثم ان شكلى نفسه لا يصلح لذلك • فلن تجدى فى لا حبا فى  
الظهور ولا طموحا ولا نفاقا يا آنسة • • اتنا نعترف لك بذلك صادقين  
كل الصدق مخلصين كل الاخلاص ! ، نعم ، هكذا نحن ! ان لنا طبعاً  
مستقيماً وفكراً سليماً • والمكائد لا تعيننا البتة • لست بالرجل الماكر ،  
وأتنا بهذا فخور • تلك هى الحقيقة • انى لا أضع على وجهى فناحاً حين  
أكون بين أناس شرفاء • والحلاصة هى أن • • •

ارتعش السيد جوليا دكين فجأة • ان لحية الحوذى ، الحمراء المبللة ،  
تقد ظهرت له مرة أخرى من فوق كومة الحطب •

قال السيد جوليا دكين للحوذى مثاثاً :

— سأتى حالا يا صديقى ، نعم يا صديقى ، أنا آت حالا •

حك الحوذى فقرته ، وطاف بيده على لحيته ، وتقدم خطوة الى  
أمام ، ثم وقف ونظر الى السيد جوليا دكين نظرة تفيض شكا وحذرا ! •

أنا آت يا صديقى • أنا آت • على أن أنتظر قليلا أيضا • لحظة  
واحدة يا عزيزى الشهم •• هل فهمت يا صديقى ؟

قال الحوذى أخيرا وهو يقترب من بطلنا حازما :

- أليس فى نيتك أن تغادر هذا المكان ؟

- بل أنا آت يا صديقى أنا آت • اننى أنتظر قليلا يا صديقى ••

أرأيت ؟

- رأيت •

- أرأيت يا صديقى ؟ يجب على •• بالمناسبة : من أية قرية أنت  
يا عزيزى ؟

- لقد ولدت فى منزل أسياى ؟

- هل هم أسياى طيبون ؟

- والله ••

- طيب يا صديقى • ابق هنا برهة يا عزيزى • أنت فى سان

ببترسبرج منذ زمن طويل ؟

- منذ سنة •

- أنت مسرور بها راض عنها ؟

- والله ••

– طيب يا صديقى ، طيب • يجب علينا أن نحمد الله على ذلك  
يا عزيزى • اليك هذه النصيحة يا صديقى : ابحث دائما عن الناس  
الطيبين • لقد أصبحوا قلة فى هذا الزمان يا عزيزى • الرجل الشهم  
الشريف يوفر لك شرابك وطعامك ، ويعتنى بك ، ويفسلك • رأيت  
يا صديقى ؟ رب دموع تظهر أحيانا وسط الذهب • رب انسان يبكى رغم  
ثرائه • وأمالك الآن منال محزن على هذه الحقيقة • رأيت كيف تجرى  
الأمر يا عزيزى ؟

بدا على الحوذى أنه يشعر نحو السيد جوليا دكين بشفقة • قال :

– طيب • سأنتظر • أنت باق هنا مدة طويلة ؟

– لا يا صديقى ، لا ••• هل تعرف ؟ لقد بدأ صبرى ينفذ منذ الآن  
يا عزيزى • لم يبق فى نيتى أن أنتظر طويلا ••• ما رأيك يا صديقى ؟  
اننى أثق بسلامة رأيك وصدق حكمك • أحسب أنه لا فائدة من الانتظار  
هنا •••

– اذن فأنت عدلت عن السفر •

– نعم يا صديقى نعم • ولكننى سأعطيك مكافأة حسنة مع ذلك •  
هذا وعد • كم على لك يا صديقى الشهم ؟

– ما وعدتى به يا سيدى • لقد انتظرت مدة طويلة يا سيدى •  
لا أظن أنك ترضى لى غبنا يا سيدى •

– خذ هذا لك يا عزيزى • خذ •••

أعطى السيد جوليا دكين الحوذى الروبلات الستة الموعودة • لقد  
قرر قرارا حازما أن لا يضيع وقته سدى • انه يريد الانصراف مهما  
كلف الأمر • ثم ان الجسور مقطوعة الآن • لقد صرف الحوذى • ولم

يبقى ثمة أى سبب يدعو الى الانتظار • خرج من الفناء ، وتجاوز باب الدخول ، ودار نحو اليسار • ثم أخذ يركض مشرق الوجه لاهث . الأنفاس لا يلوى على شيء ، ولا يلتفت الى وراء • قال لنفسه : « ما يزال فى الامكان أن يسوى كل شيء على خير وجه • أما أنا فقد تفاديت بهذه الطريقة مصيبة كبرى • • • »

والحق أن السيد جوليا دكين قد شعر فجأة بهدوء وطمأنينة ، وشعر بالارتياح وتخفف • وتنهده يقول : « آه • • شريطة أن يسوى كل شيء على خير وجه ، دون أن يجروء مع ذلك على الاعتقاد بأن كل شيء سيسوى على خير وجه • وأردف يخاطب نفسه : هذا ما سأفعله • • • لا يل الأفضل أن • • • أو يمكن مع ذلك أن • • • بل هذا ما يجب أن أفعله • • • »

وفيما هو يستطرد هذا الاستطرد محاولاً أن يخرج من حالة الشك ، والتردد التى هو فيها ، وصل بطلنا الى جسر سيمونوفسكى • فلما صار هنالك اتخذ هذا القرار الحكيم العاقل ، وهو أن يعود أدراجه • قال لنفسه : « هذا أفضل • • من مصلحتى أن أتخذ هذا الموقف ، موقف المشاهد المحايد • • المشاهد لا أكثر • • سأكون مجرد مشاهد ، مشاهد عن قرب عن هذه القضية كلها • ومهما يحدث ، فسأظل خارج القصة ، لا أسأل عن شيء • • ذلك ما يجب على أن أفعله بعد الآن • • • »

حتى اذا اتخذ بطلنا هذا القرار فليل راجما • ان هذه الفكرة الموافقة ، وهى أن يتخذ فى المستقبل موقف المشاهد ، قد عززت ثقته وطمأنينته • فأخذ يردد قوله : « هذا أفضل • • • هذا أفضل • • • لن أكون مشغولاً عن شيء ، وفى الوقت نفسه أشهد كل شيء • • • نعم • • • هذا خير حل ولا جدال • • • »

عاد السيد جوليا دكين يقبع وراء كومة الحطب. وقد اطمأن كل الاطمئنان .. انه ملجأ مريح يعصم من كل سوء . وركز انتباهه على النوافذ . ولم يطل نظره وانتظاره هذه المرة . فما هي الا برهة قصيرة ، اذ باضطراب غريب يظهر وراء جميع النوافذ بمسكن أولسوفى ايفانوفس . هذه وجوه تظهر ، وهذه هي الستائر تزاح . وها هم الضيوف يهرعون جماعات يحتشدون على زجاج النوافذ . كان يبدو عليهم جميعا أنهم يبحون عن شيء فى الفناء . ظل السيد جوليا دكين معتصما وراء كومة الحطب يراقب بانتباه واستطلاع ، حركات هؤلاء الناس . وهو يمد رأسه تارة الى يمين وتارة الى شمال ، بمقدار ما كان الظل الذى ترخيه عليه كومة الحطب يسمح له بذلك . وفجأة تجمد الدم فى عروقه ؛ وارتعش ارتعاشا شديدا ، وكاد يسقط مغشيا عليه من فرط الذعر . لقد أحس فجأة أنهم لا يبحون عن أى شيء ، بل يبحون عنه هو ، هو السيد جوليا دكين . كانت جميع الأنظار مصوبة نحوه ... وكان يستحيل عليه أن يهرب . ولو هرب لاستطاعوا أن يقبضوا عليه . . . . . تجمد من فرط الرعب ، وتجمع على نفسه ، وسند جسمه الى الأحطاب وأدرك فى تلك اللحظة نفسها أن الظل الحائن قد أخذ يفضحه ، فهو لا يستر كل جسمه . ما أشد ما كان يفرحه فى تلك اللحظة أن ينقلب الى قارة حتى يستطيع التسلل بين الأحطاب ، فيختفى فيها هادئا مطمئنا . آه . . . ليت هذا كان ممكنا ! ولكنه مستحيل وا أسفاه ! وقرر بطلنا أخيرا ، وقد تملكه أشد الرعب ، أن يرفع عينيه وأن ينظر الى النوافذ . قال لنفسه : هذا أفضل . . . ولكن ما هى الا لحظة واحدة حتى كان متلاشيا تلاشيا كاملا . انه الآن يحترق شعورا بالعار . لقد أدرك أنهم اكتشفوه . نعم لقد عرفوه . عرفوه جميعا ، فهم جميعا يلوحون له بأيديهم ؛ هم جميعا

ينادونه • وسمع صرير النوافذ وهي تفتح • وسمع أصواتا تهتف له  
بكلام •••

دمدم بطلنا يقول وقد بلغ ذروة اليأس : « يدهشني أنهم لم يجلدوا  
هاته البنات بالسوط منذ الطفولة ! •• » • وفجأة ظهر « الرجل »  
( والقارئ يعلم من « هو » ) على درجات المدخل • كان بنير قبعة ، وبغير  
معطف • وكان يبدو أنه يلهث • هبط الدرجات وأسرع نحو السيد  
جوليادكين ، نشيط الحركة متوائب الخطى ، مظهرًا أشد الفرح بلقاء  
صديقه الحميم •

قال الرجل التافه مزقزقا :

– ياكوف بتروفتش ! أنت هنا ؟ أخشى أن يصيبك برد يا ياكوف  
بتروفتش • الجو هنا صقيع • تعال ادخل الى البيت •

فأجاب بطلنا بصوت مدعن :

– لا ••• ما هذا شيء يا ياكوف بتروفتش ، ما هذا شيء !  
– ولكن •• مستحيل •• يا ياكوف بتروفتش • انهم ينادونك ، انهم  
يدعونك اليهم باحترام ، انهم ينتظرون حضورك بشوق • لقد قالوا لي :  
« من فضلك اتنا بياكوف بتروفتش • » •

غمغم السيد جوليادكين يقول ، محترقا متجمدا في آن واحد ،  
محترقا من الشعور بالعار ، ومتجمدا من الشعور بالذعر :

– لا يا ياكوف بتروفتش •

قال الرجل الكريه بصوت يزقزق :

– نيني نيني ! •• مستحيل ••

ثم أضاف بصوت آمر وهو يجبر بطلنا نحو باب المدخل :

– ها •• تعال ••

أراد السيد جوليا دكين أن يقاوم ، ولكن بدا له أن من غير اللائق أن تنشب بينه وبين الرجل مشاجرة على مرأى من جميع الضيوف . فتقدم . لا نستطيع أن نقول انه كان يمشى ، لأنه كان هو نفسه لا يعلم ماذا يصنع وما الذى يجرى . ثم ان هذا كله لا قيمة له .

وقبل أن ينوب الى رشده وأن يسترد شعوره وجد نفسه فى وسط قاعة الاستقبال الكبرى . كان شاحب الوجه ، مشعث النياب ، منفوس الشعر ، زائغ البصر . ألقى على الحضور نظرة شاملة . يا للمهول ! كانت القاعة والغرف المجاورة مكتظة بالناس . رجالا ونساء . وها هم أولا . جميعا يخفون اليه ويتقدمون نحوه ويحتشدون حوله ، فاذا بهذا البحر المائج الهائج من البشر يدفع بطلنا الى ركن من القاعة . وأدرك هو ذلك . وبرقت فى ذهنه فكرة : « انهم لا يدفعوننى نحو الباب . . . » . والحق أنهم لم يكونوا يدفعونه نحو الباب ، بل نحو المقعد المريح الذى كان يجلس عليه أولسوفى ايفانوفتش هادئا . وقرب المقعد رأى بطلنا كلارا أولسوفينا .

كانت شاحبة الوجه تبدو حزينة متعبة رغم تألق زيتتها . واتتبه بطلنا ، خاصة ، الى الأزهار الصغيرة البيضاء التى كانت مغروسة فى شعرها الاسود . . انه لمنظر جميل . والى الجانب الآخر من المقعد رأى بطلنا فلاديمير سيميونوفتش مرتديا رداء فراك أسود على عروته وسامه الجديد . اقتيد السيد جوليا دكين الى أمام أولسوفى ايفانوفتش . كان : يمسكه من إحدى يديه سببه الذى اصطنع لهذه المناسبة هيئة الوقار والرصانة ، وهذا أمر سر له بطلنا كثيرا ؛ ويمسكه من البد الأخرى آندره فلبليوفتش الذى كان وجهه يعبر عن الأبهة والفيخامة .

تساءل بطلنا : ما معنى هذا كله ؟ ، ولكنه حين أدرك أنهم يقودونه



الى امام أولسوفى ايفانوفتش أشرفت فى ذهنه فكرة • لقد خطرت بباله  
الرساله المسروقه ••• وهاهو ذا الان امام مقعد أولسوفى ايفانوفتش •

تساءل بطلنا وقد تملكه غم لا سبيل الى التغلب عليه : « ماذا يجب  
على ان افعل ؟ ينبغى ان اتخذ موقفا فيه كبرياء ، موقفا صريحا فيه نبل  
وفيه رفعه • ومع ذلك على ان آقول : هذه هى القضية أيها السادة ••• »

غير ان الامر الذى كان يخشاه كثيرا لم يحدث فى الواقع • فقد  
استقبله اولسوفى ايفانوفتش استقبالا لطيفا • ولئن لم يمد له يده مصافحا  
فقد نظر اليه طويلا وهو يهز رأسه الاسيب المهيب • هز رأسه بوفار  
وجلال ، ولكن هيئته لم تكن تخلو من لطف وتودد • ذلك كان شعور  
بطلنا على الأقل • حتى لقد تراءى لبطلنا التماع دمعة فى عين الشيخ  
المضطربة • وحين رفع السيد جوليا دكين عينيه تراءت له كذلك دموع على  
أهداب كلارا أولسوفينا • وظهر له فلاديمير سيميونوفتش متأثرا أشد  
التأثر أيضا • وحتى آندره فيليوفتش الذى ظل وقورا رصيناً لا تبدو عليه  
ملامح الاضطراب ، كان وضعه يدل على شيء من شفقة يشعر بها نحو  
بطلنا • أما الفتى الذى ألعنا اليه حين تحدثنا عن الحفلة الراقصة ، وقلنا  
عنه انه يشبه كل الشبه مستشارا من مستشارى الدولة ، فقد انتهز فرصة  
هذا الانفعال العام الشامل فانفجر باكيا فى نشيج مسموع ••• على أن هذا  
كله ربما كان وهما من أوهام الحواس لدى بطلنا • لقد كان هو نفسه  
يبكى ويحس بدموعه تجرى سخية على خديه الباردتين كالصقيع •  
وبصوت يقطعه النشيج أراد أن يخاطب حاميه القديم وأن يفتح له قلبه •  
هو يشعر الآن بأنه تصالح مع الانسانية بأسرها ومع قدره ذاته •  
انه يحس بالحب يملأ جوانحه ، لا بالحب للشيخ الوقور فحسب ، بل  
لجميع ضيوفه أيضا ، وحتى لسميته الشرير الذى أصبح لا يرى الآن أنه

سميته ولا أنه نرير ، بل انسان عادى محبب لطيف • أراد السيد جوليا دكين أن يكلم أولسوفى ايفانوفتش ، ولكن ازدحام نفسه بالمشاعر حال بينه وبين ذلك • فلم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة ، واكتفى بأن يوضع يده على قلبه بحركة عريضة ذات دلالة ••• ومن أجل أن يوفى آندره فيليبوفتش الشيخ الحساس من الانفعالات العنيفة قاد بطلنا الى ركن من القاعة وتركه فيه ، لكنه ترك له حريه مطلقه • وهذا بطلنا يشق لنفسه طريقا بين الجمهور الكنيف وهو يتسم ويدمدم بكلام بين أسنانه • إن الأحداث قد حيرته ، ولكنه يشعر بأنه تصالح مع البشر والقدر تصالحا كاملا • وها هو ذا يتقدم • وها هم الناس يصطفون فى طريقه صفيين ، وهم ينظرون اليه نظرة استطلاع غريب وسفقة عجيبة •

وصل بطلنا الى غرفة مجاورة • فاستقبل فيها بمثل هذا الترحيب • وكان يشعر شعورا غامضا بأن جمهرة كبيرة تسير وراءه صفا • كان يحس أن الناس تراقب كل حركة من حركاته وكل اشارة من اشاراته • وكان يسمعهم يتجادلون خفية فى أمرٍ هو على جانب عظيم من خطورة الشأن • كان يراهم يتكلمون ويحركون رءوسهم ويتهامسون ويعارض بعضهم بعضا ويشتمون بعضهم مع بعض اشتجارا حادا ••• تمنى لو يعرف قيم يتناقشون ولماذا يتهامسون ويتشاجرون • والتفت فرأى سميته الى جانبه • فشعر فجأة برغبة جارفة فى أن يمسك يد هذا الرجل وأن ينتحى به جانبا • وكذلك فعل • رجاه أن ساعده فى جميع الظروف المقبلة ، وأن لا يتركه أبدا فى لحظة حرجة هذا الحرج • فهز السيد جوليا دكين الأصغر رأسه بوقار وصافح بد بطلنا ، فشعر بطلنا بقلبه يخفق خفقانا شديدا ويكاد يختق من فرط الانفعال • كان بطلنا يلهث ويحس أنه مسحوق من كل جهة ، ولا يطبق احتمال جميع هذه النظريات التى تخنرقه وتلتهمه وتلاشبه •• ولاحظ السيد جوليا دكين ، عرضا ، المستشار الذى

يضع على رأسه شعرا مستعارا، فحججه المستشار! بنظرة قاسية فاحصة لاتفق  
 به عطف سائر الآخرين •• أراد السيد جوليا دكين أن يذهب إليه ، أن  
 يتشم له ، أن يكشفه بكلمة • ولكنه لم يسنطع • ونسى الواقع خلال لحظة ،  
 وفقد الذاكرة والشعور •• فلما تاب الى رشده لاحظ أنه كان يطوف في  
 وسط حلقة عريضة من الضيوف • وفجأة نادى أحدهم من الغرفة المجاورة  
 صائحا : السيد جوليا دكين • كانت صيحة مباغتة تجاوزت الجموع •  
 فتحرك جميع الناس في صخب واضطراب ، وأسرعوا نحو أبواب  
 الصالون الأول ، وكادوا يحملون إليه السيد جوليا دكين حملا • كان  
 المستشار الذي يضع على رأسه شعرا مستعارا والذي يملك قلبا بغير رحمة ،  
 كان قرب السيد جوليا دكين • وتناول المستشار يد السيد جوليا دكين  
 : وأجلسه الى جانبه ، أمام مقعد أولسوفى ايفانوفتش ، ولكن على مسافة  
 منه من قبيل الاحترام • وأحاط الضيوف بالسيد جوليا دكين وأولسوفى  
 ايفانوفتش صفوفًا عدة ، وجلسوا حولهما صمتا وهدأوا • كان السكون  
 مطبقا • انهم ينظرون الى أولسوفى ايفانوفتش وكأنهم يتوقعون حدثا هاما .  
 ولاحظ السيد جوليا دكين أن السيد جوليا دكين الآخر وأندره فيليبوفتش  
 قد جلسا الى جانبي مقعد أولسوفى ايفانوفتش ، أمام المستشار ••• وطال  
 الصمت • انه الانتظار •

قال بطلنا لنفسه : « هكذا في الأُسْر حين يكون على أحد الأقراب  
 أن يسافر في رحلة بعيدة • لم يبق الآن الا أن ينهضوا ويصلوا •• » •  
 غير أن خواطره سرعان ما قطعها تحرك الضيوف • فها هم أولاء يرددون  
 جميعا : « لقد وصل ••• لقد وصل ••• » • ولكن لم يبد على أحد أنه  
 دهش •

تساءل السيد جوليا دكين وقد هزه احساس غريب ، ارتعش له :  
 « من ذا الذي وصل ؟ » •

قال المستشار الذى يضع على رأسه شعرا مستعارا وهو ينظر الى آندره فيليوفتشس باتباه : « حان الوقت » • فما كان من آندره فيليوفتشس الا أن رفع عينيه نحو أولسوفى ايفانوفتشس ، فهز الشيخ الوقور رأسه برصانة علامة الموافقة • قال المستشار وهو ينهض السيد جوليا دكين :

– قوموا •

فقام جميع الناس • وتناول المستشار يد السيد جوليا دكين الأكبر • وكذلك فعل آندره فيليوفتشس بالسيد جوليا دكين الأصغر • وسار الموظفان بالتوأمين متقابلين وجها لوجه ، سيرا هادئا وقورا ، وسط الجمهور المنتبه القلق • وطاف بطلنا ببصره المدهوش على ما حوله ، ولكن سرعان ما نُبِّه الى ضرورة المحافظة على النظام ، اذ نُبِّه الى سميته الذى كان يد له يده •

« انهم يريدون المصالحة بيننا » ، كذلك قال بطلنا لنفسه ومد يده هو أيضا فى رقة وحنان ؛ ثم مد رأسه بعد يده • • وكذلك فعل سميته • خيل الى بطلنا أن صديقه الغدار كان يتسهم له ، ويغمز المشاهدين الذين كانوا يحيطون بهما غمراً وقحاً • نعم ، تراعى لبطلنا فى وجه الدجال الدنىء ، تعبير سىء لا يبشر بخير ، فلقد صعر الحائن خده فى اللحظة التى كان يهم فيها أن يقبل صاحبه قبلة يهوذا •

وسمع السيد جوليا دكين قرع أجراس يدوى فى رأسه • وزاغت نظراته واضطربت عيناه • وخيل اليه أنه يرى جمهرة ضخمة من أشخاص هم جميعا جوليا دكين تظهر فجأة فى القاعة متشابهة كل التشابه متمائلة كل التماثل ، تدفق من جميع الأبواب فى لحظة واحدة • • ولكن كان الأوان قد فات • • فان القبلة المدوية الحائنة الغادرة كانت قد أخذت أصداؤها ترجع •

وهنا وقع حادث لم يكن فى الحسبان • • فقد انفتح مصراعا باب

«الدخول مقرعين ، فاذا برجل يظهر على التبة ، واذا بالسيد جوليا دكين  
يتجمد في مكانه من فرط الذعر حين يراه . تسمرت قدما السيد جوليا دكين  
على الأرض . واختنقت في حلقه المنقبض صرخة رعب .

يجب أن نقول مع ذلك ان السيد جوليا دكين كان قد تنبأ بهذا كله  
منذ زمن طويل . لقد سبق أن أوجس هذا الموقف . تقدم الرجل مهيبا  
وقورا ذا أبهة وجلال . ان بطلنا يعرف هذا الوجه حق المعرفة . لقد  
رآه مرارا كثيرة ، رآه في هذا اليوم نفسه . كان الرجل فارغ القامة  
يديه الجسم . وكان يرتدى رداء أسود . وكانت عنقه تزدان بصليب  
كبير . كان لا ينقصه الا سيجار بين شفتيه ، حتى يكون الشبه كاملا .  
ان نظرته ، كما قلنا ، قد جمدت السيد جوليا دكين ذعرا ورعبا . اقرب  
من بطلنا المسكين رصيناً ذا فخامة وأبهة . مد اليه السيد جوليا دكين يده .  
فتناول الرجل اليد الممدودة اليه ، وجر بطلنا الشقي وراءه . نظر بطلنا  
فيما حوله متحيرا قلقا مشوه الوجه من الذعر .

« انه كريستيان ايفانوفتش روتشيتس ، دكتور في الطب والجراحة .  
هو صديقك القديم يا ياكوف بتروفتش » ؛ كذلك زفزق يقول صوت  
كريبه في أذن بطلنا . فالتفت بطلنا ، فرأى أن الشخص الذي كلمه لم  
يكن الا سميّه الدنيء ذا النفس الحقيرة الحوانة الغدارة . كان وجهه  
يتألق فرحا ، فرحا عاتيا مشثوما . وكان يفرك يديه منتشيا ، ويدير رأسه  
في جميع الجهات مرحا ، ويتنقل بين الناس مفتسا منتصرا . كان مستعدا  
لأن يرقص من فرط الحماسة .

ووثب فجأة الى أمام ، فانتزع شمعة من يد أحد الخدم وتقدم  
بعض الطريق لكريستيان ايفانوفتش والسيد جوليا دكين اللذين تبعاه  
يسيران خلفه .

وسمع بطلنا وقع خطوات المشاهدين جميعا يسرون وراءهما موكبة  
كبيراً • كانوا يغذون الخطى ، ويدوس بعضهم بعضاً ، ويرددون جميعاً  
أقوال الدجال جوقة كبيرة واحدة : « لا تخف يا ياكوف بتروفشش •••  
ما هذا بشىء •• هو صديقك القديم ، هو صاحبك القديم كريستيان.  
ايفانوفشش روتشبتشش ••• »

وخرجوا الى الدهليز ، ثم الى السلم المضاء اضاءة ساطعة • واندفع  
جمهور غفير الى السلم • انفتح باب مدخل العمارة مقرقاً • ووجد السيد  
جوليا دكين نفسه على درجات المدخل يصحبه الطيب • وكانت تقف فى  
القناء مركبة تجرها أحصنة أربعة كانت تكدف من نفاد صبرها • وبوثبات  
ثلاث صار الدجال الكريه أمام العربية يفتح بابها • وأشار كريستيان.  
ايفانوفشش الى بطلنا باشارة مقنعة أن يركب العربية • والحق أن اقناع  
بطلنا لم يكن بنى فائدة • فهناك عدد كاف من الناس ليحمله إليها حملاً •

التفت السيد جوليا دكين وهو يهذى رعباً وذعراً • كان السلم المضاء  
يعج بالناس • وهذه عيون مستطلعة تحديق البه من كل جانب • وهذا  
أولسوفى ايفانوفشش نفسه يرأس الاحتفال من على فسحة السلم فى الطابق  
الأول • كان جالساً على مقعده ، مقعد المشلول ، يتأمل المشهد فى انتباه  
وشفقة • وكان جميع الناس ينتظرون • فلما التفت بطلنا سرت فى الحشد  
دمدمة تدل على التملل ونفاد الصبر •

« أرجو أن لا يكون فى هذا كله ما يبعث على لوم •• أو ما يثير  
القسوة ويلفت الى انتباه كافة الناس ••• فيما يتعلق بحياتى العامة » بهذا  
دمدم بطلنا وقد أعبته الحيلة واضطرب اضطراباً شديداً • وقامت من حوله  
ضوضاء صاخبة • هؤلاء أناس يهزون رءوسهم علامة الاستكثار •  
وانبجست دموع من عيني السيد جوليا دكين •

« اذا كان الأمر كذلك فأنا موافق \*\*\* اننى أعهد بمصيرى كله الى كريستيان ايفانوفتش » ، لذلك فال جوليا دكين ، فما ان نطق بهذه الافوال التى يعبر بها عن انه يضع مصيره بين يدى كريستيان ايفانوفتش ، حتى أطلق جميع الشهود صيحات وصرخات رهيبية تصم الأذان ، هى صرخات فرح وانتصار • وسرى صدى هذه الصرخات فى الحشد كله •

امسك كل من كريستيان ايفانوفتش واندره فيليوفتش باحدى ذراعى السيد جوليا دكين ، وأخذوا يركبانه العربية • وكان سميته يدفعه من خلف على عادته الجبانة • ومرة أخيرة ، التفت السيد جوليا دكين المسنين الى وراء ، وأجال بصره فى الحضور • فأحس برعدة تسرى فى أعضائه كلها ، كهرة صغيرة سكب عليها قادوس كبير من ماء بارد ، اذا سُمح لنا بهذا التشبيه • وصعد العربية • فسرعان ما تبعه كريستيان ايفانوفتش • فأغلق عليهما الباب • وسمعت قرعة السوط على خواصر الأحصنة التى تحركت تجر المركبة \*\*\* وهرع جميع الناس وراء العربية •

ان الصرخات المسعورة التى يطلقها جميع أعدائه تشيع رحيله • موزل بضع لحظات يميز بعض الوجوه حول بابى العربية التى تقله •

ولكن أعداءه أصبحوا بعيدين شيئاً بعد شئ • فأصبح لا يرى أحدا منهم ، الا سميته الدنى الذى لبث يرافق العربية مدة أطول • كان يركض على يسار العربية واضعا يديه فى جيبي سرواله الأخضر من رداثة الرسمى . وتشبث بالعربية عدة مرات يرسل قبلاات فى الهواء الى صديقه التيس من قبيل الوداع •

ولكن التعب غلبه آخر الأمر • فأصبح ظهوره أندر فأندر الى أن تحاب غايبا تماما •

ان ألما أصم يخنق قلب السبب جوليا دكين ، وان دمه الذى يغلى

ويفور ينبض في صدغيه نبضا قويا • كان يلهث محققا • ود لو يفك  
 أزرار سترته ، ود لو يعرى صدره ، لو يدلكه بالثلج ، لو يرشه بماء  
 بارد • ولم يلبث أن غاب عن وعيه غايبا كاملا ••• فلما تاب الى رشده  
 لاحظ أن العربة كانت تجرى على طريق لا يعرفه • ان على شماله ويمينه  
 غابات • والبرية خالية مقفرة قاحلة ••• وانهار فجأة حين لاحت له عينان  
 من لهب تحديق اليه في الظلام ، عينان يشرق فيها فرح جهنمي مشوم •  
 « ليس هذا كريستيان ايفانوفتش • من عسى يكون هذا ؟ أكون  
 «هو» ؟ «هو» ؟ لا ••• انه كريستيان ايفانوفتش ، ولكنه كريستيان  
 ايفانوفتش آخر ••• انه كريستيان ايفانوفتش مرعب •

قال بطلنا بصوت وجل مرتجف مرتعش ، محاولا بطواعية ومذلة  
 أن يرق له قلب الطيب الرهيب :

– كريستيان ايفانوفتش •• أنا لم أصنع شيئا •• يخيل الى أن ••

فقطعه كريستيان ايفانوفتش يقول :

– سيكون لك حق في مسكن بالمجان ، مع تدفئة واطاعة وخدمة •

وذلك كله لست جديرا به ولا أنت تستحقه •

دوى جوابه القاسى في أذنى بطلنا دوى حكم لا رحمة فيه • أطلق

السيد جوليا دكين صرخة ، وأمسك رأسه بيديه • واأسفاه ! لقد تبسّ

بهذا كله منذ زمن طويل •



قلب ضعيف

١٨٤٨

« قلب ضعيف » (Slaboé Serotsé)  
نشرت هذه القصة في « حوليات  
الوطن » ، المجلد ٥٦ ، في شهر  
شباط ( فبراير ) ١٩٤٦



شابان ، موظفان في ادارة واحدة ،  
كانا يقيمان معا في الطابق الثالث من احدى  
العمارات ، أحدهما اسمه أركادى ايفانوفتش  
نيفيديفتش ، والثاني اسمه فاسيا شومكوف . . .

ان كاتب هذه القصة يشعر طبعاً بأن عليه أن يشرح للقارئ لماذا كانت  
احدى شخصيته تسمى باسمها الكامل ، بينما لا يطلق على الشخصية  
الثانية الا اسم تصغير ، وهو يشعر أن عليه أن يفعل ذلك حتى ينحاشي  
على الأقل أن يؤخذ عليه أنه يتصرف تصرفاً غير لائق . وسوف يكون  
عليه ، في هذه الحالة ، أن يعين لكل شخصية من هاتين الشخصيتين رتبتهما  
ثم سنهما ، ولقبها ، ووضعها ، وحنى طبعها . . .

ولكن كاتب هذه القصة يسمح لنفسه بأن يدخل في الأحداث رأساً  
( وهذا يدل طبعاً في نظر بعض الناس على أنانية مفرطة ) ، فها هو ذا  
بعد هذا التمهيد يبدأ قصته ، وتلك طريقة يعمد إليها كثير من الكتاب على  
كل حال .

عشية عيد رأس السنة ، عاد شومكوف الى بيته فى نحو الساعة السادسة من المساء • فاستيقظ أركادى ايفانوفتش الذى كان راقدا على سريره ، ونظر الى صديقه من خلال عينيه نصف المغمضتين ؛ فرأى أنه مرقد أحسن حلة ، وأنه لابس قميصا نظيفا غاية النظافة • حيرته هذا الأمر طبعاً ، وتساءل : ما لفاسيا « مهنما » هذا الهندام ••• ولكنه تذكر أن صاحبه لم يتناول غداءه اليوم فى المنزل • وفى أثناء ذلك أشعل شومكوف شمعة ، فأدرك أركادى ايفانوفتش أن صاحبه يتهيأ لايقاضه من نومه •

وها هو ذا يتنحج فعلا عدة مرات ، ويدور فى الغرفة دورتين ، ثم يسقط من يده - عرضا - غليونه الذى كان قد حشاه بالتبغ ، يسقطه فى ركن قرب المدفأة • ضحك أركادى ايفانوفتش بينه وبين نفسه • وقال :

- طالت هذه التمثيلية الهزلية يا فاسيا !

- ألسنت نائما يا أركاشا ؟

- لا أستطيع أن أؤكد ذلك ، ولكن يخيل الىّ أن لا •

- يومك سعيد يا أركاشا ، يا صديقى العزيز ••• ايه يا رفيقى الطيب ، ايه يا رفيقى الشهم ••• انك لا تستطيع أن تحزر ما أريد أن أقوله لك •

- لذلك أجهله كل الجهل • ولكن هلا اقتربت قليلاً !

وكان فاسيا لم يكن ينتظر الا أن يدعى الى الاقتراب ، فسرعان ما اقترب من صاحبه دون أن يسىء الظن فى أركادى ايفانوفتش • ولكن أركادى ما يلبث أن يمسه من رصفيه بحركة محكمة ، ثم يقتله فيرميه

على السرير وبقية على هذا الوضع المزعج مبتهجا بذلك ضاحكا منه •  
وهتف أركادى يقول :

- ها فد أمسكتك •• ها فد قبضت عليك •

- ار كاشا ، أركاشا • ما هذا الذى تفعله ؟ اتركنى •• أرجوك ••

لسوف تفسد ردائى !•

- وما قيمة ان يفسد رداؤك ؟ وما حاجتك الى هذا الرداء ؟ لماذا

كنت مطمئنا هذا الاطمئنان كله فاتحت لى ان أبض عليك ؟ فل لى : أين

ست ؟ أين تغديت ؟

- أركاشا ، اتركنى •• أرجوك •• أناشدك الله •

- أين تغديت ؟

- ولكن ذلك بعينه هو ما أريد أن أقصه عليك !

- هيا قص اذن !

- ولكن اتركنى أولا !

- لا •• لن أتركك قبل أن تقص على كل شيء !

- أركاشا ، ألا تحسن أن هذا مستحيل ، مستحيل تماما ! هنالك

أمور ••

كذلك صاح فاسيا الذى لم يكن قوى الجسم ، محاولا أن يخلص

نفسه من بين يدى خصمه القادرتين دون أن يظفر بطائل •

- أى أمور ؟

- هناك أمور لا يمكن أن يتحدث فيها المرء وهو على هذا الوضع

والا كان يفقد كل كرامة •• لملك تضحك من هذا الكلام •• ولكن

الأمر الذى سأحدثك فيه هام جدا •••

- دعنى من الأمور الهامة ! ••• ما عساك مخترعا أيضا ؟ أفضل

أن تروى لى رواية مضحكة • أما الأمور الهامة فلست أحرص عليها •  
والا فأين الصداقة ؟ قل لى ماذا تفعل بالصداقة ! هيا هيا •• حدثت ••

– أوكد لك يا أركاشا أن ذلك مستحيل •

– وأنا لا أريد أن أسمع حديثك •

بدأ فاسيا حديثه يقول ، وهو على تلك الحال من الاضطجاع مقلوبا  
فوق السرير ، محاولا أن يسبغ على كلامه ما يطيق اسباغه عليه من جد  
ورصانه :

– طيب يا أركاسا ••• ربما قلت لك •• ولكن •••

– ما هى المسألة أخيرا ؟

– طيب •• المسألة أنتى خطبت !

عندئذ رفع أركادى ايفانوفتشن صاحبه كما يُرفع طفل ، دون أن  
ينطق بكلمة ، رغم أن فاسيا ليس فصير القامة ، بل أميل الى الطول ، وان  
يكن نحىلا • نم أخذ يطوف به الغرفة حاملاً اياه على ذراعيه ، ماضيا به  
من أولها الى آخرها ، متظاهرا بأنه يؤرجحه ، مردداً على مسامعه من حين  
الى حين قوله :

– ما رأيك اذا وضعتك فى القماط أيها الخطيب الجميل ؟

لكنه ، وقد لاحظ أن فاسيا أصبح لا يتحرك ويرفض أن يفتح فمه ،  
غير رأيه ، قائلاً لنفسه انه ربما يكون قد بالغ فى المزاح قليلا ، فأوقفه  
على قدميه وسط الغرفة ، وطبع على خده قبله مودة •

– هل زعلت يا فاسيا ؟

– استمع الىّ يا أركاشا •••

– كان هذا من قبيل الاحتفال برأس السنة •

– لست أقول شيئاً •• ولكن لماذا تقوم بأفعال المجانين هذه ؟ قلت

لك مرارا : أراكشا ليس في أفعالك هذه شيء من فكاهة ؟ صدقتي : ليس فيها شيء من فكاهة البتة •

— ولكن أنت حاقدة على ؟

— طبعا لا ••• وهل زعلت يوما من أحد ؟ لقد آلمتني ••• هذا كل ما في الامر •

— آلمتك ؟

— طبعا ••• كنت آتيا اليك كما يأتي المرء الى صديق ، طافح القلب ممتلئ النفس ، أريد أن أحدثك عن سعادتني •

— ولكن أية سعادة هذه ؟ لماذا لا تقول شيئا ؟

— ألم أقل لك انني سأتزوج ؟

هكذا أجاب بلهجة حادة ، لأنه كان في الواقع غاضبا بعض الغضب • هتف أراكشا يقول :

— ستزوج ؟ صحيح ؟ •• لا •• ما هذا الكلام ؟ أنظروا ماذا يقول والددموع في عينيه ••• هيا يا فاسيا •• دعك من هذا الكلام يا صغيري فاسيوك •• أصحيح ما تقول ؟

وراح أراكداي ايفانوفتش يقبل صاحبه من جديد •

قال فاسيا :

— هل فهمت الآن ماحدث لي ؟ أنا أعرف أنك طيب ، أنك صديقي ، فجئت اليك فرح القلب مشرق النفس ، فاذا أنت تجبرني أن أحدثك عن سعادتني مقلوبا على السرير موثق اليدين ، مهان الكرامة •

ثم أضاف فاسيا يقول مبتسما :

— طبعا ••• ذلك مشهد يضحك يا أراكشا ••• ولكنني كنت في

تلك اللحظة لا أملك نفسى بمعنى من المعانى • لذلك لم أستطع أن أهون  
من شأن القضية •• لم يكن ينقصك الا أن تسألنى عن اسمها ••••• يمينه  
اننى لأؤثر أن أقتل على أن أذكر اسمها وأنا على ذلك الوضع •  
- ولكن لماذا لم تقل لى شيئاً قبل ذلك يا فاسيا ؟ لو قد أبلغتني الأمر  
من قبل ، لما تصرفت تصرف المجانين ذاك !  
كذلك هتف أركادى ايفانوفتش آسفاً أصدق الأسف • فقال له  
فاسيا :

- طيب •• طيب •• لا تزعل •• لست حاقداً عليك •• أبدا •  
أنت تعلم أن مرد هذا كله الى أنتى طيب القلب •• لذلك المنى جدا اننى  
لم أستطع أن أروى لك الأمر على نحو ما كنت أحب أن أرويه •• وأن  
أقص عليك كل شىء بهدوء ، وأن أطلعك على المسألة فى صورة لائقة ••  
اننى أحبك كثيراً يا أركاشا ، ويبلغ حبى لك أنتى ما كنت لآتزوج لولا  
وجودك معى ، بل لعلنى ما كنت لأوجد أيضاً !  
كان أركادى ايفانوفتش ، وهو انسان ذو طبيعة حساسة جدا ،  
يضحك ويبكى أثناء سماعه كلام صديقه • وكذلك كان يفعل فاسيا •  
تعانق الصديقان ، ناسين مشاجرتهم الصغيرة •

- ولكن احك لى الآن كل شىء ! كيف تم ذلك يا فاسيا ؟ معذرة  
يا عزيزى ، ولكننى مدهوش ، بل مصعوق ! ••••• هل صحيح ما تقول ؟  
ألم تلتفق شيئاً ؟ بلى بلى ••• لا شك أنك تمزح •  
بهذا صاح أركادى ايفانوفتش وهو يلقي على صديقه نظرة شك •  
لكنه ، وقد قرأ فى وجه صديقه تأكيداً لعزمه القاطع على الزواج بأقصى  
سرعة ، ارتمى على السرير وأخذ من فرط فرجه « يتشقلب تشقلبات »  
بلغت من القوة أن اهتزت لها جدران الغرفة •



قال أخيراً وقد هدأ :

- فاسيا ، تعال اجلس !

- حقا يا عزيزى •• لا أدرى من أين أبدأ •••

نظر الصديقان أحدهما الى الآخر منفعلين فرحين •

- من هى يا فاسيا ؟

قال فاسيا بصوت يرتجف سعادة :

- أسرة آرتميف •

- لا ••• صحيح ؟

- صحيح •• ألم أحدثك عنهم دائما ؟ ثم انقطعت عن الاتيان على ذكرهم ••• ولم تلاحظ أنت شيئا ••• آه يا أركاشا ! لكم تحملت من غناء فى سبيل أن أكنم عنك الحقيقة ! كنت أقول لى نفسى : ربما انهار كل شىء •• لكننى أحبها يا أركاشا •• نعم أحبها •• واليك القصة ( كذلك بدأ يروى القصة متوقفا وقد غلبه الانفعال ) • منذ سنة كانت ما تزال مخطوبة • ولكن خطيبها أرسل الى مكان ما فى الأقاليم ، بمهمة رسمية • وقد عرفته أنا •• الخلاصة : ما لنا ولهذا ! •• كان رجلا لا أدرى ما قيمته •• وها هو ذا ينقطع عن الكتابة فجأة ، ويغيب غيابا تاما • انتظروه •• ثم انتظروه •• ثم أخذوا يتساءلون ما عسى تكون دلالة هذا الانقطاع • وفجأة ، منذ أربعة أشهر تقريبا ، عاد •• ولكنه عاد متزوجا ، ولم يجيء اليهم مرة واحدة ! •• شىء لا وفاء فيه ولا نبل •• شىء يبعث على الاشمئزاز ! وما من أحد يدافع عنهم ، أو يقتص لهم ! لقد بكت المسكينة كثيرا • أما أنا فكنت أحبها منذ زمن طويل ! بل كنت أحبها منذ الأبد !

فأخذت أواسيها وأعزيتها •• أخذت أتردد عليها كثيرا •• الخلاصة : أنا،  
نفسى لا أعرف كيف تم الأمر •• ولكنها تعلقت بى هى أيضا • ومنذ  
ثلاثة أيام لم أستطع أن أملك زمام نفسى ، فأجهشت باكيا وقلت لها كل  
شئ ، أى قلت لها اتنى أحبها •• قلت لها كل شئ •• فأجابتنى بقولها :  
« وأنا أيضا يا فاسيلي بتروفتش ، مستعدة لأن أحبك •• ولكننى فتاة فقيرة .  
فلا تضحك على •• لقد أصبحت لا أجرؤ أن أدع لهذه العاطفة أن تنشأ .  
فى نفسى •• هل فهمت يا صاحبي ؟ هل فهمت ؟ •• وهكذا تعاهدنا .  
ثم أخذت أفكر ، باحثا عن وسيلة لابلاغ أمها • قالت لى : « الأمر صعب •  
انتظر قليلا •• ذلك أنها تخاف •• فقد تأبى الموافقة على خطوبتنا • •  
وظفقت تبكى • ومضيت الى السيدة العجوز أصارحها بالأمر دون أن  
أقول للفتاة شيئا • حدث هذا اليوم • وجنونا أنا وليرانكا عند قدميها •••  
فاذا هى تبارك خطوبتنا •• اسمع يا أركاشا ، يا صديقى ، سنسكن معا ••  
لن أرضى أن انفصل عنك بأيه حال من الأحوال •

- رغم كل شئ لا أكاد أصدق أن هذا صحيح ! يمينا لا أكاد  
أصدق ! •• ما يزال يخبل الى أن •• هل صحيح أنك ستزوج  
يا صاحبي ؟ كيف لم أعرف عن هذا الأمر شيئا ؟ يجب أن أعترف لك  
يا فاسيا أن فكرة الزواج قد راودتنى أما أيضا •• على كل حال ، مادمت  
تريد أن تتزوج ، فليكن • أتمنى لك السعادة يا صاحبي ، أتمنى لك  
السعادة !

قال فاسيا منفلا وهو ينهض ويأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا :  
- لبتك تعلم يا صاحبي مدى ما أشعر به من فرح فى قلبى وغبطة  
فى نفسى • أنت تشعر بهذا الشئ نفسه ، أليس كذلك ؟ طبعاً سنعيش  
عيشة بسيطة متواضعة ، ولكننا سنكون سعداء • وليس ذلك وهما • لن  
تكون سعادتنا سعادة خيالية •• ستكون حقيقة ••

— اسمع يا فاسيا !

— ماذا تريد ؟

سأل فاسيا هذا السؤال وهو يتوقف أمام أركادى ايفانوفيتش .

— تراودنى فكرة . . . ولكنى أخشى أن أقلها اليك . اعذرني .  
ولكن يجب أن تبدد شكوكى . مم وكيف ستعيش ؟ انه ليسعدنى طبعاً أن  
أعلم أنك ستتزوج ، بل ان هذا ليملاً قلبى فرحاً . . . ولكن كيف  
ستعيش ؟

أجاب فانيا وهو يتأمل نيفيديفتش مدهوشاً :

— أهذا سؤال يا أركاشا ؟ ماذا دهالك يا صاحبي ؟ ان الأم نفسها لم  
تتردد أكثر من دقيقتين حين شرحت لها الوضع بوضوح . أخرى بك أن  
تسألنى كيف عاشوا حتى الآن ؟ خمسمائة روبل فى السنة ، لثلاثة  
أشخاص ، ذلك دخلهم كله . ذلك كل ما خلقه الأب حين توفى .  
فهى ، والسيدة العجوز ، والأخ الصغير الذى ما يزال تدفع له أجور  
المدرسة ، هؤلاء جميعاً يعيشون من هذا المبلغ . . . وهم يعيشون مع  
ذلك ! أنا وأنت نعد من الرأسمالين بالقياس اليهم ! أنا مثلاً يصل كسبى  
حين يواتينى الحظ الى سبعمائة روبل فى السنة !

— معذرة يا فاسيا . . أقسم لك ان خوفى من أن أرى الأمور تنعز  
هو الذى يدفعنى الى هذا الكلام . . . كيف تحسب سبعمائة ؟ . . . أنا  
لا أرى منها الا ثلاثمائة . . .

— ثلاثمائة ؟ وجوليان ماستاكوفتش ؟ هل نسيته ؟

— جوليان ماستاكوفتش ؟ ولكن هذا العمل يا صاحبي ليس بمضمون  
. . . ليس كالترتب الثابت البالغ ثلاثمائة روبل ، والذى يُعد كل روبل منه

صديقا أمينا وفيأ • لا شك أن جوليان ماستاكوفتش رجل مرموق • وأنا  
أضمر له كثيرا من الاحترام ، وأفهمه ، رغم أنه يحتل منصبا كبيرا ••  
بل انتى لأحبه أيضا ، لأنه يجبك فيدفع لك أجر عمل اضافى كان فى  
وسعه أن يعده عملا رسميا وأن يكلف به أى موظف •• وأفقتى يا فاسيا ،  
استمع الى • أنا لا أمزح • صحيح أنه ليس من السهل العثور فى بطرسبرج  
على شخص يضارع حظه حظك ••• أنا أسلم بذلك ( صرح نيفيديفتش  
بذلك منحمسا أشد التحمس ) ••• ولكن ماذا لو أصبح غير راض عن  
عملك ، أو لم يبق ثمة عمل يعهد به اليك ، أو استعاض عنك بشخص  
آخر ! ••• لا يعلم الا الله ما قد يحدث ••• الخلاصة أنه اذا كان هناك  
اليوم جوليان ماستاكوفتش ، فمن الجائز أن لا يكون هناك شيء البتة غدا !

– اسمع يا أركاشا ، من الجائز أيضا أن ينهار السقف على رأسنا

الآن •••

– طبعا طبعا ، أنا لا أقول •••

– استمع الى • لماذا تتصور أن يكف عن الاستعانة بخدماتى ؟ انتى

أقوم بعملى بهمة ونشاط ••• ومن جهة أخرى فهو انسان طيب يا أركاشا  
•• لقد أعطانى فى هذا اليوم نفسه خمسين روبلا فضة !

– ماذا تقول يا فاسيا ؟ أكان هذا مكافأة ؟

– أبدا ••• دفع لى هذا المبلغ من جيبه • قال لى : « انك لم تقاض

شيئا منذ خمسة أشهر يا عزيزى ، فخذ هذا • ، تلك كانت كلماته هو

نفسه • ثم أضاف : « لا يُعقل أن تقوم لى بهذا العمل عبثا • ، تفرقت

الدموع فى عينى يا أركاشا •••

– قل لى يا فاسيا ، هل أكملت كتابة النسخة ؟

- لا ، لم أكملها بعد •

- فاستنكا ، عزيزى ، ماذا عملت اذن ؟

- لا تخف يا أركادى • المسألة بسيطة • بقى لى يومان • هناك  
متسع من الوقت •

- ولكن كيف لم تنسخ شيئا حتى الآن ؟

- دعك دعك! انك لتنظر الىَّ بعين يبلغ تعبيرها عن الأسف والحسرة  
أن قلبي يتقلب فى صدرى ! ما قيمة هذا التأخر ؟ انك تحزنتى دائما  
بأوضاعك هذه ! فكر قليلا : أين ما يخيف كل هذا الخوف ؟ سأنجز كل  
شئ ••• أحلف لك •••

صاح أركادى وهو ينهض واثبا :

- واذا لم تنجز ؟ ومن ذا الذى أعطاك مكافأة فى هذا اليوم نفسه ؟  
وتروح تزوج ••• آه ••• آه •••

- أقول لك لا تخف ••• المسألة بسيطة • سأقوم الى العمل فوراً  
••• أقول لك ان المسألة بسيطة !

كذلك صاح شومكوف هو أيضا •

- كيف أهملت هذا الاهمال يا فاسيونكا ؟

- هو ••• أركاشا ••• هل أستطيع أن أظل لاصقا بكرسى ؟  
هل كان عقلى فى هذا ؟ اننى فى المكتب نفسه لا أكاد أستطيع الاستقرار  
فى مكاتبى من فرط خفقان قلبى ! ••• أما الآن ، فأحلف لك ••• سوف  
أعمل طول الليل ••• ثم سوف أعمل فى الليلة القادمة ، ثم فى الليلة التى  
بعدها ، فأكمل كل شئ •

- هل بقى عمل كثير ؟

- أرجوك ، لا تضايقنى ، لا تشغلنى عن العمل ، اسكت •  
 اقترب أركادى ايفانوفتش من سريره على رعوس الاصابع ، وقعد  
 عليه • ولم يلبث أن أراد النهوض من جديد ، ولكنه لم ينهض ، خشية  
 أن يزعج صديقه • ومع ذلك فانه لا يكاد يستطيع الاستقرار فى مكانه •  
 كان منفعلا انفعالا شديدا • واضح أن نبأ الزواج قد ألقه كثيرا • لم  
 تكن قد خدمت حماسته بعد • وها هو ذا يلقي نظرة على شومكوف •  
 ونظر اليه صديقه ، وابتسم له ، وهدده باصبعه ، ثم حدق الى الأوراق  
 مقطبا حاجبيه تقطيبا رهيا ( كأن سدة العمل ونجاح العمل متوقفان على  
 ذلك ) •

ان من يراه يحس انه لَمَّا يستطيع أن يسيطر على انفعاله بعد •  
 تناول ريشة أخرى ، واضطرب فى مكانه ، وغيرَ جلسته ، وعاد يكتب •  
 لكن يده ترتجف وتأين أن تسعفه •

صاح فجأة يقول كأنما تذكر الأمر فى هذه اللحظة نفسها :

- أركاشا ! لقد حدثهم عنك •

- صحيح ؟ لقد أردت أن ألقى عليك هذا السؤال نفسه •

- صحيح ••• ولكننى سأروى لك كل شىء فيما بعد ••• هذه  
 خطيئتي ••• نسيت نسيانا تاما أننى آليت على نفسى أن لا أحكى لك شيئا  
 قبل أن أنتج نسخ أربع صفحات • لكننى فكرت فيك وفيها فجأة •••  
 عجيب يا صاحبي ••• اننى لم أقدر أن انكب على الكتابة ••• اننى أفكر  
 فيكما طول الوقت !

- قال فاسيا ذلك وابتسم • وأعقب ذلك صمت •  
صاح فاسيا وهو يضرب الطاولة ويتناول ريشة أخرى :  
- ما أسوأ هذه الريشة •  
- فاسيا • اسمع • كلمة واحدة لا أكثر •  
- ولكن اسرع ••• هذه آخر مرة ••  
- هل بقي عمل كثير ؟  
أجاب فاسيا وقد تقبض وجهه كأنه لا يمكن أن يوجد سؤال مروّع  
صاعق كهذا السؤال :  
- هو ••• أراكشا ••• لا تكلمنى فى هذا • ما يزال هنالك مقدار  
فظيح •  
- هل تعلم ماذا يخطر ببالى ؟  
- ماذا يخطر ببالك ؟  
- بل دعنا من هذا ، واستمر فى الكتابة •••  
- ما هى المسألة ؟ ماذا تريد أن تقول ؟  
- انقضت الساعة السادسة يا فاسيوك !  
قال نيفيدفتش ذلك وابتسم وغمز بعينه غمزا مأكرا • لكنه يبدو  
خجلا بعض الحجل ، لا يدرى كيف سينظر فاسيا الى الأمر •  
- ماذا تعنى ؟  
سأل فاسيا هذا السؤال وقد اصفر وجهه من نفاد صبره ، وانقطع  
عن الكتابة شاخصا ببصره الى صديقه •

- أتعرف ماذا سنفعل ؟

- ولكن هلا أفصحت أخيرا ! هلا قلت !

- أرايت ؟ انك فى حالة عصيية ، ولا أحسب أنك قادر على أن تنجز شيئا كثيرا وانت فى هذه الحالة .. انتظر .. دعنى أكمل كلامى ..  
اسمع .. ( كذلك قال نيفيديفتش ملحا وهو ينهض بوثية ويقطع طريق الكلام على فاسيا ) .. قبل كل شىء يجب أن تهدىء روعك ، وأن تستجمع قواك .. أأنا على حق ؟

صاح فاسيا وهو يدفع الكرسي :

- أراكشا ، أراكشا ، أحلف لك لأعملن طول الليل ، أحلف لك ..

- أعرف ، أعرف ، ولكنك ستنام عند الفجر ..

- لا .. لن أنام .. لن أنام بحال من الأحوال ..

- وأنا أقول انك لن تستطيع المقاومة .. ثم انه يجب عليك أن تنام قليلا ، من الخامسة الى الثامنة مثلا .. وسأوظفك فى الثامنة .. وغدا عيد .. فتجلس وتكتب طول النهار .. ثم تكتب فى الليل .. ولكن كم صفحة بقى أن تنسخ ؟

- أنظر ..

قال فاسيا ذلك وأظهر صديقه على الدفتر مضطربا من الفرح ونغاد الصبر ..

- اسمع يا صاحبى .. ليس هذا بالأمر الضخم !

- ويوجد أشياء أخرى هناك يا صاحبى ..



بهذا أجاب فاسيا ، وهو يلقي على نيفيدفتش نظمر تائهة ، كأن الاذن بالخروج رهن بمشيئة صاحبه •

— كم صفحة هناك ؟

— صفحتان ••• صغيرتان !

— طيب •• سيكون لدينا متسع من الوقت لانجاز هذا كله • سيكون

لنا متسع من الوقت •

— أركاشا !

— فاسيا ، نحن الآن فى عشية رأس السنة الجديدة • جميع الناس

فى هذا المساء مع أسرهم ، الا نحن ••• نحن وحدنا يتامى منعزلون ،

أليس كذلك يا فاسنكا ؟

قال نيفيدفتش ذلك وضمَّ فاسيا بذراعيه القويتين •

— طيب يا أركاشا ••• قررنا •••

— فاسيوك •• عزيزى فاسيوك •• ولكننى أريد أن أقول لك شيئاً ،

فاصغ الىّ ••

غير أن أركادى توقف عن الكلام فاغر الفم ، طافحا حماسة ، عاجزا

عن اكمال جملته • كان فاسيا قد وضع يديه على كفتى صاحبه • انه يحدث

اليه ويحرك شفثيه كأنه يريد أن يكمل ما لم يستطع صاحبه أن يكمله •

— هيه !

— عرفنى بهم هذا المساء !

— أركادى •• فلنمض اليهم لتناول الشاي • لن نبقى الى أبعد من

منتصف الليل ، بل قد ننصرف قبل منتصف الليل •

- بذلك صاح فاسيا وهو فى ذروة الافتتان •  
 - أى نمكك عندهم ساعتين ، لا أكثر ولا أقل !  
 - ثم لا تزورهم ثانية الا بعد أن أكون قد أنجزت كل شىء ••  
 - فاسيوك !  
 - أركادى !

بعد بضع دقائق كان أركادى فى أجمل حلة ، وأبهى هندام • أما فاسيا فلم يخرج الى أكثر من المرور على ردهائه بالفرشاة ، لأنه كان قد ظل مرتديا ثياب الخروج من فرط اسرعه الى الاكباب على العمل •  
 خرجا الى الشارع ، وسارا بخطى متواتبة ، سعيدين كل السعادة • الطريق امامهم طويل ، من بطرسبرجسكايا الى كولومنا • كان أركادى ايقانوفتس يتقدم بخطى كبيرة وفوة واضحة ، فكانت مشيته وحدها تفضح سروره برؤيه فاسيا سعيدا مزيدا من السعادة فى كل لحظة • أما فاسيا فلم تكن خطاه كبيرة الى هذا الحد ، ولكنه كان رغم اسرعه يحتفظ بهيئة وفورة ومظهر رصين • لم يسبق لأركادى أن رآه يوما على مثل هذه الصورة من المهابة • انه يشعر نحوه الآن باحترام خاص • ان آفة جسمية ما يزال يجهلها القارىء ( ان فاسيا مختلج الوركين قليلا ) كانت تشير دائما فى نفس أركادى شيئا من شفقة وحزن • أما الآن فان هذه العاهة اليسيرة قد زادت حب أركادى له ، وزادت خنانه عليه ، وتلك عاطفة لا شك أن فاسيا يستحقها من جميع النواحي • ان أركادى ليلج الآن من السعادة أنه يوشك أن يجهدش باكيا • ولكنه استطاع أن يسيطر على نفسه وأن يمسك عن البكاء •

صاح يقول وقد لاحظ أن صاحبه يتهاى للسير فى شارع فوزنستكى:

— الى أين أنت ذاهب يا فاسيا • الطريق من هنا أقصر •

— اسكت يا أركاشا ، اسكت !

— أوكد لك يا فاسيا أن الطريق من هنا أقصر •

قال فاسيا وقد لاح في وجهه سر ، وارتعش صوته من الانفعال :

— هل تعلم يا أركاشا اننى أريد أن أهدي الى ليزانكا هدية صغيرة ؟

— هدية ؟

— اسمع يا صاحبي ، هنا تقع دكان مدام لورو ، وهى دكان أنيقة

جدا •••

— طيب ؟ •••

— قبة صغيرة يا صاحبي ، قبة صغيرة ••• اليوم رأيت عند مدام

لورو قبة رائعة • سألت عنها فقيل لى ان طرازها يسمى طراز • مانون

.ليسكو • انها تحفة ! لها شرائط بلون الكرز ••• فاذا لم تكن باهظة

التمن ••• بل حتى لو كانت غالية يا أركاشا •••

— فاسيا ، يمينا لانت تفوق جميع الشعراء ••• هيا بنا •••

استحنا الخطي ، فما هى الا دقائق حتى كانا فى مخزن مدام لورو •

هى فرنسيه كحلاء العينين ، مصفورة الشعر • انها تقبل عليهما ،

فما تكاد تلقى على الزبونين نظرة حتى تغدو فى مثل فرحهما وسعادتهما ،

بل تغدو أسعد منهما اذا جاز التعبير • كان فاسيا ، وهو فى عمرة الحماسة،

مستعدا لأن يقبل مدام لورو •

قال فاسيا بصوت خافت ، وقد أجال بصره على القبعات الرائعة المعلقة

على مساند ، والمصفوفة فوق المنضدة الكبيرة بالمخزن :

- يا للروائح ... وتلك ! هل تراها ... تلك السكرّة ؟

قال فاسيا ذلك وهو يشير الى قبة صغيرة غير التي كان ينوى شراءها في أول الأمر . ذلك أنه لاحظ من بعيد والتهم بعينه قبة أخرى تخطف البصر وتأخذ باللب ، أجمل من سائر القبعات ، موجودة في الطرف الآخر من المنضدة . بلغ فاسيا من شدة الاشتاء حين نظر اليها أن من يراه في تلك اللحظة يخيل اليه أنه يخشى أن يسرقها أحد ، أو أن تطير القبة من تلقاء نفسها ، لا لشيء الا مكرها بفاسيا وكيدا له .

قال أركادى ايفانوفتش وهو يشير الى قبة أخرى :

- في رأيي أن هذه أجملهن !

- مرحى كما أركاننا ! اختيارك هذا دليل على حسن ذوقك ! حتى لقد أخذت أشعر نحوك باحترام خاص . القبة التي اخترتها فتانة حقا . ولكن تعال انظر هنا .

كذلك صاح فاسيا مبيحا لنفسه أن يمكر بصاحبه هذا المكر البسيط

البرى .

قال أركادى بلهجة الشاك :

- هذه ؟

ولكن حين شالها فاسيا عن مسندها الخشبي ، عاجزا عن ضبط نفسه ، حين شالها عن مسندها الخشبي فكأنها تطير من تلقاء نفسها طيرانا لشدة فرحها بزبون متحمس لها هذه الحماسة ، وحين خفضت أشرطتها وزخارفها وتخريماتها فرحة ، انطلقت صيحة اعجاب من صدر أركادى ايفانوفتش القوى . وها هي ذى مدام لورو نفسها ( وقد لزم طوال

عمل الاختيار كل وقارها وحافظت على جميع ميزات حسن الذوق التي تتمتع بها ، ولم تصمت الا من فيل التسامح ) ، ها هي ذى تكافى فاسيا الآن بابتسامة تحييد كبيرة • ان كل ما فيها ، من نظراتها ، الى اشاراتها ، الى ابتسامتها نفسها ، يأتي مصدقا لحسن هذا الاختيار وروعة هذا الانتقاء ••• ان كل ما فيها يقول : « نعم لقد أصبت ، وأنت جدير بالسعادة التي تنتظرك ••• »

صاح فاسيا يقول ، ناقلا كل حبه الى القبة :

- ألم تكن كأنها ترمقنا من ركنها القصى ؟ أليس يبدو أنها كانت تختبئ عنا عمدا ، هذه الشيطانة !

وقبل فاسيا القبة ، أعنى قبل الهواء الذى يحيط بها ، مخافة أن تفسد قبلته كنزه •

أضاف أركادى يردد ، على سبيل الضحك ، قولا مأثورا كان قد قرأه فى ذلك الصباح نفسه :

- كذلك تخفى الفضيلة الصادقة عن أعيننا دائما وبعد ، الأنصرف يا فاسيا ؟

- مرحى ••• أراكشا ! أنت اليوم فكه اللسان خفيف الروح •••  
لسوف تحدث جنونا بين السيدات ، كما يقال ••• أتبأ لك بهذا •••  
مدام لورو ، مدام لورو !

- نعم يا سيدى ؟

- عزيزتى مدام لورو !

استقبلت مدام لورو حماسة فاسيا متسامحة •

– لن تصدقنى ما أقوله ••• ولكننى أعيدك فى هذه اللحظة •••  
اسمحي لى أن أقبلك •

قال فاسيا هذا وقبّل صاحبة المخزن •

كان لا بد طبعاً ، فى هذا الظرف ، من احتفاظ مدام لورو بكل  
رصانتها ووفارها ، حتى لا يسقط اعتبارها أمام فتى أحرق كهذا الفتى !  
وأنا أؤكد أنه كان لا بد أيضاً من ذلك اللطف الناعم الرشيق الذى فطرت-  
عليه مدام لورو واستقبلت به حماسة فاسيا • لقد عذرت مدام لورو ، ولم  
تلبث أن عادت الى هدوئها بالذكاء واللباقة كليهما • وهل يمكن أن  
يعضب أحد من فاسيا ؟

– مدام لورو ، ما تمنى هذه القبعة ؟

قالت مدام لورو وقد ثابت الى هدوئها وعادت بتبسّم :

– خمسة روبلات فضة •

سأل أركادى مشيراً الى القبعة التى كان قد وقع عليها اختياره :

– وتلك يا مدام لورو ؟

– ثمانية روبلات فضة •

– من فضلك من فضلك يا مدام لورو ••• قولى أنت ، أرجوك ،  
أى القبعتين أجمل ، أيهما أرشق ، أيهما أفن ؟

– تلك أترى ، ولكن التى اخترتها أنت أغنيج •

– ادن آخذها !

تناولت مدام لورو ورقة ناعمة كل النعومة ، فلفت بها القبعة ، وثبتت-

الورقة بدبوس ، حتى لكأن الشيء الذى تحمله الورقة أصبح الآن اخف  
مما كان عليه •

تناول فاسيا اللفة بكثير من التأنى والحذر ، وهو لا يكاد يستطيع  
أن يتنفس من شدة الهيجان • ثم حيا مدام لورو ومدحها وخرج من  
المخزن •

— أنا انسان يجب الحياة ومباهجها يا أركاتا ! لقد خلفت مجيئمت  
الحياة !

كذلك هتف فاسيا وهو يطلق ضحكة صغيرة عصبية لا تكاد تسمع ،  
ويدور ويلف كثيرا حتى يتحاشى المارة الذين يتصور أنهم يريدون جميعا  
أن يصدموا قبته فيجدوها • وردد بعد دفيقه يقول بصوت فيه الحنان  
والقوة معا :

— اسمع يا اركادى •• أنا سعيد جدا ، سعيد جدا •

— وأنا يا فاسنكا ، وأنا يا عزيزى ، أتحببني غير سعيد ؟

— لا يا أركاشا ••• أنا أعرف أنك متعلق بى تعلقا كبيرا •• ولكنك  
لا تستطيع أن تحس بعشر معشار ما أحس به أنا فى هذه اللحظة • ان  
قلبى يطفح فرحا ! اركاتا ! أنا لا أستحق كل هذه السعادة ! •• أشعر  
بذلك ، أعرف ذلك ( فال هذا بصوت مخنوق ، وهو لا يكاد يستطيع  
السيطرة على انفعاله ) • فل لى : ما الذى يجعلنى جديرا بهذه السعادة  
كلها • أنظر حولنا : ما أكثر الناس والدموع والألام والايام الحزينة  
الكالحة التى لا تعرف الاعياد ! ••• وأنا ••• أنا تحببى فتاة حلوة عذبة  
•• سترها بنفسك بعد هنيهة • ستعرف كيف تقدر قلبها النيل وروحها  
الكريمة •• لقد ولدت فى بيئة متواضعة ، ولكننى الآن أملك رتبة ،

وأملك دخلا مستقلا ، أملك مرتبا ! وقد ولدتُ مع عاهة في جسمي ،  
فأنا مخلعٌ الوركين قليلا ، ومع ذلك فهي تجنبي على ما أنا عليه كما ترى .  
واليوم كان جوليان ماستاكوفتش لطيفا في معاملتي كل اللطف ، كرِيمَا كل  
الكرم ، يحمل لي أحسن النيات وأطيب المشاعر ! لقد اقترب مني وقال  
لي : هيه فاسيا ( أقسم لقد خاطبني هكذا : فاسيا ! ) ، أليس في نيتك أن  
تمتع نفسك أثناء الاجازة ؟ » • قال ذلك وضحك • فأجبتُه : « كلا  
يا صاحب السعادة • لدى أعمال يجب أن أتجزها ••• » • ثم تجرأت  
فأضفت قولي : « مع ذلك ربما تسليت قليلا يا صاحب السعادة » • يشهد  
الله انني جاوبته هكذا • وعندئذ انما أعطاني المال ، ووجهه الى كلمات  
أخرى • غرقت في دموعي يا صاحبي • يمينا لم أستطع أن أضبط نفسي ،  
وأعتقد أنه تأثر هو أيضا • فقد ربت على كفي وقال لي : « أرجوك  
يا فاسيا أن تظل حساسا كما أنت الآن ، وأن تظل فادرا على أن تقدّر ••• »

صمت فاسيا • وكفكفب أركادى دمعة هو أيضا •

تابع فاسيا يقول :

— ثم ••• اليك ما كنت أريد أن أقوله أيضا يا أركادى ••• ولم  
أقله في يوم من الأيام • أركادى ! ان صداقتك تملأ قلبي وتغمر نفسي ••  
وأنا من شدة سعادتي بذلك أشعر أنني ما كان لي أن أستطيع الحياة على  
هذه الأرض بدونك ••• لا •• لا ••• لا تقل شيئا يا أركاشا • اسمح  
لي أن أصفحك وأن أشه ••• كرك !

واضطر فاسيا أن يقطع كلامه من جديد ، فقد كان أركادى يتيهأ  
لتقيل فاسيا ، وكانا يقطعان الشارع من رصيف الى رصيف ، فاذا بصرخة  
حوذى تدوّى على مقربة منهما ، فيهرعان الى الرصيف مروعين • والحق  
أن أركادى قد سرّ بهذا • فان اكار فاسيا هذا لم يكن له ما يسوّغه غير



ظروف خارقة • أما هو فكان يشعر بشيء من الضيق • انه يدرك أن ما فعله في سيل فاسيا حتى اليوم كان قليلا • حتى لقد أحس بالخجل حين شكره فاسيا من أجل ترهات كهذه ! على أن الحياة ما تزال أمامهما!

•• فتنفس أركادى الصعداء ، وأطلق من صدره آهة تخفف وفرح •

لا شك أن وصولهما لم يكن متوقعا • والدليل على ذلك أن الأسرة كانت قد بدأت تناول الشاي • ومع هذا فما أكثر ما يحدث أن يكون المسنون أبصر بالأمور من الشباب ••• وأى شباب ! كانت ليزانكا تؤكد أنه لن يجيء • فهي تقول لأمها : « لن يجيء يا ماما ، قلبي يقول لي ذلك » • أما أمها فكانت تردد دائما أن قلبها هي يقول لها خلاف ذلك تماما ، فلا بد أن يجيء ، ولن يستطيع أن يستقر في مكانه هادئ البال ، وسيهرع اليهم حتما ، لا سيما وأن المكاتب مغلقة ، فالיום عشية عيد رأس السنة ! وحتى حين أفتح الباب لم تكن ليزانكا تتوقع أن تراه • فلما رأته لم تصدق عينيها ، واستقبلته لاهته الأنفاس خافقة القلب كمصفور أسير ، محمرّة الوجه كتمرة كرز ( وهي تشبه الكرز على كل حال ) •

رباه ! يا للمفاجأة الجميلة الممتعة ! وانطلقت من شفتيها الصغيرتين آهات فرحة ••• قالت وهي ترتدى على عنق فاسيا : « يا لك من مخادع يا حبيبي ! » ••• ولكن تصوروا دهشتها واضطرابها حين رأت أركاديا واقفا وراءه ، خجولا وجلا كأنه يريد أن يخبئ • يجب أن نذكر في هذه المناسبة أن أركاديا شاب تعوزه الثقة بنفسه في حضور النساء ، تعوزه كثيرا ، حتى انه في ذات مرة ••• ولكننا سنتحدث عن هذا في حينه •

ضعوا أنفسكم في مكانه مع ذلك ، تروا أن خجله ليس فيه شيء من سخف • لقد كان هناك ، واقفا في حجرة المدخل ، غريب الملابس بحدائيه المطاين وردائه المريض وطايقته التي من فراء ، وعمرته التي تغطي العنق والأذنين والتي أسرع يخلعها كيفما اتفق من جهة أخرى • ثم لقد كان

حلقة ملفوفا بعصبه تغطى الأنف ، عصبه صفراء من صوف مجبوك ،  
دميمة جدا ، كان قد عمدها ، فوق ذلك ، فى ظهره ! كان لا بد له أن  
يخلع هذه الأسياء كلها ، وأن ينضوها عنه بأقصى سرعة ، وأن يقدم نفسه  
تقدما لائقا ، فما من انسان الا ويجب أن يظهر للناس بأحسن منظر •  
وهناك ، مع ذلك ، فاسيا ، فاسيا الذى لا يطاق ، فاسيا المزعج ، فاسيا  
المير الذى لا يَحْتَمَل رغم أنه لطيف وطيب جدا •  
صاح فاسيا يقول :

— هذا صديفى أركادى يا ليزانكا • ما رأيك فيه ؟ هو خير صديق  
لى • قبله يا ليزانكا ••• قبله ما دمت أقول لك ذلك ••• لسوف قبلينه  
راضية مختارة حين تعريفه مزيدا من المعرفة •

ما العمل فى مثل هذه الحالة ؟ قل لى ناشدتك الله ؟ ما عسى يكون  
رد أركادى ايفانوفتش ، هو الذى لَمَّا يكمل نزع منديله بعد ! أوكد  
لك أن هذه الحماسة الطافحه فى فاسيا تربكنى • صحيح أنها دليل على  
أنه امرؤ طيب القلب ، ومع ذلك فان المرء يتزعج منها ، بل يضيق بها !  
وأخيرا دخل الشابان كلاهما • أظهرت العجوز أنها سعيدة جدا  
بمعرفة أركادى ايفانوفتش • لقد سمعت عنه كثيرا • وهى ••• لكنها لم  
تستطع أن تكمل جملتها ، لأن صيحه فرحه قد دوت فى العرفة ، فقطعت  
كلامها • رياه ! ما أجملها !

كانت ليزانكا وافقه أمام القبعة بعد أن نزعت عنها ورقتها الحريريه  
••• انها ضامة يديها الصغيرتين وقد لاح فى وجهها معنى مؤثر ، برى • ،  
ساذج ، كأنه بسمه للملائكة ••• لماذا لم يوجد عند مدام لورو قبعة أجمل  
من هذه القبعة أيضا ؟

دعك من هذا الكلام ! أين يمكن أن تجد قبعة أجمل منها ؟ حقا

لأنها لتتجاوز كل حد • إن مثل هذا العقوق لدى العشاق يفضيني قليلا، بل يحزني أيضا • انظروا بأنفسكم : أين يمكن أن توجد قبة في مثل هذه الفتنة والروعة ! أنظروا ! •• ولكن لا •• إن ملاحظاتي هذه لا لزوم لها • هم الآن جميعا من رأيي • لم يكن ذلك الا ضللا عارضا، الا ضيابا مضللا ، الا خطأ طارئا ••• أنا مستعد كل الاستعداد لان أعقر لهم ذلك •• هلا نظرتهم .( لا تؤاخذوني ، فأنا ما زلت أتكلم على القبة) :

هي من نسيج دقيق خفيف ، لها عصبه بلون الكرز ، مغطاه بتخريم ، مارة بين القبة والحواشي ؛ وفي الحلف عصيتان أخريان طويلتان عريضتان تسقطان على النقرة وتهدلان حتى العنق ••• ولكن يجب دفع القبة قليلا الى الوراء لتكشف عن الجبين ••• هلا نظرتهم ! ولكنكم لا تنظرون •• فيما أرى • أحسب أنكم لا تحفلون بالأمر •• ثم إن ابتهاكم مشدود الى جهة أخرى • انكم ترون دمتين كبيرتين ، كأنهما لؤلؤتان ، تلمعان فجأة في عينين سوداوين مخمليتين ، ترتشان لحظة على الأهداب الطويلة ثم تسقطان برفق على النسيج الخفيف خفة الهواء ، الذي صنعت منه تحفة مدام لورو •• ولكنني أهم أن أزعل مرة أخرى •• ذلك أن هاتين الدمعتين لم تتساقطا من أجل القبة وحدها • ليس هذا هو الأمر في نظري •• لا •• حتما •• يجب على المرء أن يقدم هدية كهذه الهدية هادىء البال ، غير مهتاج العاطفة •• وحينئذ فقط يمكن أن تقدر حق قدرها •• على أنني أعترف بأنني أرى أن المسألة مسألة القبة خاصة •

جلس الجمع • اتخذ فاسيا مكانا له فرب ليزانكا ، وقعدت المرأة العجوز الى جانب أركادى ايفانوفتش • ودار الحديث • برهن أركادى ايفانوفتش على أنه في مستوى الموقف • انه ليسرني أن أتصفه • ما كان يُستظر أن يكون إبقا هذه اللبابة كلها • فبعد أن قال بضع كلمات عن فاسيا ، أخذ يتحدث حديثا رائعا عن جوليان ماستاكوفتش ، المحسن اليهم؛

وبلغ حديثه من الحسن والذكاء أن الموضوع لم يُستنفد حتى بعد انقضاء ساعة من الزمان •

ليتكم رأيتم كم بلغ أركادى ايفانوفتش من اللباقة والرهافة في وصف بعض خصائص جوليان ماساكوفتش ، وهي خصائص تتصل بفاسيا اتصالا مباشرا أو غير مباشر • لذلك سحرت العجوز بكلام أركادى : حتى لقد اعترفت بذلك لفاسيا : نادته جانبا وقالت له ان صديقه فتى قد ، وانه من أحب الشباب الى القلب ، وانه قوى جاد على وجه الخصوص • فبلغ فاسيا من السرور بهذا الكلام أنه لم يستطع أن يمتنع عن الانفجار ضاحكا ضحك الفرح الا في كثير من العناء • لقد تذكر كيف استطاع أركاشا « القوى جدا » أن يقلبه على سريره مقتولا منذ نصف ساعة •

وبعد ذلك غمرت العجوز الطيبة فاسيا طالبة منه أن يلحق بها الى الغرفة المجاورة • يجب أن نعرف أنها بهذا قد مكرت بابتها ليزانكا • ولا شك أنها قد غدرت بها ، من فرط طيبتها ، ذلك أنها قررت أن تظهر فاسيا ، خفية ، على الهدية التي أعدتها له ليزانكا بمناسبة عيد رأس السنة • ان الهدية محفظة خيطة بها لآلىء دقيقة وقصب مذهب ، وازدانت برسم بديع خلاب ، فمن جهة تُرى صورة وعل يشب ، صورة جميلة تشبه الوعل كثيرا ؛ ومن جهة أخرى تُرى صورة جنرال شهير ، وهي صورة جميلة أيضا تشبه الجنرال شبها كثيرا • ولن أتكلم عن حماسة فاسيا حين رأى الهدية •

وفي أثناء ذلك ، فان الذين لبثوا في الصالون لم يضيعوا وقتهم سدى • اقتربت ليزانكا من أركادى ايفانوفتش ، وأمسكت كلتا يديه تشكره شكرا حارا • فاستطاع أركادى ايفانوفتش أن يفهم أخيرا أن الأمر يتعلق مرة أخرى بصديقه العزيز فاسيا • كانت ليزانكا تبدو منفعة

انفعالا شديدا • لقد سمعت عن أركادى ايفانوفتش أنه شديد الاخلاص  
 لخطيبها ، وأنه يحبه كثيرا ، وأنه يعتنى به عناية كبيرة ، وأنه ينصاحه  
 الحكيمة يسدد كل خطوة من خطواته ، وأنها ، هى ليزانكا ، لا يسعها  
 الا أن تعبر له عن عظيم امتنانها وعميق شكرها • وانها لتأمل أن يحبها  
 أركادى ايفانوفتش هى أيضا ، وأن يخصها بجزء يسير من حبه لفاسيا •  
 ثم أخذت تلقى عليه الأسئلة تلو الأسئلة ، تريد أن تعرف هل يعنى فاسيا  
 بصحته ؟ وأعربت عن بعض مخاوفها من فرط الحماسة والحرارة فى طبيعه ،  
 ومن جهله بالناس والحياة حوله • وصرحت بعد ذلك أنها ستسهر عليه  
 فى كثير من الاهتمام ، وأنها ستحميه وستدله ، وأنها أخيرا تأمل من  
 أركادى ايفانوفتش أن لا يتركهما ، بل تأمل منه أيضا أن يقيم معهما •  
 صاحت تقول بسداجة وهى فى غمرة من الحماسة :

– لن نكون نحن الثلاثة الا واحدا •

وكان لا بد من الانصراف مع ذلك • حاولوا منعها من الانصراف  
 طبعاً ، ولكن فاسيا صرح بלהجة قاطعة أن بقاءهما مستحيل • وأكد أركادى  
 ايفانوفتش قول صاحبه • وكان طبعيا أن يسأل أهل الدار عن سبب ذلك ،  
 فسرعان ما عرفوا أن هناك عملا عهد جوليان ماستاكوفتش الى فاسيا  
 بانجازة ، وهو عمل مستعجل ، خطير غاية الخطورة ، يجب الفراغ منه  
 بعد غد فى الصباح ، وأن فاسيا لم يكمل هذا العمل حتى الآن ، بل لقد  
 أهمله اهمالا تاما • فلما سمعت الأم هذا الكلام أطلقت صرخة كبيرة •  
 أما ليزانكا فقد ظهر فى وجهها الجزع والهلع ؛ وأخذت من فرط قلقها  
 تحت فاسيا على الانصراف • غير أن القبلة الأخيرة لم تفقد من ذلك شيئا  
 غير الطول ، أما حرارتها فلم تنقص •

ما ان خرج الصديقان حتى أخذتا يتبادلان التعبير عن مشاعرهما

وانطباعاتهما • وذلك أمر طبيعي على كل حال • فأما أركادى ايفانوفتشى فقال انه جنُّ حبا بليزانكا • • وهل غير هذا الصديق المحظوظ ، فاسيا ، يمكن أن يُسرَّ اليه صديقه بذلك ؟ وكذلك كان : صرح أركادى لفاسيا بكل شيء ، دون أى تحرج • فضحك فاسيا كثيرا ، وأظهر سروره بذلك وابتهاجه له ؛ بل أضاف أن هذا حسن جدا ، فان صداقتهما ستقوى الآن مزيدا من القوة •

قال اركادى ايفانوفتشى :

— هل فهمت يا فاسيا ؟ اننى أحبها بقدر ما أحبك • ستكون ليزانكا ملاكى الحارس ، كما هى ملاكك الحارس ، لأن سعادتكما سرته الى ، فبت الدفء وتشيع الحرارة فى نفسى • ستكون لى ربه البيت ، وستوى سعادتى على كميها • أرجو أن تقودنى كما تقودك أنت ، أرجو أن توجهنى كما توجهت أنت • لن تكون صداقتى لها وصداقتى لك بعد الآن الا صداقه واحده • أتما فى نظرى واحد • سيكون لى بعد اليوم صديقان أحبهما لا صديق واحد • •

قال أركادى ذلك ثم صمت وقد غلبه الانفعال • شعر فاسيا باضطراب شديد فى أعماق نفسه • الحق أنه لم يكن يتوقع تصريحا كهذا التصريح من أركادى ايفانوفتشى • لقد كان أركادى لا يجيد الكلام كثيرا ، وكان يبدو عدوا لكل نوع من أنواع الاسترسال فى الأحلام • أما الآن ، فقد أخذ يحلم ، وان أحلامه لمن أكثر الأحلام اسرافا وهاؤلا •

وتابع أركادى كلامه يقول :

— سوف ترى كم أراكما وكم أعتنى بكما كليكما ! أولا سأكون عراب جميع أولادك • • ثم يا فاسيا يجب الاهتمام بالمستقبل ! • • يجب

شراء أثاث واستئجار مسكن .. ويجب الحرص على أن يضم المسكن ثلاث غرف صغيرة ، اثنين لكما وواحدة لى . سوف أشرع فى البحث عن مسكن منذ الغد يا فاسيا . سأنظر فى كل مكان الى اللافات الصغيرة المصققة على أبواب العمارات .. ثلاثة غرف ؟ بل يكفى اثنان . لا نحتاج الى أكثر من غرفتين .. وانى لأعتقد يا فاسيا أن كلامى اليوم كان سخفا: سوف نملك مالا كافيا ! لقد أدركت منذ رأيت نظرتها أن ما تملكه من مال يكفينا ! سيكون كل شىء لها ! ما أكره ما سنعمله كلانا يا فاسيا ، حقا يا فاسيا .. نستطيع أن نجازف بخمسة وعشرين روبلا أجرة المسكن .. ذلك أن المسكن يا صاحبي هو الأمر الأساسى ! غرف جميلة ... ذلك يجعل الانسان فرحا متفائلا . ثم ان ليزانكا ستكون هى أمينة الخزانة لنا : ما من قرص واحد سيبدّر ! هل تعلم أنتى لن أضع قدمى بعد الآن فى دكان بائع الجمور ؟ من تحسبنى ؟ لا .. لن أضع قدمى فى دكانه بحال من الأحوال . ثم هناك الترقية ، والمكافآت ، لأننا سنعمل فى جد واجتهاد .. كيران تحرث الأرض ! تصور ( وهنا ضعف صوت أركادى ايفانوفتش وتحطم من شدة الانفعال ) ، تصور أن يحصل كل منا فجأة على مكافأة تبلغ ثلاثين روبلا أو خمسة وعشرين ! كلما حصلنا على زيادة ما اشترينا بها تارة قبة صغيرة ، وتارة وشاحا ، وتارة أجربة ، وهكذا دواليك .. ويجب عليها حتما أن تحيك لى عصبه للنعق .. انظر الى عصبتي هذه ما أبشعها : لقد اصفر لونها وانسلت خيوطها ... لقد فضحتنى اليوم ، هذه العصبه .. وأنت أيضا فضحتنى يا فاسيا ! اخترت اللحظة المناسبة لتقدمى اليها قبل أن أنضو عنى لفتى ! على كل حال ، ليس لهذا من قيمة ! .. لاحظ يا فاسيا أن شراء الفضيات سيقع على عاتقى أنا . فعلا .. لا بد أن أهدي اليكما شيئا .. هذا واجبي .. الشرف يقضى بذلك ! .. ولن يطول أمر حصولى على المكافأة .. هل تظن أنهم

سيعطونها سكوروخودوف! هه! ثم ان هذا اللقلق لن يتخلف عن دفعها الى متى أردت • سأشتري لكما يا صاحبي ملاقع من فضة ، وسكاكين جيدة ( لا من فضة طيبا ، ولكن متينة ) ، وصديرة •• أعني صديرة لى أنا ، لأنتى سأكون وصيفكما •• ولكن عليك الآن يا صاحبي أن تشد عزيمتك • وسأكون اليوم وغدا ، وطوال هذه الليلة ، واقفا وراءك أحمل عصا •• سوف أجعلك تفتس من ككرة العمل • يجب انجاز العمل يا فاسيا ، يجب انجازها بأقصى سرعة يا صاحبي ! حتى اذا فرغت منه عدنا نسهر عندهم ، وسعدنا بذلك كلانا ! •• سنلعب هناك لعبة اللوتو •• هكذا سنقضى سهراتنا •• آه ما أحلى هذا ! لكم يحز فى نفسى أنتى لا أستطيع معاوتك فى عملك ! لشد ما أتمنى لو أستطيع أن آخذه عنك ، واكتبه لك ! لماذا ليس خطنا واحدا أيضا ؟

قال فاسيا :

- نعم نعم •• يجب أن نحث الخطى ! أحسب أنها الحادية عشرة الآن ••• يجب أن نحث الخطى •• الى العمل !

ان فاسيا الذى كان الى ذلك الحين يتسم تارة ، ويحاول أن يقاطع تدفق صديقه بملاحظة فرحة تارة أخرى ، أى كان متحمساً متحمساً كاملا ، قد صمت فجأة بعد أن قال ذلك الكلام ، أصبح كالأخرس لا ينطق بحرف ، وأخذ يغذ الخطى كأنه يركض ركضا حتى يصل الى مسكنه بأقصى سرعة • لكن خاطرا مشوما قد راوده على حين فجأة ، وسقط على رأسه المحترق سقوط كتلة من ثلج ، فانهبض صدره انهياضا أليماً •

شعر أركادى ايفانوفتش من ذلك بقلق • لقد أصبح فاسيا لا يكاد يجيب على أسئلته المستعجلة ، فهو يكتفى بكلمة واحدة قد لا تمت الى



موضوع السؤال بصلة من الصلوات في بعض الأحيان ، بل قد لا يزيد  
على أن يطلق صوت تعجب •  
هتف أركادى أخيرا :

— ولكن ماذا دهاك يا فاسيا ؟ هل يمكن أن تستبد بك الهموم الى  
هذا الحد ؟

— حسبك يا صاحبي ، حسبك ثروة •  
كذلك قال فاسيا بلهجة حاتقة بعض الحق •  
فقاطعه أركادى يقول :

— لا تهتم •• لقد لاحظت أنا نفسي أنه يتفق لك أحيانا أن تسنخ  
صفحات أكثر في وقت أقصر •• فأى خير في هذا ؟ انك تقدر على ذلك  
•• في وسعك أن تكتب بسرعة اذا اقتضى الأمر •• ليس من الضروري  
أن تجوّد نسخ النص بخط رائع ••••• سوف تستطيع انجاز العمل •••  
قد تكون الآن مضطربا بعض الاضطراب ، ذاهلا بعض الذهول ، فالعمل  
يبدو لك أصعب وأشق •

لم يجب فاسيا بشيء ، بل اكتفى بأن تتم بين أسنانه ببعض الكلام ،  
ووصل الشابان مسكنهما وهما في حالة عصبية ثقيلة •

أكب فاسيا على العمل فورا • وصمت أركادى ايفانوفش • خلع  
ثيابه ساكنا ووقد على سريره لا يحول بصره عن فاسيا • انه يشعر بنوع  
من الخوف يفترو نفسه • تساءل أركادى وهو ينظر الى وجه فاسيا  
الشاحب والى عينيه الملتصتين والى حركاته التي تدل على قلق محموم :  
• ماذا به ؟ ان يديه ترتعشان •• أليس من الخير أن أنصحه بأن يرتاح  
ساعتين ؟ •• لا شك أن قليلا من النوم سيريجحه •••••

.. أنيجن فاسيا كتابه صفحة \* ورفع عينيه عرضا الى ناحية صديقه \*  
فلم يلبث أن خفض جفنيه وعاد يتناول القلم \*

قال أركادى ايفانوفتش فجأة :

.. - اسمع يا فاسيا ! ألا تعتقد أن قليلا من النوم ينفعك الآن ؟ ان  
مظهرك يدل على أن بك حمى \* \* \*

ألقى فاسيا على أركادى نظرة متجهمة ، بل وحاقنة ، ولم يقل  
شيئا \*

- عليك بشيء من الراحة يا فاسيا ! \* \* فيم هذا العناد ؟

ظهر على فاسيا فجأة أنه غير رأيه \* فقال :

- ما رأيك في تناول قليل من الشاي ؟

- لماذا ؟

- لأسترد فواى \* لا أريد أن أنام \* لن أنام \* سأظل أكتب طول  
الوقت \* ولكننى أتمنى لو أتففس قليلا بشرب قدح من الشاي ، فلعلى  
هذا أن يبدد ما أنا فيه من حالة عصية \*

- طيب يا صاحبي \* \* فكرة عظيمة \* \* ذلك بعينه ما كنت أريد أن  
أقترحه عليك ! يدهشنى أن هذه الفكرة لم نخطر ببالى \* \* ولكن ما فرا  
لن تنهض بحال من الأحوال \* يستحيل إيقافها فى مثل هذه الساعة !

- نعم ، صحيح \* \*

- لا خير \* \* سأضع السماور بنفسى ! ما أنا بالغر على كل حال \*  
بهذا هتف أركادى ايفانوفتش ناهضا عن سريره بوثة \* وأسرع

الى المپيخ يتحرك حول السماور • واسنمر فاسيا يكتب أثناء ذلك • وهرع  
أركادى ايفانوفتش يرتدى ثيابه ويركض الى الخباز حتى يستطيع فاسيا  
أن يقاتل الليل • فما انقضى ربع ساعة الا كان السماور على المائدة يتصاعد  
منه البخار • صب الصديقان الشاي • ولكنهما لم يتوصلا الى الانخراط  
فى حديث • كان فاسيا يبدو ذاهلا • وفجأة قال كمن ثاب الى نفسه :  
- نعم •• يجب أن أذهب غدا لتقديم تمنياتى بمناسبة عيد رأس  
السنة •

- ما أنت فى حاجة الى ذلك •

- بل لا بد من ذلك يا صاحبى •

- ولكننى سأوقع عنك لدى الجميع ! لا تهتم ! غدا ستعمل •  
لو كنت فى محلك لعملت اليوم حتى الساعة الخامسة ، ثم نمت • والا  
فما عسى تكون حالتك غدا • وسوف أوظفك فى الساعة الثامنة •

قال فاسيا وقد اقتنع نصف اقتناع :

- ولكن هل يلىق أن توقع عنى ؟

- لم لا ؟ الناس جميعا يفعلون ذلك •

- مع ذلك أخشى أن •••

- ولكن ماذا تخشى ؟

- لا أعارض فى أن توقع عنى لدى غيره ••• أما لديه هو ، لدى

جوليان باستاكوفتش •• فذلك •• لاحظ انه المحسن الى يا أركاشا ••

فماذا يكون وضعى لو لاحظ أن التوقيع ليس توقيعى ؟

- لو لاحظ •• انك لغريب الأطوار حقا يا فاسيوك ! كيف يستطيع

أن يلاحظ ذلك ؟ أنت تعلم أننى أقدر أن أوقع اسمك بتقليد خطك

تقليدا تماما • سوف أرسم توقيعك نفسه ، توقيعك نفسه تماما ، أحلف لك • لن يلاحظ أحد شيئا ، أنا أضمن لك هذا •

أفرغ فاسيا فدحه بسرعة دون أن يجيب ، ثم هز رأسه علامة الشك والريب •

– فاسيا ! المهم هو أن نتجج في انجاز العمل ! ولكن ما بك يا فاسيا ؟ هل تعلم أنك تخيفنى ؟ لن أرقد فى فراشى يا فاسيا ! لن أستطيع أن أنام • أرنى كم صفحة بقى عليك أن تنسخ •

ألقى فاسيا على أركادى نظرة انقبض لها صدره انقباضا شديدا ، حتى لم يستطع أن يحرك لسانه • وقال أخيرا :

– ولكن ماذا بك يا فاسيا ؟ لماذا تنظر الى هكذا ؟

– أعتقد يا أركادى أنتى سأذهب أهنىء جوليان ماستاكوفتش رغم

كل شيء •

قال أركادى وهو يرمق صاحبه بنظرة تدل على القلق :

– لك ما تشاء ••• افعل ما دمت تحرص على ذلك • ولكن اسمع يا فاسيا : عجل كتابتك قليلا • يمينا لست أسدى اليك نصيحة سيئة • ألم يقل جوليان ماستاكوفتش مرارا ان ما يجبه فى خطك أكثر من أى شيء آخر هو أنه خط مقروء ؟ انه ليس مثل سكوروبليخين الذى يتطلب خطا مقروءا وجميلا فى آن واحد ! ••• لا شيء الا ليخطف الورقة كيفما اتفق ، ثم يحملها الى أولاده من أجل أن يتمرنوا على حسن الخط باعادة نسخها ••• كأن هذا الأحقق لا يستطيع أن يشتري لهم دفاتر تمرين على حسن الخط ••• ولا كذلك جوليان ماستاكوفتش ، فانه لا يطلب الا شيئا واحدا هو أن يكون الخط مقروءا ، مقروءا ! ••• فلماذا تصدع

رأسك اذن ، وترهق نفسك من أمرها عسرا ؟ حقا يا فاسيا .. لا أعرف  
ماذا أقول .. بل اننى لأخشى أن .. فاسيا .. ان حزنك يهدنى هذا  
رهيبا !

قال فاسيا :

— الأمر بسيط .. الأمر بسيط •

ثم خارت قواه ، فنهالك على كرسية •

هبَّ أركادى يتحرك حوله :

— هل تريد ماء ؟ فاسيا ! فاسيا !

قال فاسيا ، وهو يشد على يده :

— دعنى يا أركادى .. ليس بى شىء • كل ما هنالك أنتى حزين

قليلا يا أركادى .. وأنا نفسى لا أعرف لجزى هذا سيبا • دعنا نتحدث

فى أمر آخر .. لا تذكرنى ..

— هدىء نفسك يا فاسيا ، ناشدتك الله .. هدىء نفسك ! لسوف

تنجز عملك ، أحلف لك • وهبك لم تنجزه ، فأين الكارثة فى هذا ؟

أفى الأمر جريمة ؟

— أركادى !

نطق فاسيا بذلك ، ونظر الى صديقه نظرة فيها من التعبير ما جعل

أركادى يرتعش ، لأنه لم ير صديقة فى يوم من الأيام نهبا لقلق يبلغ

هذا المبلغ من الشدة •

وتابع فاسيا يقول :

— أركادى .. لو كنت وحيدا ، كما كنت كذلك فى الماضى ..

لا •• ليس هذا ما أردت أن أقوله •• انتى أشعر دائما بالحاجة الى أن أفضى اليك بما يعتلج فى نفسى ، وأن أبوح لك بكل شيء ، كما يبوح صديق لصديقه •• ولكن فيم اطلاقك وازعاجك ؟ بعض الناس ، يا أركادى ، قد وهب لهم فى هذه الحياة شيء كبير ، بينما لم يوهب لغيرهم ، مثلى أنا ، الا أن يقوموا بمهمة هيئة الشأن • قل لى : ما عساك تفعل لو كان عليك أن تبرهن على امتنانك ، على شكرك ، ثم رأيت نفسك عاجزا عن ذلك ؟  
- لا أفهمك يا فاسيا !

تابع فاسيا يقول بصوت خافت كأنه يخاطب نفسه :

- لم أكن فى يوم من الأيام عافا ينكر الجميل ، ولكننى عاجز عن التعبير عن كل ما أنسعر به ••• ذلك يا أركادى •• أمر يشعرنى بأننى عاق فى الواقع ، وهذا بعينه هو ما يقتلنى قتلا •

- ما هذا الكلام يا فاسيا ؟ أنت تظن حقا أن كل امتنانك يجب أن يكون بتقديم منسوختك فى المهلة المحددة ؟ هلا راقبت نفسك يا فاسيا ؟ ما هذا الذى تقوله ؟ أبهدنا يعبر المرء عن شكره ؟

صمت فاسيا فجأة محملا فى أركادى ، كأن هذه الحجة التى لم يكن يتوقعها قد بددت شكوكه • حتى لقد ابتسم ، ولكن وجهه لم يلبث أن استرد تعبيره عن التفكير •

رأى أركادى فى هذه الابتسامة دليلا على أن جميع المخاوف قد زالت ، ورأى فى الهم الذى أعقب الابتسامة دليلا على أن صاحبه قد اتخذ قرارا جديدا ، فابتهج لذلك ابتهاجا عظيما •

قال فاسيا :

- طيب يا أركاشا ؟ اذا اتفق ان استيقظت ، فألق نظرة على • لسوف

يكون الأمر كارثة اذا نمت • والآن سأكب على العمل • أركائنا !  
- ماذا ؟

- لا ••• لا شيء •• وانما أردت ••

استقر فاسيا على كرسية صامتا ، ورقد أركادى على فراشه ، ولم ينطق هذا ولا ذاك بكلمة عن جماعة كولومنا ، ولعلهما كانا يشعران كلاهما بأنهما آثمان لأنهما « بذرا » فى غير أوان التبذير • نام أركادى بعد قليل ، وهو ما يزال قلقا على فاسيا • وما كان أشد دهشته حين لم يستيقظ الا بعيد الساعة السابعة • كان فاسيا نائما على كرسية ، ممسكا ريشته بيده • انه أصفر الوجه متعب • وكانت الشمعة قد ذابت الى النهاية • وفى المطبخ كانت مافرا تتحرك حول السماور •  
صاح أركادى مروعا :

- فاسيا ، فاسيا ، فى أية ساعة نمت ؟

فتح فاسيا عينيه ، ونهض عن كرسية بوثة ، قائلا :

- اذن لقد نمت مع ذلك •

وأسرع الى أوراقه ، ولكن كل شىء كان على خير حال ، فلا بقع حبر ، ولا بقع دهن من الشمعة •

قال فاسيا :

-- أظن أنني نمت فى نحو الساعة السادسة • ما كان أشد البرد فى

الليل ! سنشرب الشاي ، ثم استأنف العمل •

- هل ارتحت قليلا ؟

- نعم ، أشعر الآن بتحسّن •

- عاما سعيدا يا عزيزى فاسيا •
- صباح الخير يا صاحبي •• عاما سعيدا لك أيضا •
- وتعانق الصديقان • كانت ذقن فاسيا ترتجف ، وكانت الدموع تترقق فى عينيه • وأركادى لا يقول شيئا • انه يشعر بمرارة تسديدة • تناول الصديقان الشاي على عجل •
- أركادى ! قررت أن أذهب الى جوليان ماستاكوفتش بنفسى •
- ولكنه لن يعلم بذلك •
- ضميرى يدفعنى الى ذلك يا صاحبي •
- أنت تسهر فى سيبيله ، وترهق نفسك من أجله ••• أما أنا يا صاحبي ، فسأذهب لحظة الى هناك •••
- الى أين ؟
- الى أسرة أرتيميف ، أقدم لهم تمنياتى وتمنياتك •
- هتف فاسيا يقول :
- ما أحسنها فكرة يا صديقى العزيز • سأبقى أنا فى البيت ، وتذهب أنت اليهم ••• فكرة رائعة •• لا عن اهمال منى لهم طبعاً ، بل لأننى أعمل • انتظر ، سأحملك اليهم رسالة قصيرة •
- على مهلك يا عزيزى ! سأغسل وجهى أولاً وأحلق ذقنى وأنظف رداى • هل رأيت يا صاحبي فاسيا ؟ لسوف نكون مبتهجين سعيدين مع ذلك ! قبلنى يا صاحبي !
- ليت هذا يكون صحيحا يا صديقى !
- وهنا دوى صوتٌ على فسحة السلم أمام الباب :



- هل هنا يسكن السيد الموظف شومكوف ؟  
 أاجابت مافرا ، وهي تدع للزائر أن تدخل :  
 – نعم هنا ياسيدى •  
 صاح فاسيا وهو يهرع نحو حجرة المدخل :  
 – ماذا هناك ؟ من ؟  
 – يومك سعيد يا فاسيلي بتروفتش • يشرفنى أن أتمنى لك عاما طيبا  
 • سعيدا •  
 كذلك قال صبي لطيف أسمر ، فى نحو العاشرة من عمره ، مضفور  
 الشعر • وأضاف الصبي يقول :  
 – أختى تبعث اليك بتحياتها ، وكذلك ماما • وقد كلفتى أختى بأز  
 • أقبلك •  
 أنهض فاسيا الرسول الصغير فى الهواء ، وطبع قبلة طويلة حارة  
 على شفتيه اللتين تشبهان كثيرا شفتى ليزانكا • ثم قال لصاحبه أركادى  
 وهو يمد اليه يتيا :  
 – قبّله يا أركادى •  
 فانتقل الصبي ، دون أن يلامس الأرض ، الى الذراعين القويتين  
 الحائيتين ، ذراعى أركادى ايفانوفتش •  
 – هل لك بقليل من الشاي يا حبيبي ؟  
 – شكرا كثيرا • لقد أظرفنا • استيقظنا فى ساعة مبكرة هذا الصباح •  
 ماما وأختى ذهبنا الى الكنيسة • أختى غسلتى وألبستى ومشطتى خلال

ساعتين • وخاطت ما تفتق أمس من سروالى فى الشارع حين لعبت مع ساكشا بالثلج تتراشق كراته •••

— هكذا ؟

— نعم ، ألبستى وجملتى لأجىء اليك • ثم قبلتني مائة مرة وقالت لى : « اذهب الى فاسيا ، وهنئه بعيد رأس السنة ، واسأله هل هو راض سعيد ، وهل نام نوما هادئا مريحا •• » ، وطلبت منى أن أسألك أيضا هل أنتجرت العمل الذى •• ولكنى سجلت ما طلبته منى على ورقة صغيرة ( هكذا قطع الفتى كلامه ثم أخرج من جيبه ورقة وقرأ : ••• العمل الذى كان يشغل بالك • • »

— نعم •• نعم ، سينجز •• سينجز حتما ! لا تنس أن تقول لها اننى سأنتجزه قطعا ، بشرفى !

— نعم •• ها •• كدت أنسى •• حملتني أختى اليك رسالة قصيرة وهدية •• كدت أنسى أن أعطيكمها !

— أين هما يا حبيبي ؟ أين هما ؟ شكرا •• اسمع يا أركاننا ماذا تقول لى ليزانكا الغالية ••• أنت تعلم اننى رأيت هناك أمس محفظة ستهدى الى • ان المحفظة لما يكمل شغلها بعد • لذلك تقول ليزانكا : « أبعث اليك بخصلة من شعري • أما الهدية الأخرى فسوف تستلمها بعد مدة قصيرة • • » • رأيت يا صاحبي ؟

قال فاسيا ذلك وقد جن فرحا ، وهو يرى صديقه خصلة شعر أسود رائع • قبل فاسيا خصلة الشعر ، ثم أودعها جيبه قرب القلب •

قال أركاندى بلهجة حازمة :

– سوف أوصي لك بنيشان لهذه الحصلة •

قال الصبي :

– وسنأكل شواء ومخا في الغد • وقد أرادت أمي أن تصع شيئاً  
من البسكويت ••• ولكنها لم تجد دقيفاً ( كذلك استرسل الصبي في  
كلامه بعد أن تردد قليلاً وهو لا يعرف كيف يكمل تروثته ) •

صاح أركادي ايفانوفتش :

– ما أطف هذا الصبي • أنت يا فاسيا أسعد أهل الأرض طراً ،  
ما في ذلك ريب !

شرب الزائر الصغير نصيبه من الشاي ، وأخذ من فاسيا رسالة الى  
أخته ، وقبّل ألف مرة ، ثم انصرف خفيف الخطى مشرق المزاج كما  
جاء •

قال أركادي فرحاً :

– هل رأيت يا صاحبي ؟ ان الأمور جميعها تجري على ما نحب •  
فلا تحزن وخاصة لا تدع لخور العزيمة أن يتسرب اليك ! الى الأمام !  
أتجز عملك يا فاسيا ! سأعود في الساعة الثانية • أذهب اليهم أولاً ، ثم  
أذهب الى جوليان ماستاكوفتش •

– الى اللقاء يا صديقي الى اللقاء ! آه ••• ليتني فقط •• طيب ••  
اذهب •• أما أنا فقد قررت : لن أذهب الى جوليان ماستاكوفتش •

– الى اللقاء •

– انتظر يا صاحبي •• فل لهم •• الخلاصة •• قل لهم ما تستحسن  
أن نقوله •• وقبّلها •• وستحكي لي كل شيء بعد ذلك يا صاحبي ،  
ستصف لك كيف جرت الأمور •••

— طبعا • ثم انتى أعرف الان ماذا أصابك أمس : ان السعادة هي التي شوستك ذلك التشويش كله • • منذ أمس حالتك غير طبيعية • • • انك لما تتخلص من مشاعر الامس • أما الآن فقد انتهى كل شىء • • عد الى هدوتك يا فاسيا • • الى اللقاء • • الى اللقاء ! • •

افترق الصديقان أخيرا • ظل أركادى ايفانوفتشن ذاهلا طوال الصباح • كان لا يفكر الا فى فاسيا • انه يعرف طبيعته الضعيفه السريعه الى الهيجان •

قال أركادى لنفسه : « نعم لقد أفلقت هذه السعادة نفسه أقلافا كاملا ذلك واقع لا شك فيه • وما أشد ما أحزنتى أيضا • ان الانسان قادر على أن يجعل من أيسر الأمور مأساة ضخمة ! ما هذه الحمى التي اتابته ؟ لا • • لا • • يجب انقازه • • يجب انقازه حتما » • كذلك كان يردد أركادى دون أن يلاحظ أن هموما منزلية صغيرة يسيرة قد تضخمت فى قرارة نفسه هو حتى صارت فى نظره أتسبه بكارثة !

لم يدخل أركادى حجرة حاجب جوليان ماستاكوفتشن الا فى الساعة الحادية عشرة ، ليضيف اسمه المتواضع الى العمود الضخم الذى تؤلفه أسماء شخصيات مرموقة تغطى ورقة يكاملها مبقعة بالحبر • فما كان أسند دهشته حين رأى فوق توقيعه توقيع فاسيا شومكوف بخط يده ! سسر أركادى باضطراب شديد • « ماذا يحدث فى رأسه ؟ » كذلك تساعل وهو يزداد احمرارا من فرط القلق • اخنفت آماله المشرقة • أدرك أن هناك نازلة تهتم أن تقع • ولكن أين عساها تقع وكيف ؟

ووصل الى كولومنا متجههم النفس • كان يبدو فى أول الأمر خائفاً على فاسيا حقا • أسرع يعود الى البيت راكضا • ولكن ها هو ذا ، على جليد نهر نيفا ، يصطدم بشكوموف ، أنفا بأنف • كان هذا يركض هو أيضا •

صاح أركادى يسأله :

- الى أين أنت ذاهب ؟

وقف فاسيا وقفة من قبض عليه متلبسا بالجرم ، وقال :

- خ •• خرجت أقوم بجولة قصيرة •

- لم تستطع أن تستقر في مكانك ، هه ؟ أنت ذاهب الى كولومنا

أليس كذلك ؟ يا فاسيا •• يا فاسيا ! ثم لمادا ذهبت الى جوليان  
ماستاكوفتش ؟

لم يجب فاسيا بشيء •• وفجأة حرك يده بإشارة يأس وقال :

- أركادى •• لا أعرف ماذا يحدث في نفسي •• انسى ••

- هيا هيا ، يا فاسيا •• أنا أعرف ، أنا أعرف ماذا • هدىء نفسك •

أنت مهتاج مضطرب منذ أمس • وكيف يمكن أن يكون المرء غير ذلك  
لو كان في مكانك ؟ ولكنهم جميعا يجبونك ، وهم جميعا يدارونك ،  
وستتجز عمك حتما ، ستتجزه ، أحلف لك • ان في ذهنك وساوس  
غريبة ، ومخاوف غامضة •• هل أدري ؟

- لا •• لا شيء ••

- هل تتذكر يا فاسيا ؟ لقد مررت بحالة نفسية كهذه حين حصلت

على تعيينك • فقد جننت يومئذ فرحا ، فأخذت تجود خطك أكثر مما  
اعتدت أن تجوده ، فاذا أنت خلال ثمانية أيام لا تزيد على أن تفسد  
عملك ! والآن يحدث لك هذا الشيء نفسه !

- نعم نعم يا أركادى ، ولكن الامر الآن مختلف !

- كيف •• مختلف ؟

- لا •• لا •• لا قيمة لهذا •• لنعد الآن الى المنزل !

— ألا تريد أن تذهب اليهم ؟

— لا يا صاحبي •• هل أستطيع أن أدخل عليهم بهذه السحنة ؟ لقد غيرت رأبي •• اذا لم أستطع أن أبقى في البيت ، فلأنك لم تكن معي ، أما وقد عدت ، فسأستأنف الكتابة ! هيا بنا !

سار! بعض الوقت صامتين • وكان فاسيا مسرع الخطو •

قال أركادى ايفانوفتش :

— ألا تريد أن تسألني عن أخبارهم ؟

— ها •• نعم •• كيف كان الحال ؟

— فاسيا •• انك تخيفني !

— لا •• لا •• لا شيء •• احك لي كل شيء ، هل تريد ؟

قال فاسيا ذلك بصوت ضارع ، كمن يريد أن يتحاشى الشروح

المملة المضجرة •

تنهد أركادى ايفانوفتش • واضح أنه أصبح ، وهو يتأمل فاسيا ،

لا يدري ماذا يعمل ولا كيف يتجه •

روى أركادى لصديقه تفاصيل زيارته ، فبدأ على فاسيا أنه يفئق

من ذهوله ، حتى لقد أصبح كثير الكلام • وتناول الصديقان غداءهما •

وكانت الأم العجوز قد حشت جيوب أركادى ايفانوفتش بالبسكويت ،

فلما أخذ الصديقان يقضمانها انتعشت روحهما وعاد اليهما مرحهما •

وبعد الغداء ، وعد فاسيا بأن ينام قليلا حتى يستطيع السهر طول الليل •

وها هو ذا يستلقى على فراسه فعلا • وكان أحد الناس الذين لا يمكن

أن ترفض دعوتهم قد دعا أركادى ايفانوفتش في الصباح أن يجيء لشرب

الشاي عنده • فافترق الصديقان • وقرر أركادى أن يعود الى البيت

بافصى سرعة ، فى الساعة الثامنة اذا أمكن ذلك • بدت له الساعات الثلاث التى غاب أثناءها عن البيت كأنها ثلاث سنين ؛ واستطاع أن يتحرر أخيرا فهروا يعود الى المنزل • فلما دخل الغرفة لاحظ أنه ليس فيها نور • ثم لم يجد فاسيا • فلما سأل مافرا قالت انه ظل يكتب طول الوقت ، وانه لم يرقد فى فراشه ، وانه أخذ بعد ذلك يسير فى الغرفة طويلا وعرضا ، ثم فى نحو الساعة الواحدة ، أسرع يخرج قائلا انه عائد بعد نصف ساعة • وختمت مافرا حكايتها بقولها : « وقد طلب منى أن أقول لك ، متى رجعت ، انه خرج يتنزّه قليلا ، وقد كرر هذا الطلب ثلاث مرات أو أربعا •

قال أركادى لنفسه وهو يهز رأسه : « انه عند أسزة أرتمييف » • وبعد دقيقة نهض عن كرسيه بوثة • لقد لمع فى قلبه أمل • قال لنفسه : « أغلب الظن أنه أنجز الكتابة ، فلما لم يستطع بعد ذلك أن يبقى فى البيت ، هرع الى هناك • • ولكن لا • • لو صحح ذلك لانتظرنى • • • سوف ألقى نظرة على عمله • »

أشعل شمعة وأسرع الى مكتب فاسيا • لقد تقدم فاسيا فى عمله ؛ ويبدو أنه يوشك أن ينهيه • وفيما كان أركادى ايفانوفتشس يريد أن يستمر فى تحرياته ، اذا بفاسيا يدخل فجأة • •

صاح مدعورا :

— أنت هنا ؟

صمت أركادى ايفانوفتشس • لقد خاف أن يلقي أسئلة على فاسيا • وأخذ فاسيا ، هو أيضا ، يقلب أوراقه خافضا بصره • والتقت نظرات الشابين أخيرا • فكان فى نظرات فاسيا من التعبير عن الفاجعة والضراعة ما جعل أركادى يرتعش • لقد فاض قلبه شفقة ورحمة •

صاح وهو يسرع الى صديقه ويضمه بين ذراعيه :

— فاسيا، عزيزى ، ماذا بك ؟ ماذا حدث لك ؟ صارحنى . . . أصبحت لا أفهمك ، لا أفهم ما أنت فيه من حزن ! ماذا بك يا عزيزى ؟ ماعذابك؟ قل لى كل شيء ، لا تخف عنى شيئا . لا يعقل أن يكون هذا الأمر وحده هو الذى . . .

شد فاسيا جسمه الى صاحبه ، ولكنه لم يستطع أن ينطق بكلمة .  
كان حلقه يخشق ، وكانت أنفاسه محبوسة .

— مابك يا فاسيا ؟ هلا انتهيت ؟ أى شقاء حل بك ؟ اننى لا أفهم يا فاسيا ! قل لى : ما الذى يقلقك هذا الافلاق كله ؟ أنت تعلم أنتى فى سيبلك ، أستطيع أن . . . آه يا رب يا رب ! ( كذلك أخذ يردد أركادى وهو يمشى فى الغرفة طولا وعرضا ، يمسك تارة بشيء ، ويمسك تارة بشيء آخر ، كأنه يبحث لفاسيا من دواء مباشر ) . سأذهب غدا بنفسى الى آخر ، كأنه يبحث لفاسيا عن دواء سريع ) . سأذهب غدا بنفسى الى جوليان ماستاكوفتش ، فأتوسل اليه أن يمهلك يوما آخر . سأنرح له كل شيء ، كل شيء ، اذا كان هذا هو ما يقلقك الى هذا الحد حقا . . .  
صاح فاسيا وقد اصفر وجهه ، وترنح حتى ليكاد لا يستطيع الثبات على قدميه :

— اياك !

— فاسيا ! فاسيا !

تاب الفنى الى رشفه . كانت شفاته تختلجان . أراد أن يقول شيئا ، ولكنه لم يفعل ، بل اكتفى بأن شد على يد أركادى بحركة عصبية متشنجة . كانت يده باردة . وكان أركادى واقفا أمامه وقد استبد به هم رهيب . ومرة أخرى نظر اليه فاسيا متفرسا .



ـ فاسيا •• ما بك يا عزيزى المسكين فاسيا ؟ انك تمزق قلبي  
يا عزيزى ، يا صديقى البائس ••

تمتم فاسيا يقول :

ـ لقد خدعتك يا أركادى •• لقد خدعتك ! اغفر لى ، سامحنى ••  
لقد كذبت عليك •••

كذلك قال أركادى مذعورا مروعا •

ـ أنظر !

قال فاسيا ذلك ، وأخرج من الدرج ستة دفاتر ضخمة ، شبيهة  
بالدفتر الذى كان ينسخه ، ثم رماها واحدا واحدا على المائدة ، وقد بدا  
على وجهه يأس شديد •

ـ ما هذا ؟

ـ هذا هو العمل الذى يجب أن أفرغ منه بعد غد • وأنا لم أنجز  
حتى الآن ربه • لا تسألنى كيف حدث هذا ( كذلك تابع فاسيا كلامه  
يشرح من تلقاء نفسه الموضوع الذى يقلقه ) • أركادى ، صديقى !  
لا أدرى ما الذى أخذنى عن نفسى •• لكأننى أخرج الآن من حلم • لقد  
ضيعت ثلاثة أسابيع كاملة • كنت أذهب كل يوم ••• إليها •• كان قلبي  
يتمزق ••• كنت أعانى عذابا شديدا •• من عدم الثقة ••• ولم أستطع  
أثناء ذلك أن أكتب شيئا •• حتى لقد كانت الكتابة لا تخطر لى على بال •  
ولم أستيقظ الا الآن ، أى حين جاءتني السعادة •

قال أركادى ايفانوفتش بلهجة حازمة :

— فاسيا •• سوف أتخذك • فهمت الآن كل شيء • الأمر خطير •  
 سوف أتخذك • اصغ الى : سوف أذهب الى جوليان ماستاكوفتش غدا ؛  
 لن أتأخر عن الغد • بل اصغ الى • سوف أحكى له كل شيء • اسمح لى  
 أن أفعل ذلك •• سوف أشرح له كل شيء ، مستمرلا حتى النهاية •  
 سوف أقول له كيف أنك تقتل نفسك •  
 قال فاسيا وقد جمده الرعب :

— هل تعلم أنك تقتلنى منذ الآن ؟

اصفر وجه أركادى ايفانوفتش ، ولكنه لم يلبث أن سيطر على  
 نفسه ، فانهجر يضحك قائلا :

— حقا ؟ هيا هيا يا فاسيا •• ألا تستحى ؟ اسمع : أنا أرى أنتى  
 أضايقت • وأنا أفهمك • أنا أعرف ما يجرى فى نفسك • لقد انقضى  
 على سكتانا معا خمس سنوات • أنت انسان طيب القلب ، مرهف الشعور ،  
 ولكنك ضعيف جدا ، ضعيف ضعفا يدعو الى اليأس • ليزافيتا ميخائيلوفنا  
 لاحظت هيا نفسها ذلك • وأنت فوق هذا انسان حالم ••• وليس فى  
 ذلك خير أيضا • فاذا واصلت سيرك على هذا النحو كنت تتعرض للجنون  
 يا صاحبى • اسمع • أنا أعرف ماذا تريد • أنت تمنى منلا أن يطير  
 صواب جوليان ماستاكوفتش فرحا ، بل وأن يقيم حفلة راقصة ، احتفالا  
 بزواجك • انتظر قليلا • هانت ذا تصعر وجهك اذ ساءك أن آتى على  
 ذكر جوليان ماستاكوفتش ! طيب ••• دعنا منه • لاحظ مع ذلك أنتى  
 أخزرمه كما نحزرمه ! ولكنك لن نستطيع أن تبرهن لى على نقيض  
 ما أقول ، ولن نستطيع أن تمنعنى من الاعتقاد بأنك ترى أنه ما ينبغى أن  
 يكون على وجه الأرض استقباء ما دمت تزوج أنت ••• صادق على ما أقول  
 يا صاحبى •• انك تود أن أصبح ، أنا خير صديق لك ، رأسماليا على حين

فجأة ، أن أملك ألف روبل ؛ تمنى أن يتصافح جميع الناس الذين يكره بعضهم بعضاً فى هذه الحياة الدنيا ، فاذا هم يتعاقبون فى وسط الشارع ، ثم اذا هم يجيئون يزورونك هنا ••• يا عزيزى ، يا صديقى الطيب ، لست أبخر منك ••• أبدا ••• ولكن الأمر كذلك • انك تعرض على نظريات من هذا القبيل منذ زمن طويل ، على تنوع فى صور هذه النظريات ! ••• فلأنك سعيد ، تريد أن يصير جميع الناس سعداء بين عشية وضحاها • يؤلمك أن تكون وحدك سعيدا • لذلك تبذل جهدا كبيرا من أجل أن تكون جديرا بهذه السعادة • لا شك أنك مستعد للقيام بعمل بطولة ، لا لشيء الا لرضى ضميرك ! ••• طيب ••• أنا أفهم أن تكون مستعدا لتعذيب نفسك تعذيبا روحيا كبيرا ، معاقبة لنفسك على أنها خارت حيث كان ينبغي أن تنشط ••• أو حيث كان ينبغي أن « تعترف بالجميل » على حد تعبيرك ؛ فحين تتصور أن جوليان ماستاكوفتش سيصغر وجهه اذ يدرك أن الآمال التى عقدها عليك لم تكن فى محلها تنهار قواك وتقلق قلقا رهيبا • انك تتألم حين تتصور أنك ستسمع لوما من فم الامسان الذى تعده محسنا اليك وأنتك ستسمع هذا اللوم فى لحظة يكون فيها قلبك طافحا فرحا وسعادة ، وفى لحظة تكون فيها أنت لا تدري لمن تظهر شكرك وتعبير عن امتنانك • ألسنت على حق ! أليس الأمر كذلك ؟

أخذ صوت أركادى ايفانوفتش يرتجف، فتوقف عن الكلام وتنفس تنفسا قويا •

وكان فاسيا ينظر الى صديقه فى رقة وحنان • وارتسمت على شفاهه ابتسامة •

كأن طيفا من أمل قد مر بوجهه • فتشجع أركادى لهذه النتيجة ، فاستأنف كلامه يقول :

– اسمع يا فاسيا • ما ينبغي لجوليان ماستاكوفتش أن يمنع عنك الآن ما كان يحمله لك من عطف • أليس كذلك يا صديقي؟ أليست هذه هي المسألة؟ فإذا كانت هذه هي المسألة، فسأضحى أنا بنفسى (قل ذلك وهو يهب واقفا) •• سأذهب الى جوليان ماستاكوفتش غدا •• ولكن لا تعارضنى! ذلك أنك يا فاسيا تضخم خطأك فتجعله جريمة! مع أن جوليان ما ستاكوفتش انسان كبير النفس رحيم القلب • نم انه ليس منلك أبدا • سوف يصغى الى كلامنا يا عزيزى فاسيا، فينقذنا من المأزق •• هل هدأت الآن؟

شد فاسيا على يد أركادى والدموع فى عينيه • ثم قال :

– طيب يا أركادى، دعنا من الحديث فى هذا الموضوع الآن! لقد حلّت المشكلة •• لم أنجز العمل •• طيب •• لم أنجزه •• تأخرت •• هذا كل شيء • لا داعى الى أن ترعج نفسك • سأذهب اليه بنفسى، فأترح له الأمر •• لقد هدأت نفسى الآن، واطمأن بالى اطمئنا كاملا • ولكن لا تذهب اليه •• أطعنى ••

هتف أركادى يقول فرحا :

– فاسيا، عزيزى • أنا لم أقل ما قلته الا استنادا الى كلامك نفسه • يسعدنى أنك هدأت بالا وطبت نفسا • تذكر مع ذلك أنني الى جانبك دائما، مهما يحدث • ان فكرة تحدثنى الى جوليان ماستاكوفتش تخيفك •• طيب •• لن أكلمه أنا، بل تكلمه أنت ذاكرًا له كل شيء • تذهب اليه غدا •• أو تبقى أنت فى البيت لكنب، وأمضى أنا أستطلع الخبر اليقين فى المكتب : هل الأمر مستعجل حقا أو لا؟ هل يجب تسليم العمل فى تاريخ محدد قطعا؟ وما هى النتائج التى تترتب على تأخر قد يحدث؟ نم أعود اليك بأقصى سرعة ممكنة أحمل اليك الخبر اليقين • هل رأيت

الآن أن هناك أملا؟ فد لا يكون الأمر مستعجلا . ان فى وسعنا أن نتخلص من المأزق عندئذ فى يسر . وقد لا يطلب اليك جوليان ماستاكوفتش تسليم العمل فى اليوم المحدد له ؛ ان كل شىء يكون عندئذ قد أنقذ .  
 هز فاسيا رأسه علامة الشك والريب ، ولكنه ظل يلتقى على صديقه  
 نظرة شكر واعتراف بالجميل .  
 قال لاهنا :

— دعنا من هذا الموضوع الآن ! اننى ضعيف جدا ، متعب جدا ، فلا أحب أن أفكر فى هذا الموضوع قط . هلا تكلمنا فى شىء آخر ؟ ثم اننى أوتر أن لا أعمل الآن . . . لن أنسخ الا صفحة أو صفحتين ، أى الى أن أبلغ فاصلا ما . . . اسمع يا فاسيا : اننى أريد منذ مدة طويلة أن ألقى عليك هذا السؤال : كيف استطعت أن تعرفنى هذه المعرفة الصحيحة الصادقة ؟

وتسافطت دموع فاسيا على يدي أركادى .  
 قال أركادى :

— لو عرفت يا فاسيا مدى حبى لك وتعلقى بك لما ألقيت على سؤال  
 كهذا السؤال .

— نعم يا أركادى أنا لا أعرف ذلك ، لأننى . . . لأننى أجهل لماذا تجبىنى هذا الحب كله . هل تعلم يا أركادى أن ما تحمله لى من حب قد عذبنى كثيرا ؟ هل تعلم أننى فى كثير من الأحيان ، ولا سيما فى المساء ، حين أفكر فىك ( وأنا أفكر فىك دائما لحظة أستلقى على فراشى لأنام ) ، أهم أن أبكى وأشعر بارتجاف فى قلبى لأننى . . . لأننى . . . لأنك تجبىنى هذا الحب كله ، ثم أنا عاجز عن أن أفتح قلبى وأن أبرهن لك على امتنانى .

– هل رأيت يا فاسيا ماذا أنت؟ هدىء نفسك اذن هانت ذا تضطرب  
اضطرابا شديدا من جديد! ( لاحظ أركادى ذلك وهو يرتجف لذكرى  
المشهد الذى جرى الليلة البارحة فى الشارع ) •

– دعك من هذا الكلام يا صاحبي! تريد منى أن أهدأ وانا لم اذن  
فى يوم من ايام حياتى أهدأ منى الان ولا أسعد! لشد ما تمنيت أن احكى  
لك كل شىء ، ولكنى أخاف دائما أن أسبب لك ألما • فانت تقلق على ،  
فتصيح وتخيفنى •• أنتظر •• حتى فى هذه اللحظة ارتجف •• لا أدرى  
لماذا؟ اليك ما أحب أن أقوله لك : يخيل الى أنتى كنت فى الماضى اجهل  
نفسى •• أما الآخرون فانتى لم أعرفهم ولم أفهمهم الا منذ أمس • كنت  
حتى هذا اليوم لا أفهم •• ولا أقدر •• كان قلبي جافا يابساً • اليك  
كيف حدث ذلك : أنا لم أستطع أن أحسن الى أحد فى يوم من الأيام ،  
لأنتى كنت عاجزا عن أن أحسن الى أحد •• فحتى مظهرى ليس فيه  
ما يبهج النظر •• ومع ذلك كان جميع الناس يحملون لى عاطفة طيبة !  
وأنت أولهم •• طبعاً •• أما أنا فلم يكن فى وسعى أن أفعل شيئاً غير  
أن أصمت !

قال أركادى :

– ما هذا يا فاسيا؟ فاسيا ••• ما هذا؟  
فقاطعه فاسيا بقوله ، وهو لا يكاد يستطيع أن يلفظ كلماته من كثرة  
الدموع التى تخنق صوته :

– ماذا؟ لا شىء •• أمس ، كلمتك عن جوليان ماستاكوفتش •  
أنت تعلم أنه قاس بل انه فاتم النفس ، وأنه فرغنى عدة مرات • ولكن  
ها هو ذا يخطر بباله أمس أن يمازحنى ، وأن يكون لطيفاً معى ، وأن  
يظهر طيبة قلبه ، تلك الطيبة التى يخفيها اخفاء عاقلاً حكيماً عن  
الآخرين •

— طيب يا فاسيا ! .. ان دل هذا على شيء ، فانما يدل على أنك  
جدير بسعادتك \*

— آه يا أركاشا ! لشد ما أتمنى لو أستطيع انجاز هذا العمل ! ..  
ذو .. لا .. ان سعادتي ستتطم .. أنا أوجس ذلك ! .. ولكن لاسبب  
كذلك فاطع نفسه اذ لاحظ أن أركادى يختلس النظر الى كومة  
المتكدسة على المائدة قناطير ) .. لا بسبب هذا .. هذا لاشيء ..  
هذا الا ورق .. ترهات .. هذه المسألة قد حُلَّت .. أركاشا ، لقد  
أهبت اليها اليوم .. لكنني لم أدخل .. كان قلبي مثقلا ، يفيض حزنا  
ومرارة ! لبثت واقفا أمام الباب بعض الوقت .. كانت تعزف على البيانو  
.. مست .. أرايت يا أركادى ؟ لم أجرؤ أن أدخل \*

هكذا أنهى فاسيا كلامه بصوت خافت \*

— ما بك يا فاسيا ؟ انك تنظر الى نظرة غريبة \*

— لا شيء .. لا شيء .. أشعر بأننى مريض قليلا .. ساقاى  
.. ملتان .. ذلك لأننى سهرت طول الليل .. نعم ، وان شرارات خضراء  
.. مع أمام عيني .. هنا انما ..

قال فاسيا ذلك مشيرا الى قلبه ، ثم أغمى عليه \*

فلما أفاق من غشيته أراد فاسيا أن يتخذ اجراءات حاسمة .. كان  
.. لأن يرفده فى فراشه بالقوة .. ولكن فاسيا احتج احتجاجا غنيا ..  
.. الآن بيكى وبعض يديه ويصر اصرارا قاطعا على أن ينتجز الصفحتين ..  
.. صح له أركادى أن يقترب من المائدة حتى لا يسرف فى معارضته \*

قال فاسيا وهو يجلس الى مكتبه :

— اسمع .. عندى فكرة .. هناك أمل ..

وابتسم فاسیا لصاحبه ، فكان وجهه الشاحب يضيئه شعاع من أمل  
حقا • وتابع كلامه يقول :

- اليك ما عقدت النية عليه • لن أحمل اليه بعد الا جزءا •••• أما  
الباقى فسألتفق من أجله حجة ما •• أقول مثلا انه احترق او انه تبلل  
أو انه ضاع أو أقول له اننى لم أستطع أن أكمله •• ذلك أتى لا أستطيع  
أن أكذب •• سأشرح له كل شيء بنفسى • هل تعلم ؟ سأروى ليه كل  
شيء •• سأقول له مثلا : لم أستطع وكفى ! سأحدثه عن حبي • لقد  
تزوج هو نفسه منذ زمن طويل • سوف يفهمنى ! طبعاً سأتكلم بهدوء ،  
واحترام •• وسوف يرى دموعى ، فيتأثر قلبه •

- طيب •• اذهب اليه ، قابله ، اشرح له •• ولكن لا فائدة من  
الدموع يا فاسيا ! لماذا البكاء ؟ أؤكد لك يا فاسيا أنك تثير فى نفسى ذعرا  
رهيبا •

- نعم نعم ، سأذهب اليه • أما الآن فدعنى أكتب ، دعنى أكتب  
يا أركاشا • لن أسيء الى أحد • ولكن دعنى أكتب •  
ارتضى أركادى على سريريه • واضح أنه فقد اطمئنانه الى فاسيا ،  
وثقته به • ان فاسيا لن يتورع عن شيء •• لماذا طلب العفو ، وكيف ؟  
ليست هذه هى المسألة فى الواقع • المسألة هى أن فاسيا لم يف بالتزاماته ،  
فهو يشعر من ذلك بأنه مذنب فى حق نفسه • هو يشعر بأنه عاق مع  
القدر • يشعر أنه غير جدير بسعادته ، فهذه السعادة هى التى تهز نفسه  
وتحطمها وتقلبها رأسا على عقب • انه لا يبحث الا عن حجة لينحرف الى  
هذا الاتجاه • انه لما يشب من دهشته بالأمس • قال أركادى فى داخله :  
« هذه هى المسألة • يجب أن نصلحه مع نفسه ؟ انه بسبيل تأبين نفسه ••»  
وبعد أن اجتر أركادى ايفانوفتش المسألة طويلا ، قرر أن يذهب  
منذ الغد الى جوليان ماستاكوفتش دون ابطاء ، فيروى له كل شيء •



وكان فاسيا يكتب • واستلقى أركادى على السرير من جديد ، وقد  
 هذه التعب ، من أجل أن يتأمل فى الأمر مرة أخرى • فاذا هو ينام ثم  
 لا يستيقظ الا فى الفجر •

فلما ألقى نظرة على أركادى ، رأى أنه ما يزال يكتب ، فهتف  
 يقول

— هوه •• ألى الآن ؟

وهب أركادى نحو صديقه ، فأحاطه بذراعيه وقاده الى السرير  
 بالقوة • كان فاسيا يتسم • وكانت أجنانه تطبق من شدة التعب • انه  
 لا يكاد يستطيع الكلام • قال :

— كنت أنوى من تلقاء نفسى أن أرقد • هل تعلم يا أركادى ؟ عندى  
 فكرة • سأنجز عملى • لقد استعجلت فى الكتابة • ولكننى تعبت الآن •  
 أيقظنى فى الساعة التامنة •••

وما كاد ينهى جملة حتى نام •

همس أركادى مخاطبا مافرا التى كانت آتية بالشئ :

— انه يطلب ايقاظه بعد ساعه • ولكن اياك أن توفظيه ! فليتم عشر  
 ساعات اذا أراد • هل فهمت ؟

— فهمت يا سيدى •

— لا تحضرى غداء ولا تحدنى ضوواء • الضوواء خاصة •••  
 حاذرى الضوواء •• اذا سأل عنى فقولى له انتى ذهبت الى المكتب • هل  
 فهمت ؟

— فهمت يا سيدى •• فليتم ما شاء أن ينام •• ماذا يضيرنى هذا •  
 ان نوم سيدى يسرنى •• وأنا أحافظ على ما يملكه أسيادى • أما الفنجان  
 الذى كسرته أمس فقرعتنى من أجله ، فلم أكسره أنا ، بل كسرتة القطة

مانسكا • كل ما هنالك أنتى لم أتبه اليها ••• وحين طردتها كان قد فات  
الأوان •

- هست ••• اسكتى !

سرف أركادى الخادمة الى المطبخ ، وطلب منها المفتاح ، فأقبل به  
الباب ، ثم ذهب الى مكتبه • وتساءل فى الطريق كيف يجب أن يفتح  
حتى يمثل أمام جوليان ماستاكوفتش ؟ أليس فى هذا افراطاً فى العجراة  
منه ؟ ودخل المكتب ، فسأل وجلا هل صاحب السعادة موجود • فقيل له  
انه غير موجود ، وانه لن يأتى فى هذا اليوم • فأراد أركادى ايفانوفتش  
فى أول الأمر أن يذهب الى منزله الخاص ، ولكنه سرعان ما انتهى الى أن  
جوليان ماستاكوفتش لا بد أن يكون مشغولاً فى منزله ما دام قد تغيب عن  
المكتب • لذلك بقى أركادى فى عمله ••• بدا له الوقت طويلاً طويلاً  
لا ينتهى • حاول أن يستطلع سرا أمر العمل الذى عهد به الى سومكوف ،  
ولكن لم يكن أحد على علم بالموضوع • كل ما كانوا يعلمونه هو أن  
جوليان ماستاكوفتش شاء أن يكلفه بعض الأعمال الخاصة فعلاً ، ولكن  
ما من أحد يعرف طبيعة هذه الأعمال التى أراد أن يكلفه بها • وفى حجرة  
المدخل أوقفه أجد الكتبه وقال له ان فاسيلي بتروفتش سومكوف قد جاء  
فى نحو الساعة الواحدة فسأل هل أركادى ايفانوفتش وجوليان  
ماستاكوفتش موجودان • فلما سمع أركادى هذا النبأ استأجر عربة  
وأسرع الى المنزل قلقاً أشد القلق •

كان سومكوف هناك ، يذرع الغرفة جيئةً وذهاباً ، وهو مهتاج  
اهتياجاً محموماً • فلما ألقى نظرة على أركادى ايفانوفتش بدا عليه أنه  
هدأ ، أو هو أسرع يخفى اهتياجه على الأقل • وبدون أن يقول كلمة ،  
جلس الى مكتبه واستأنف الكتابة • كان يلوح عليه أنه يريد أن يتحاشى

أسئلة صاحبه التي أصبحت تزعجه ، اذ كان واضحا أنه اتخذ قراره وإلى على نفسه أن يحتفظ به سرا لا يفضي به الى أحد ، لأنه أصبح لا يعول على الصداقة ولا يثق بها • تأثر أركادى تأثرا شديدا • فجلس على السرير وفتح كتابا ( هو الكتاب الوحيد الذي يملكه ) ، دون أن يحول بصره عن فاسيا المسكين • وظل فاسيا صامتا لا ينطق بكلمة • واستمر يكتب لا يرفع رأسه • وانقضت على ذلك عدة ساعات • أصبحت آلام أركادى لا تطاق • وأخيرا ، فى نحو الساعة الحادية عشرة ، رفع فاسيا رأسه وألقى على أركادى نظرة كابية جامدة • انتظر أركادى ، غير أن هذه دقائق انقضت وفاسيا ما يزال صامتا • صاح أركادى :

— فاسيا •

فلم يجب فاسيا • فعاد أركادى يردد وهو ينهض ببطء :

— فاسيا ! ماذا بك ؟ ماذا دهالك ؟

كذلك صاح وهو يقترب من صديقه :

أنهض فاسيا رأسه نائية ، وحدق الى صاحبه من جديد بنظرة بلهاء

• جامدة •

قال أركادى لنفسه مذعورا : « هذه نوبة عصية ! » • وأسرخ يتناول أبريق الماء ، وينهض رأس فاسيا ، ويأخذ يصب على جمجمته ماء ، ويبلل صدغيه ، ويفرك يديه • فعاد فاسيا الى وعيه •

صاح أركادى باكيا ، لأنه أصبح لا يستطيع السيطرة على نفسه :

— فاسيا ، فاسيا ، فاسيا ، لا تدع لنفسك أن تهوى ••• تذكر •••

تذكر •••

وأخذه بين ذراعيه قبل أن يتم جملته • كان فى وجه فاسيا غم

وقلق وألم • فرك فاسيا جبينه ، ثم رفع يديه الى رأسه كأنه يخشى على رأسه أن ينفجر • واستطاع أخيرا أن يقول :

– لا أدري ما الذى بى • أظن أننى أجهدت نفسى • على كل حال ، تحسنت الآن ، تحسنت • هيا يا أركادى •• لا تقلق •• هيا ( كذلك ردد وهو يرشق صديقه بنظرة حزينة ) •• لا داعى الى القلق •• فيم القلق ؟

هتف أركادى نازف القلب من الرحمة :

– ما هذا ؟ أنت الذى تعزىنى وتواسينى الآن ؟ ارقد يا فاسيا •• لا تعذب نفسك فيما لا طائل تحته • ستستأنف عملك بعد • فردد فاسيا كلام صاحبه يقول :

– نعم نعم ، أنت على حق • نعم ، سأرقد • سأرقد • لقد قررت فى أول الأمر أن أنجز العمل دفعة واحدة ، أما الآن فقد غيرت رأى •• نعم ••

قاده أركادى الى السرير • وقال له بصوت جازم :

– اسمع يا فاسيا ، يجب أن تتخذ قرارا حاسما بشأن هذه المسألة • قل لى ماذا قررت •

قال فاسيا وهو يحرك يده بإشارة ضعيفة ويحول رأسه :

– أواه ••

– هيا يا فاسيا ••• يجب أن تتخذ قرارا • لا أحب أن أكون • قاتلك • لا أستطيع أن أسكت بعد الآن • أنا أعلم أنك لن تنام ما لم تتخذ قرارا حاسما •

قال فاسيا بلهجة كأنها سر أو لغز :

– ليكن ما تريد ، ليكن ما تريد •

قال أركادى لنفسه : « أذعن » • وأردف يلح قائلاً :

– اتبع نصيحتى يا فاسيا • تذكر ما فلته لك • غدا أتذك ، غدا

أقرر مصيرك •• ولكن فيم الكلام على المصير ؟ لقد بلغت من تخويفى  
يا فاسيا انتى أخذت أستعمل تعابيرك • أى مصير هذا الذى تتكلم عليه ؟  
ما الذى لا ترهات يسيرة ! أنت لا تريد أن تخسر عطف جولييان  
ما شتا كوفتش ، أليس كذلك ؟ طيب •• لن تخسر عطفه •• سوف نرى ••

•••

كان يمكن أن يتكلم أركادى طويلاً أيضاً ، ولكن فاسيا قاطعه ،

انه ينهض عن مكانه ، ويعانق أركادى ، ويقبله • ثم يقول بصوت واهن

ضعيف :

– كفى •• كفى •• لا تتكلمن بعد الآن فى هذه الأشياء !

ثم دار الى جهة الحائط من جديد •

قال أركادى لنفسه : « يا رب ! يا رب ! ماذا به يا رب ! انه خارج

عن طوره تماما • ماذا قرر أن يفعل ؟ لسوف يضع نفسه ! » •

ونظر أركادى الى صديقه فى حسرة وأسى ؟ ثم قال لنفسه : « لعل

الأمور أن تنحل اذا هو مرض • اذا مرض فقد تزول همومه • ويكون

فى وسعنا أن ندبر المسألة بعد ذلك على الوجه المناسب • ولكننى أهذر ••

آه •• يا رب ؟ »

وفى تلك الأثناء كان يبدو على فاسيا أنه ينام • فانتبسط أركادى من

ذلك • قال لنفسه : « هذه علامة طيبة » • وفرر أن يسهر عليه طول

الليل • كان نوم فاسيا مضطرباً • فهو فى كل لحظة ينتفض ، ويلتفت الى

الجهة الأخرى ، ويفتح عينيه • وغلبه التعب آخر الأمر ، فبدا فى نحو

الساعة الثانية من الصباح انه يغيب في نوم عميق • فنام عندئذ ارادى على ترسيه مسندا ذراعه الى المنضدة •

فراى فيما يرى النائم حلما عريبا معلقا • كان يتراعى له انه غير نائم ، وان فاسيا ما يزال رافدا على السرير • ولكن الامر الغريب هو انه كان يحس ان فاسيا يمثل تمثيلا ، وانه يحاول ان يخدعه ، فها هو ذا - آى فاسيا - ينهض عن سريره صامتا ويتسلل نحو المكتب على زخوس الاصابع مرابا صاحبه بطرف عينه •

شعر أركادى عندئذ بالمدى يفيض قلبه • احزنه واتجاهه يرى فاسيا لا يبق به بل يخفى عنه أفكاره • أراد أن يوقفه ، أراد أن يزرجه ، أراد أن يرده الى السرير عنوة • • فاذا بفاسيا يطلق صرخه هى آخر زفرة من زفراته ، واذا بركادى يحمل الى السرير جنبه ميتة لا انسانا حيا • تبلل جبين أركادى بالعرق ، وأخذ قلبه يخفق خفقانا شديدا حتى ليكاد ينفجر • فتح عينيه ، فاذا هو يرى فاسيا جالس الى المنضدة أمامه يكتب •

ظن أركادى أنه ما يزال يحلم ، فنظر الى السرير ، فلم يجد عليه فاسيا • فنهض بوثة واحدة وهو ما يزال تحت وطأة الكابوس الذى ألم به أثناء نومه • لم يتحرك فاسيا ، بل ظل يكتب • وفيجأة لاحظ أركادى، مذعورا ، أن صاحبه يجرى على الورق ريشة بغير حبر ، وأنه يقلب صفحات بيضاء مسرعا فى ملء الصفحات اسرعا رهيبا ، كأن هذا خير وسيلة لانجاز العمل الذى يجب عليه أن ينجزه • قال أركادى ايفانوفتش لنفسه وهو يرتعش : « لا • • • لبس هذا الا نوبة عصبية • • »

هتف يقول وهو يمست صديقه عن كتفه :

- فاسيا ، فاسيا ، أجبني !

ولكن فاسيا ظل صامتا لا يتكلم ، وظل يرسم على الورق خطوطا  
لا ترى ، بريشة من غير حبر •

قال دون أن يرفع بصره :

• أخيرا استطعت أن أعجّل كتابتي •

• أمسك أركادى يده ، وانتزع منه الريشة •

أطلق فاسيا أنه ضعيفه • وتهافت ذراعه • ورفع عينيه صوب  
أركادى • وحرك جبينه بحركة حزينة يائسة كأنه يحاول أن يزيح ثقلا  
من خلفه يسحق كيانه كله • ثم خفض رأسه ببطء ، شاردا الذهن •

صاح أركادى :

— فاسيا ! فاسيا !

انقضت لحظات قبل أن ينظر اليه فاسيا • كانت عيناه الزرقاوان  
تفيضان دموعا ، وكان وجهه الحلو يعبر عن عذاب لا يغالب ••• وكان  
يتحتم ببعض كلام •

سأله أركادى وهو يميل عليه :

— ماذا ؟ ماذا ؟

فهمس فاسيا يقول :

— لماذا يحقدون عليّ ؟ ماذا صنعت بهم ؟

صاح أركادى وهو يعقف ذراعيه بحركة يائسة :

— ما بك يا فاسيا ؟ مم تخشى ؟

قال فاسيا وهو يحدق الى عيني صديقه :

— لماذا يريدون أن يجندوني ؟ لماذا ؟ ما هي جريمتي ؟

– اتصّب شعر أركادى على رأسه • لم يشأ أن يصدق أذنيه • ظل  
ماتلاً على صديقه وقد استبد به يأس رهيب شديد •

ثم تاب الى رشده بعد دقيقة فقال لنفسه : « ليس هذا الا عرنجاً  
طارثاً ثم ينقضى » • قال لنفسه ذلك وقد اصفر وجهه وارتجفت شفتاه •  
وأسرع يرتدى ثيابه كالمحموم ، لأنه يريد أن يركض باحثاً عن طبيبتى •  
ناداه فاسيا فجأة • فهرع اليه ، وقبله قبلة أم يريدون أن يتزعوا منها  
ابنها •••

– أركادى •• أركادى •• أرجوك خاصة أن لا تبلغ أحدا •• هل  
تفهمنى ؟ ان الذنب ذنبى •• فيجب أن أتحمّل نتائج وحدى •

– هيا يا فاسيا ، هيا ، تب الى رشدك ، عد الى نفسك ، ابرأ مما بك!  
تهند فاسيا ، وأخذت عبرات صامته تسيل على خديه •

– لماذا نقتلها هيا ؟ ما ذنبها هيا المسكينة ؟ •• انها خطيبتى أنا •••  
خطيبتى أنا !

كذلك قال فاسيا بصوت مخنوق يمزق القلب حزناً •  
وصمت بضع لحظات • ثم همس يقول وهو يهز رأسه المسكين :  
– الوداع يا حبيبتى ، الوداع يا حبيبتى !  
تاب أركادى الى نفسه ، وأراد أن يركض الى الطبيب • فلما لاحظ  
فاسيا حركة صاحبه قال :

– هيا بنا •• لقد آن الأوان •• هيا بنا يا صاحبنى •• أنا مستعد •  
اصحبنى •

ثم لم يقل شيئاً ، بل ألقى على أركادى نظرة حزينة مرتابة •



قال أركادى يكرر فاقدا صوابه ، وهو يتناول قبعته ليمضي باحث عن

الطبيب :

فاسيا • لا تبغنى • أرجوك • أتوسل اليك • انتظرني  
سأعود حالا •

فلم يلبث فاسيا أن قعد • كان يبدو وديعا طيبا ، ولكن قرارا يثسا  
التي يسطع في نظرتة • عاد أركادى أدراجه ، فأخذ الموسيقى التي كانت  
تسبب له المتضدة ، وألقى نظرة أخيرة على صديقه المسكين ، ثم أسرع  
بإخراج راكضا •

كانت الساعة قريية من الثامنة • وكان ضوء النهار قد أخذ ينير  
الغرفة منذ وقت •

لم يجد أركادى أحدا • طاف المدينة ساعة بكاملها ، ولكن جميع  
الأطباء الذين عرف عناوينهم من البوابين الذين يسألهم كانوا قد خرجوا ،  
بعضهم الى دوائرهم ، وبعضهم الى أعمالهم • غير أن واحدا من الأطباء  
كان قد أخذ يستقبل مرضاه • سأل الطبيب خادمه طويلا عن نفيدهم :  
من أرسله ولأى غرض جاء ، حتى لقد أراد أن يوصف له هذا الزائر  
المبكر • ثم صرح أخيرا بأن أعماله كثيرة ، فلا يستطيع الذهاب الى  
المريض ، وبأن المرضى الذين هم من هذا القبيل يجب نقلهم الى المستشفى .  
فحزن أركادى أشد الحزن ، لأنه لم يكن يتوقع حلا كهذا الحل ،  
فاستغنى عن الطب والأطباء ، واندفع راجعا الى المنزل ، يرتجف خوفا  
على فاسيا ، ودخل البيت راكضا • كانت مافرا تكسر حطباً لاشعال المدفأة  
كأن شيئا لم يحدث • فلما صار أركادى في الغرفة لم يجد فاسيا • فان  
فاسيا كان قد خرج •

تساءل أركادى متجمدا من الذعر : « أين هو المسكين ؟ الى أين

يمكن أن يكون قد ذهب ؟ ، ، وأخذ يسأل مافرا ، لكن المرأة الطيبة لا تعلم شيئاً ، بل انها لم تسمع خطواته حين خرج . هرع نيفدفش يذهب الى جماعة كولومنا . الله يعلم لماذا خطر بباله أنه قد يجد فاسيا هناك .

وصل اليهم في نحو الساعة التاسعة والنصف . وكانوا بجاهلين بكل شيء . فأخذ أركادى يسألهم هل فاسيا عندهم ، وقد لاح عليه البرد والهلع .

كادت المعجوز تنهاوى ، فجلست على الأريكة . وأخذت ليزا تكتأ تسائله مرتجفة من قمة الرأس الى أخمص القدم . ولكن ماذا كانت يستطيع أركادى أن يقول ؟ ها هو ذا يلفق قصة لم يشأ أحد أن يصدقها طبعاً . ثم انصرف كما جاء ، تاركا أهل الدار في حزن شديد وقلق عظيم . أسرع الى مكتبه حتى لا يصل متأخرا عن الميعاد متأخرا كبيرا . وخطر على باله أثناء الطريق أن فاسيا قد يكون عند جوليان ماستاكوفتش . هذا جائز . حتى لقد فكر أركادى في ذلك قبل أن يذهب الى كولومنا . فلما وصل بالعربة أمام منزل صاحب السعادة أراد أن يتوقف ، ولكنه سرعان ما غير رأيه وتابع طريقه . لقد قرر أن يستطلع الأمر في المكتب أولا . فإذا لم يطلع هنالك على شيء ، عاد يمثل أمام صاحب السعادة ، ليبلغه ما حدث لفاسيا في أقل تقدير . ذلك أنه لا بد من تقديم تقرير لأحد .

فما ان صار في حجرة المدخل حتى رأى زملاءه يحيطون

ويتجمعون حوله ، وأكثرهم من رتبته ، يسألونه عما جرى لفاسيا

وأبلغوه جميعا في الوقت نفسه أن فاسيا أصبح مجنونا ، وأن قوام جنونه

اعتقاده بأنه سيوجد في فرقه تأديبية من الجيش لاهماله عمله .

أجاب أركادى ايفانوفتش جميع الناس ، أو قل انه لم يجب أحدا

بعينه • فانه لم يكن يريد الا شيئاً واحداً هو أن يدخل المكتب • فلم طاف بمختلف الدوائر عرف أن فاسيا موجود عند جوليان ماستاكوفتش ، وأن كثيرا من الموظفين هناك ، وأن اسبر ايفانوفتش قد ذهب الى هناك أيضا • وسأله واحد من كبار الموظفين الى أين هو ذاهب وماذا يريد ، فطلبني ببضع كلمات ذاكرة اسم فاسيا ، واتجه رأسا الى غرفة الرئيس الكبير • كان صوت جوليان ماستاكوفتش يصل الى سمعه • سأله أحدهم :  
اسم الباب :

- الى أين أنت ذاهب ؟

وانه يتهياً لأن يرجع القهقري ، اذا هو يلمح فاسيا المسكين من خلال الباب المشقوق ؛ فلا يسمعه الا أن يدفع المصراع ، فيتسلل الى الغرفة بغير قليل من الغناء • كان جو مضطرب يسيطر على الغرفة : ان جوليان ماستاكوفتش يبدو منزعجا أشد الانزعاج ، يحيط به جميع أصحاب الرتب العالية من الموظفين ، وهم جميعا يتناقشون ثم لا يصلون الى اتخاذ قرار • وكان فاسيا منتحيا جانبا • انقبض صدر أركادى حين رآه على هذا الحال • كان فاسيا أبيض الوجه من فرط الشحوب ، منتصب القامة رافع الرأس مشدود الساقين ضاماً ذراعيه الى الفخذين ، تماما كما يفعل المنجدون أمام رئيسهم • وكان شاخصا ببصره الى عيني جوليان ماستاكوفتش • وسرعان ما لوحظ وجود نيفيدتش • فاذا بواحد يجهل أن الصديقين يسكنان معا ، يقترب من صاحب السعادة فيلفت نظره اليه • فاقيد أركادى الى الرئيس • وفيما كان أركادى يتهياً للاجابة على الأسئلة التي يطرحها عليه جوليان ماستاكوفتش ، نظر الى وجهه فلاحظ أنه يعبر عن تأثر وعطف صادق • فاذا هو يشعر بقشعريرة تسرى في جسمه ، ثم اذا يأخذ بيكي منتحيا كطفل • بل لقد فعل أكثر من ذلك : وثب نحو الرئيس الكبير ، فتناول يده وحملها الى شفتيه يقبلها ويفرقها بالدموع •

جوليان ماستاكوفتش نفسه ان يستحب يده بسرعة ، وأن يجرى حركة خفية ، ويقول : « هيا يا عزيزى هيا .. أرى أن لك قلبا طيبا .. » • كان أركادى ينتحب ويرشق الحضور بنظرات متوسلة ضارعة • كان يبدو له أنهم جميعا كاخوة لصديقه المسكين فاسيا ، وأنهم جميعا متألمون لحاله ، حزاني عليه •

سأله جوليان ماستاكوفتش قائلا :

– ولكن كيف حدث له هذا ؟ لماذا أصبح مجنونا ؟

فدمدم أركادى يقول :

– اء .. اعترافا بالجميل •

ثم لم يستطع أن يزيد على ذلك شيئا •

دهش جميع الحضور حين سمعوا هذا الجواب ، ووجدوا أنه أمر غريب بل عجيب أن يفقد انسان عقله اعترافا بالجميل • وشرح أركادى القضية كما استطاع •

قال جوليان ماستاكوفتش أخيرا :

– مسكين ... مع أن الأمر الذى عهدت به اليه لم يكن لا هاما ولا مستعجلا ! هذا انسان ضاع فى سبيل لا شئ ... طيب .. خذوه • واتجه جوليان ماستاكوفتش بالكلام بعد ذلك الى أركادى فألقى عليه بعض الأسئلة •

قال مشيرا الى فاسيا :

– هو يرجو أن لا يذكر من الأمر شئ لاحدى الفتيات ، فهل هي

خطيبته ؟

فقدم أركادى بعض الايضاحات • وكان فاسيا أثناء ذلك يبدو فريسة

فكرة تحاصر ذهنه • كان كمن يبذل جهدا كبيرا من أجل أن يتذكر شيئا خطير الشأن ، بل لا بد منه ولا غنى عنه في هذه اللحظة • وكان في بعض الأحيان يطوف ببصره على الحضور كأنه يأمل أن يسعفه أحدهم فيذكره بما كان يحاول أن يذكره • وتوقفت نظراته على أركادى • فاذا بشايع من أمل ينير وجهه فجأة • واذا هو يتقدم الى الأمام خطوة بقدمه اليسرى ، ثم يسير بضع خطوات سيرا عسكريا ، لا يفوته حتى أن يقرع الأرض بكعب قدمه اليمنى كما يفعل الجنود حين يقتربون من ضابط داهم • فأخذ الجمع ينتظر ما سيعقب ذلك • قال فاسيا بصوت متقطع :

- يا صاحب السعادة ، ان بى عاهة جسمية ، فأنا ضعيف وقصير القامة ولا أصلح للخدمة العسكرية •

فشعر جميع من فى الغرفة بانقباض فى قلوبهم ، حتى أن جوليان ماستاكوفتش نفسه لم يملك أن يجلس دمه سالت من عينيه رغم صلابه طبيعه وقوة ارادته • قال وهو يشير بيده :

- خنوه ••

قال فاسيا بصوت خافت :

- الى الجبهة •••

ثم إستدار الى الورااء يسرة • وخرج من الغرفة •

أسرع جميع من يهمهم مصيره يجرون وراه • وتبع أركادى الآخرين • أجلس فاسيا فى قاعة الانتظار ، وأخذ المختصون يعدون أمرا تقبوله فى المستشفى ، ويسألون عن العربة التى ستحملة اليه •

ان فاسيا صامت لا يتكلم • انه يبدو مشغول البال الى أقصى حد • وهو يحيى جميع من يعرفهم بانحشاء يسيرة كأنه يودعهم ، وينظر الى

الباب فى كل لحظة منتظرا أن يقال له : آن أوان الانصراف • ان حلقة ضيقة من الناس تحيط به • وهم جميعا يهزون رؤوسهم حسرة ، ويرنون لحاله ، ويحزنون لما آل اليه ؛ وما أكر الذين تأثروا أشد التأثر لقصته التى شاعت فى المكتب كله فجأة • • فبعضهم يناقش الأمر ، وبعضهم يذبح فاسيا ويعبر عن أساه • قالوا انه كان فتى هادئا متواضعا يعد بمستقبل مشرق • وقالوا انه كان يحرص على الاستزادة من العلم وكان يعمل جاهدا فى سبيل استكمال ثقافته • وقال أحدهم : « انه بوسائله وحيلها انما استطاع أن يخرج من ظرف وضع جدا • » • وأشاروا ، بكثير مرء الحنان ، الى العطف الذى كان يحمله له صاحب السعادة • وأخذ بعضهم يشرح لماذا تحاصر ذهن فاسيا فكرة زجه فى الجيش عقابا له على عدم انجازه عمله • قالوا ان الفتى ينتمى فى أصله الى طبقة الأفتان ، وان الفضل فى وصوله الى الحصول على رتبة موظف انما يرجع الى جوليان ماستاكوفتش وحده • ذلك أن جوليان ماستاكوفتش قد رأى فيه علائم موهبة حقيقية ، كما رأى فيه طواعية كاملة ، وأدبا جما • • • الخلاصة أنهم تكلموا كثيرا وتناقشوا طويلا • وكان من أكثر الناس تأثرا رجل طيب قصير القامة جدا ، أقصر كثيرا من متوسط طول الرجال • انه أحد زملاء فاسيا ؛ وما هو الآن فتى فى ريعان الشباب • فلعله بلغ الثلاثين من عمره • كان صاحب الوجه كميته • كانت أعضاؤه جميعها تختليج ، وكان يتسم ابتسامة غريبة • • • ربما لأن أى حادث رهيب أو أى أمر فاضح يمكن أن يملأ قلوب سهوده خوفا سديداً ولذة عجيبة فى آن واحد • كان الرجل القصير بر كض بين الجماعة التى تزدهم حول فاسيا من أقصاها الى أقصاها ، وكان لقصره ينتصب على رؤوس الأصابع ، متسبنا بزر هذا أو ذاك من زملائه ( الذين كان يحق له أن يقاربههم ) ؛ وما ينفك يردد أنه يعرف كيف وقع ما وقع ، غير أن الأمر معقد ، ولا يمكن ترك الأمور على ما هى عليه •

وانتصب على رعوس أصابعه مرة أخرى فهمس في أذن أحدهم ببعض الكلام ، ثم هز رأسه عدة مرات ، ومضى يهرول الى مكان آخر .  
وانتهى أخيرا كل شيء : جاء الحارس والمرض + فاقتربا من فاسيا ، وفلا له ان أو ان الانصراف قد آن . فنهض فاسيا ببطء ، واضطرب بعض الاضطراب ، ومضى يتبعهما ناظرا حوله . كان يبحث عن أحد + هتف أركادى باكيا ناشجا : « فاسيا ، فاسيا ! » . فسوقف فاسيا ، واستطاع أركادى أن يشق لنفسه طريقا الى صاحبه . فتعاقب الصديقان آخر عناق . . . . كان منظرا محزنا يمزق القلب . أية نازلة وهمية كانت تسيل عبراتهما ؟ لماذا كان يبكيان ؟ أين هي تلك النازلة ؟ لماذا لم يستطيعا أن يتفاهما ؟

قال فاسيا لصاحبه وهو يدس في يده ورقة مطوية :

— خذ . . . خذ هذا . . . خذ هذا . . . احتفظ لي به . والا أخذوه مني .

جئني به بعد + جئني به + احتفظ لي به .

ولم يستطع فاسيا أن يكمل كلامه + فقد نودي + فهبط السلم مسرعا وهو يحيى الناس ويخني رأسه + ان ألما قاتلا كان يرسم في وجهه + ووُضع في العربة أخيرا ، وسارت العربة .

فض أركادى الورقة على عجل + انها الحصلة السوداء من شمس ليزا ، التي كان يحملها فاسيا دائما معه + انبجست دموع مرة أخرى من عيني أركادى ، وتمتم يقول : « مسكينة أنت يا ليزا » .

فلما انصرف الموظفون ذهب أركادى الى جماعة كولومنا . لا داعي الى وصف ما جرى هنالك ! حتى الصنير بتيا الذي لم يفهم كثيرا ما وقع لفاسيا الطيب انزوى في ركن وغطى وجهه بيديه وطفق يبكي بكاء يمزق القلب .

كان الليل قد أخذ يهبط حين سار أركادى فى طريق العودة الى البيت • فلما وصل الى ضفة نهر نيفا ، توقف لحظة ، فحدق الى الأفق البعيد عند منحدر النهر • هنالك ، كان الهواء الكثيف والضباب البارد الكابى يلتهبان فجأة بأواخر الشعل من أول الغروب • كان الليل يهبط على المدينة • وكانت صفحة الماء المتجلدة المحدودة المخددة بحلقات من تلج قاس تعكس على كل امتدادها الواسع أواخر أشعة الشمس الغاربة تراقصا متلاثما على صفائح الجليد التى لا يحصى عددها •

كانت درجة الحرارة قد هبطت الى العشرين تحت الصفر ••• ان بخارا أبيض يحيط بالحول المتوقفة عجزا عن متابعة السير ، وبالناس الماشين بنخلى سريعة • والهواء الكثيف يرجع أيسر صوت • وفوق سطوح جميع المنازل المصطفة على الأرصفة تتصاعد فى السماء الباردة أعمدة عالية من دخان ، يختلط بعضها ببعض ، ثم يقترق بعضها عن بعض • لكأن مباني أخرى كانت تنشق فى الجو فتشكل مدينة جديدة فوق المدينة القديمة • كان العالم - بجميع ساكنيه ، الأقوياء منهم والضعفاء ، وبجميع مساكنه ، أكواخ الفقراء منها وقصور العظماء على هذه الأرض - كان هذا العالم كله يبدو فى تلك الساعة من المساء أشبه بسراب عجيب ، أشبه بحلم مصيره الى الزوال هو أيضا ، مصيره الى أن يتبخر دخانا فى السماء الزرقاء الداكنة •

وهذه فكرة غريبة تنبثق فجأة فى ذهن رفيق المسكين فاسيا ، فى ذهن الرفيق الذى أصبح الآن وحيدا • ارتعش أركادى • كأن دما أشد حرارة يتدفق الآن الى قلبه ، تحركه عاطفة قوية لم يعرفها قبل اليوم • لقد بدا له أنه يفهم الآن كل ذلك القلق الذى دفع فاسيا الى الجنون ، ويدرك السبب الذى جعل فاسيا يفقد عقله من عجزه عن احتمال سعادته •



اختلجت شفتا أركادى ، وسطع لهيب فى عينيه •• واصفر وجهه ، وشعر  
أنه عرف فجأة ، فى هذه اللحظة نفسها ، حقيقة جديدة •

أصبح أركادى حزين النفس متجهم الطبع • فقد مرحة القديم •  
كره منزله ، فاتخذ لنفسه سكنا آخر • ولم يطق أن يذهب بعدئذ الى  
جماعة كولومنا • وبعد سنتين صادف ليزانكا فى الكنيسة • كانت القناة  
قد تزوجت • هذه مرضعة تسير وراءها حاملة على ذراعها طفلا صغيرا •  
حياها وحيته ، ولكنهما تجنبيا الحديث عن الماضى • قالت ليزا انها سعيدة  
ولله الحمد ، وأن العسر قد زاولها ، وان زوجها رجل طيب شهم ، وانه  
يحبها •• ولكن عينها فاضتا بالدموع فجأة قبل أن تكمل جملتها ، وتحطم  
صوتها ، فحولت وجهها ومالت على عمود من أعمدة الكنيسة تخفى ألما ••



# حواش

## الفقراء

- صفحة
- ٥٥ - النص مستمد من قصة « الميت الحى » (١٨٣٨) التى كتبها الأمير فلاديمير ف أوديفسكى ، الكاتب الرومانسى .
- ٥٦ - « فرفارا » هو النطق الروسى لاسم بربارا . ويصغره الروس على سبيل التودد قائلين : فاريا ، فارنكا . و « ماتوشكا » كلمة روسية معناها « الأم الصغيرة » ، تخاطب بها الفتيات تحببا وتوددا .
- ٥٨ - محاكاة مضحكة للبيت الأول من قصيدة لرمونتوف : « ليتنى كنت طائرا ، ليتنى كنت غرابا من غربان الفيافي » .
- ٥٩ - « البارون براميتوس » ، هو الاسم الأدبى المستعار للأستاذ أوزيب سنكوفسكى ، المستشرق البولونى الأصل ، الذى كان ادبيا خصبا ، وكان يصدر مجلة « غرفة القراءة » .
- ٦٢ - « ديفوشكين » اسم مشتق من كلمة ديفوشكا ومعناها الفتاة .
- ٦٥ - « دوبروزيولوا » اسم منحوت من كلمتى « دوبروى » و « زيولو » ومعناها « القرية الجميلة » ؛ ويمكن أن نرى فى ذلك اشارة الى الطفولة السعيدة فى الريف .
- ٧٤ - « تبريز » و « فالدونى » ، هما من أبطال رواية نيكولا ليونار ( ١٧٤٤ - ١٧٩٣ ) التى ترجمت الى الروسية سنة ١٨٠٤ .
- ٧٧ - « بيكوف » اسم مشتق من كلمة « بيك » ومعناها النور ، اشارة الى ما يتصف به طبع السيد بيكوف من قسوة وشراسة .

## صفحة

- ٧٨ - « فولكوفو » مقبرة فقيرة تقع في جنوب سان بطرسبرج .
- ٩٠ - « بوكروفسكى » اسم مشتق من اسم عيد « بوكروف » الذى يحتفل به في أول تشرين الأول ( أكتوبر ) . ان هذه الاسماء نموذجية عند أتباع الكنيسة الارثوذكسية .
- ٩٧ - « باتنكا » ، مصغر بيتر ( بطرس ) ، والتصغير للتحجب .
- ١١٠ - ظهرت الطبعة الأولى من « أعمال بوشكين الكاملة » بعد وفاته في أحد عشر مجلدا ( ١٨٣٨ - ١٨٤١ ) .
- ١٣٠ - « راتازايف » اسم مشتق من كلمة راتازى ، ومعناها المتسكح ، فكذلك سخر دوستويفسكى من الكاتب الصغير باطلاق هذا الاسم عليه .
- ١٣٦ - ارماك تيموفيفتش ، قائد قوزاق الدون الذى احتل سيبيريا الغربية سنة ١٥٨٣ .
- ١٤٠ - ترجمت روايات بول دوكوك ( ١٧٩٤ - ١٨٧١ ) كثيرا وقرئت كثيرا فى روسيا . وكان الناقد الشهير بيلنسكى يقدر اتجاهها الواقعى .
- ١٤٢ - « أقاصيص بيلكين » ، تأليف بوشكين ، ظهرت سنة ١٨٣١ .
- ١٤٩ - استاذ الفلسفة جالتس ، نشر بسان بطرسبرج سنة ١٨٣٤ كتابا جامعا بعنوان : « صورة الانسان ، دراسة تستبطن النفس البشرية وتنفع قراءتها جميع الطبقات المستنيرة » .
- ١٤٩ - « الصبى الذى يلعب بالأجراس الصغيرة » ، بهذا العنوان صدرت بموسكو سنة ١٨١٠ الرواية العاطفية التى كتبها ذكرى دومينيل ( ١٧٦١ - ١٨١٩ ) ، وكان عنوانها الأصيل « فكتور أو صبى الغابة » ، وقد نالت هذه الرواية فى حينها نجاحا كبيرا ، وأعيد طبعها بالروسية مرارا .
- ١٤٩ - « طور ايبيكوس » ، قصيدة لشيللر ، ترجمها الى الروسية الشاعر ف . جوكوفسكى سنة ١٨١٣ .

صفحة

- ١٤٩ - « ناظر المحطة » قصة من « حكايات بيلكين » للشاعر الروسي الكبير بوشكين . وهى تروى قصة مؤثرة عن ناظر المحطة المسكين ، صمصون فيرين ، الذى اختطف ضابط غنى بنته .
- ١٥١ - فى شارع نفسكى وعلى أرصفة النهر كانت تقوم الأحياء الارستقراطية بالعاصمة .
- ١٥٢ - « المعطف » قصة جوجول الشهيرة ، ظهرت سنة ١٨٤٢
- ١٥٥ - « الجنرال » هو رئيس المكتب : كان الموظفون المدنيون الذين ينتمون الى الطبقات العليا يحق لهم أن يخاطبوا بلقب صاحب المعالي أو صاحب السعادة ، وكانوا يشبهون بالجنرالات . وكانوا يسمون أحيانا بالجنرالات المدنيين .
- ١٩٢ - « لوفلاس » اسم الشاب الذى يغوى الفتيات فى الرواية العاطفية « كلاريسا هارلو » ( ١٨٤٧ ) التى كتبها ريشارد مون . وقد ترجمت هذه الرواية الى الروسية وقرئت كثيرا
- ٢٠٥ - « فونتانكا » قناة متفرعة من نهر نيفا فى وسط العاصمة .
- ٢٠٦ - « جوروخوايا » ، شارع كبير فى وسط سان بطرسبرج .
- ٢٢٧ - أغلب الظن أنها « نحلة الشمال » ، الجريدة السياسية الأدبية التى كان يصدرها الكاتب الرجعى فاداي بولفارين ، البيولونى الأصل .

## المعل

- ٢٥٧ - «جوليادكين» اسم مشتق من اسم قبيلة جولياد التى ورد ذكرها فى التاريخ الروسى فى القرن الحادى عشر ، على أن الصلة التى بين هذا الاسم وبين كلمة « جون » ( أى الفقير أو العريان ) يمكن أن تكون اشارة الى فقر شخصية الرواية .
- ٢٦٦ « روتنسبتس » مقلوب كلمة سبتسروتن الألمانية ومعناها « الأسواط المدببة » وهى ذلك القصاص الرهيب الذين استوزده الحش

صفحة

- الروسي من ألمانيا في القرن الثامن عشر . ان في تسمية الطبيب بهذا الاسم اشارة الى شراسة طبعه .
- ٣٠٧ - الكونت جوزيف دو فيليل ( ١٧٧٣ - ١٨٥٤ ) ، هو رئيس الوزراء في عهد « الاصلاح » من عام ١٨٢١ الى عام ١٨٢٨ .
- ٣٠٧ - الوزير مارزيميريس - هو شخصية « قصة مغامرات ميلورد جورج مع المركيزة فردريكا براندنبورج والملكة تيريز دوسارديني » ، والقصة من تأليف م كوماروف ، وقد نشرت سنة ١٧٨٢ وراجت رواجاً كبيراً ( ظهرت الطبعة التاسعة منها سنة ١٨٣٩ ) .
- ٣٥٠ - آ . ف . سوفوروف ( ١٧٢٩ - ١٨٠٠ ) جنرال روسي عرف بانتصاراته وغرائب سلوكه .
- ٣٦٠ - « آخر أيام بومبئي » ، لوحة للرسم شارل برولوف ، وهو روسي من أصل فرنسي . واللوحة صورة مؤثرة رسمت في إيطاليا ونقلت الى سان بطرسبرج وعرضت بها سنة ١٨٣٤ ؛ وقد حظى هذا العرض باعجاب شديد ، وكتبت في اللوحة مقالات تقرّظ كثيرة ، من بينها مقالة كتبها جوجول .
- ٣٨٣ - جرشكا ( جريجوري ) أوتريف ، هو « ديمتريوس المزيف » الذي استولى على العرش سنة ١٦٠٥ بدعوى انه ابن حنا الرهيب ، وقتل سنة ١٦٠٦ .
- ٤٣٦ - ترجمة روسية لكتاب لوفى دو جوفرى المعنون « مغامرات الفارس دو فوبلاس العاطفية » ، وكان قد ظهر بين سنتي ١٧٩٢ و ١٧٩٦ في أحد عشر جزءاً صغيراً .
- ٤٦١ - « رسول شرطة سان بطرسبرج » ، جريدة تأسست سنة ١٨٣٩ ، وأصبحت تصدر يومية منذ سنة ١٨٤٤ .
- ٤٧٣ - المهاجرة فالبالا ، مديرة مدرسة داخلية للبنات ، والاسم قد اخترعه بوشكين ساخراً في قصيدته الهجائية « الكونت نولين » .

## قلب ضعيف

- ٥١٦ - ليزا ، ليزانكا ، هما تصغير اسم ليزافتا ( اليزابت ) .
- ٥١٧ - جوليان ماستاكوفتشس هو رئيس المكتب الذى يعمل فيه فامبيا .  
وقد اشتق دوستويفسكى اسم ماستاكوفتشس من كلمة ماستاك  
الروسية ومعناها الرجل الحاذق الماكر ، اشارة الى طبع هذه  
الشخصية .
- ٥٢٤ - بطرسبرجسكايا ستورونا ، ، حى فى شمال نهر نيفا .
- ٥٢٤ - « كولومنا » ، ضاحية فى الجنوب الشرقى من العاصمة .
- ٥٢٥ - « مانون ليسكو » ، بطلة الرواية الشهيرة التى كتبها الكاهن  
بريفو ، وقد ظهرت سنة ١٧٣١ ، وترجمت الى الروسية  
وأصابت نجاحا كبيرا .





## فهرس

الموضوع	الصفحة
حياة دستوفسكى .. .. .	٧
تقاليد .. .. .	٤٧
الفقراء .. .. .	٥٣
المثل :	
الفصل الأول .. .. .	٢٥٧
الفصل الثانى .. .. .	٢٦٩
الفصل الثالث .. .. .	٢٨٧
الفصل الرابع .. .. .	٣٠١
الفصل الخامس .. .. .	٣٢١
الفصل السادس .. .. .	٣٣٣
الفصل السابع .. .. .	٣٥٣
الفصل الثامن .. .. .	٣٦٧
الفصل التاسع .. .. .	٣٨٧

الصفحة	الموضوع
٤١٥ .. .. .	الفصل العاشر
٤٤٧ .. .. .	الفصل الحادى عشر
٤٦٥ .. .. .	الفصل الثانى عشر
٤٨٥ .. .. .	الفصل الثالث عشر
٥٠٧ .. .. .	قلب ضعيف
٥٨١ .. .. .	حواش

## أعمال دوستويفسكى الأدبية الكاملة

<u>المجلد ٧</u>	<u>المجلد ١</u>
المقامر	الفقراء
الزوج الأبدى	المثل
<u>المجلد ٨</u>	قلب ضعيف
١ الجريمة والعقاب	<u>المجلد ٢</u>
<u>المجلد ٩</u>	نيتوتشكا نرفانوفنا
٢ الجريمة والعقاب	الليالى البيضاء
<u>المجلد ١٠</u>	بروخارتشين
١ الأهل	الجاراة
<u>المجلد ١١</u>	المهرج
٢ الأهل	السارق الشريف
<u>المجلد ١٢</u>	البطل الصغير
١ الجن	قصة فى تسع رسائل
<u>المجلد ١٣</u>	شجرة عيد الميلاد والزواج
٢ الجن	زوجة آخر ورجل تحت السرير
<u>المجلد ١٤</u>	<u>المجلد ٣</u>
١ المراهق	قرية ستيباتشيكوفو وسكانها
<u>المجلد ١٥</u>	حلم العم
٢ المراهق	<u>المجلد ٤</u>
<u>المجلد ١٦</u>	مذلولون مهانون
١ الأخوة كارامازوف	<u>المجلد ٥</u>
<u>المجلد ١٧</u>	ذكريات من منزل الأموات
٢ الأخوة كارامازوف	<u>المجلد ٦</u>
<u>المجلد ١٨</u>	فى قبوى
٣ الأخوة كارامازوف	قصة أليمه
<u>المجلد ١٩</u>	ذكريات صيف عن مشاعر شتاء
من « يوميات كاتب »	التمساح
رسائل	



دار الكتاب العربي للطباعة والنشر  
بدمشق







” هو غملا ما في ذلك ريب . ليس بيني  
المحدثين أحد غيره يمكن أن يقرب بشكبير  
جهداً ومواهب . لعله ، بعد استمخيل وشكبير ،  
الإنسان الوحيد الذي نزل إلى القاع من القلوب  
والأجسام أعمق نزول وأعنف نزول “  
ليون دودييه

” إن دوستويفسكي هو الوحيد الذي عظم شيئاً  
عنه النفس الإنسانية “

نيتشيه

Bibliotheca Alexandrina



0388267

وزارة الثقافة  
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر  
دار الكتاب العربي للطباعة والنشر

١٩٦٧